دولة ماليزيا

وزارة التعليم العالي (MOHE)

جامعة المدينة العالمية

كلية العلوم الإسلامية

قسم التفسير وعلوم القرآن

حاشية الصاوى على تفسير الجلالين دراسة وتحقيق (من أول سورة الأنعام إلى آخر سورة الأنفال)

رسالة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن

إعداد

محمد أبوبكر محمد

ADC١١AJ٧٥٦

المشرف

الدكتور عامر نايف الزوبعى

العام الدراسى

١٤٣٤هـ/٢٠١٣م

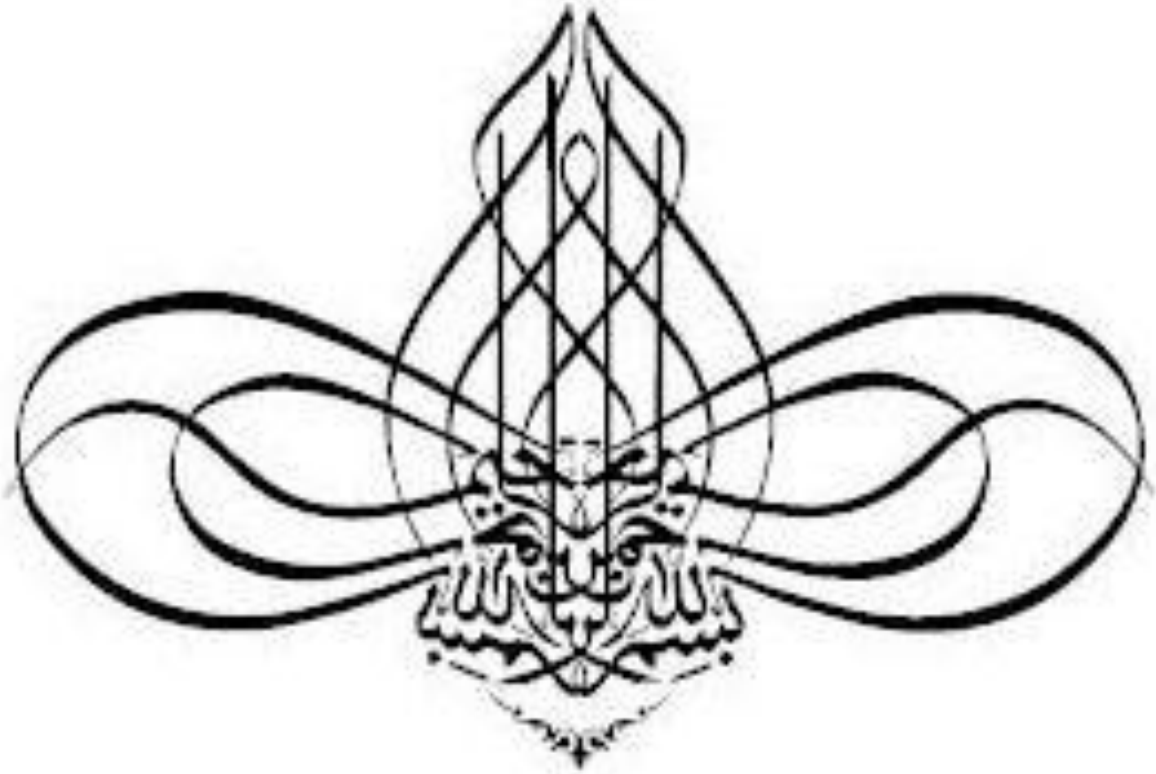

صفحة الإقرار :

أقرت جامعة المدينة العالمية بماليزيا بحث الطالب محمد أبوبكر محمد نيجيري الجنسية، من الآتية أسماؤهم:

المشرف

الممتحن الداخلي

الممتحنان الخارجان

رئيس لجنة المناقشة

APPROVAL PAGE

The dissertation of Muhammad Abubakar Muhammad has been approved by the following:

____

Supervisor

____

Internal Examiner

____

External Examiners

____

Chairman

إقرار الطالب:

أُقر بأن هذا البحث هو من عملي الخاص، قمتُ بجمعه ودراسته بعون الله، وقد عزوت النقل والإقتباس إلى مصادرها.

اسم الطالب : محمد أبوبكر محمد

التوقيع ....

التاريخ..................................

DECLARATION

I hereby declare that this dissertation is the result of my own

Investigation and I refer the quotations to their relevant sources.

Muhammad Abubakar Muhammad

……………………….

Signature

………………………….

Date

جامعة المدينة العالمية

إقرار بحقوق الطبع وإثبات مشروعية استخدام الأبحاث العلمية غير المنشورة

حقوق الطبع ٢٠١٣ © محفوظة

طاهر إنوا إبراهيم

حاشية الصاوى على تفسير الجلالين، دراسة وتحقيق، (من أول سورة الأنعام إلى آخر سورة الأنفال)

لا يجوز إعادة إنتاج أو استخدام هذا البحث غير المنشور في أي شكل أو صورة من دون إذن مكتوب من الباحث إلاّ في الحالات الآتية:

١. يمكن الاقتباس من هذا البحث بشرط العزو إليه.
٢. يحق لجامعة المدينة العالمية بماليزيا الإفادة من هذا البحث بشتى الوسائل وذلك لأغراض تعليمية، وليس لأغراض تجارية أو تسويقية.
٣. يحق لمكتبة جامعة المدينة العالمية بماليزيا استخراج نسخ من هذا البحث غير المنشور إذا طلبتها مكتبات الجامعات، ومراكز البحوث الأخرى.

أكّد هذا الإقرار: **محمد أبوبكر محمد**

....

التوقيع التاريخ

ملخص البحث

يهدف هذا البحث العلمى دراسة عميقة على كتاب حاشية الصاوي على تفسير الجلالين (من أول سورة الأنعام إلى آخر سورة الأنفال)، تطرّق الباحث بين يدي الدراسة على بيان تفسير القرآن وعلومه مختصرا، وقبل ذلك ترجمة موجزة للإمام الصاوى ومنهجه فى حاشيته، احتوت هذه الرسالة توثيق المعلومات التى أوردها الصاوى وخصوصا آيات العقيدة، وغيرها من مسائل أخرى، ويتمّ التوثيق عن طريق الرجوع إلى كتب أهل العلم، اهتمّ الباحث بتخريج الأحاديث التى أوردها الصاوى، وبيان منزلتها ناقلا فى ذلك أقوال علماء الفنّ من كتبهم مباشرة، ومما قام به الباحث فى هذه الدراسة عزو القراءات السبع التى عرضها الصاوى، إلى قرّائها، وأخيرا أوصى الباحث نفسه وإخوانه طلبة العلم وخاصة نيجيريين بدراسة باقى أجزاء الحاشية لكى تتم الفائدة إن شاء الله تعالى.

Abstract

This thesis focuses on part of volume three of Hashiya written by Imam Assawy with brief explanation on *Tafsir* (exegesis) and Quranic sciences. It also highlights on the author, (Assawy), his book and his methodology. The dissertation also tried to confirm the information presented by Assawy, by referring to other existing commentaries by pious predecessors. It discusses and authenticates the authority of the traditions related by Imam Assawy. The thesis also relates the different schools of recitations (*Qiraat*) to their reciters respectively. Finally, the researcher suggests the completion of the study of Hashiya of Assawy by some other incoming students, for its monumental achievement *in sha-ALLah*.

الإهداء

إلى الذَين ربياني صغيراً... وأسبغا عليَّ بركة دعائهما كثيراً دعماً وتشجيعاً وعوناً في كل دقيقة... إلى رمز العطاء والرحمة والحنان المتواصل... والدي الكريمين الصالحين **أبي بكر محمد طلحة والسيدة فاطمة غني مصطفى** –﴿رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾[1]– وأسأله تبارك وتعالى أن يغفر لهما ويرفع درجتهما فى المهديين، ويخلفهما فى عقبهما فى الغابرين، ويفسح لهما فى قبورهما، وينوّر لهما فيه، وإلى بقية أهل بيتي من زوجاتي الثلاثة وأبنائنا، ثم الإخوة والأخوات، وإلى جميع مشايخي وأساتذتي، الأحياء منهم والأموات.

---

(١) سورة الإسراء، الآية:٢٤.

شكر وتقدير

الحمد لله القائل في محكم تنزيله: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾،[2] والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد القائل: "لا يشكر الله من لا يشكر الناس".[3] وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وأصحابه الغر الميامين، وعلى كل من سلك سبيلهم إلى يوم الدين؛ وبعد:

فإنه لمن دواعي الفرح والسرور أن أكمّل هذا البحث في هذا الوقت وأنا في أتمّ الصحة والعافية، الحمد لله رب العالمين، والشكر له على إحسانه وإنعامه في كل لحظة وحين، ثم أتقدم بشكري الخالص إلى جامعة المدينة العالمية بماليزيا على ما قدمته لي من إتاحة فرصة قيمة للدراسة في مرحلة التدكتوراة، فجزى الله القائمين عليها ومدرائها وأساتذتها وعمالها عنا خير الجزاء، وأتقدم بشكري الخالص أيضا إلى جامعة ميدغري بولاية برنو-نيجيريا، حيث بعثتني إلى هذه الجامعة وساندتني مادّياً ومعنوياً في إكمال مرحلة الدكتوراه، فجزى الله مديرها العام وأساتذتها وعمالها والمشرفين عليها عنا خير الجزاء.

ولا أنسى أبداً أن أتقدم بشكري الخالص إلى أستاذي الكريم **الدكتور عامر نايف الزوبعى** —عجل الله شفاءه- الذي تكرّم بالإشراف على رسالتي وأتحفها بتوجيهاته وملاحظاته القيّمة المفيدة فجزاه الله العلي القدير عني خير الجزاء، وحفظه من كل مكروه ورعاه، وأشكر جميع أساتذة كلية العلوم الإسلامية بالجامعة، وعلى رأسهم **الدكتور عبدالعزيز مهدى** عميد الكلية، والذى راجع الرسالة من أولها إلى آخرها وصحّحها وعدّلها ونقّحها ووضع فيها شيئا من علمه الواسع، فجزاه الله عنّي وعن الإسلام والمسلمين خيرًا. والشكر موصول أيضا إلى الإخوة الأفاضل **عمر علي زاريا** وطاهر إنو وتُكُر الحاج موسى فجزاهم الله عنا خيرا، على ما قدّموه من خدمة للمسلمين.

والشكر موصول لكل من أسهم في إنجاز هذا البحث ونجاحه من أساتذة وأصدقاء، وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور بُلَمَ كاغو والأخ الحاج محمد سنده والأخ الدكتور بابا غنا عمر،

---

(٢) سورة إبراهيم، الآية:٦.

(٣) انظر: سنن أبي داوود، كتاب الأدب، باب فِي شُكْرِ الْمَعْرُوفِ، ج٤ ص٤٠٣ برقم٤٨١٣، وصححه الألباني.

جزى الله الجميع عني خير الجزاء، والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس المحتويات

صفحة البسملة..أ

صفحة الإقرار ....ب

Approval page..ج

اقرار الباحث ....د

Declaration ....هـ

إقرار بحقوق الطبع ....و

ملخص البحث ....ز

Abstract ....ح

الإهداء..ط

شكر وتقدير ....ي

فهرس المحتويات ....ك

المقدمة..١

أسباب اختيار الموضوع...٣

إشكالية البحث..٣

أهداف البحث...٤

أهمية الموضوع...٤

الدراسة السابقة للموضوع..................................٥

حدود البحث...٦

منهج البحث...٦

الباب الأول: التمهيد: تعريف الصاوي وحاشيته...................٨

الفصل الأول: اسمه ونسبه...................................٨

الفصل الثاني: شيوخه وتلاميذه، وفيه مبحثان:......................٨

المبحث الأول: شيوخه......................................٨

المبحث الثاني: تلاميذه.....................................٨

الفصل الثالث: حاشية الصاوي ومصادره فيها، وفيه مبحثان:

المبحث الأول:حاشية الصاوي...............................١١

المبحث الثاني: مصادر الصاوي في حاشيته، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : مصادره في التفسير.........................١٢

المطلب الثاني:مصادره في علوم القرآن.......................١٧

المطلب الثالث:مصادره في اللغة، وفيه مسائل:

المسألة الأولى: مصادره في النحو...........................١٧

المسألة الثانية: مصدره في البلاغة..........................١٩

المسألة الثالثة: مصدره في القراءات:........................١٩

المسألة الرابعة: استشهاده بالأبيات الشعرية.......................................٢٠

الفصل الرابع: تعريف التفسير، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف التفسير، وفيه مطلبان...٢١

المطلب الأول: تعريف التفسير لغة:..٢١

المطلب الثاني: التفسير اصطلاحا..٢٣

المبحث الثاني: نشأة علم التفسير، وفيه مطالب:

المطلب الأول : نشأة علم التفسير...٢٦

المطلب الثاني: مراحل نشأة علم التفسير...٢٧

المبحث الثالث: ألوان التفسير وأهميته، وفيه مطلبان:

المطلب الأول : ألوان التفسير..٣٥

المطلب الثاني: أهمية علم التفسير..٣٧

الباب الثاني: دراسة وتحقيق، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: سورة الأنعام..٤٠

الفصل الثاني: سورة الأعراف...١٩٠

الفصل الثالث: سورة الأنفال...٣١٠

الخاتمة. ٣٥٦

التوصيات..٣٥٦

المصادر والمراجع: ٣٥٧

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1]. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾[2]. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾[3].

أما بعد: فإن أصدق الكلام كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد -ﷺ-، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار. [4]

أما بعد، فإن الله عز وجل قد أكرم هذه الأمة بأفضل الرسل، وأنزل إليهم كتاباً فيه خبر ما قبلنا، وحكم ما بيننا، ونبأ ما بعدنا، هو الفصل ليس بالهزل، مَنْ تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسن، ولا يشبع منه العلماء، ولا تنقضي عجائبه، من قال به صدق، ومن عمل به أُجِرَ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هُدِيَ إلى صراط مستقيم.[5]

---

(١) سورة آل عمران: ١٠١.

(٢) سورة النساء:١.

(٣) سورة الأحزاب: ٧٠ — ٧١.

(٤) هذه هي الخطبة المسماة بخطبة الحاجة التي كان النبي -ﷺ- يستفتح بها خُطَبه ودروسه، أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما. [انظر: صحيح البخاري، كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله -ﷺ-، ج٦ ص٢٦٥٥ برقم ٦٨٤٩، وصحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب تَخْفِيفِ الصَّلاَةِ وَالْخُطْبَةِ، ج٣ ص١١، برقم٢٠٤٥، وأخرجه النسائي في سننه، كتاب النكاح، باب ما يستحب من الكلام عند النكاح، ج٦ ص٨٩ برقم٣٢٧٨.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب فضائل القرآن عن رسول الله -ﷺ-، باب ما جاء في فضل القرآن، ج٥ ص١٧٢ برقم ٢٩٠٦، وقال أبو عيسى: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول وفي الحارث مقال. وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي.

القرآن الكريم كلام الله -ﷻ- الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تحدى الله به المشركين أن يأتوا بمثله فعجزوا، وأمر بتلاوته وتدبره، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾(1).

قال الإمام القرطبي – رحمه الله –: (وفي هذا دليل على وجوب معرفة معاني القرآن، ودليل على أن الترتيل أفضل من الهذ،(2) إذ لا يصح التدبر مع الهذ ، قال الحسن: تدبر آيات الله اتباعها)(3) .

وقال العلامة السعدي -رحمه الله-: (أي هذه الحكمة من إنزاله، ليتدبر الناس آياته فيستخرجوا علمها، ويتأملوا أسرارها وحكمها، وهذا يدل على الحث على تدبر القرآن، وأنه من أفضل الأعمال، وأن القراءة المشتملة على التدبر أفضل من سرعة القراءة التي لا تُحصِّل هذا المقصود)(4).

القرآن الكريم باعة لا نهاية لها، كالبحر اللجي الذي لا حدود لموجاته، يغوص فيه كل عصر وزمان طلبا لدره المكَنّنة، التي هي ذخيرة الله لمن ألقى السمع وهو شهيد، ما شبعت علمآء زمن من استنباط أحكامه والاعتبار بقصصه والتخلق بآدابه والاتعاظ بموعظته، ويجلو نور وجوده في وجوه عباد الله الركع السجود. قام الصحابة ومن بعدهم حق القيام واعتنوا به تلاوةً وتفسيراً ولم يتقاعس هذا الجهد المحمود في العناية بهذا الكتاب في القرون الأولى إلى وقتنا هذا، بل قاموا بتفسيره وتيسير فهمه والإرشاد إلى مدلوله ومقصوده، وكتبوا فيه منذ القرون الأولى إلى يومنا هذا، وفي القرن الثالث عشر الهجري قام هذا العالم الجليل العلامة الشيخ أحمد بن محمد الصاوي -رحمه الله-، بالخدمة البالغة لكتاب الله -ﷻ- بحاشيته على تفسير الجلالين، وزاد الشيخ زينة لهذا التفسير بحاشيته حتى زاده بهجةً وقبولاً لدى الناس، خاصةً في إفريقيا، لكثرة المتصوفة فيها، وأذكر بالتحديد دولة نيجيريا، لقد غطَّت ظلال هذه الحاشية

---

(١) سورة ص، الآية:٢٩.

(٢) الهذُّ: الإسراع في القطع وفى القراءة. ينظر: الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق، **تاج العروس من جواهر القاموس**، مادة (هذذ)، ط١، (دار الهداية، د.ت.ط) ج٩ ص٤٩٨.

(٣) انظر: القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، ط١، (الرياض: دار عالم الكتب، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م)، ت: هشام سمير البخاري، ج١٥ ص١٩٢.

(٤) انظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ط١، (مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م)، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ص٤٥٥.

معظم بيوت المسلمين، حيث إنه لا تكاد تجد بيتا فيه معلم أو طالب إلا وتوجد نسخة أو أكثر لهذا الكتاب، وكان عُرف مسلمي نيجيريا أن يجتمعوا إلى مسجد شيخ معين في أيام رمضان، ذكورهم وإناثهم ليستمعوا ترجمة هذه الحاشية، وكان كل عالم في القبيلة يترجم لقومه بلغتهم.

أسباب اختيار الموضوع:

وهناك أسباب كثيرة داعية لاختيار هذا الموضوع، منها وهو أعظمها المساهمة في العناية بكتاب الله عز وجل، ثم إنني لما رأيت قدوم طلاب العلم ومشايخهم عندنا (نيجيريا) إلى الاهتمام بهذا الكتاب (حاشية الصاوي على تفسير الجلالين) أثار اهتمامي، وفكرت بالقيام بدراسته وتحقيقه على هذا الجزء اليسير وتقديمه كبحث لنيل درجة الدكتوراه في الجامعة المباركة، جامعة المدينة العالمية في ماليزيا، ذلك لأنه لم يجد من يقوم بخدمته وبيان شخصية المؤلف ثم تنقية الأحاديث التي تضمنها هذا الكتاب وبيان صحيحها وسقيمها حتى يسهل لمتناوليه الوقوف عليها، رجاء أن ينفع به هذه الأمة ومن بعدها.

إشكالية البحث:

تعتبر علم التفسير من العلوم الجليلة التي تحتاج إلى جهد كبير، إذ هو العلم الذي تبنَّى إبراز معاني القرآن، لإيصال فهم مراد الله إلى الناس، فإن حاشية الصاوي على تفسير الجلالين الذي ألفه العلامة أحمد بن محمد الخلوتي المالكي يعتبر تفسيرا جليلا يعتمد عليه الكثير عندنا. وعلى هذا يتناول الباحث في هذا البحث إبراز معلومات مفيدة مُكَنَّنَة في هذه الحاشية التي ينبغي الإنتباه إليها ومن ثم توطيد العلاقة بين هذا الكتاب ومتناوليه، وقد ذكر الصاوي في هذا الكتاب مسآئل عقدية وفقهية مما يحتاج إليها الناس.

فانطلاقا من هذا، أحاول الإجابة عن الأسئلة الآتية خلال الدراسة والتحقيق عليها:

١. ما دور هذا الكتاب في تفهيم معاني القرآن وتقريبه إلى متناوليه؟
٢. هل المسآئل العقدية المذكورة في هذا الكتاب موافقة لعقيدة السلف الصالح؟
٣. وما هو مذهب الصاوي الفقهي؟
٤. وما مدى صحة الأحاديث التي استدل بها الصاوي في هذا الكتاب؟
٥. وما صحة قول القائلين بأن جل الأحاديث التي استدل بها الصاوي في حاشيته ضعيفة وموضوعة؟
٦. ثم لماذا لم يقم أحد في إفريقيا خاصة شمال نيجيريا بخدمة هذا الكتاب مع توافد طلاب العلم عليه؟

أهداف البحث:

أهدف في هذا البحث بيان أهمية كتاب حاشية الصاوي في خدمة هذا الدين في مجالات شتى وخاصة العقدي والفقهي، وإبراز شخصية الصاوي ومكانته في هذا العلم، مع توثيق المعلومات المذكورة في الحاشية وتحقيق الأحاديث الواردة فيها وبيان درجة الحديث، ثم الكشف عن منهج الصاوي في حاشيته مع بيان الجانب الذي يميل إليه الصاوي في المسائل العقدية والفقهية، وكل هذا لغرض إبراز مكانتة هذا الكتاب لمتناوليه ثم تسهيل الوصول إلى المعلومات المكننة في هذا الكتاب.

أهمية البحث:

تتبين أهمية هذا البحث في أنه يقوم بعملية تحقيق الكتاب الأهم لعلماء شمال نيجيريا وطلابهم، ثم إنه يتناول جانبا مهما لم يقم به أحد من الباحثين في هذا الكتاب، وهو تخريج الأحاديث الواردة فيها ودراستها من حيث الصحة والضعف، وهذا أمر مهم لمتناوليه، لأن الكتاب مليء بالأحاديث والمسآئل

العقدية والفقهية ولكنها غير محررة، مع كثرة متناوليه في طلاب العلم ولكنهم غير قادرين على تمييز الصحيح منه وغير الصحيح، وهذا أمر يزيد من أراد الإسهام لهذا الدين اهتماما بأن يقوم بتنقيتها ما استطاع. ثم إن هذا البحث يسهم في عزو القراءات إلى أصحابها من حيث أن المصنف يذكرها مجردة دون عزوها إلى أصحابها، وعلى هذا أودُّ أن أكون واحدًا من الذين أسهموا في تيسير هذا الكتاب لقُرَّائه.

الدراسات السابقة:

ومن خلال اطلاع الباحث على الدراسات السابقة تبين أن هذا الكتاب لم يكن ضمن الكتب التي قام الباحثون بدراستها وخدمتها، غير أن هناك رسالتين جامعيتين، إحداهما بعنوان: (الإمام الصاوي وحاشيته على تفسير الجلالين دراسة وتعليق على الآراء الباطلة والمرويات الضعيفة-الجزء الأول) للأخ الدكتور محمد بن محمد السيد عوض -جزاه الله خيرا- قام بالدراسة والتعليق على الجزء الأول من هذا الكتاب كرسالة علمية لنيل درجة الدكتوراه في جامعة الأزهر الشريف بمصر، إلا أن الدكتور اختصر الآراء الباطلة والمرويات الضعيفة ولم يتعرض لتخريج الحديث وعزو القراءات وغيرها مما سأقوم أنا بالعمل على الجزء المختار . إن شآء الله .

والرسالة الثانية، بعنوان: آراء الصاوي في العقيدة والسلوك (عرض ونقد علي ضوء منهج أهل السنة والجماعة) — وهي رسالة علمية جامعية مقدمة لنيل درجة الماجستير في كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى بمكة، قدمتها الأخت أسماء بنت محمد توفيق ملا حسين، قامت الأخت في هذه الرسالة بعرض ونقد لآرائه العقدية فقط، وليست لها علاقة بالحاشية، فضلا عن تخريج أحاديثها أو تحقيقها.

ولم يكن هناك كتاب حسب اطلاعي كُتب عن حاشية الصاوي غير الذي ذكرت، وأما عن شخصيته ومكانته فقد وجد كتاب لتلميذه أحمد الششتي وسماه (**مناقب الصاوي**) وهو مخطوط، وذكر فيه شخصية الصاوي وبعض مناقبه عندهم في التصوف وخصوصا الطريقة الخلوتية.

حدود البحث:

هذه الرسالة مقيدة بالدراسة والتحقيق على حاشية الصاوي على تفسير الجلالين لثلاثة سور فقط، الأنعام والأعراف والأنفال، ثم إنها تهتم بجانب تحقيق الأحاديث وتوثيق المعلومات التي أوردها الصاوي خلال تفسير هذه السور مع عزو القراءات وترجمة الأعلام، ولا يعول على المسائل الفقهية إلا نادرا ولا الجوانب اللغوية والبلاغية بتاتا.

منهج البحث:

تعتمد هذه الرسالة على منهج البحث المكتبي، قمت بدراسة السور الثلاثة (الأنعام، والأعراف، والأنفال) درست حاشية الصاوي على تفسير الجلالين لهذه السور متتنعا وقارنا لأربعة نسخ، نسخة اعتبرتها أصلية وهي أقدمها والتي طبعت سنة ١٢٩٥هـ وقد قوبلت هذه النسخة على النسخة الأميرية التي طبعت بالمطبعة الأزهرية بمصر على نفقة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ثم النسخ المطبوعة المتداولة على أيدي الناس، وقمت بتحقيقها وتصحيح أخطائها اعتمادا على النسخة الأصلية، ثم قمت بتخريج الأحاديث الواردة في هذا الجزء، وبيان صحيحها وسقيمها، واكتفيت بعزو ما أخرجاه (البخاري ومسلم) لعدم الحاجة إلى التصحيح، وما أخرجه غيرهما ذكرت صحته وضعفه، نقلا من الأئمة المحققين الموثوقين، ثم أردفت بعزو القراءات السبعية إلى أصحابها اعتمادا بالكتاب القراءات السبع لأبي عمرو الداني وكتاب السبعة لابن مجاهد، وأذكر أصحاب الأقوال في المسائل الفقهية إن تيسر ذلك.

ووضعت قول الباري –جل وعلا– بين القوسين المُزَهَّرَتين هكذا ﴿ ﴾، وأحاديث النبي –ﷺ– بين الشولتين المزدوجتين هكذا " "، وقول جلال الدين المحلي بين القوسين المعقوفتين هكذا [ ]، وأوردت قول الصاوي سردا دون تقويس، وقمت بترقيم الكتاب حسب قواعد الترقيم بوضع الجمل المعترضة كالصلاة على النبي والترضي والترحم بين الشرطتين هكذا – –، ومن ثم قمت بذكر سور

الآيات ورقمها التي استشهد بها الصاوي في حاشيته، وكان لا يفرق بينهما بشيء، وأخيرا استعملت لفظة "قلت" عند إبراز رأيي.

وقسمت البحث إلى قسمين أساسيين:

القسم الأول: الصاوي ومنهجه في الحاشية، وهذا القسم يحتوي التعريف بالمؤلف ومنهجه وما يتعلق بهما.

القسم الثاني: التحقيق على هذا الجزء الذي يتضمن السور الثلاثة، وعزو القراءات إلى أصحابها ثم التعليق على بعض المسائل العقدية والفقهية، وترجمة الأعلام المذكورين فيه، مع توثيق المعلومات.

❁❁❁❁❁

الباب الأول: التمهيد: تعريف الصاوي وحاشيته:

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: اسمه ونسبه:

اسمه: أحمد بن محمد الخلوتي،أبو العباس، الشهير بالصاوي.

نسبه: يتصل نسبه بمحمد بن الحنفية بن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقيل نسبته إلى صاء الحجر في إقليم العربية، بمصر.[1] انتقل جده محمد الحنفي إلى مصر، ونزل بقرية من قرى النيل تسمى صاء الحجر، وذلك في سنة ثمانمائة وخمس من الهجرة (٨٠٥هـ).[٢]

الفصل الثاني: شيوخه وتلاميذه وفيه مبحثان:

المبحث الأول: شيوخه:

تتلمذ الصاوي على عدد لا بأس به من العلماء الكبار، أخذ منهم علوما مختلفا وألوانا من الفنون، منهم:

١- العلامة الشيخ الدردير هو: أحمد بن أحمد بن أبي حامد العَدوي المالكي الأزهري الخَلْوَتِي، الشهير بأحمد الدردير، وله مؤلفات كثيرة منها: شرح مختصر خليل. الذي هو عمدة الفقه المالكي، أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك متن في فقه المالكية، الشرح الصغير على أقرب المسالك، وصل في تأليفه إلى باب الجناية ثم أكمله تلميذه الشيخ مصطفى العقباوي، نظم الخريدة السَّنِيَّة في العقيدة السُّنيَّة في علم التوحيد على مذهب الأشاعرة، وشرحها كذلك، تحفة الإخوان في آداب أهل العرفان في التصوف.

تعلّل الشيخ الدردير أياما ولزم الفراش مدة حتى توفي في السادس من شهر ربيع الأول سنة ١٢٠١هـ ، الموافق ٢٧ديسمبر سنة ١٧٨٦م وقد صلي عليه بالجامع الأزهر بمشهد عظيم حافل، ودفن بزاويته التي أنشأها بجوار ضريح يحيى بن عقب، وهو مسجد الآن.[٣]

---

(١) وقيل: إنها صان الحجر، وهي من أعمال محافظة الشرقية بمصر. أكد بذلك الدكتور عبد العزيز مهدي، عميد الكلية وهو من أبناء هذه المحافظة.

(٢) انظر: الزركلي في **الأعلام**، مصدر سابق، ج١ ص٢٤٦، وعمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، ط١، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)، ج٢ ص١١١.

(٣) انظر: **مختصر شرح الخريدة البهية**، ص١٠-١٢، ومحمد مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، (بيروت: دار الفكر، د.ت.ط)، ص ٣٥٩، والمكتبة الأزهرية، ط١، (دار الفكر، ١٤١١هـ)، ج٢ ص٣٠٦-٣٠٨.

٢- الشيخ الجمل، وهو: سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الشافعي الأزهري المصري أبو داود المعروف بالجمل. وله مصنفات كثيرة منها: فتوحات الالهية بتوضيح تفسير الجلالين بالدقائق الخفية.

- فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب.
- المواهب المحمدية بشرح الشمائل الترمذية.
- الفتوحات الأحمدية بالمنح المحمدية على متن الهمزية للبوصيري.
- المنح الإلهيات بشرح دلائل الخيرات.(١)

٣- الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبادة بن بري، نزيل مصر، ومن أشهر مؤلفاته: حاشية على مولده -ﷺ- للغيطي وللهدهدي. توفي آخر جمادى الثانية ١١٩٣هـ.(٢)

٤- العلامة شمس الدين محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي، المالكي، ومن أشهر مصنفاته:

- الحاشية على شرح شذور الذهب لابن هشام.
- الحاشية على مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام.
- الحاشية على الشرح الكبير.
- الحاشية على شرح السعد التفتازاني على متن التلخيص في علوم البلاغة وغيرها من المؤلفات.(٣)

---

(١) انظر: محمد بن محمد مخلوف، مصدر سابق، ص ٣٥٩، وعمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، ط١، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)، ج٢ ص٦٧.

(٢) انظر: البغدادي، مصدر سابق، ج٥ ص٤٠٦، والجبرتي، مصدر سابق، ج٥ ص١٨٣، **و**عمر رضا كحالة، المصدر السابق، ط١، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)،

ج٤ ص٢٧١.

(٣) انظر: الجبرتي، في التاريخ، مصدر سابق، ج٤ ص٣٦٤-٣٦٦، وانظر: الدهلوي، عبد الستار، **فيض الملك الوهاب المتعال بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي**، ط١، (بيروت: دار المعارف،١٤٢٧م - ٢٠٠٦هـ)، ج٣ ص١٥٧٥، والزركلي، مصدر سابق، ج٦ ص١٧.

٥- الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن عبد القادر السنباوي الأزهري الشهير بالأمير، وله مؤلفات عديدة منها:

- حاشية على شرح الشيخ عبدالباقي الزرقاني على المختصر.
- المجموع وشرحه وحاشيته عليه. [١]

٦- الشيخ عبد الله بن مجازي بن إبراهيم الشافعي الأزهري الشهير بالشرقاوي.[٢]

٧- الشيخ أحمد بن شهاب الدين أحمد بن محمد السجاعي الشافعي الأزهري، وله مؤلفات كثيرة منها:

- بلوغ الإرب بشرح قصيدة من العرب.
- الجواهر المنتظمات في عقود المقولات.
- حاشية السجاعي على شرح القطر لابن هشام.توفي بالقاهرة سنة ١١٩٧هـ.[٣]

المبحث الثاني: تلاميذه

تتلمذ على الشيخ عدد كبير من المشايخ، الذين أخذوا عليه علوما مختلفة وألوانا من الفنون في الشرعيات واللغويات، ومن أبرزهم:

١. السيد أحمد الشِشتي المتوفى ١٢٣٥هـ.
٢. العلامة الهاشمي الرتبي المتوفى سنة ١٢٤٠هـ.

---

(١) انظر: الجبرتي في التاريخ، مصدر سابق، ج٧ ص٣٢٢.

(٢) انظر: البغدادي إسماعيل باشا، **هداية العارفين**، ط١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.ط.)، ج٥ ص٤٨٨، والجبرتي، المصدر السابق، ج٤ ص١٧٠.

(٣) انظر: الجبيرتي، المصدر السابق، ج٥ ج١٧٩.

٣. الشيخ يوسف بن محمد بن يحي البطاح الأهدل الزبيدي المتوفى سنة ١٢٤٦هـ.
٤. العلامة أبو حامد العربي بن محمد الدفتي الفارسي المتوفى سنة ١٢٥٣هـ.
٥. الشيخ محمد بن حسين الكتبي الحنفي.
٦. السيد محمد الفراوي.
٧. أحمد بن محمد نصير.
٨. السيد محمد البنا الحنفي مفتي السادة الحنفية.(١)

الفصل الثالث: حاشيته الصاوي ومصادره فيها، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: حاشية الصاوي

تقع حاشية الصاوي في أربع مجلدات من القطع الكبير، وقد طبعت أعداد منه مرات دون تحقيق ولا تخريج، وكلها مليئة بالأخطاء التي لم تكن في الأصل، وكانت هذه الحاشية اختصارا اختصره المؤلف لحاشية شيخه الجمل، وقد ذكر سبب اختصاره لها في أول التفسير، فقال: (لما كان علم التفسير أعظم العلوم مقدارا وأرفعها شأنا ومنارا إذ هو رئيس العلوم الدينية، ورأسها، ومبنى قواعد الشرع وأساسها، وكان كتاب الجلالين من أجَلِّ كُتُب التفسير، وقد أجمع على الاعتناء به الجم الغفير من أهل البصائر والتنوير، وجائني الداعي الإلهي بقراءته، فاشتغلت به على حسب عجزي، ووضعت كتابة ملخصة من حاشية شيخنا العلامة المحقق الورع الشيخ سليمان الجمل، مع زوائد وفوائد فتح مولانا من نور كتابه، وإنما اقتصرت على تلخيص تلك الحاشية، لكوني وجدتها ملخصة من جميع كتب التفسير التي بأيدينا، تنسب لنحو عشرين كتابا منها: البيضاوي وحواشيه، ومنها الخازن والخطيب والسمين وأبو السعود والكواشي والبحر والنهر والساقية والقرطبي والكشاف وابن عطية والتحبير والإتقان، ولم أنسب العبارات لأصحابها غالبا اكتفاء بنسبة الأصل، والله على ما أقول وكيل، وهو حسبي وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى.

---

(١) انظر: محمد مخلوف، مصدر سابق، ص ٣٥٩.

وقد تلقيت هذا الكتاب من أوله إلى آخره مرتين على العلامة الصوفي سيدي أحمد الدرديري، وعن أستاذنا العلامة الشيخ الأمير ، وكل من هؤلاء الأئمة تلقاه عن تاج العارفين شمس الدين سيدي محمد بن سالم الحفناوي، وعن الإمام أبي الحسن سيدي الشيخ علي الصعيدي العدوي).[١]

قلت: ومع كون هذا النص يوحي بأن هذه الحاشية مجرد اختصار، لم يخرج به المؤلف عن الأصل، إلا أن الحقيقة تكشف عن تحرر الصاوي في الكثير من المواضع، يذكر فوائد وتعليقات تفرد بها عن شيخه الجمل.

المبحث الثاني :مصادر الصاوي في حاشيته وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مصادره في التفسير:

أولا: البيضاوي: هو الإمام العالم، **محمد بن أحمد بن العباس أبو بكر البيضاوي: فقيه من كبار الشافعية، له علم بالادب، صنف كتبا منها " التبصرة "** وهو ذو التصانيف المفيدة المحققة، والمباحث الحميدة المدققة، قاضي القضاة ناصر الدين. صاحب التفسير العتيق والبحر العميق المسمى بأنوار.[٢]

وكان ينقل من هذا التفسير من خلال شيخه الجمل ولكنه لا يعزو إليه اكتفاءً بنقل شيخه منه كما صرح بذلك في مقدمته، حيث قال: ولم أنسب العبارات لأصحابها غالبا اكتفاء بنسبة الأصل، والله على ما أقول وكيل".[٣] وقد اعتمد الصاوي كذلك على بعض الحواشي في هذا التفسير العظيم، وكثيرا ما يوافق نقوله من حاشية محي الدين شيخ زاده المتوفى سنة (٩٥١) هـ: وهي أعظم الحواشي[٤] فائدة

---

(١) الصاوي، حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، ج١ ص٢.

(٢) انظر: اليافعي، عبد الله بن أسعد، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٢١٧هـ-١٩٩٧م)، ص٦٩٢، والزركلي في الأعلام، ج٥ ص٣١٤.

(٣) انظر: اليافعي، المصدر السابق ج١ ص٢.

(٤) من الحواشي المطبوعة التي تناولت التفسير كله من جميع النواحي:

- حاشية الشهاب الخفاجي المتوفي سنة (١٠٦٩) هـ. - حاشية محي الدين شيخ زاده المتوفى سنة (٩٥١) هـ. ٣- حاشية مصطفى بن إبراهيم المشهور بابن التمجيد المتوفى حوالي (٨٨٠) هـ. ٤- حاشية إسماعيل بن محمد القونوي المتوفى سنة (١١٩٥) هـ: وهي من الحواشي القيمة التي كتبت على «تفسير البيضاوي»، وقد كتبها بعد أن درَّس «تفسير البيضاوي» بجامع أبي الفتح الغازي السلطان

وأكثرها نفعًا وأسهلها عبارة كما ذكر ذلك صاحب كشف الظنون.[1] ثم حاشية جلال الدين السيوطي المتوفى سنة (٩١١) هـ: وسماها "نواهد الأبكار وشوارد الأفكار".

ثانيا: تفسير الخازن: المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل لمؤلف علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، كذلك استخدمه الصاوي من خلال حاشية شيخه الجمل ولم ينقل منه مباشرة.

ثالثا: تفسير الخطيب المكي للشيخ عبد الحميد الخطيب عبد الحميد بن أحمد بن عبد اللطيف الخطيب: متأدب متفقه، مولده بمكة.

رابعا: تفسير السمين المسمى الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ) هذا الكتاب مرجع رئيسي في بابه، وكموسوعة علمية حوت الكثير من آراء السابقين، اهتم فيه مصنفه بالجانب اللغوي بشكل كبير أو غالب، فذكر الآراء المختلفة في الإعراب، إضافة إلى شرح المفردات اللغوية، كذلك أوجه القراءات القرآنية، كما أنه ألمح إلى الكثير من الإشارات البلاغية، وذكر الكثير من الشواهد العربية فقلما نجد صفحة إلا وفيها شاهد أو أكثر نقل منه الصاوي بواسطة شيخه الجمل .

محمد خان -كما قال في المقدمة.(انظر: القونوي، حاشية القونوي على تفسير البيضاوي ج١ ص٢٣). ٥- حاشية عبد الحكيم السيالكوتي المتوفى سنة (١٠٦٧) هـ: وهي مشهورة بالتحقيق والتحليل، وصواب النظر، ورشاقة العبارة، والإغراق في الإشارة، حتى اعتبرت عنقاء الدارسين، وآبدة الناظرين -كما يقول الفاضل ابن عاشور. (انظر: ابن عاشور، التفسير ورجاله ص ١١٦). - حاشية أبي الفضل القرشي الصديقي الخطيب المشهور بالكازروني، المتوفى في حدود سنة (٩٤٠) هـ. - حاشية جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة (٩١١) هـ: وسماها «نواهد الأبكار وشوارد الأفكار»، وقد حُقق قسم من هذه «الحاشية» في رسالة جامعية، حيث قام الطالب صبحي قصاب بتحقيقها من سورة الأنعام إلى سورة الناس، وقدمها لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية؛ جامعة البعث، سنة (٢٠٠٣) م، بإشراف الدكتور رضوان القضماني، وتقع في أربع مجلدات، وأشار إلى أن طالبًا آخر يقوم بتحقيق الجزء الأول من «الحاشية».(انظر: السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، نواهد الأبكار وشوارد الأفكار، تحقيق صبحي قصاب، رسالة ماجستير، جامعة البعث، حمص، ٢٠٠٣ م، (١/ ٦) المقدمة).

(١) انظر: الرومي، مصطفى بن عبدالله القسطنطيني، مصدر سابق، ج١ ص١٩٨.

خامسا: تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لمحمد بن محمد العمادي أبي السعود، نشره دار إحياء التراث العربي ببيروت بتسعة أجزاء.

سادسا: تفسير الكواشي المسمى: تلخيص تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر، لمؤلفه أحمد بن يوسف بن الحسن بن رافع الكواشي الموصلي ، ولد سنة ٥٩٠هـ أو ٥٩١هـ وتوفي سنة ٦٨٠هـ .وقد برع في التفسير واللغة العربية والقراءات، وتفسيره دليل على ذلك.

وقد تم تحقيق هذا التفسير قديماً (حوالي ١٤٠٦-١٤٠٧هـ) في قسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض في عدد من رسائل الماجستير.

سابعا: تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي الغرناطي من كبار علماء القرن السابع الهجري، تلقى العلم عن كبار علماء الأندلس، وهو مطبوع ومتداول، وهو محط أنظار أهل العلم عامة، وأهل العربية خاصة؛ إذ يُعدُّ - هذا التفسير - المرجع المهم لمن يريد الوقوف على وجوه الإعراب لألفاظ القرآن ودقائق مسائله النحوية. فالجانب النحوي هو أبرز ما في هذا التفسير، إذ إن المؤلف - رحمه الله - قد أكثر من ذكر مسائل النحو، وتوسع فيها غاية التوسع، وذكر مسائل الخلاف فيها، حتى كاد الكتاب أقرب ما يكون كتاب نَحْوٍ منه كتاب تفسير. بَيْدَ أن أبا حيان - رحمه الله - لم يهمل الجوانب التفسيرية الأخرى في كتابه، بل كان يتعرض لغير مسائل النحو؛ كذكره المعاني اللغوية للآيات، والأسباب الواردة في نزولها، ويتعرض أيضًا لذكر الناسخ والمنسوخ، وأوجه القراءات القرآنية، والأحكام الفقيهة المتعلقة بآيات الأحكام[1]. نقل من هذا الكتاب بواسطة شيخه.

ثامنا: تفسير النهر هذا الكتاب أصله مفقود إلا جزء قليل منه، والكتاب مشهور ذكره عند المتصوفة وهو أحد سلسلة كتب الشيخ عبد القادر الجيلاني جاء تحت عنوان "كتاب نهر القادرية" في ترجمة

---

(١) انظر: العجلوني، مصدر سابق، ج٦ ص ٢٢، والباباني، مصدر سابق، ج١ ص٥٥.

القطب الرباني السيد الشريف الشيخ عبد القادر الجيلاني الحسني الحسيني، لمؤلفه "محمد فاضل الحمزرقي".

وهذا الكتاب أصله للباحث السيد محمد فاضل جيلاني التيلاني الحسني، وهو كتاب يؤرخ لجده الأعلى القطب عبدالقادر الجيلاني الحسني و يذكر شذرة من سيرته ونسبه وجلالته وأحواله ومناقبه ومؤلفاته في طبعة جديدة، مزينة بصور بعض المخطوطات ويذكر في هذا الكتاب أنه حصل على النسخة الكاملة من تفسير الشيخ عبدالقادر الجيلاني.

وبين دفتي هذا الكتاب نقرأ إسهامات الشيخ عبد القادر في نشر مفهوم التسامح بين المسلمين، وحملهم على توحيد صفوفهم، لتقديم الصورة الحقيقية للإسلام، ودحر العدو، وكانت عدته في ذلك دروس ومجال وعظاة كان يلقيها على العامة، وعلى طلبة العلم بشكل خاص، وقد أثمرت هذه الجهود، أن خرج من هؤلاء الطلاب مصلحين، أعادوا بث الوعي بين صفوف الأمة، وقادوها إلى انتصاراتها وتحرير مقدساتها ووصفه محمد الجيلاني في مقدمته بأنه فريد بمعلوماته، يحتوي على أسرار وأدعية وعظاة ما لم يخطر على بال بشر.(١)

تاسعا: تفسير القرطبي المسمى الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١هـ) وهذا التفسير جامع لبيان آيات القرآن جميعًا إلا أنه رحمه الله يركز بصورة شاملة على آيات الأحكام في القرآن الكريم. الكتاب من أفضل كُتب التفسير التي عُنيت بالأحكام فريد في بابه، ومن أجمع ما صنف في هذا الفن.

نقل منه الصاوي في حاشيته من خلال شييخه، ونبين ما وافقه وما خالفه أثناء دراسة الكتاب إن شاء الله.

---

(١) انظر: محمد فاضل جيلاني الحسني التيلاني، **كتاب نهر القادرية**، ط١، (اسطنبول: مركز الجيلاني للبحوث العلمية، ٢٠٠٩م)، ص١٠.

عاشرا: تفسير الكشاف: لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، وهو كتابُ تفسيرٍ يكشف عن وجوه الإعجاز القرآني البلاغية، والأسلوبية، واللغوية، احتشد له مؤلفه، ليخرجه في أبهى حلة بيانية، بيد أن العلماء يحَذِّرون قارئيه من الاعتزاليات الاعتقادية المبثوثة في تضاعيفه؛ وهذا ما حدا بابن المنير أن يتتبع هذه الاعتزاليات، ويفندها على هامش الكشاف.

وهو أشهر تفاسير المعتزلة الذي أبان به المؤلف وجوه الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم ، لإلمامه بلغة العرب ، ومعرفته بأشعارهم، وإحاطته بعلوم البلاغة والبيان، والإعراب والأدب، فأضفى ذلك في تفسيره لآيات الله تعالى، وحسن البيان، انتشر الكتاب في الآفاق، واعترف الجميع بفضله، وغزارة علمه، وبراعته، وحسن الصناعة فيه، وكان الكشاف أول تفسير يكشف عن سر بلاغة القرآن ووجوه إعجازه ودقة معانيه في ألفاظه، مما كان له الأثر الكبير في عجز العرب عن معارضته والإتيان بمثله، وذكر الزمخشري فيه الشواهد العربية التي وصلت إلى ألف بيت، واهتم بالإعراب والنحو، وتعرض باختصار شديد إلى المسائل الفقهية في آيات الأحكام ، وبينها باعتدال وعدم تعصب لمذهبه الحنفي.

لكن الزمخشري استغل تفسيره لنشر مبادىء المعتزلة ، والانتصار لمذهبه فيها، ويحاول جهده أن يتذرع بالمعاني اللغوية لذلك، ويؤيد عقائد المعتزلة بكل ما يملك من قوة الحجة ، وسلطان الدليل، وعرض أحيانا لبعض الروايات الإسرائيلية ، ويصدرها بلفظ "روي" الذي يشعر بضعف الرواية وبعدها عن الصحة، وختم كل سورة بحديث يبين فضلها وثواب قارئها ، لكن هذه الأحاديث التي ذكرها أكثرها ضعيف أو موضوع نشره دار إحياء التراث العربي ببيروت في أربع أجزاء.[1]

المطلب الثاني: مصادره في علوم القرآن:

ومما اعتمد عليه الصاوي في حاشيته في علوم التفسير كتابان ذكرهما في حاشيته غير أنه لم ينقل منهما مباشرة إنما ينقل منهما بواسطة شيخه الجمل، والكتابان هما:

---

(١) انظر: حاجي خليفة، مصدر سابق، ج١ ص٤٦٨.

أولا: التحبير في علم التفسير لجلال الدين السيوطي (٩١١هـ) وهو كتاب مطبوع متداول بين الناس وقد حققه الدكتور فتحي عبد القادر فريد ونشره دار العلوم بالرياض وتاريخ الطبعة ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م، ويحتوي تقريبا ٥١٨ صفحة. نقل منه الصاوي أوجه القراءات بواسطة شيخه الجمل.

ثانيا: الإتقان لجلال الدين السيوطي، وهو كتاب يبين أسرار القرآن وعلومه من أسباب نزوله، مكيه ومدنيه، قراءاته، محكمه ومتشابهه، ناسخه ومنسوخه، آداب تلاوته، مباحثه البلاغية، وجوه إعجازه، أصول تفسيره، وبالجملة يعتبر هذا الكتاب عمدة الباحثين والكاتبين في هذا الفن. ذكر فيه ثمانين نوعاً من أنواع علوم القرآن على سبيل الإدماج والإجمال، ثم قال بعد سردها نوعاً نوعاً : ولو نوعت باعتبار ما أدمجته فيها لزادت على الثلاثمائة.[1]

المطلب الثالث: مصادره في اللغة وفيه مسآئل:

المسألة الأولى: مصادره في النحو:

أولا: الألفية في النحو والتصريف والخط لجلال الدين: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى: (٩١١هـ) جمع فيها: بين ألفية ابن مالك وألفية ابن معطي وسماها: الفريدة، ثم شرحها وسماها: المطالع السعيدة،[2] وأما طريقة أخذه فيه فإنه إذا مر بمسألة نحوية فيها خلاف بين أهل العلم يثبت ما أثبته السيوطي في شروحه لهذا الكتاب.

ثانيا: ألفية ابن مالك فهي منظومة تتألف من ألف بيت من الرجز، تتعلق بأحكام النحو والصرف، ومؤلفها هو: أحد الأئمة الأعلام أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك المولود في مدينة جَيَّانَ بالأندلس (إسبانيا الآن) سنة ٦٠٠هـ، وانتقل إلى دمشق وتوفي بها سنة ٦٧٢هـ.

---

(١) انظر السيوطي في **الإتقان** ج٢ ص٤٤٥.

(٢) انظر: حاجي خليفة في **كشف الظنون**، مصدر سابق، ج١ ص١٥٧.

استمد الصاوي في حاشيته بأبيات هذه المنظومة في أماكن عدة منها: استدلاله عند قوله تعالى: ﴿يا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [1] قال: جملة الصلة والموصول صفة للنعمة والعائد محذوف تقديره أنعمتها بالنصب على نزع الخافض ولا يقدر أنعمت بها لئلا يلزم حذف العائد من غير وجود شرطه لقول ابن مالك:

كذا الذي جر بما الموصول جر ۞۞ كمر بالذي مررت فهو بر[2].[3]

ومثال آخر: ذكر عند قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَق السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [4] فقال: "قوله ولئن قلت" اللام موطئة لقسم محذوف وإن حرف شرط وقوله ليقولن جواب القسم وحذف جواب الشرط لتأخره قال ابن مالك:

واحذِفْ لدى اجتماعِ شرطٍ وقَسَمْ ۞۞ جَوَابَ ما أَخَّرْتَ فهو مُلْتَزَمْ.[5] [6]

المسألة الثانية: مصدره في البلاغة:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٠.

(٢) انظر: ابن مالك، المصدر السابق باب الموصول، ج١ ص١٩٩.

(٣) انظر : الصاوي في حاشية الصاوي ج١ ص٢٣.

(٤) سورة هود، الآية: ٨.

(٥) انظر: المرادي المصري، أبا محمد حسن بن قاسم بن عبد الله، **توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك**، ط١، (بيروت: دار الفكر العربي، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م)، تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، ج٣ ص١٢٨٩.

(٦) انظر: الصاوي، المصدر السابق، ج٢ ص١٩٤.

الكشاف وقد سبق تعريفه،[1] وأما طريقة أخذه فيه فإنه إذا تعرض على لطيفة بلاغية يذكر ما ذكره الكشاف في تفسيره ولكن بتصرف، كمثلا عندما قوله تعالى: ﴿وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [2] قال: قدم الجار والمجرور لأفادة الحصر وأتى بالجملة اسمية لأنه أعلى من الإنفاق.[3]

وهذا يوافق ما في الكشاف وما في البحر المحيط ولعله يستعملها في لطآئف بلاغية في حاشيته إلا أنه لا يشير إليهما غالبا .

المسألة الثالثة: مصدره في القراءات:

البيضاوي تقدم تعريفه، وكان يعتمد على التفسير البيضاوي في مسآئل القراءات ويخالفه في عرض بعض وجوه القراءات، كما حصل ذلك عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[4] قال : (وقوله: وإدخال ألف الواو بمعنى مع، فحاصله أن القراءات خمس قرآءاتان مع التحقيق وقرآءتان مع التسهيل، وقراءة مع الإبد، وكلها سبعية على التحقيق خلافا للبيضاوي حيث قال: إن قراءة الإبدال لحَنٌ لوجهين: الأول أن الهمزة المتحركة لا تبدل ألفا والثاني أن فيه التقآء الساكنين على غير حده".[5]

المسألة الرابعة: استشهاده بالأبيات الشعرية

---

(١) انظر الصفحة ١٦ من هذا البحث.

(٢) سورة البقرة الآية ٤ .

(٣) الحاشية ج١ ص٧.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٦.

(٥) انظر: الصاوي، الحاشية ج١ ص٨.

وكان يستشهد بالأبيات الشعرية مستدلا بها بإثبات معنى الكلمة أو إثبات شمائل رسول الله -ﷺ- ، كما فعل عند قوله تعالى: ﴿وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ قال: وقوله نصف بالتحريك يقال للمرأة والبقرة، قال الشاعر: وإن أتوك وقالوا إنها نصف ❁❁ قل إن أحسن نصفها الذي ذهبا[1]

وكما كان يستشهد كثيرا بأبيات البوصيري، كما فعل عند قوله تعالى: ﴿لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ﴾ [2] قال: وقد كان رسول الله -ﷺ- في شدة الحرب لا يتغير وجهه أبدا بل كان يتبسم إذ ذاك ولا يكترث بملاقاة الأعداء، قال البوصيري: مسفر يلتقي الكتيبة بسا ❁❁ ما إذا أسهم الوجوه للقاء.[3]

وكما كان يستشهد بأبيات شيخه الدردير في الجوهرة كما فعل عند قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[4] قال: ويؤخذ من ذلك أن الرزق بعضه غير حلال وهو مذهب أهل السنة، قال في الجوهرة:

فيرزق الله الحلال فاعلما ❁❁ ويرزق المكروه والمحرما.[5]

❁❁❁❁❁

الفصل الرابع: تعريف التفسير، وفيه ثلاثة مباحث:

---

(١) انظر: الصاوي، المصدر السابق، ج١ ص٣٤. والبيت موجود في **ديوان المعاني** لأبي هلال العسكري ج١ ص٢٥١.

(٢) سورة النسآء، الآية:٨٤.

(٣) انظر: الصاوي المصدر السابق، ج١ ص٢١٩.

(٤) سورة البقرة الآية ١٧٢.

(٥) انظر: الصاوي، المصدر السابق، ج١ ص٧٢.

المبحث الأول: تعريف التفسير، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التفسير لغة:

التفسير لغة: الكشف والإيضاح والبيان.(١)

أصل كلمة التفسير تدور من مادة "فَسَرَ"، والفَسْرُ: البيان، يقال: فَسَر الشيءَ يفسِرُه بالكَسر وتَفْسُرُه بالضم فَسْراً وفَسَّرَهُ: أي أَبانه والتَّفْسيرُ مثله، التَّفْسيرُ والتأْويل بمعنى واحد، وأما قوله عز وجل ﴿وأَحْسَنَ تَفْسيراً﴾، أي : بيانًا وتفصيلاً.(٢)

الفَسْرُ: كشف المغَطّى والتَّفْسير كَشف المراد عن اللفظ المشْكل، والتأْويل ردّ أَحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر. واسْتَفْسَرْتُه كذا أَي سأَلته أَن يُفَسِّره لي والفَسْر نظر الطبيب إلى الماء وكذلك التَّفْسِرةُ.(٣)

والفسر: البيان. وقد فسرت الشيء أفسره بالكسر فِسْرًا، والتفسير مثله . واستفسرته كذا، أي سألته أن يفسره لي. والفسر: نظر الطبيب إلى الماء، وكذلك التفسرة، وأظنه مولدا.(٤)

وقال أبو حيان فى البحر المحيط: "ويُطلق التفسير أيضاً على التعرية للإنطلاق، قال ثعلب: تقول فسرتُ الفرس: عرَّيته لينطلق فى حصره، وهو راجع لمعنى الكشف، فكأنه كشف ظهره لهذا الذى يريده منه من الجرى".(٥)

وأفاد السيوطي بأن التفسير تفعيل من الفسر وهو البيان والكشف، ويقال: هو مقلوب السفر تقول أسفر الصبح إذا أضاء.(١)

---

(١) انظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مادة فسر، ج١٣ ص٣٢٣، ذكر المناوي بأن التفسير في اللغة هو الكشف والإظهار، وهو المراد بقولنا هنا الكشف والبيان، واخترت البيان من الإظهار مع أن معناهما واحد لأن معظم علماء علوم القرآن استعملوها في كتبهم. انظر: المناوي، محمد عبد الرؤوف. **التوقيف على مهمات التعاريف**، ط١، تحقيق : د. محمد رضوان الداية. (بيروت: دار الفكر، ١٤١٠هـ)، ص١٩٢،

(٢) انظر: ابن عجيبة، **البحر المديد**، ج٤ ص٢٩٤.

(٣) انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، **لسان العرب**، ط١، (بيروت: دار صادر)، ج ٥ ص ٥٥.

(٤) الجوهري، إسماعيل بن حماد، **الصحاح في اللغة وصحاح العربية**، ط٤، (بيوت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ج٢ ص٧٨١.

(٥) انظر: أبا حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، **تفسير البحر المحيط**، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م)، ج١ ص١٠ .

قلت: وهذا غريب لأن أصل اللفظ ورد بترتيبه كما هو، ودعوى القلب يخالف الأصل، ولو قلنا بقولهم لما كان هناك ما يبين صحة أحدهما، وقد ذهب إلى ترجيح هذا القول الألوسي(٢) في كتابه، وقال: أما معناهما فالتفسير تفعيل من الفسر، وهو لغة البيان والكشف والقول بأنه مقلوب السفر مما لا يسفر له وجه ويطلق التفسير على التعرية للإنطلاق يقال فسرت الفرس إذا عريته لينطلق ولعله يرجع لمعنى الكشف كما لا يخفى بل كل تصاريف حروفه لا تخلو عن ذلك كما هو ظاهر لمن أمعن النظر.(٣)

وقد اختلفت أقوال العلماء فيه، وتوسط بعضهم قائلا: والصحيح –والله أعلم– أن في اللفظين تقارب في المعنى وليس أحد مقلوب الآخر.(٤)

ويظهر لنا بعد تتبع ما سبق أن أي معلومة فيها بيان كاف للمعنى يكون من التفسير، ويحترز من التفسير الترجمة الحرفية، لأنها نقل الكلام من لغة إلى لغة أخرى، مع مراعاة الموافقة فى النظم والترتيب، والمحافظة على جميع المعانى الأصل المترجَم.(٥)

المطلب الثاني: تعريف التفسير اصطلاحا

اختلفت عبارات العلماء في تعريف هذا العلم كفن من الفنون واختصرتها فيما يلي:

---

(١) انظر السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر، **الإتقان في علوم القرآن**، د.ط. (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ–١٩٧٤م)، بتحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج ٢ ص ١٧٣.

(٢) الآلوسي هو: محمود شهاب الدين أبو الثناء بن عبد الله بن محمود بن درويش بن عاشور، وتنتهي نسبته إلى زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب زوج فاطمة الزهراء بنت رسول الله محمد بن عبد الله –ﷺ–. مفسر، ومحدث، وفقيه، وأديب، وشاعر. انظر: الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الدمشقي، **الأعلام**، ط٥، (دار العلم للملايين، ٢٠٠٢ م) ج٣ ص٢٧٢.

(٣) انظر: الآلوسي، أبو الفضل عبد الباقي بن محمود بن عبد الله بن شهاب الدين، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ط١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.ط.)، ج١ ص٤.

(٤) انظر: الزرقاني، محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ط٣، (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ج٢ ص٥.

(٥) انظر: الدكتور محمد الذهبي، التفسير والمفسرون، ج١ ص١٠.

١-قال الزركشي: هو علم يفهم به كتاب الله تعالى المنزل على نبيه محمد-ﷺ- وبيان معانيه، واستخراج أَحْكامه وحِكَمه.(١)

٢-وقال أبو حيان: التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك.(٢)

وقال الزرقاني لما ساق هذا التعريف: وهذا أوسط التعريف.(٣)

٣-وعرفه بعضهم بأنه علم باحث عن معنى نظم القرآن بحسب الطاقة البشرية وبحسب ما تقتضيه القواعد العربية على طريق الكشف الواضح من حيث دلالته على مراد الله تعالى.(٤)

٤-وذكر الدكتور محمد الذهبي تعريفا وقال: "هو علم يُبحث فيه عن أحوال القرآن المجيد، من حيث دلالته على مراد الله تعالى، بقدر الطاقة البشرية".(٥)

وقد انتقد الفناري جميع هذه التعريفات ودقق فيها ولم يرض بها، فأوجز تعريفه بأفصح العبارة فقال: "هو معرفة أحوال كلام الله تعالى من حيث المعاني القرآنية ومن حيث دلالته على ما لم يعلم أو يظن أنه مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية"(٦) وهذا التعريف من أحسن التعاريف لكونه جامعا مانعا.

وأما التأويل فقد عرفه بعضهم كابن الجوزي (ت٥٩٧ هـ) وقال: التأويل هو نقلُ الظاهر عن وضعه الأصليِّ إلى ما يحتاج في إثباته إلى دليل، لولاه ما تُرِك ظاهرُ اللَّفْظ(٧)، وهذا يعني: صرْف ظاهر

---

(١) انظر: الزركشي، المصدر السابق، ج ١ ص ١٣، والسيوطي، مصدر سابق، ج٢ ص٤٦٢

(٢) انظر: أبا حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، **تفسير البحر المحيط، ط١**، (**بيروت**: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م)، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ج ١ ص ١٢١.

(٣) انظر: الزرقاني، مصدر سابق ج٢ ص: ٦.

(٤) انظر تاريخ التفسير، ص: ١٨.

(٥) انظر: الدكتور، محمد حسين الذهبي ، **التفسير والمفسرون**، ج١ ص ٥.

(٦) وانظر الحسن أيوب، **الحديث في علوم القرآن**، ط١، (القاهرة: دار السلام، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م)، ج١ ص٥٦.

(٧) انظر: ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن، **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، ط١، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)، ص٢١٧.

اللَّفْظ إلى معنى من المعاني المحتملة، ولا يظهر إلاَّ بدلالة تعيين المعنى المراد منها؛ لأنَّ التأويل: توجيه لفظ متوجِّه إلى معانٍ مختلفة لواحد منها بما ظهر من الأدلَّة.

ويعرف بعض المفسرين التأويل بأنه: صرْف اللَّفْظ عن معناه الظاهر إلى معنًى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافقًا للكتاب والسُّنَّة، مثل قوله – تعالى -: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾[1]، إن أراد به إخراجَ الطير من البيضة كان تفسيرًا، وإن أراد به إخراج المؤمن من الكافر، أو العالِم من الجاهل كان تأويلاً.[2]

وعرَّفه الزركشيُّ (ت٧٩٤ هـ) بأنَّه: "صرف الآية إلى معنًى موافق لِمَا قبلها وما بعدها، تحتمله الآيةُ، غير مخالِف للكتاب والسُّنَّة من طريق الاستنباط.[3]

قلت:التأويل والتفسير كلمتانِ تدلاَّن معًا على بيان معنى اللَّفْظ، والكشْف عنه، وهما ظهرتَا في بحوث القرآن عند المفسِّرين، إلاَّ أنَّهم اختلفوا في تحديد مدى التطابُق بينهما، فذهب قسمٌ منهم إلى القول بالترادُف بينهما، فكلُّ تفسير تأويل، والعكس صحيح أيضًا، ولعلَّ منه قول الخليل بن أحمد: "والتأوُّل والتأويل: تفسير الكلام الذي تختلف معانيه، ولا يصحُّ إلا ببيان غيرِ لفظه،[4] وإلى القول ذاتِه ذهب أبو عُبيدة (ت٢١٠ هـ)، إذ يقول: "التأويل: التفسير والمرجع،[5] ونسب أيضًا إلى المبرِّد [6](ت٢٨٥ هـ)، واختاره من المفسِّرين ابنُ جرير الطبري (ت١٠ هـ)، فعند تفسيره الآيات القرآنية يقول: "القول في تأويل قوله كذا ....واختلف أهلُ التأويل في الآية...مثلا" وهو يَعني بذلك التفسير.

---

(١) سورة الروم، الآية: ١٩.

(٢) انظر: الجرجاني، علي بن محمد بن علي، **التعريفات**، ط١، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ) ص ٧٢.

(٣) الزركشي، مصدر سابق، ج٢ ص١٥٠.

(٤) انظر: الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، **العين**، **ط١**، (الهند: دائرة المعارف النظامية، ١٩٠٦م-١٣٢٣هـ)، مادة (أول)، ج١ ص٣٦٩.

(٥) أبو عبيدة، **مجاز القرآن**، ج١ ص٨٦.

(٦) ينظر: أبا هلال العسكري، **الفروق اللغوية**، ط١، (بيروت: دار العلم والثقافة، ٢٠٠٠م)، ص١٣٠، **ومجمع البيان** ج١ ص١٣.

وذهب القسم الآخَرُ إلى وجود فرْق بينهما، ومن هؤلاء الراغب الأصبهاني (ت٥٠٢ هـ)، إذ يرى أنَّ التأويل: ردُّ الشيء إلى الغاية المرادة منه قولاً أو فعلاً،[١] والتفسير قد يُقال فيما يختصُّ بمفردات الألفاظ وغريبها، وفيما يختصُّ بالتأويل، ولهذا يقال: تفسير الرؤيا وتأويلها،[٢] ويرى الطبرسيُّ (ت٥٤٨ هـ): أنَّ التفسير: كشفُ المراد عن اللفْظ المشكِل، والتأويل: ردُّ أحد المحتملَين إلى ما يطابق الظاهر،[٣] وذهب ابنُ الجوزي إلى أنَّ التفسير: إخراجُ الشيء من معلوم الخفاء إلى مقام التجلِّي، والتأويل: نقلُ الكلام عن موضعه إلى ما يحتاج في إثباته إلى دليلٍ لولاه ما تُرِك ظاهر اللَّفْظ،[٤] ويرى غيرُه أنَّ التفسير بيانُ لفظ لا يحتمل إلاَّ وجهًا واحدًا، والتأويل: توجيه لفظ متوجِّه إلى معانٍ مختلفة بما ظهر من الأدلَّة،[٥] ونقل الزَّبِيدي (ت١٢٠٥هـ) قولاً يكون فيه معنى التفسير: شرْحُ ما جاء مجملاً من القَصص في الكتاب الكريم، وتقريب ما تدلُّ عليه ألفاظُه الغريبة، وتبيين الأمور التي أُنزلِت بسببها الآية، أمَّا التأويل، فهو تبيين معنى المتشابه، والمتشابه هو ما لم يُقطعْ بفحواه من غير تردُّد فيه، وهو النصُّ.[٦]

وذهب آخرون إلى غيرها من الأقوال للدلالة على الفرْق بين التأويل والتفسير،[٧] ومن خلال هذه الآراء نخلصُ إلى أنَّ للتأويل مزية زائدة على التفسير، ويُشير إليه قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ

---

(١) انظر: الراغب الاصفهاني، أبو القاسم، الحسين بن محمد، **مفردات غريب القرآن**، ط١، (بيروت: دار المعرفة د.ت.ط.)، ص٣١.

(٢) انظر : الراغب الأصفهاني، المصدر السابق، ص٣٨٠.

(٣) ينظر: الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل، **مجمع البيان**، ط١، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤١٥- ١٩٩٥م)، ج١ ص١٧.

(٤) ينظر: **التوقيف على مهمات التعاريف**، ج١ ص١٩٤.

(٥) ينظر: أبو هلال العسكري، مصدر سابق، ص١٣٠.

(٦) انظر: أبا الفيض، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ط١، (الكويت: التراث العربي، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م)، ، مادة (أول)، ج٧ ص٢١٥.

(٧) ينظر: أبو هلال العسكري، مصدر سابق، ص١٣٠ – ١٣٣، **والتاج**، مصدر سابق، مادة (أول)، ج٧ ص٢١٥.

رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[1]، حيث حصر – سبحانه وتعالى – عِلمَ التأويل به، وبِمَن رَسَخ في العلم، ويدلُّ عليه أيضًا دعاء النبي –ﷺ– لابن عبَّاس – رضي الله عنهما –: "اللهمَّ فقِّهْه في الدِّين، وعلِّمْه التأويل"،[2] فلو لم يكن للتأويل مزيدُ فضل، لم يكن لتخصيص ابن عبَّاس بذلك – مع جلالة قدره، وعظيم شأنِه – مزيدُ فائدة.[3]

المبحث الثاني: نشأة علم التفسير، وفيه مطالب:

المطلب الأول: نشأة علم التفسير

علم التفسير هو أول العلوم نشأة، إذ بان بنيانه منذ حياة الرسول –ﷺ–، إذ لا سبيل لفهم هذا الكتاب إلا بواسطة، وواسطة فهم هذا الكتاب هو رسول الله –ﷺ– فاجتهد الصحابة –رضي الله عنهم– وفهموا القرآن جملة بسليقتهم العربية الأصيلة، وما أشكل عليهم فهمه سألوا عنه رسول الله –ﷺ–، كما في حديث عن عبد الله –رضي الله عنه– قال: لما نزلت ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾. قلنا: يا رسول الله أينا لا يظلم نفسه؟ قال: "ليس كما تقولون ﴿لم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ بشرك أو لم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه: ﴿يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم[4]﴾".[5]

وهذا الحديث يدل على أن الصحابة أخذوا القرآن الكريم عن رسول الله –ﷺ– لفظا ومعنى، ولكن التفسير لم يرقم في السطور آنذاك، بل قام الصحابة بتلقينه كما أخذوه من صاحب الشريعة، وكذا التابعون لمن بعدهم إلا أنهم لقنوه مشافهة وكتابة، ثم بعد ذلك دوِّن التفسير، وذلك في أواخر حكومة بني أمية وأوائل بني العباس، كجزء مهم من كتب الحديث، ثم انفصل عن علم الحديث حتى قام بنفسه

---

(١) سورة آل عمران الآية ٧.

(٢) أحمد بن محمد بن حنبل، **المسند** ج١ ص٢٦٦. دار الحديث – القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، برقم: ٢٤٣٩ ج٥ ص٤٦٥.

(٣) ينظر: أبو هلال العسكري، المصدر السابق، ص١٣٤.

(٤) سورة لقمان، الآية: ١٣.

(٥) متفق عليه. انظر: صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾ [سورة النساء، الآية:١٢٥]، ج٣ ص١٢٢٦ برقم ٣١٨١، وصحيح مسلم، كتاب الإِيمَانِ، باب صِدْقِ الإِيمَانِ وَإِخْلاَصِه، ج١ ص٨٠ برقم ٣٤٢.

كعلم مستقل، فاشتغل علمآء ذلك العصر بتأليف التفسير بالأسانيد ثم جاءت عصابة منهم فاختصروا الأسانيد وتركوا نسبة الأقوال إلى قآئليها، فبدأ الخلط في التفسير الصحيح بالسقيم ودخول الإتجاهات المتنوعة فيه كاتجاهات لأصحاب الغقائد المختلفة وتنوعت ألوانه كالتفسير بالرأي والبياني والفقهي واللغوي والمذهبي والموضوعي والإشاري والأدبي والإجتماعي والعلمي وسواها، وهذا مما جعل كل عالم يفسر القرآن حسب تخصصه العلمي ، فمنهم من اهتم بابراز الإعجاز اللغوي للقرآن أو بيان أحكام القرآن أو إعرابه أو التصور العقدي فيه. وكان ذلك بعد القرن الثالث الهجري.[١]

وعلى هذا، فصَّل بعض العلمآء وذكروا أن التفسير مر عبر العصور على مراحل وأطوار، وقد ضمنت فترة طويلة من الزمان تمتد من زمان رسول الله -ﷺ- إلى يومنا هذا.

المطلب الثاني: مراحل نشأة علم التفسير:

المرحلة الأولى:

وتمتد هذه المرحلة من زمن رسول الله -ﷺ- إلى انتهاء زمن الصحابة رضي الله عنهم، لقد قام الصحابة في هذه المرحلة باستفسارات بعض ما استبهم لهم من قول الباري جل وعلا، فيسألون رسول الله -ﷺ- عن معاني القرآن وبيان أحكامه فيبين لهم لأنه -ﷺ- أول شارح لهذا الكتاب الكريم، وأكثر الخلق فهما له، وكان ذلك من أهم وظيفته التي بعث لأجله كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.[٢]

واعلم أن النبي -ﷺ- لم يفسر جميع القرآن للصحابة، بل فسر بعض المغيبات التي اختفت عنهم كبيان المجمل وتخصيص العام وما التبس به المراد، كما أشارت إليه عآئشة رضي الله عنها حيث قالت: "إن النبي -ﷺ- لا يفسر شيئا من القرآن برأيه إلا آيا بعدد علمه إياهن جبريل"[٣]

---

(١) انظر: الزرقاني، مصدر سابق، بتصرف، ج١ ص ٢٩.

(٢) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٣) انظر: الهيثمي ، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، ط٢، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٢هـ) ج٧ ص٩.

المرحلة الثانية:

وتمتد هذه المرحلة من عصر التابعين وتنتهي إلى بداية مرحلة التدوين، وقد كان التابعون رحمهم الله عليهم حريصين جادّين في أخذ العلوم عند الصحابة خاصة القرآن الكريم، كما قاموا بحفظه واتقانه، فنقلوا روايات التفسير عنهم، ويزيدون أحيانا ما استنبطوه بأنفسهم فجعل التفسير يكبر في هذا العهد حتى جمع منه الشيء الكثير.

وفي هذه الفترة أصبح الناس يحتاجون إلى علم التفسير أمس الحاجة، ذلك لبعدهم عن العهد النبوي واختلاطهم بالأعاجم الذين دخلوا في الإسلام، وكثرة المسلمين الموالين الذين لا يفهمون اللغة العربية، فأصبحوا يلجئون إلى التابعين ليتعلموا شرائع دينهم الإسلامي، وبسبب هذه العوامل أَلزموا أنفسهم بتعليم القرآن الكريم حتى استطاعوا أن يؤسسوا المدارس التفسيرية في الأمصار المختلفة، والأساتذة لهذه المدارس الصحابة، والطلاب هم التابعون، واشتهرت ثلاث مدارس للتفسير في هذا العهد:

١- مدرسة التفسير بمكة المكرمة.
٢- مدرسة التفسير بالمدينة النبوية.
٣- مدرسة التفسير بالعراق.

وأما مدرسة التفسير بمكة المكرمة مؤسسها الصحابي الجليل عبد الله بن عباس[١] -رضي الله عنهما (ت: ٢٤٩هـ)- وغيرهم. وانتجت هذه المدرسة صفوة سامية،

(١) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي أبو العباس الهاشمي ابن عم رسول الله ، حبر هذه الأمة، ومفسر كتاب الله وترجمانه، كان يقال له: الحبر والبحر، وروى عن رسول الله شيئا كثيرا، وعن جماعة من الصحابة، وأخذ عنه خلق من الصحابة وأمم من التابعين، وله مفردات ليست لغيره من الصحابة لاتساع علمه وكثرة فهمه وكمال عقله وسعة فضله ونبل أصله، رضي الله عنه وأرضاه، وأمه: أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية أخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين. قال مسلم بن خالد الزنجي المكي: عن ابن نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: لما كان رسول الله في الشعب جاء أبي إلى رسول الله فقال له: يا محمد، أرى أم الفضل قد اشتملت على حمل. فقال: "لعل الله أن يقر أعينكم". قال: فلما ولدتني أتى بي رسول الله وأنا في خرقة فحنكني بريقه. قال مجاهد: فلا نعلم أحدا حنكه رسول الله بريقه غيره. وفي رواية أخرى: فقال رسول الله: "لعل الله أن يبيض وجوهنا بغلام"، فولدت عبد الله بن عباس. انظر: الزركلي، مصدر سابق، ج٤ ص٦٥.

منهم سعيد بن جبير[١] ومجاهد بن جبر[٢] وعطاء بن أبي رباح[٣].

وأما مدرسة التفسيرية بالمدينة النبوية أقامها أبي بن كعب[٤]رضي الله عنه، وقد تخرج على يديه كثير من التابعين فوعوا عنه الروايات التفسيرية وبلغوها إلى من ورائهم حتى أصبحت متأثرة في كثير من التابعين.

---

(١) هو سعيد بن جبير ابن هشام ، الإمام الحافظ المقرئ المفسر الشهيد . وكان من كبار العلماء . قال : دخل سعيد بن جبير الكعبة فقرأ القرآن في ركعة . وقيل إنه كان يختم القرآن فيما بين المغرب والعشاء في شهر رمضان ، وكانوا يؤخرون العشاء. انظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، **سير أعلام النبلاء**، ط٩، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م)، ج٤ ص٣٢٢.

(٢) هو مجاهد بن جبر الإمام الحبر المكي : كان أعلمهم بالتفسير، وقال مجاهد: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة ، وفي رواية : " عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها " وقال له ابن عمر : " وددت أنَّ نافعاً يحفظ حفظك " وقال ابن جرير : حدثنا أبو عبد الرحمن قال حدثنا أبو كريب قال حدثنا طلق بن غنام عن عثمان المكي عن أبي ملكية قال : رأيت مجاهداً سأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه قال : فيقول له ابن عباس : اكتب حتى سأله عن التفسير كله "، وقال عنه سفيان الثوري -رحمه الله- إذا جاءك التفسير من مجاهد فحسبك به، وقال سلمة بن كهيل: ما رأيت أحداً أراد بهذا العلم وجه الله تعالى إلا عطاء، وطاوساً، ومجاهداً، توفى سنة ١٠٣هـ بمكة وهو ساجد. انظر: ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي، **الطبقات الكبرى**، ط١، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤٠٨هـ)، تحقيق زياد محمد منصور، ج٥ ص٤٤٦، والذهبي، المصدر السابق، ج٤ ص٤٤٩، وابن كثير، أبو الفداء إسماعيل الدمشقي، **البداية والنهاية**، ط١، (بيروت: دار إحياء التراث، الاولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م)، ج٩ ص٢٤٤.

(٣) هو عطاء بن أبي رباح الفهري مولاهم أبو محمد المكي، أحد كبار التابعين الثقات الرفعاء، يقال: إنه أدرك مائتي صحابي.وقال ابن سعد: سمعت بعض أهل العلم يقول: كان عطاء أسود أعور أفطس أشل أعرج، ثم عمي بعد ذلك. وكان ثقة فقيها عالما كثير الحديث. وقال أبو جعفر الباقر وغير واحد: ما بقي أحد في زمانه أعلم بالمناسك منه، وزاد بعضهم وكان قد حج سبعين حجة، وعمر مائة سنة، وكان في آخر عمره يفطر في رمضان من الكبر والضعف، ويفدي عن إفطاره، ويتأول الآية: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [سورة البقرة، الآية:١٨٤] وكان ينادي منادي بني أمية في أيام منى لا يفتي الناس في الحج إلا عطاء بن أبي رباح. انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج٨ ص ٢٩.

(٤) هو أبي بن كعب بن قيس بن عُبيد النجّار - أبو منذر - الأنصاري الخزرجي البدري القارئ كان قبل الإسلام حَبْراً من أحْبار اليهود، مطلعاً على الكتب القديمة ولما أسلم كان في كتاب الوحي . شهد العقبة و بدرا وبقية المشاهد وجمع القرآن في حياة الرسول - ﷺ- وكان رأساً في العلم وبلغ في المسلمين الأوائل منزلة رفيعة، حتى قال عنه عمر بن الخطاب (أبي سيد المسلمين). انظر: الذهبي، المصدر السابق، ج١ ص٢١٠.

ومن مميزات هذه المدرسة اعتمادها على الرواية أكثر من اعتمادها على الدراية، وأشهر خريجي هذه المدرسة أبوالعالية رفيع بن مهران الرياحى البصرى، ومحمد بن كعب القرظي، وزيد بن مسلم، وغيرهم من التابعين.

ومدرسة التفسيرية الثالثة مؤسسها عبد الله بن مسعود[١] رضي الله عنه، وهو أول الأساتذة الذين درسوا في هذه المدرسة لأنه كان وزيرا ومعلما على الكوفة فأقام بالكوفة برهة من الزمن، وكان أهل الكوفة يحبونه أكثر من غيره، يلقي عليهم دروس القرآن وغيرها من الدروس العلمية، وقد ورد في اثر عن حبة بن جوين قال كنا عند علي فذكرنا بعض قول عبد الله وأثنى القوم عليه، فقالوا يا أمير المؤمنين، ما رأينا رجلا كان أحسن خلقا ولا أرفق تعليما ولا أحسن مجالسة ولا أشد ورعا من عبد الله بن مسعود فقال علي نشدتكم الله إنه لصدق من قلوبكم قالوا نعم فقال اللهم إني أشهدك اللهم إني أقول فيه مثل ما قالوا أو أفضل.[٢] ومن أشهر من تخرجوا من هذه المدرسة : علقمة بن قيس، ومسروق، ولأسود بن يزيد، والحسن البصري، وقتادة بن دعامة، وغيرهم من كبار التابعين.[٣]

فهؤلآء هم البارزون في علم التفسير الذين بذلوا جهودهم فيه وصرفوا عقولهم السليمة الفطرية في سبيل هذا العلم، ثم جاء من بعدهم اتباعهم الذين أخذوا عنهم العلم وجمعوا أقوال من تقدمهم بالعلم وساروا على نهجهم وصنفوا التفاسير.[٤]

(١) عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي أبو عبد الرحمن ، أسلم قديماً وهاجر الهجرتين وشهد المشاهد كلها ولازم النبي – ﷺ – وحدث عنه وعن عمر وسعد بن معاذ وغيرهما ، وروى عنه العبادلة أبو موسى وأبو رافع وأبو شريح وأبو سعيد وغيرهم، توفي بالمدينة سنة ٣٢هـ ، ودفن بالبقيع ، وصلى عليه عثمان. انظر ابن حجر، في الإصابة في تمييز الصحابة ج٤ ص٢٣٣.

(٢) انظر: ابن سعد، مصدر سابق،ج ٣ ص ١٥٦

(٣) انظر: ابن سعد، المصدر السابق ص ٧٥ – ٧٦.

(٤) انظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **مجموع الفتاوى**، ط٣، (القاهرة: دار الوفاء، ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م)، ج١٣ ص ٣٤٧.

المرحلة الثالثة:

هذه هي المرحلة التي تسمى مرحلة تدوين التفسير، وذلك في أواخر عهد التابعين وهو أواخر حكومة بني أمية وأوائل العهد العباسي، ولم يكن التفسير قبل هذه الفترة في بطون المؤلفات والمصنفات مدونا، فبدأت العناية بتفسير القرآن في هذه المرحلة بسبب تدوين الحديث مبوبا، حيث كان بابا من أبواب الحديث، وما مصنف لحديث إلا ويخص بابا من أبوابه للتفسير، فيجمعون ما روي عن رسول الله -ﷺ- أو الصحابة أو التابعين في تفسير القرآن الكريم مستندين إلى من رواه كسفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح، واسحاق بن راهويه، الذين كانوا من أئمة الحديث من التابعين، فأصبح التفسير في كتبهم بابا مستقلا من أبواب الحديث، ثم جدّ العلماء بالإرتحال إلى الأقطار الإسلامية ليجمعوا ما قيل في التفسير كما حاول في هذا المجال الإمام البخاري، والإمام مسلم، وبقية أصحاب السنن الذين جمعوا مرويات التفسير في كتبهم.[١]

المرحلة الرابعة:

استقل التفسير في هذه المرحلة عن كتب الحديث وأصبح علما مستقلا بذاته، وحاول العلماء بتدوينه وترتيبه حسب المصحف، ابتداء بما روي في سورة الفاتحة ثم البقرة ثم آل عمران.... وهكذا، فصار التفسير علما قائما بنفسه مستقلا عن غيره، وممن قام من العلماء بهذا العمل العظيم الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجة القزويني، وابن أبي حاتم، وغيرهما، وجعلوا التفسير مسندا.[٢]

اختلف العلماء فيمن فسر القرآن كاملا، وقال ابن النديم: إن الفراء هو أول من فسر القرآن بكامله ورتبه حسب ترتيب المصحف.[٣]

---

(١) انظر الرومي، فهد بن عبدالرحمن بن سليمان، **منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير**، ط١، (بيروت: مؤسسة الرسلة ١٤٠٧هـ)، ج١ ص٧٨.

(٢) دراسات في التفسير ً، ص٧٨.

(٣) انظر: ابن النديم، محمد بن إسحاق أبو الفرج، **الفهرست**، ط١، (بيروت: دار المعرفة، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م)، ص ٥٢ – ٥٣.

ونص ابن تيمية بأن عبد الله بن جريح هو أول من فسر القرآن الكريم كاملا.[١]

المرحلة الخامسة:

هذه المرحلة من أخطر المراحل التي مر بها التفسير، لأن فيها دون التفسير مجردا عن الأسانيد حتى أنهم جردوه من أسانيد الروايات التفسيرية، فاستغل هذه الفرصة أعداء الإسلام فوضعوا كثيرا من الأحاديث في التفسير ونسبوها إلى رسول الله –ﷺ– وإلى الصحابة الكرام ممن عرفوا في هذا المجال كابن عباس وغيره، ولم يكتفوا بهم حتى نسبوا كثيرا من الروايات النوضوعة لمن بعدهم من التابعين، فوقع الإلتباس في التفسير بين الصحيح والسقيم، ثم تسللت إليه الإسرائيليات فيه مما تستلزم جهود الباحثين المخلصين المتقنين لتميز هذه الروايات صحيحها من سقيمها ليصبح هذا العلم بنصاعته الأولى والنضارة كما كان عليه في العهد الأول.[٢]

المرحلة السادسة:

اتسعت العلوم في هذه المرحلة وتنوعت فروعها كبقية العلوم، كعلم النحو واللغة والفلسفة والفقه والكلام، ثم اعتنى هؤلاء على مستوى فنونهم بتفسير القرآن بما يوافق فنهم حتى تأثر التفسير بلون ثقافتهم فأصاب التفسير من هذا الجو غبار التدليس والكذب والقول في الله دبغير علم، وأصبح المفسرون يعتمدون في تفسيرهم على الفهم الشخصي ويتجهون اتجاهات متعددة وقد اتسعت هذه الإتجاهات من أوائل العصر العباسي إلى يومنا هذا.[٣] ومن أهم هذه الاتجاهات هي:

الإتجاه الاثري: وهو عبارة عن تفسير القرآن بالقرآن أو السنة[٤] و من أشهر الكتب هذا الإتجاه:

---

(١) منهج المدرسة العقلية الحديثة فى التفسير، الجزء الاول، ص: ٢٣– ٢٤، والدكتور الذهبي، مصدر سابق، ج١، ص: ١٤٤.

(٢) انظر: الرومي، مصدر سابق، ج١ ص ٣٣ .

(٣) انظر: الرومي، مصدر سابق، ج١ ص ٤١.

(٤) انظر: الزرقاني، مصدر سابق، ج٢ ص ١٤، والرومي، المصدر السابق، ج١، ص: ٣٣٣ .

جامع البيان فى تفسير آيات القرآن للطبري، وبحر العلوم للفقيه السمرقندى، ومعالم التنزيل للبغوى، والمحرر الوجيز فى تفسير القرآن العزيز لابن عطية المالكى، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير، وآضواء البيان للشنقيطى وغيرها.

الإتجاه الرأيي: هو عبارة عن تفسير القرآن بالاستعانة بالراي و الفهم الشخصي.(١) واشهر الكتب المؤلفة بهذا الاتجاه مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي، ومدارك التنزيل للنسفى، وأنوار التنزيل للبيضاوى، ولباب التأويل فى معانى التنزيل لابي الحسن علي بن محمد البغدادي، وروح المعاني للسيد محمود الآلوسي، و غيرها .

الإتجاه المذهبي: هو عبارة عن تفسير القرآن على ضوء المذهب و هذا الاتجاه من اهم الاتجاهات التي تاثرت بمرور الزمان حيث قام اصحاب بعض المذاهب الدينية بتفسير القرآن الكريم كالشيعة والمعتزلة واهل السنة و لهم محاولة جادة و موقف عظيم فى خدمات تفسير القرآن الكريم(٢).

ومن أشهر التفاسير للشيعة مجمع البيان لعلوم القرآن للطبرسى (أبو علي الفضل بن الحسن)، وتفسير الميزان محمد بن مسعود بن عياش السلمي الكوفي و تفسير الميزان للطباطبائي و تفسير القرآن للسيد عبد الله العلوي. ومن أشهر التفاسير للخوارج تفسير هود بن محكم الهوادي وتفسير يعقوب بن إبراهيم الورجلاني وتفسير عبد الرحمن بن رستم . ومن أهم التفاسير للمعتزلة جامع التأويل لمحكم التنزيل لأبى مسلم محمد بن بحر الأصفهاني، و غرر الفوائد ودرر القلائد لعلي بن طاهر الملقب بالشريف المرتضى، وتنزية القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار، والكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشرى.

الإتجاه الفقهي: هو عبارة عن تفسير القرآن على ضوء الاحكام الفقهية و قد بحث العلماء في هذا الاتجاه عند ظهور المذاهب الفقهية و بدو حركة تدوين الفقه.(٣) ومن أشهر الكتب بهذا الإتجاه أحكام القرآن للجصاص، والجامع لأحكام القرآن للقرطبى، وأحكام القرآن لابن العربى، وروائع البيان فى تفسير آيات الأحكام (وهو تفسير معاصر) لمحمد على الصابوني .

---

(١) انظر: محمد حسين الذهبى، مصدر سابق، ج١، ص: ٢٥٣.

(٢) انظر: اتجاهات التفسير، ج١ ص ٣٥- ٤٠ .

(٣) ينظر: محمد حسين الذهبى، مصدر سابق، ج٢ ص: ٤٣٢- ٤٣٣ .

الإتجاه اللغوي: وهذا الاتجاه يتناول القضايا النحوية والصرفية ويعالج إيضاح الكلمات الغريبة والمفردات الغامضة في سور القرآن الكريم، لقد بحثها العلماء ووضعوا عليها التفاسير وجعلوها مرجعا لدراستهم و بحوثهم.(١) من أشهر الكتب المؤلفة بهذا الاتجاه إعراب القرآن لأبى جعفر النحاس، ومجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى، والبحر المحيط لأبي حيان، والمفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهاني، وغريب القرآن لابن قتيبة، وغريب القرآن لبابان بن تغلب البكري، وغريب القرآن لمحمد بن سلام الجمحي.

الإتجاه الأدبي: هو عبارة عن محاولة للوقوف على الصورة الفنية فى القرآن حيث تناول الادباء والبلغاء هذه الناحية في تفسير القرآن وجعلوا النصوص القرآنية موضوع الدراسة الأدبية.(٢) ومن أشهر الكتب المؤلفة بهذا الاتجاه: كتاب "منهل الأدب الخالد" للأستاذ محمد المبارك و "التفسير البيانى" للدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء).

الإتجاه الإشاري: هو عبارة عن تاويل القرآن بغير ظاهرة لاشارة خفية تظهر لارباب السلوك والتصوف و يمكن الجمع بينها و بين الظاهر المراد والحق ان هذا الاتجاه للتفسير يتركز على رياضة روحية ياخذ بها الصوفي نفسه حتى يصل الى درجة تنكشف له فيها من سجف العبارات، هذه الاشارات القدسية، وتنهل على قلبه من سجف الغيب ما تحمله الآيات من المعارف السبحانية(٣) . ومن أشهر التفاسير بهذا الإتجاه: حقائق التفسير للإمام أبي عبد الرحمن السلمي، وعرائس البيان لأبي محمد الشيزاي، وتفسير القرآن العظيم لأبي محمد سهل بن عبدالله التستري.

الإتجاه العلمي : هو عبارة عن التفسير الذي يحكم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن و يجتهد فى استخراج مختلف الآراء الحديثة و يكشف العلوم التجربية والفلكية والفلسفية.(٤) ومن أهم الكتب المؤلفة بهذا الإتجاه جواهر القرآن للطنطاوي المصرى وكشف الأسرار النورانية القرآنية فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية للإمام محمد أحمد الاسكندراني.

---

(١) انظر: **اتجاهات التفسير**، ج١ ص: ٣٦٨ .

(٢) الدكتور عدنان زرزور، **علوم القرآن، ط١** (بيروت: المكتب الاسلامي ١٤٠١ هـ/١٩٨١ م)، ص: ٤١٢- ٤١٣.

(٣) انظر: **اتجاهات التفسير**، ج١، ص: ٣٦٨ .

(٤) انظر: أمين الخولي، **التفسير معالم حياته منهجه اليوم**، ط١، (بيروت: دار الكتب اللبناني ١٩٩٢م)، ص: ١٩- ٢٠.

الإتجاه الموضوعي: هو يتناول موضوعا واحدا في القرآن الكريم يعتمد المفسر الى ذكر الايات التي تتعلق به.[١] و من اهم الكتب المؤلفة بهذا الاتجاه التبيان فى اقسام القرآن لابن قيم الجوزية، والناسخ والمنسوخ لابي جعفر النحاس، وأسباب النزول للواحدي، وإعجاز القرآن للباقلاني، وإعجاز القرآن لمصطفى صادق الرافعي وغريب القرآن لابن قتيبة.

الإتجاه الإجتماعي: هو عبارة عن الكشف عما تضمنه القرآن الكريم من اسس الحياة الإجتماعية ومباديء التشريع و نظريات العلوم.[٢] كتفسير الجواهر للطنطاي و المنار للشيخ رشيد رضا و في ظلال القرآن للسيد قطب.

هذه هي أهم الإتجاهات التي دخلت في تفسير القرآن الكريم منذ تدوينة حتى الآن فالإتجاه الأثري من بين هذه الإتجاهات هو أجدرها قبولا وأثبتها حجة وأصحها طريقا لتفسير القرن الكريم فله أثر كبير على سائر الإتجاهات من حيث أنه تفسير القرآن بالقرآن أو تفسيره بالسنة .

المبحث الثالث: ألوان التفسير وأهميته: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ألوان التفسير، ذكر أهل العلم بأن للتفسير ألوانا ثلاثة:

١-التفسير التحليلي.

٢-التفسير الإجمالي.

٣-التفسير الموضوعي.

أولا- التفسير التحليلي:

في هذا اللون من التفسير يمضي المفسر في تفسيره للقرآن مع النظم القرآني، على ما هو موجود مرتب في المصحف، محللا آية بعد آية، وسورة بعد سورة، متتبعا معاني المفردات،مع ذكر ما تضمنته المعاني من مقاصد الشريعة وفق مراد الله. مستعينا بذكر أسباب النزول، وقد يضيف المفسر إلى ذلك ما استنبطه من قوة ثقافته اللغوية والنحوية والفقهية.

---

(١) ينظر: **اتجاهات التفسير**، ج١، ص: ٣٣٨

(٢) مناع القطان، **مباحث في علوم القرآن**، ص:٣٤٢.

وعلى هذا النمط من التفسير يوجد منهم من كتب في الفروع ومستطردا لمسآئل الفقه كالطبري، ومن كتب متأثرا بالنحو كأبي حيان، ومن كتب متناولا القضايا البلاغية كالزمخشري، أو متأثرا بالمذهب الكلامية كالفخر الرازي، أو بالتصوف كابن عربي، ومن المتأخرين أيضا من جمع جميع العلوم والثقافات كالألوسي.[١]

ثانيا– التفسير الإجمالي:

هذا هو اللون الثاني من ألوان التفسير وهو الذي يعتمد فيه الباحث المفسر إلى الآيات القرآنية، على ترتيب تلاوتها، أو وضعها في المصحف، فيقصد معاني جملها، متتبعا ما ترمي إليه من المقاصد، وما تهدف إليه الجمل من أهداف، ويتوخى المفسر في عرضه لهذه المعاني، وضعها في إطار منالعبارات، التي يصوغها من ألفاظه، ووضعها في قوالب تقربها من الأفهام، وتجعلها مفهومة متداركة من القارئين أو السامعين، وهذا النمط هم المحدثون، وهذا التفسير الإجمالي وليد العصر الحاضر. ومن أمثلته في القديم تفسير الجلالين للسيوطي وجمال الدين، وتفسير محمد فريد وجدي في الحديث.[٢]

ثالثا– التفسير الموضوعي:

وفي هذا اللون من التفسير كذلك يعمد فيه الباحث والناظر في القرآن، إلى الآيات التي تتصل بموضوع واحد، فيجمعها ويجعلها نصب عينيه، وموجودة بين يديه، ثم يقلب الطرف في أنحائها، ويحيل الفكر في جوانبها، ويكون منها الموضوع الذي تتصل به،ثم يعمد إلى جوانب ذلك الموضوع، ويجعلهفي في إطار متناسب، وهيكل متناسق، ملونا لنوحيه، مبرزا لمراميه، حتى يكون هيكلا تاما، متكامل الأجزاء، تام البنيان، قائم الأركان، وعلى ذلك يتجلى للقاريء–بوضع الآية بجوار الآية–الهدف الذي يقصد القرآن إليه،والمعنى الذي يعول عليه، وبهذا يستكشف القاريء للقرآن هدايته ويبرز للناس من مواضع القرآن، ما جآء به لأدآء مهمته ورسالته، هذا اللون من التفسير الموضوعي، وإن نحا نحوه علمآء العلوم المختلفة،

---

(١) انظر: الدكتور زاهر عواض الألمعي، **دراسات في التفسير الموضوعي**، ص ٣٨–٤٠.

(٢) المصدر السابق ص٤١–٤٢

كعلم الكلام، وعند الإستدلال على صفات الله بالدليل النقلي، من مثل قوله تعالى: ﴿فعال لما يريد﴾[١] وقوله تعالى: ﴿عالم الغيب والشهادة﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿خالق كل شيء﴾[٣]، وكذلك في علم الأخلاق، والتصوف والفقه. فإن تلك العلوم بوبت فيها أبوابها، واستشهد بها، ودعمت بما يلائم تلك الأبواب من أدلة قرآنية، وآيات تنزيلية.[٤]

المطلب الثاني : أهمية علم التفسير

القرآن الكريم هو أعظم الكتب السماوية التي تعبدنا الله بها عز وجل بفهمه والتدبر بمعانيه، قال تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾[٥]، وقال –عز من قائل– :أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[٦]، وهذه الآيات وغيرها دالة على الأمر بالتدبر القرآن، ولا يمكن أن يحصل التدبر إلا بفهم المتلو به وهو القرآن، ولا سبيل لأحد من البشر بعد رسول الله –ﷺ– لفهمه ومعرفة حقيقة مدلوله إلا بمعرفة أسباب نزوله ومقاصد مراده، ومن هنا تتجلى أهمية علم التفسير، والقرآن متضمن عقائد وأحكاما وأخلاقا الت لأجلها خلق الإنس والجان، ويجب عليهم أن معرفة ما يفهمون به كتاب الله من علم التفسير وغيره. قال ابن دقيق العيد رحمه الله: "بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معنى القرآن"[٧]

---

(١) سورة البروج، الآية: ١٦.

(٢) سورة السجدة، الآية: ٦.

(٣) سورة الرعد، الآية: ١٦.

(٤) ينظر **دراسات في علوم القرآن** ص ٤٣-٤٦.

(٥) سورة النسآء الآية ٨٢.

(٦) سورة محمد الآية ٢٤.

(٧) ابن دقيق. تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، **إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام**، ط١، (دمشق: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م)، بتحقيق مصطفى شيخ مصطفى و مدثر سندس. ج١ ص٤٥٧.

وقال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله: "معرفة سبب النزول يعين في فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب".[١]

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- كلاما جميلا يثير الهمم لمعرفة علم التفسير، ونصه: "واعلم أن علم التفسير أجلّ العلوم على الإطلاق وأفضلها وأوجبها وأحبها إلى الله لأن الله أمر بتدبر كتابه والتفكر في معانيه والإهتداء بآياته وأثنى على القائمين بذلك وجعلهم في أعلى المراتب ووعدهم أثنى المواهب فلو أنفق العبد جواهر عمره في هذا العلم لم يكن ذلك كثيرا في جلب ما هو أفضل المطالب وأعظم المقاصد وأصل الأصول كلها وقاعدة أساس السعادة في الدارين وصلاح أمور الدين والدنيا والآخرة وبه يتحقق للعبد حياة زاهرة بالهدى والخير والرحمة ويهيأ له الله أطيب الحياة والباقيات الصالحات".[٢] وقال ابن عباس رضي الله عنها: "الذي يقرأ القرآن ولا يفسر كالأعرابي الذي يهذي بالشعر".[٣]

❁❁❁❁❁

(١) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، ط٣، **مجموع الفتاوى**، (مصر: دار الوفاء، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م) بتحقيق أنور الباز و عامر الجزار، ج١٣ ص١٢٣.

(٢) انظر: السعدي، **القواعد الحسان في تفسير القرآن**، مع شرح العثيمين، ط١، (القاهرة: مكتبة السنة، ١٤٢٣- ٢٠٠٢م)، ص١٣.

(٣) انظر: السيوطي، مصدر سابق، ج١ ص٤٦٥ .

الباب الثاني: دراسة وتحقيق لثلاثة سور، وفيه ثلاث فصول:

الفصل الأول: سورة الأنعام

الفصل الثاني: سورة الأعراف

الفصل الثالث: سورة الأنفال

الفصل الأول: سورة الأنعام

بسم الله الرحمن الرحيم

[بسم الله الرحمن الرحيم][1] سورة الأنعام[2] [مكية][3]، سميت بذللك لذكر الأنعام فيها[4] من باب تسمية الكل باسم الجزء،

---

(١) استأنف المصنف بالبسملة هكذا وأسقطوها في النسخ المطبوعة.

(٢) هذه السورة من إحدى السور المكية الطويلة التي يدور محورها غالبا حول المسائل العقدية وأصول الإيمان، وهي تختلف في أهدافها ومقاصدها عن السور المدنية كما هي الحال في البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، فهي لم تعرض لشيءٍ من الأحكام التنظيمية لجماعة المسلمين، كالصوم والحج والعقوبات وأحكام الأسرة، ولم تذكر أمور القتال ومعاداة الخارجين على دعوة الإسلام، كما أنها لم تتحدث عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى ولا على المنافقين، وإنما تناولت القضايا الكبرى الأساسية لأصول العقيدة والإيمان، وهذه القضايا يمكن تلخيصها فيما يلي:

١- قضية الألوهية.

٢- قضية الوحي والرسالة.

٣- قضية البعث والجزاء.

ولمزيد من البيان انظر النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، **تفسير النسفى**، ط١، (بيروت: دار النقاش، ٢٠٠٥م)، ت: مروان محمد الشعار، ج٢ ص٤-٥. والسعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ط١، (مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م، عبد الرحمن بن معلا اللويحق)، ج١ ص٢٥١.

(٣) ذكرت ما بين القوسين في الأصل وأسقطت في النسخ الجديدة. وينظر في مكيتها تفسير البغوي، في تفسيره، مصدر سابق، ج٢ ص٩٥. والقاضي الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م) ج٢ ص٢٦٥. والزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، **الكشاف عن حقاق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ط١، (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م) ج٢ ص٣٢٩. ، وابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، ط١،(جيزة: مكتبة أولاد اتلشيخ للتراث، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م) ج٦ ص٥. وهذ القول هو الراجح وإليه ذهب جمهور المفسرين كما ذكره القرطبي. ينظر : القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، **الجامع لأحكام القرآن**، ط١، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م) ج٨ ص٣١٠.

(٤) لقد ذكر الفيروز ابادى أن لهذه السّورة اسمين: سورة الأنعام، لما فيه من ذكر الأَنعام مكرّرًا كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ هذه أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ﴾، وفي قوله: ﴿وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشاً﴾، وفي قوله: ﴿وَأَنْعَامٌ لاَّ يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾، وسميت سورة الحُجّة؛ لأَنَّها مقصورة على ذكر حُجّة النبوّة. وأَيضاً تكرّرت فيها لفظة الحجّة في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَآ إِبْرَاهِيمَ﴾، وفي قوله: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾. انظر: الفيروز ابادى، أبو طاهر مجيد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي، **بصائر ذوى التمييز**، بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٧م) ج١ ص١٨٧.

وهذه السورة نزلت جملة واحدة ما عدا الست آيات[١] ونزل معها سبعون ألف ملك ولهم زجل[٢] بالتسبيح[٣] ونزلت ليلا فأمر -ﷺ- بكتابتها حينئذ وحين نزولها صار -ﷺ- يسبح ويسجد حينئذ، وكل ذلك تعظيما لشأنها لأن ما اشتملت عليه من التوحيد وعدة جملة من الرسل [و][٤] تبين الحلال من الحرام في الأنعام لم يوجد في غيرها وورد أنها فاتحة التوراة وخاتمتها،[٥] وقيل :آخر هود، وقيل : آخر الإسراء، وفيها آية نزلت ومعها أربعون ألف ملك وهي﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾[٦].

وعن جابر -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال : "من قرأ ثلاث آيات من أول سورة الأنعام إلى- ويعلم ما تكسبون[٧]- وكَّل الله له أربعين ألف ملك يكتبون له مثل عبادتهم إلى يوم القيامة

---

(١) قلت: وهذه الآيات الستة هي التي نزلت بالمدينة عند بعض المفسرين، وهي قوله تعالى ﴿وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ إلى آخر ثلاث آيات، ومن قوله تعالى ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً﴾ إلى آخر ثلاث آيات، وأشار إلى ذلك الثعلبي وحكاه القرطبي في تفسيره عنه، انظر: القرطبي، مصدر سابق، ج٦ ص٣٥٢.

(٢) زجلٌ: أي صوت رفيع عالي، تنظر **النهاية** ج٢ ص٢٩٧، **واللسان** ج١١ ص٣٠٢.

(٣) هذا جزء من الحديث الذي أورده النحاس في **معاني القرآن** من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله -ﷺ-:" نزلت سورة الأنعام معها موكب من الملائكة سد ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح، والأرض لهم ترتج" ج٢ ص٣٩٦، وأخرجه الإسماعيلي، أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل، **معجم الشيوخ**، ط١، (مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٠ – ١٩٩٠م)، بتحقيق: زياد محمد منصور، ج١ ص١٨٧، والبيهقي في **السنن الصغرى** (٩٦٥)، وأخرجه ابن مردويه عن الطبراني من حديث ابن عمر بلفظ " نزلت علي سورة الأنعام جملة واحدة..." بسند ضعيف جد لوجود يوسف بن عطية في سنده وهو متروك كما في "**التقريب**" وارتقى به الهيثمي، وقال: يوسف بن عطية الباهلي وهو ضعيف، انظر الهيثمي، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، (بيروت: دار الفكر، - ١٤١٢ هـ)، ج٧ ص٢٣. وانظر: أبا الحسن العجلي، **معرفة الثقات**، ط١، (المدينة المنورة: ١٤٠٥ – ١٩٨٥م) ج٢ ص٣٧٥ .

(٤) ما بين القوسين ثابتة في الأصل وسقطت في بقية النسخ المطبوعة.

(٥) أخرج الدارمي في سننه عن عبد الله بن رباح عن كعب قال: "فاتحة التوراة الأنعام وخاتمتها هود" قال حسين سليم: إسناده صحيح إلى كعب وهو موقوف عليه. انظر: سنن الدارمي، كتاب فضائل القرآن، باب فضائل الأنعام والسور، ج٢ ص ٥٤٥ برقم ٣٤٠٢، وأخرجه ابن أبي شيبة في **مصنفه** من حديث عبد الله بن رباح عن كعب بلفظ "فاتحة التوراة فاتحة الأنعام وفاتحة التوراة خاتمة سورة هود". انظر: مصنف ابن أبي شيبه، كتاب فضائل القرآن، باب ما يشبه من القرآن بالتوراة والإنجيل، ج١٠ ص٥٥٦، برقم٣٠٩٠٣.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

(٧) سورة الأنعام، الآية:٣.

من السمآء السابعة ومعه مرزبة[1] من حديد، فإذا أراد الشيطان أن يوسوس له أو يوحي في قلبه شيئا ضربه [ضربة][2] فيكون بينه وبينه سبعون حجابا فإذا كان يوم القيامة قال الله تعالى: "امش في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي وكل من ثمار جنتي واشرب من ماء الكوثر واغتسل من ماء السلسبيل فأنت عبدي وأنا ربك".[3]

قوله: [الآيات الثلاث] أي إلى قوله: ﴿تستكبرون﴾، قوله [وإلا][4] ﴿قل تعالوا﴾ أي إلى قوله: ﴿لعلكم تتقون﴾ هكذا مشى المفسر [الحمد][5] قوله ﴿وهو﴾ أي الحمد بالمعنى اللغوي، وأما بالمعنى الإصطلاحي فهو : فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعما على الحامد أو غيره، قوله [الوصف بالجميل] زاد بعضهم على جهة التعظيم والتبجيل لإخراج التهكم، كقوله: ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾[6] .

قوله: [ثابت] قدره إشارة إلى أن ﴿لله﴾ جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر المبتدأ الذي هو ﴿الحمد﴾ قوله: [وهل المراد به الإعلام بذلك] أي فتكون الجملة خبرية لفظا ومعنى، وقوله: [أو الثناء به] أي فهي خبرية لفظا إنشائية معنى، قوله: [أو هما] أي فهي مستعملة في حقيقتها ومجازها فالقصد

---

(١) المِرْزَبة بالتخفيفِ المِطْرَقةُ الكبيرةُ التي تكون للحدَّادِ. انظر: الزبيدي، تاج العروس، مادة (رزب)، ج١ ص ٤١٦.

(٢) حذفت في النسخ المطبوعة وأثبتها كما في الأصل ولورودها في الحديث.

(٣) قلت: تتبع الباحث كتب الحديث ولم يقف على ورود له في شيء منها، ولكن قد أورده بعض المفسرين في تفسيرهم، كما ذكر الواحدي في الوسيط، ج٢ ص ٢٥٠-٢٥١ عن أبي صالح عن النبي -ﷺ- مرسلا، وعزاه السيوطي للسلفي عن ابن عباس وضعفه. وأورده الثعالبي، و الآلوسي في تفسيره وتعقب قائلا: وغالبها في هذا المطلب ضعيف، وبعضها موضوع. وكما أورده السيوطي بسنده في كتابه: **تمهيد الفرش في الخصال الموجبة لظل العرش**، وفي سنده إبراهيم بن إسحاق، وهو متهم بالكذب وعلى هذا فالحديث موضوع، وقال فيه الحافظ: إبراهيم بن إسحاق متروك من الثامنة. وذكره أيضا في الدر المنثور. انظر: السيوطي، عبدالرحمن ابن أبي بكر أبو الفضل، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، ط١، (القاهرة: مركز هجر، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)، ج٣ ص٣، والآلوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، محمود بن عبد الله الحسيني، ط١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.ط) ج٧ ص٧٦، وانظر: ابن حجر ، في تقريب التهذيب، ج١ ص١١٣.

(٤) كذا في الأصل.

(٥) لم يكن ما بين القوسين في الأصل.

(٦) سورة الدخان، الآية: ٤٩.

إعلام العبيد للإيمان به وإنشاء الثناء به، وهذا هو حمد القديم للقديم، وأل في ﴿الحمد﴾ يصح أن تكون للإستغراق أو الجنس أو العهد واللام في ﴿لله﴾ للإستحقاق. قوله: [قاله الشيخ] أي الجلال المحلي،[١] قوله: ﴿الذي خلق﴾ صفة لله، وتعليق الحكم بالمشتق يؤذن بالعلية: كأنه قيل: الوصف بالجميل ثابت له لأنه الخالق للسموات والأرض. والمراد بالسموات: ما علا فيشمل العرش. والمراد بالأرض: ما سفل فيشمل ما تحتها وقدم السموات لأنها أشرف من الأرض لكونها مسكن المطهرين لا غير، والأرض وإن كان فيها الأنبياء لكنها احتوت على الأشرار والمفسدين ولأنها سابقة على الأرض كما في سورة النازعات، قال تعالى : ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاء بَنَاهَا- إلى أن قال - وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾[٢] ولا منافاة بين آية فصلت[٣] وبين آية النازعات. فإن الأرض خلقت أولا كرة ثم خلقت السموات لإختلاف أجناسها، فإن الأولى من موج مكفوف، والثانية [من][٤] مرمرة[٥] بيضاء، والثانية من حديد، والرابعة من نحاس، والخامسة من فضة، والسادسة من ذهب، والسابعة من ياقوتة حمراء[٦].

---

(١) سبق ترجمته في الفصل الأول.

(٢) سورة النازعات، الآية: ٢٧ – ٣٠.

(٣) والآية التي في فصلت هي قوله تعالى : ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ – إلى قوله تعالى – فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ الآية: ٩ إلى ١٢.

(٤) سقطت في النسخ الجديدة.

(٥) مَرْمَرَة هي واحدةُ المرْمَرِ وهو نوع من الرخام صُلْبٌ، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ط١، (القاهرة: دار المعارف، ج٥ ص١٦٥.

(٦) ذكره البغوي في تفسيره. انظر: البغوي، مصدر سابق. ج٨ ص١٧٦، وذكره أبو حيان وتعقب على الرواية قائلا: "والسابعة من زمردة بيضاء، يحتاج إلى نقل صحيح، وقد كان بعض من ينتمي إلى الصلاح وكان أعمى لا يبصر موضع قدمه يخبر أنه يشاهد السموات على بعض أوصاف مما ذكرنا"، انظر: أبا حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النحوي الأندلسي، **البحر المحيط**، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م) ت: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ج٨ ص٢٩٢،. قلت: وقد ذكر الإمام الطبري جزءا من هذه الأقوال وغيرها، ثم قال: والصواب من القول في ذلك أن يقال: كما قال الله عز وجل ﴿كل في فلك يسبحون﴾ وجائز أن يكون ذلك الفلك كما قال مجاهد كحديد الرحى، وكما ذكر عن الحسن كطاحونة الرحى، وجائز أن يكون موجا مكفوفا، وأن يكون قطب السماء، وذلك أن الفلك في كلام العرب هو كل شيء دائر، فجمعه أفلاك، وقد ذكرت قول الراجز: "باتت تناجي الفلك الدوارا" وإن كان كل ما دار في كلامها، ولم يكن في كتاب الله، ولا في خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا عمن يقطع بقوله العذر، دليل يدل على أي ذلك هو من أي كان الواجب أن نقول فيه ما قاله،

وأما الأرض وإن كانت سبعا أيضا إلا أنها من جنس واحد، واختلف هل الأرض مداد وهو الصحيح، فالتعدد باعتبار أقطارها، وقيل طباق كالسماء ، وأما السماء طباق باتفاق، قوله: ﴿خلق﴾ أشار بذلك إلى أن [و][١] ﴿جعل﴾ بمعنى خلق فتنصب مفعولا واحدا، قوله: [أي كل ظلمة] أي حسية كظلمة الليل والأجرام الكثيفة أو معنوية كالشرك والمعاصي، قوله: [ونور] أي حسي كالشمس والقمر والنجوم [أو][٢] معنوي كالإسلام، قوله: [لكثرة أسبابها] أي الظلمة وأما النور فسببه واحد لا يتعدد لأنه إما معنوي وسببه الإسلام، أو حسي وسببه النار، قوله: ﴿ثم الذين كفروا﴾ ثم للترتيب الرتبي، فبعد أن عرفوا الحق سووا به غيره فهو استبعاد لما وقع منهم.

قوله: ﴿بربهم﴾ يحتمل أنه متعلق بـ﴿كفروا﴾، وقوله: ﴿يعدلون﴾ مفعوله محذوف قدره المفسر بقوله [غيره] ومعناه : التسوية كما قاله المفسر،[٣] ويحتمل أن بربهم متعلق بيعدلون [والباء][٤] بمعنى عن، والتقدير يميلون عن ربهم لغيره من العدول وهو الميل عن طريق الهدى.

قوله: ﴿هو الذي خلقكم﴾ هذا من جملة الأدلة على كونه مستحقا للحمد كأنه قيل: الوصف بالجميل لله لا لغيره لأنه خلق السموات والأرض والظلمات والنور ولأنه خلقكم الخ، قوله: ﴿من طين﴾ من لإبتداء الغاية : أي مبتدئا نشأتكم من طين[٥] قوله: [بخلق أبيكم آدم منه] دفع بذلك ما يقال : إنهم مخلوقون من النطفة لا من الطين الذي خلق منه آدم فيه من كل لون وعجن بكل ماء فخلق الله أولاده مختلفة الألوان والأخلاق فاختلاف الألوان من اختلاف ألوان طينة أبيهم واختلاف الأخلاق من اختلاف المياه التي عجنت بها تلك الطينة فما من أحد إلا وله جزء سري له من أبيه، فالطبائع

ونسكت عما لا علم لنا به. فإذا كان الصواب في ذلك من القول عندنا ما ذكرنا، فتأويل الكلام: والشمس والقمر، كل ذلك في دائر يسبحون. ينظر: الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ط١، (مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م)، بتحقيق: أحمد محمد شاكر، ج١٧ ص٢٣.

(١) كذا في النسخ الجديدة وأثبتها هنا لمناسبتها و لورودها في الآية.

(٢) كذا في الأصل وعطف في بقية النسخ الجديدة بـ[و].

(٣) هو جلال الدين المحلي.

(٤) هكذا في الأصل وفي بقية النسخ الجديدة [والياء] وهو خطأ.

(٥) كذا في الأصل وفي بقية النسخ الجديدة معرف بالألف والام.

والأخلاق أصلها من آدم، فتشبه الطين لأولاده باعتبار نشأتها منه وسريانها فيهم، وقيل لاحذف في الآية، بل كل إنسان مخلوق من الطين لأنه ورد "ما من مولود إلا ويذر على نطفته شيء من تراب تربته"،(١)

فالنطفة عجنت بذلك التراب فصدق على كل إنسان أنه مخلوق من الطين، وقيل: إنه من الطين باعتبار أن النطفة ناشئة عن الغذاء وهو ناشئ عن الطين، قوله: ﴿ثم قضى﴾ يصح أن يكون بمعنى أظهر، فثم للترتيب الزماني: أي فبعد تمام خلقه يظهر أجله للمَلَك الموكَّل بالرحم، أو بمعنى قدر، فثم للترتيب الذكري لأن التقدير(٢) هو الإرادة المتعلقة بالأجل أزلا فهي متقدمة على وجوده فالترتيب في الذكر فقط.

واعلم أن كل إنسان له أجلان(٣) : أجل ينقضي بموته وأجل ينقضي ببعثه فابتداء أجل الموت من حين وجوده وابتداء أجل البعث من حين موته ومجموع الأجلين محتم لا يزيد ولا ينقص، وما ورد(٤) من زيادة العمر للبار الواصل للرحم ونقصه للعاصي القاطع للرحم، قيل محمول على البركة وعدمها وقيل

---

(١) ينظر: ابن عرّاق الكناني، أبو الحسن علي بن محمد، **تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة، ط١، (بيروت:** دار الكتب العلمية، ص٣٧٣-٣٧٤، بتحقق ومراجعة عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله بن محمد الغماري واللآلئ في **المصنوعة** ج١ ص٢٧٤، وانظر الحافظ، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ، **التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**، ط١، (بيروت :دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ -١٩٨٩م) ، وقال : لا يصح، ج٤ ص١٣٧.

(٢) كذا في الأصل وفي النسخ الجديدة [للتقدير].

(٣) وهذا من قول ابن عباس -رضي الله عنهما- وقد ذكره البغوي في **تفسيره** ج٣ ص١٣٢، والخازن في **تفسيره** ج٢ ص٩٧، وأبو حيان في تفسيره **البحر المحيط** ج٤ ص٧١.

(٤) وهذه إشارة إلى ما ورد في الصحيحين من حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "من سره أن يبسط له في رزقه أو ينسأ له في أثره فليصل رحمه". انظر: صحيح البخاري،كتاب البيوع، باب من أحب البسط في الرزق، ج٢ ص ٧٢٨، برقم١٩٦١، وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآدب، باب باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، برقم ٥٥٧ ج٨ ص٨ برقم ٦٦٨٧.

بتداخل أحدهما في الآخر، فالطائع يزاد[1] له في أجل الدنيا وينقص من أجل البرزخ وبالعكس للعاصي وبه فسر[2]

قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾.[3] ويؤيد ذلك ما حكي[4] أن داود عليه السلام كان له صديق قد دنا أجله فأخبره جبريل بأنه لم يبق من أجله إلا خمسون يوما فأخبر داود صديقه بذلك فتأهب حتى ذا جاء اليوم المتمم للخمسين أخذ غداءه وذهب لداود ليودعه فمر بفقير فأعطاه غداءه[5] فنزل جبريل على داود وأخبره أن[6] الله زاد في عمره خمسين سنة بسبب صدقته في ذلك اليوم فلما ذهب إليه ووجده مسرورا، فأخبره بذلك.[7]

قوله: ﴿وأجل مسمى عنده﴾ أجل:مبتدأ، ومسمى: صفته، وعنده: خبره، وأضيف له سبحانه لأنه لا يعلم انتهاءه أحد غيره، واما أجل الدنيا فهو في علم الملك وبانقضائه يظهر للمخلوقات أيضا.

قوله: ﴿لعلكم﴾ أي ينتهي إليه، [وما][8] وراء ذلك لا نهاية له. قوله: ﴿ثم أنتم تمترون﴾ أي ثم بعد ظهور ذلك الآيات العظيمة تشكون في وتنكرونه، وأفاد المفسر أن هذه الآية رد لما أنكروه من البعث وما قبلها رد للشرك الواقع من الكفار.

قوله: [فهو على الإعادة أقدر] هذا يحسب العادة الجارية بأن القادر على الإبتداء قادر على الإعادة بالأولى وإلا فالكل في قبضة[9] قدرته سواء لا مزية للإعادة على الابتداء لأنه إذا أراد شيئا قال

---

(١) كذا في الأصل وفي بقية النسخ الجديدة [يزداد] وهو خطأ.

(٢) انظر ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى : ٥٤٢هـ) في تفسيره **المحرر الوجيز**، ج٥ ص٣٦٦، والسيوطي في **الدر المنثور** ج٨ ص٢٦٧.

(٣) سورة فاطر، الآية: ١١.

(٤) قلت: قد تتبعت كتب التفاسير وكتب التخريج الموجودة في الشاملة والوقفية ولم أقف على حكايتها بعد بذل جهد كبير، وأراها حكاية إسرائيلية.

(٥) كذا في الأصل وفي بقية النسخ الجديدة [وغذاءه] بالذال المعجمة.

(٦) كذا في الأصل وفي بقية النسخ الجديدة [بأن].

(٧) ولم يقف الباحث عليه بعد بذل جهد، وهي لا تخلو من سمة الإسرائيلية.

(٨) سقط ما بين القوسين في النسخ الجديدة.

(٩) كذا في الأصل وفي بقية النسخ الجديدة [قبضته] وهو خطأ.

له كن فيكون. قوله: ﴿وهو الله﴾ مبتدأ وخبر والضمير عائد على التصف بالأوصاف المتقدمة وفي السموات والأرض متعلق بوصف تضمنه ذلك العلم لأن الله موضوع للذات الواجبة الوجود المستحقة لجميع المحامد فيكون المعنى: [وهو][1] الله المستحق للعبادة في السموات الخ، وهذا ما درج عليه المفسر وبذلك يجاب عن آية: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾[2]، وقيل: متعلق بنعت محذوف تقديره وهو الله المعبود في السموات الخعلى حد قول ابن مالك[3]:

﴿ ما من المنعوت والنعت عقل﴾[4]

يجوز حذفه. وقيل: متعلق بيعلم والتقدير: يعلم سركم وجهركم في السموات والأرض، وقيل: متعلق بسركم وجهركم ولكن يلزم عليه تقديم معمول المصدر عليه إلا أن يقال يغتفر في الظروف والمجرورات مالا يغتفر في غيرها.[5]

قوله: ﴿ويعلم ما تكسبون﴾ إن قلت: إن الكسب لا يخرج عن السر والجهر والعطف يقتضي المغايرة. أجيب بأن المراد بالكسب ما يترتب عليه من الثواب والعقاب. قوله: ﴿وما تأتيهم من آية﴾ كلام مستأنف بيان لزيادة قبحهم وكفرهم بعد ظهور الآيات البينات. قوله: ﴿من آيات ربهم﴾ من تبعيضية والآيات يحتمل أن يكون المراد بها القرآن فإتيانها نزولها على رسول الله وعليه اقتصر المفسر، أو الكونية كالمعجزات فالمراد بإتيانها ظهورها والأحسن أن يراد ما هو أعم، قوله ﴿إلا كانوا عنها معرضين﴾ الجملة حالية من الضمير في تأتيهم، وقوله: ﴿معرضين﴾ ضمنه معنى غافلين فعداه بعن وإلا فالإعراض بمعنى الترك لا يتعدى بعن. قوله: ﴿فقد كذبوا﴾ تفريع على ما قبله وتفصيل لبعضه. قوله: [بالقرآن] أي وغيره من بقية المعجزات، قوله: ﴿لما جاءهم﴾ ظرف لقوله كذبوا، قوله: ﴿فسوف يأتيهم﴾ وعيد عظيم

---

(١) سقط ما بين القوسين في النسخ الجديدة وثابتة في الأصل كما أثبتنا.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٨٤.

(٣) سبق تعريفه في المقدمة.

(٤) انظر الأشموني في **شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك** ج١ ص١٩٧.

(٥) انظر: الصبان، محمد بن علي الشافعي، **حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك**، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ -١٩٩٧م)، ج١ ص٩٧٦، وابن هشام الأنصاري، أبو محمد عبدالله بن يوسف، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، ط٦، (بيروت: دار الفكر، ١٩٨٥م)، ج١ ص٩٠٨.

مرتب على تكذيبهم وهو لا يتخلف لأن وعيد الكفار وعد حسن للمؤمنين، وهو وعد باعتبار ووعيد باعتبار آخر فعدم تخلفه باعتبار كونه وعدا، قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١).

قوله: ﴿أنباء﴾ جمع نبأ وهو الخبر العظيم المزعج وجمعه إشارة إلى تكرر الجزاء لهم في الدنيا ويوم القيامة، قوله: ﴿ماكانوا به يستهزءون﴾ ما اسم موصول وكانوا صلته، والمعنى : فسوف يأتيهم جزاء الذي كانوا يستهزءون به في العاجل بالقتل والأسر والآجل بالعذاب الدائم في النار، قوله: ﴿ألم يروا﴾ هذا إخبار من الله ببذل النصح لهم ومع ذلك لم يهتدوا والهمزة داخلة على محذوف تقديره أعموا، ورأى: إما بصرية وعليه درج المفسر حيث قال: في أسفارهم إلى الشام، وغيرها(٢): وعليه فقوله : ﴿كم أهلكنا﴾: سدت مسد مفعولها، أو علمية : فتكون الجملة سدت مسد مفعوليها والأحسن الأول.

قوله: [وغيرها] أي كاليمن فإنه رحلتان رحلة في الصيف للشام ورحلة في الشتاء لليمن كما يأتي في سورة قريش.(٣) قوله [خبرية] أي وهي مفعول مقدم لأهلكنا، قوله: ﴿من قبلهم﴾ أي قبل وجودهم أو قبل زمانهم فالكلام على حذف مضاف، قوله: ﴿من قرن﴾ بيان لكم، والقرن: يطلق على الأمة وعليه درج المفسر(٤) ويطلق على الزمان، واختلف في حده فقيل مائة سنة، وهو الأشهر، وقيل مائة وعشرون، وقيل ثمانون، وقيل أربعون، وقيل غير ذلك.(٥)

قوله: ﴿مكناهم﴾ وصف للقرن وجمعه باعتبار معناه لأن القرن اسم جمع كرهط وقوم لفظه مفرد ومعناه جمع، قوله: [بالقوة والسعة] أي في الدنيا حتى صاروا ذوي شهامة وغنى عظيم ومع ذلك فلم تغن عنهم أموالهم ولا أنفسهم من الله شيئا، قوله: [فيه التفات عن الغيبة] أي ونكتته الإعتناء بشأن المخاطبين حيث خاطبهم مشافهة. قوله: ﴿وأرسلنا السماء عليهم مدرارا﴾ وصف ثان للقرن، قوله:

---

(١) سورة الروم، الآية: ٤٧.

(٢) أي علمية كما سيأتي.

(٣) وهي قوله تعالى: ﴿لإِيلَافِ قُرَيْشٍ۝ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴾ [سورة قريش، الآية: ١-٢].

(٤) هو جلال الدين السيوطي وذكر ذلك في تفسيره **الدر المنثور** أثرا ونسبه لابن أبي حاتم عن أبي مالك. انظر: السيوطي في الدر المنثور، ج٧ ص١٧.

(٥) انظر الألوسي في **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** ج٧ ص٩٤، وابن منظور في **لسان العرب** مادة "قرن" ج١٣ ص٣٣١، والجوهري **في الصحاح** مادة "قرن" ج٢ ص٧٤، والمناوي في **التوقيف** ص٥٧٨.

﴿وجعلنا الأنهار﴾ وصف ثالث له، والمعنى إن من مضى من قبلكم من الأمم أعطيناهم القوة الشديدة في الجسم والسعة في الأموال والأولاد ومع ذلك فلم ينفعهم من ذلك شيء، فلا تأمنوا سطوتي بالأولى منهم. قال[1] الشاعر:

لا يأمن الدهر ذو بغي ولو ملكا ۞ جنوده ضاق عنها السهل والجبل.[2]

قوله: ﴿وأنشأنا من بعدهم قرنا﴾ كلام مستأنف دفع به ما يقال: حيث هلك من هلك فقد خرب الكون، فأجاب بأنه كلما أهلك جماعة أتى بغيرهم فإنه قادر على ذلك والقادر لا يعجزه شيء.

قوله: ﴿قرنًا﴾ هنا بالإفراد وفي بعض الآيات بالجمع والمعنى واحد فإن المراد به الجنس وجمع آخرين باعتبار معنى القرن، قوله: ﴿ولو نزلنا﴾ شروع في بيان زيادة كفرهم وتسلية له -ﷺ- على عدم إيمانهم به، وهو رد لقول النضر بن [الحارث[3]] وعبد الله بن أبي أمية ونوفل ابن خويلد: ﴿ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ [4]﴾ [5] ومعه أربعة من الملائكة يشهدون بأنك صادق.[6]

قوله: [مكتوبًا] إشارة إلى أنه أطلق المصدر وأراد اسم المفعول، قوله: ﴿قرطاس﴾ القراءة بكسر القاف لا غير ويجوز في غير القرآن فتح القاف وضمها ويقال قرطس كجعفر ودرهم، ما يكتب فيه مطلقا ورقا[7] أو غيره فتفسيره له بالرق بفتح الرآء على الأفصح تفسير بالأخص، قوله: [كما اقترحوه]

---

(١) كذا في الأصل وفي بقية النسخ المطبوعة [وقال].

(٢) البيت من البسيط، وينسب للّعين المنقري، واستشهد به لابن الناظم في **شرح الألفية**، ص ١٤١، والمرادي المصري في **توضيح المقاصد** ج١ ص٣٠٨، وابن هشام في **مغني اللبيب**، ص ٣٥٤، وابن عقيل **المساعد**، ج١ ص٢٧١، **والتصريح** ج١ ص١٩٣، **وهمع الهوامع** ج١ ص١٢١، **وشرح الأشموني** ج١ ص٢٤٢، **والعيني** ج٢ ص٥٠، وقال: لم أقف على اسم قائله.

(٣) في الأصل جاء ابن الحرث وما أثبتناه هو الصواب.

(٤) كتبت الآية في الأصل خطأ وأثبت الصواب هنا.

(٥) سورة الإسرآء، الآية: ٩٠.

(٦) ذكر القرطبي **في تفسيره** هذا الخبر ونسبه للكلبي ج٨ ص٣٢٧، والواحدي **في أسباب النزول** ص٢٠٨، والبغوي في **تفسيره** ج٢ ص٨٥-٨٦، وابن الجوزي في **زاد المسير** ج٣ ص٧، وكلهم أجمعوا على أن سبب النزول هو قول هولاء المشركين للنبي: لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله.

(٧) كذا في الأصل وفي بقية النسخ [رقا] وهو خطأ.

أي اخترعوه من الآيات، قوله: ﴿إن هذا إلا سحر مبين﴾ إن نافية بمعنى ما وهذا مبتدأ وسحر خبره ومبين صفته والجملة مقول القول.

قوله: ﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملك﴾ هذا من جملة عنادهم وكفرهم، قوله: [فلم يؤمنوا] مرتب على قوله ﴿أنزلنا﴾ فهو من تتمة الشرط. والمعنى أن الله لو أجابهم بإنزال ملك ولم يؤمنوا لأهلكهم كمن قبلهم مع أنه قال: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾[١]. فعدم إجابتهم رحمة بهم.

قوله: ﴿ولو جعلناه ملكا﴾ رد لقوله هلا كان رسولنا من الملائكة لا من البشر. قوله: [أي على صورته] أشار بذلك على أن الكلام على حذف مضاف أي صورة رجل، فالشبه في الصورة فقط. قوله: [إذ لا قوة للبشر على رؤية الملك] أي ولذلك كان يأتي الأنبياء على صورة رجل. ولم ير الملك على صورته الأصلية أحد من البشر إلا رسول الله -ﷺ- مرتين: مرة[٢] في الأرض عند غار حراء، ومرة في السماء عند سدرة المنتهى ليلة[٣] الإسراء.[٤]

قوله: ﴿وللبسنا﴾ جعله المفسر جواب شرط محذوف والواو داخلة على فعل الشرط المحذوف قدره بقوله: ﴿ولو جعلناه رجلا﴾ والمناسب للمفسر الإقتصار[٥] على ذلك، ويحذف قوله: ﴿ولو أنزلناه﴾ ولبس بفتح الباء يلبس بكسرها خلط يخلط والتبس اختلط واشتبه، وأما لبس بكسر الباء يلبس بفتحها سلك الثوب في العنق.[٦]

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٣.

(٢) كذا في الأصل وفي النسخ الجديدة [مر] وهو خطأ.

(٣) في النسخ الجديدة [ليله] والصواب ما أثبتناه.

(٤) ولم يره النبي صلى الله عليه وسلم على صورته الملكية إلا مرتين، مرة وهو في بطحاء مكة رآه في الأفق، ومرة عند سدرة المنتهى في ليلة الإسراء والمعراج، وما عدا هاتين المرتين فإن جبريل يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة إنسان، وكثيراً ما يأتي في صورة دحية الكلبي رضي الله عنه. انظر التعليقات الأثرية على العقيدة الطحاوية لأئمة الدعوة السلفية لمحمد بن عبدالعزيز بن مانع رحمه الله وعبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله ومحمد ناصر الدين الألباني رحمه الله، ص١٣٣.

(٥) هكذا في الأصل وفي بقية النسخ الجديدة [الإقتصاد] وهو خطأ.

(٦) انظر: الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر ، **مختار الصحاح**، ط٥، (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م)، ت: محمود خاطر، ط٦١٢.

قوله: ﴿ولقد استهزيء برسل من قبلك﴾ [أي][1] فلا تحزن واصبر على أذاهم فإن الله كافيك شرهم، قوله: [فكذا يحيق لمن استهزأ بك] أي لكن لا على الوجه الذي حاق بهم من عموم العقاب بل يأخذ المتمرد بخصوصه وقد فعل الله له ذلك، قال تعالى: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾[2]. قوله: ﴿قل سيروا في الأرض﴾ هذا استشهاد على ما تقدم كأنه قيل إن لم تصدقوا خبر ربكم بأنه حاق بالذين سخروا وكذبوا أنبياءهم فسيروا وعاينوا آثارهم. قوله: ﴿ثم انظروا﴾ أتى بثم لأنه لا يحسن التفكر والاستدلال ولا يتم إلا بعد تمام السير ومعاينة الآثار، قوله: ﴿كيف﴾ اسم استفهام خبر كان وعاقبة اسمها وإنما قدم الخبر عليها وعلى اسمها لأن اسم الإستفهام له الصدارة، قوله: [ليعتبروا] أي يتعظوا فبالسير والتفكر يحصل الاستدلال والنور التام.

ومن هنا أخذت الصوفية السياحة[3] لأن من جملة ما يعين على الوصول إلى الله والترقي إلى المعارف النظر والتفكر في مصنوعاته قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[4].

قوله: ﴿قل لمن ما في السموات والأرض﴾ الجار والمجرور خبر مقدم وما اسم موصول مبتدأ مؤخر و﴿في السموات والأرض﴾ صلة الموصول والأصل: قل ما في السموات والأرض لمن؟ وإنما قدم الخبر لأن اسم الاستفهام له الصدارة وهذه حجة قاطعة لا يمكن ردها أبدا، قوله: ﴿قل لله﴾ أي تقرير لهم وتنبيه

---

(١) سقط ما بين القوسين في النسخ الجديدة.

(٢) سورة الحجر، الآية:٩٥.

(٣) هذه من سخافات التي اعتقدها المتصوفة دينا وهو ليس في دين الله من شيء بل هو تلاعب مع آيات الله وعدم معرفة دينه، ذلك أن السياحة عندهم هو الخروج إلى البراري والصحاري ، وترك الزواج اعتمادا بقول مالك بن دينار: "لا يبلغ الرجل منزلة الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة، ويأوي إلى مزابل الكلاب"، وذلك دون سند من قدوة سابقة أو نص كتاب أو سنة، ولكن مما يجدر التنبيه عليه أنه قد نُسب إلى هؤلاء الزهاد من الأقوال المرذولة والشطحات المستنكرة ما لم يثبت عنهم بشكل قاطع، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، [ينظر سير أعلام النبلاء ج٨ ص١٥٦، وعبد الرحمن بدوي في تاريخ التصوف ص١٩٨ وحلية الأولياء ج٢ ص٣٥٩. وقد علق محقق السير الشيخ شعيب على هذا الكلام فقال: " منزلة الصديقين لا تنال بهذا النسك الأعجمي المخالف لما صح عنه -ﷺ- من ترك التبتل والرهبنة"].

(٤) سورة فصلت، الآية:٥٣.

غلى أنه المتعين للجواب بالإتفاق لقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾.[1]

قوله: [لا جواب غيره] في معنى التفريع أو التغليل فالمناسب أن يقول فلا، أو لأنه لا جواب غيره، قوله: ﴿كتب على نفسه الرحمة﴾[2] أي ألزم نفسه الرحمة لأنه وعد بها ووعده لا يتخلف فهي واجبة شرعا لا عقلا. والرحمة هي النعمة وهي عامة لكل مخلوق في الدنيا قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[3] فمن رحمته إمهال العصاة والكفار وترادف الرزق عليهم،[4] وأما بعد استقرار الخلق في الدارين فتختص الرحمة بأهل الجنة ويختص غضب الله بأهل النار، قوله: [فضلا منه] رد بذلك على المعتزلة القائلين بأن الرحمة واجبة عقلا على الله يستحيل تخلفها إذ هو نقص والنقص عليه محال، قوله: [وفيه تلطف في دعائهم إلى الإيمان] أي في ذكر الرحمة بهذا العنوان فلا تقنطوا بل إذا تبتم قبلكم، قوله: ﴿ليجمعنكم﴾ اللام موطئة لقسم محذوف وهو كلام مستأنف مؤكد بالقسم والنون إشارة إلى أن ذلك الأمر لابد منه. قوله: ﴿إلى يوم القيامة﴾ يحتمل أن ﴿إلى﴾ على بابها متعلقة بمحذوف تقديره ليجمعنكم في القبور ويحشرنكم إلى يوم القبامة، ويحتمل أنه بمعنى اللام أو فى أو زائدة. قوله: ﴿لا ريب فيه﴾ أي في الجمع

---

(١) وهذه الآية وردت هكذا في الأصل إلى هذا الحد دون ذكر السورة ودون آخرها الذي يقف على الآية حتى أميزها عن غيرها، وهي متكررة بهذا اللفظ في القرآن في ثلاثة مواضع، ففي لقمان:٢٥ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وفي الزمر:٣٨ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾، وفي الزخرف:٩ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ وبما أنها من المتشابهات في الألفاظ بدلت التي وردت في الأصل بما في السورة العنكبوت الآية: ٦١ في النسخ الجديدة وهي قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ العنكبوت٦١.

(٢) وهذه الآية أيضا وردت في موضعين في هذه السورة: الأول بلفظ ﴿كتب على نفسه الرحمة﴾ [الآية ١٢] والثاني بلفظ ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ [الأنعام، الآية :٥٤] ووردت هنا بلفظ الثاني مع أن المصنف في سدد تفسير الأول، وعلى هذا فاللفظ الذي وضعناه كما في النسخ الجديدة هو الصواب إن شاء الله.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

(٤) وقال الواحدي: إنَّ رحمته في الدُّنيا وسعت البرَّ والفاجر، وهي في الآخرة للمؤمنين خاصَّةً. انظر الواحدي، : أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، النيسابوري، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م) ج١ ص٢٤٥.

يون القيامة، أو في يوم القيامة الذي يحصل فيه الجميع، قوله: ﴿الذين خسروا أنفسهم﴾ الذين مبتدأ، وخسروا صلته، وأنفسهم مفعول لخسروا، وقوله: ﴿فهم لا يؤمنون﴾ مبتدأ وخبر، والجملة خبر المبتدإ. إن قلت: إن ظاهر الآية أن عدم الإيمان مسبب عن الخسران، مع أن الخسران مسبب عن عدم الإيمان. أجيب بأن المعنى الذين خسروا أنفسهم في علم الله أي قضى عليهم بالخسران أزلا، فهم لا يؤمنون فيما لا يزال، فالآية باعتبار ما في علم الله، وأما تسبب الخسران عن عدم الإيمان فبحسب ما يظهر للعباد.

قوله: ﴿وله ماسكن﴾ هذا أيضا من جملة أدلة التوحيد، زيادة في التشنيع على من كفر. قوله: [حل] أشار بذلك إلى أنه لا حذف في الآية، وعليه جمهور المفسرين،[١] فمعنى حل وجد، فيشمل الساكن والمتحرك، وقيل: إن سكن من السكون ضد الحركة، وعليه ففي الآية حذف تقديره وما تحرك.

قوله: ﴿قل أغير الله﴾ رد لقولهم له كيف تترك دين آبائك، وغير مفعول أول لـ﴿أتخذ﴾[٢] قدمه اعتناء بنفي الغيرية، ووليًّا مفعول ثان. قوله: [أعبده] تفسير لأتخذ، فالمراد بالولي هنا المعبود، ويطلق باشتراك على معان منها المعبود ولا يكون إلا الله، وهو قوله تعالى: ﴿فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيّ﴾[٣]، ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[٤] ويطلق على القريب والصاحب وفلى المنهمك في طاعة الله.

قوله: ﴿فاطر﴾ بدل من لفظ الجلالة أو نعت. إن قلت إن فاطر اسم فاعل وإضافته لفظية لا تفيده التعريف، ولفظ الجلالة أعرف المعارف، وشرط النعت موافقته لمنعوته في التعريف. أجيب بأن محل كون إضافته لفظية إن كان معناه التجدد والحدوث، وأما هنا فهو من قبيل الصفة المشبهة، فيكون وصفا ثابتا له، وهذه الجملة كالدليل لما قبلها. قوله: [مبدعهما] أي موجدهما على غير مثال سبق،

---

(١) ينظر: ابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الحنبلي الدمشقي النعماني، **تفسير اللباب في علوم الكتاب**، ج٦ ص٣٦٣.

(٢) وفي النسخ المطبوعة [أتخذوا] وهو خطأ والصواب ما أثبتناه.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٩.

(٤) سورة البقرة، الآية:٢٥٧.

ففاطر من الفطرة وهي الخلقة، وفطر: خلق وأنشأ،[1] قال ابن عباس[2]: ما كنت أدري ما معنى فطر وفاطر، حتى اختصم إلي أعرابيان في بئر،

فقال أحدهما: أنا فطرتها[3] أي أنشأتها وابتدأتها.

قوله: [يرزق] تفسير بالأعم، لأن المعنى يرزق مطعوما أو غيره، فليس المراد من الآية قصره على المطعوم. قوله: ﴿ولا يطعم﴾ أي لأن المرزوق محتاج لمن يرزقه، وتنزه الله عن الإحتياج. قوله: ﴿أول من أسلم﴾ يحتمل أن من نكرة موصوفة، فجملة أسلم صفة. والمعنى أن أكون أول فريق أسلم، أو اسم موصول وما بعدها صلة، والتقدير أول فريق الذي أسلم. وقوله: ﴿أمرت أن أكون﴾ الخ أي أمرني ربي أن أكون أول المسلمين، لأنه يجب عليه الإيمان بأنه رسول، وبما جاء به من الشرع والأحكام، وهو أول المسلمين على الإطلاق. قوله: ﴿و﴾ [قيل لي الخ] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿ولاتكونن﴾ معلوم لقول محذوف، والجملة معطوفة على جملة أمرت، والمعنى أمرني ربي بأن أكون أول من أسلم ، ونهاني بقوله ﴿ولاتكونن من المشركين﴾، وهذه الجملة لازمة لما قبلها.

قوله: ﴿عذاب يوم عظيم﴾ معمول لأخاف، [و][1] جملة ﴿إن عصيت ربي﴾ شرطية وجوابها محذوف دل عليه. قوله: ﴿أخاف﴾ وهي معترضة بين الفعل وهو أخاف، ومعموله وهو عذاب .

---

(١) والفَطْرُ: الشَّقُّ مُطْلقاً ، وقيَّدَهُ الرَّاغب بالشَّقِّ طولاً ، وقيَّدّهُ الواحدي بشقِّ الشيء عند إبتدائه، والفطرُ: إبداع وإيجاد شيء على غير مثال، ومنه ﴿فَاطِرِ السماوات والأرض﴾ أي: أوجدها على غير مثال يُحْتذى. انظر: ابن عادل، المصدر السابق، ج٦ ص٣٦٥.

(٢) عبد الله بن عباس، هو عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن هاشم صحابي جليل من مكة المكرمة، وابن عم رسول الله –ﷺ–. ولد قبل الهجرة ولم يدنس بشرك، اشتهر بعلمه بالتفسير فسماه رسول الله –ﷺ– ترجمان القرآن. وينسب إليه كتاب في تفسير القرآن جمعه بعض أهل العلم. وكان واسع المعرفة يأتيه الناس للتزود من علمه .وكان يجلس لاستقبال الناس، ويخصص يومًا للفقه، ويومًا للتأويل، ويومًا للمغازي ويومًا للشعر، ويومًا لوقائع العرب. روي عنه في كتب الحديث ١٦٦٠حديثًا عن رسول الله – ﷺ – اتفق الصحيحان على ٩٥ منها، وانفرد البخاري بـ ٢٨منها ومسلم بـ ٤٩وعُرِف بِحَبْر الأمّة .وكان يخاف مقام ربه. سكن مدينة الطائف في أواخر عمره، وقد كُفَّ بصره، وكان لايخرج إلا إلى مسجده. توفي في خلافة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه وقد جاوز السبعين عامًا. انظر الذهبي في السير ج ٢ ص٨٧، وابن كثير في البداية والنهاية ج٤ ص١١١.

(٣) أخرجه الطبري في **تفسيره** ج٥ ص ١٥٨، عن ابن عباس –رضي الله عنهما–، وذكره السيوطي **في الدر المنثور** ج٣ ص١١، وزاد نسبته لأبي عبيد في فضائله، وذكره ابن عادل الدمشقي في **اللباب في تفسير الكتاب** ج٧ ص٥٤، والألوسي **في روح المعاني** ج٧ ص١١٠.

قوله: ﴿من يصرف عنه﴾ من اسم شرط، ويصرف فعل شرط، ونائب الفاعل مستتر يعود على العذاب على قرائة الأولى، والفاعل الله على قراءة الثانية، وعنه جار ومجرور متعلق بيصرف.

وقوله: ﴿فقد رحمه﴾ جواب شرط، وهو معنى قوله تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[٢]. قوله: [وللفاعل] أي والمفعول محذوف تقديره العذاب ، والمعنى من يصرف الله العذاب عنه يوم القيامة فقد رحمه، في ذلك تعريض بأن الكفار لا يرحمون لأنه لا يصرف عنهم العذاب. قوله [والعائد محذوف] الأوضح أن يقول والمفعول محذوف، وهو ضمير يعود على العذاب، لأن الضمير العائد على من مذكور بقوله عنه، وأيضا لا يحتاج للعائد إلا الموصول، ومن هنا شرطية لاموصولة. قوله: ﴿وذلك﴾ أي النجاة يوم القيامة.

قوله: ﴿وإن يمسسك الله بضر﴾ هذا تأييد من الله لرسوله، فالمعنى لا تخش لومهم بل بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن الله مول أمرك، بيده الضر والنفع والمنع والإعطاء، فهم عاجزون لايقدرون[٣] على ايصال ضر ولا جلب نفع، قوله: [كمرض وفقر] أي وغلبة واحتياج. قوله: ﴿فلا كاشف له﴾ جواب شرط، وفعله قوله ﴿يمسسك﴾، ولا نافية للجنس وكاشف اسمها مبني معها على الفتح في محل نصب، وخبرها محذوف تقديره أحد. قوله: ﴿إلا هو﴾ إلا أداة حصر وهو بدل من الضمير المستتر [في الخبر][٤]

قوله: ﴿وإن يمسسك بخير﴾ جواب شرط محذوف تقديره فلا راد لفضله، كما في آية يونس ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ﴾[٥]. قوله: ﴿فهو على كل شيء قدير﴾ دليل لكل من الجملتين. قوله: ﴿ومنه ما مسك[٦] به﴾ أي من النبوة وغيرها. قوله: [مستعليا] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿فوق

---

(١) ما بين القوسين ثابت في الأصل وحذف في النسخ المطبوعة.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

(٣) كذا في الأصل وفي النسخ المطبوعة [ولايقدرون].

(٤) ما بين القوسين لم يكن في النسخ المطبوعة.

(٥) سورة يونس، الآية: ١٠٧.

(٦) كذا في الأصل وفي بقية النسخ المطبوعة [منه مسك به].

عباده﴾ ظرف متعلق بحذوف حال من القاهر. قوله: ﴿فوق عباده﴾ أي فوقية مكانة لا مكان[1]، والمعنى أن صفاته فوق صفات غيره، لأن أوصافه كمالية، وأوصاف غيره ناقصة، فوصفه العز والعلم

---

(١) وهذا تأويل من تأويلات الأشاعرة لآي الله عز وجل، ومن المعتقدات الفاسدة، وقد قال بهذا الصاوي في غير هذا الكتاب نحوا من هذا، كما قال في كتابه شرح الصاوي على جوهرة التوحيد ص٨٧ دار ابن كثير: وهذه نص عبارته (فمما يجب تأويله لإيهام الجهة قوله: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ لأن الإستواء على الشئ الاستقرار عليه، وهو محال في حقه تعالى، فيؤول بالملك والاستيلاء)، قلت: كيف وهو -ﷻ- قد أثبت ذلك لنفسه في كتابه في سبعة مواضع تصريحا ففي سورة الأعراف:٥٤ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، وفي سورة يونس٣ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾، وفي سورة الرعد:٢ ﴿اللّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾، وفي سورة طه٥ ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ وفي سورة الفرقان٥٩ ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً﴾، وفي سورة السجدة٤ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾، وفي سورة الحديد٤ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، وهذه الآيات كلها نزلت هكذا ولم يؤل النبي – ﷺ – واحدة منها، بل وردت الأحاديث الشريفة يثبت ذلك له سبحانه، في أكثر من مائة حديث، بل كذا فهمته عقول الصحابة، التي ليس فيها زيغ ولا غلو، وعليها وردت أقوال أهل العلم في العلو و الاستواء وإليك بعضها:

حديث الجارية: عن معاوية بن الحكم قال: وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ قُلْتُ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُعْتِقُهَا؟" قَالَ: "ائْتِنِي بِهَا" فَأَتَيْتُهُ بِهَا ، فَقَالَ لَهَا: "أَيْنَ اللَّهُ"، قَالَتْ: "فِي السَّمَاءِ" قَالَ "مَنْ أَنَا؟" قَالَتْ: "أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ" قَالَ : "أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ" [رواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد، باب تَحْرِيمِ الْكَلاَمِ فِى الصَّلاَةِ وَنَسْخِ مَا كَانَ مِنْ إِبَاحَتِهِ، ج٢ ص٧٠ برقم ١٢٢٧]. وفي حجة الوداع قال النبي -ﷺ-: " قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابُ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟ قَالُوا: نشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ. فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُبُهَا إِلَى النَّاسِ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ اللَّهُمَّ اشْهَدْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ" [أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المناسك، باب حجة رسول الله – ﷺ –، ج٤ ص٣٩ برقم٣٠٠٩]. قلت: والنبي – ﷺ –كان مستشهدا بالله حينئِذ ولم يكن يدعو حتى يُقال: السماء قِبلة الدعاء. وَيَنْكُبهَا أي يُميلها إليهم، يُريد بذلك أن يُشْهِدَ اللَّه عليهم. انظر: ابن الاثير، أبو السعادات المبارك بن محمد، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ط١، (بيروت: المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م)، تحقيق طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي. ج٢ ص١١٢.

وقد ورد عن السلف أقوال تؤيد الإيمان به، منها ما قاله الصحابي الجليل عبد الله ابن عباس – رضي الله عنهما – حيث روى إنه دخل على عائشة رضي الله عنها وهي تموت فقال لها كنت أحب نساء رسول الله – ﷺ – ولم يكن يحب إلا طيباً وأنزل براءتك

والاقتدار، ووصف غير هـ الذل والجهل والعجز، فكل وصف كامل شريف فهو لله، فكل وصف خسيس ناقص فهو لغيره. قوله: ﴿وهو الحكيم﴾ [في خلقه] أي يضع الشيء في محله. قوله: ﴿الخبير﴾ أي فيعامل كل شخص بما يليق به. قوله: [ونزل لما قالوا] أي أهل مكة، فقالوا يا محمد أرنا من يشهد لك بالرسالة، فإننا سألنا اليهود والنصارى عنك فزعموا أنه ليس لك عندهم ذكر. قوله: [إيتنا] بقلب الهمزة الثانية باء، قال ابن مالك:

ومدا أبدل ثاني الهمزين من ❁❁ كلمة إن يسكن كآثر وائتمن[(١)]

قوله: [تمييز محول عن المبتدأ] أي والأصل شهادة أي شيء [ما] [(٢)] أكبر، فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه، وجعل مبتدأ وجعل المضاف تمييزا. قوله: ﴿قل الله﴾ مبتدأ خبره محذوف أي أكبر شهادة. وقوله: ﴿شهيد﴾ خبر لمحذوف قدره المفسر[(٣)] فالكلام جملتان، ويحتمل أن الله مبتدأ خبره شهيد، فالكلام جملة واحدة. قوله: ﴿شهيد بيني وبينكم﴾ المراد بشهادة الله إظهار المعجزات على يده، فإن المعجزات منزلة منزلة قول الله صدق عبدي في كل ما يبلغ عني. قوله: ﴿وأوحي إلي هذا القرآن﴾

من فوق سبع سماوات . أخرجه الدارمي، **الرد على الجهمية**، باب استواء الرب تبارك وتعالى على العرش وارتفاعه إلى السماء وبينونته من الخلق، ط٢، (الكويت: دار إبن الأثير، ١٩٩٥م) تحقيق: بدر بن عبدالله البدر، ج١ ص٥٧، برقم ٨٤ وسنده حسن.

ومما قاله السلف أيضا ما قاله الامام الكبير سفيان الثوري [ت ١٦١ هـ] قال معدان : سألت سفيان الثوري عن قوله عز وجل ﴿وهو معكم أين ما كنتم﴾ [سورة الحديد، الآية:٤] قال: علمه. أخرجه ابن الاثير، المصدر السابق. وحكاه الذهبي في السير وقال: إسناده صحيح، ج٧ ص٢٧٤.

قلت : كانت الجهمية الأوائل أول من قال بأن الله في كل مكان – تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا – و يستدلون بآيات المعية، ونقول لهم فيها مثل ما قال عالم خراسان مقاتل بن حيان (ت قبل١٥٠هـ) في قوله تعالى: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ [سورة المجادلة، الآية: ٧]: "هو على عرشه وعلمه معه". أخرجه أبو داود في مسائله بسند حسن، ص٢٦٣ .

قلت: ما من عالم من الأئمة سلفا وخلفا إلا وله في هذه المسألة مقالات وأختصر هنا خوفا من الإطالة، والله تعالى أعلى وأعلم.

(١) انظر ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري ،في شرحه على ألفية ابن مالك مع تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ج ٤ ص٢١٥، الطبعة : العشرون ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م، دار التراث – القاهرة، دار مصر للطباعة ، سعيد جودة السحار وشركاه.

(٢) ما بين القوسين لم يكن في الأصل.

(٣) هو جلال الدين المحلي.

هذا دليل لشهادة الله، والمعنى أن الله شهيد، لأن [هذا][1] القرآن ناطق بالحجج القاطعة، وهو من عنده فلا يرد كيف اكتفى منه عليه الصلاة والسلام بقول الله شهيد، مع أن ذلك لا يكفي من غيره والاقتصار على الإنذار لأن الكلام مع الكفار، وبني أوحي للمجهول للعلم بفاعله. قوله: [عطف على ضمير أنذركم] أي ﴿ومن﴾ موصولة، و﴿بلغ﴾ صلتها [والعائد محذوف][2]، والتقدير وأنذر الذي بلغه القرآن. [من الإنس والجن] أي إلى يوم القيامة، وفيه دلالة على عموم رسالته، واستمرارها من غير ناسخ إلى يوم القيامة. قوله: ﴿أئنكم لتشهدون﴾ اللام لام الإبتداء زحلقت للخبر، قوله: [استفهام إنكاري] أي والمعنى لا يصح منكم هذه الشهادة لأن المعبود واحد. قوله: ﴿قل إنما هو إله واحد﴾ إنما أداة حصر، وما كافة، وهو المبتدأ، وإله خبره، وواحد صفته، وهو زيادة في الرد عليهم، وهو من حصر المبتدأ في الخبر.

قوله: ﴿الذين ءاتينهم الكتب﴾ أي اليهود والنصارى، فالمراد بالكتب التوراة والإنجيل. قوله: [أي محمدا] تفسير للضمير في ﴿يعرفونه﴾ ويصح أن يرجع الضمير للقرآن أو لجميع ما جاء به رسول الله من التوحيد وغيره. قوله: ﴿كما يعرفون أبناءهم﴾ أي معرفة كمعرفتهم لأبنائهم، وهذا من التنزلات الربانية، وإلا فهم يعرفونه أشد من معرفتهم لأبنائهم لما روي[3] أن عمر بن الخطاب سأل عبد الله بن سلام بعد إسلامه عن هذه المعرفة، فقال: يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني، ولأنا أشد معرفة بمحمد مني بابني، فقال عمر: كيف ذلك؟ فقال أشهد أن رسول الله حقا ولا أدري ما تصنع النساء. قوله: ﴿الذين خسروا أنفسهم﴾ مبتدأ والجملة نعت للذين آتيناهم الكتاب، ويؤيد قول المفسر منهم. قوله: ﴿فهم لا يؤمنون﴾ خبر المبتدأ وقرن بالفاء لما في المبتدأ من معنى الشرط وهو العموم، والمعنى أن من سبق في علم الله خسرانه، فلا يتأتى له الإيمان في الدنيا، وذلك أن الله جعل لكل إنسان منزلا في الجنة ومنزلا

---

(١) سقط ما بين القوسين في النسخ المطبوعة.

(٢) سقط ما بين القوسين في النسخ المطبوعة.

(٣) ذكره الألوسي في تفسيره، مصدر سابق، ج٧ ص١٢٠، والبغوي في تفسيره عند قوله تعالى (الذين آتينهم الكتب يعرفونه ....الخ) البقرة الآية ١٤٦، وانظر: الواحدي في **الوسيط**، ج١ ص٢١٥، وفي **أسباب النزول** له أيضا ص٤٠، والسيوطي في **الدر المنثور** ج٢ ص٣٢، وقال في **الإتقان**: "وأوهى طرقه طريق الكلبي عن ابن صالح عن ابن عباس، فإن انضم إلى ذلك رواية السدي الصغير فهي سلسلة الكذب" ج٢ ص١٨٩، وانظر: **معاني القرآن** للفراء ج١ ص٣٢٩.

في النار، فإذا كان يوم القيامة جعل الله للمؤمنين منازل أهل النار في الجنة، ولأهل النار منازل أهل الجنة في النار[1]، وقد علمت مما تقدم أن المؤمن واحد من ألف، فتكون منازل الكفار التي يرثها المؤمنون في الجنة لكل واحد تسعمائة منزل وتسعة وتسعون تضم لمنزه، ومنازل المؤمنين التي تركت لأهل النار منزل يزاد لهم، فيؤخذ منه أن الجنة واسعة جدا، وأن النار ضيقة جدا لا سيما مع عظم جسم الكافر فيها، حيث يكون ضرسه كأحد. قال تعالى: ﴿وجنة عرضها السموات والأرض﴾[2] وقال تعالى: ﴿وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين﴾[3].

قوله: [به] أي بمحمد أو بالله أو بالقرآن أو بما جاء به محمد. قوله: [أي لا أحد] أشار بذلك إلى أن الإستفهام إنكاري بمعنى النفي، والمعنى ليس أحد أظلم ممن فعل واحدا من الأمرين الإفتراء والتكذيب، فما بالك بمن جمع بينهما كالمشركين وأهل الكتاب، فإن كلا منهما وقع منه الأمران.

قوله: ﴿إنه لا يفلح الظلمين﴾ أي لا يفوزون بمطلوبهم. وقوله [بذلك] أي بسبب ما ذكر وهو الافتراء أو التكذيب. قوله: ﴿ويوم نحشرهم﴾ ظرف متعلق بمحذوف قدره المفسر، والضمير في نحشرهم عائد على الخلق مسلمهم وكافرهم، ويصح عوده على المشركين، فقوله بعد ذلك: ﴿ثم نقول للذين أشركوا﴾ إظهار في محل الإضمار زيادة في التشنيع عليهم. قوله: ﴿جميعا﴾ حال من ضمير نحشرهم. قوله: ﴿ثم نقول﴾ أتى بثم إشارة إلى أن السؤال بعد الحشر، والحشر يطول على الكفار قدر خمسين ألف سنة والمقصود من ذلك ردعهم وزجرهم لعلهم يؤمنون في الدنيا فتأمنون من ذلك اليوم وهو له، والقول إن كان على ألسنة الملائكة فظاهر، وإن كان من الله مباشرة ورد علينا قوله تعالى: ﴿وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ

---

(١) وهذه إشارة إلى الحديث الصحيح الذي أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب الزهد باب صفة الجنة برقم ٤٣٢٨ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -ﷺ-: "مامنكم من أحد إلا له منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار، فإذا مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله، فذلك قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ [سورة المؤمنون، الآية:١٠]. قال الهيثمي في الزوائد: هذا إسناده صحيح على شرط الشيخين، وقال الشيخ الألباني: صحيح وهذا آخر سنن الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ١٣.

اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [1] وقد يجاب بأن المعنى لا يكلمهم كلام رضا ورحمة. قوله: ﴿أين شركآؤهم﴾ إن قلت: مقتضى هذه الآية أن الشركاء ليسوا حاضرين معهم، ومقتضى قوله تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ۞ مِن دُونِ اللَّهِ﴾[2] أنهم حاضرون معهم، فكيف الجمع بينهما؟ أجيب بأن السؤال واقع بعد التبري الكائن من الجانبين، وانقطاع ما بينهم من الأسباب والعلائق وأضيفوا لهم، لأن شركتها بتسميتهم وتقولهم. قال تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم﴾ [3]. قوله [أنهم شركاء لله] قدره إشارة إلى أن مفعولي ﴿تَزعُمُون﴾ محذوفان، وهذه الجملة سدت مسدها.

قوله:[بالتاء والياء] فعلى قراءة التاء يصح رفع ﴿فتنتُهم﴾ اسم تكن، و ﴿إلا أن قالوا﴾ خبرها ونصبها خبر تكن مقدم، وإلا أن قالوا اسمها مؤخر، ويتعين جر ﴿ربِّنا﴾، وعلى قراءة الياء فليس إلا نصب فتنتهم خبر يكن مقدم، وإلا أن قالوا اسمها مؤخر، ويتعين نصب ربنا، فالقراءات ثلاث وكلها سبعية،[4] خلافا لما توهمه المفسر. قوله: [أي معذرتهم] أي جوابهم، وسماه فتنة لأنه كذب محض لا نفع به، بل به الفضائح. قوله: ﴿ما كنا مشركين﴾ إن قلت: بين ما هنا وبين قوله: ﴿وَلاَ يَكْتُمُونَ اللّهَ حَدِيثًا﴾ [5]. قلت: أولا ينكرون الإشراك ويحلفون على عدم وقوعه منهم، ثم يستشهد الله الأعضاء فتنطق الجوارح، فحينئذ يودون لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا، فهم أولا يظنون أن إنكارهم نافع، فحين تشهد أعضاؤهم يتمنون أن لو كانوا أترابا ولم يكتموا شيئا[6].

قولهم: ﴿على أنفسهم﴾ إنما نسبه لهم وإن كان في الحقيقة كذبا على الله، لأن ضرره عاد إليهم. قوله: [من الشركاء] بيان لما.

---

(١) سورة البقرة، الآية:١٧٤.

(٢) سورة الصافات، الآية: ٢٢-٢٣.

(٣) سورة يوسف، الآية:٤٠.

(٤) اختلف القراء فى الياء والتاء والرفع والنصب في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾ فقرأ ابن كثير فى رواية قنبل عن القواس وفى رواية لعبيد بن عقيل عن شبل عن ابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن﴾ بالتاء ﴿فِتْنَتُهُمْ﴾ بالرفع. وقرأ نافع وأبو عمرو وعاصم فى رواية أبى بكر ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن﴾ بالتاء ﴿فِتْنَتَهُمْ ﴾ بالنصب، وقرأ حمزة والكسائى ﴿ ثُمَّ لَمْ يَكُن﴾ بالياء ﴿ فِتْنَتَهُمْ﴾ بالنصب. انظر: ابن مجاهد، ص٢٥٤-٢٥٥.

(٥) سورة النساء، الآية:٤٢.

(٦) انظر: الألوسي في تفسيره، مصدر سابق، ج٤ ص٥٧.

قوله: ﴿ومنهم من يستمع إليك﴾ سبب نزولها: أنه اجتمع أبو سفيان وأبو جهل والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث وعتبة وشيبه ابنا ربيعة وأمية بن خلف والحارث بن عامر، يستمعون القرآن فقالوا للنضر: يا أبا قتيبة ما يقول محمد؟ قال: ما أدريما يقول، غير أني أراه يحرك لسانه ويقول أساطير الأولين، مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية، وكان النضر كثير الحديث عن القرون الماضية وأخبارها، فقال أبو سفيان: إني أرى بعض ما يقول حقا، فقال أبو جهل: كلا لا نقر بشيء من هذا، وفي رواية الموت أهون علينا من هذا[1]. أفرد ﴿يستمع﴾ مراعاة للفظ من، وسيأتي في يونس مراعاة معناها، والحكمة في مراعاة لفظها هنا، أن ما هنا في قوم قليلين، وفيما يأتي في الكفار جميعا.

قوله: ﴿أكنة﴾ جمع كنان وهو الوعاء الجامع الذي يحفظ فيه الشيء ويجمع أكنان، والمراد بها هنا الغطاء الساتر. قوله: [فلا يسمعونه] أي القرآن. قوله: ﴿حتى إذا جآءوك﴾ حتى ابتدائية. وقوله: ﴿يجدلونك﴾ حال من الواو في جاؤوك. وقوله: ﴿يقول الذين كفروا﴾ جواب إذا. قوله: [كالأضاحيك] جمع أضحوكة بالضم، وكذا [الأعاجيب] أي فالمشهور أن أساطير في جمعه ومفرده كالأضحيك والأعاجيب.

قوله: ﴿وهم ينهون﴾ أي الكفار ينهون عن اتباع النبي، أو عن سماع القرآن. قوله: [أي عن اتباع النبي] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: [وقيل نزلت في أبي طالب] أي وعليه فجمع الضمير باعتبار أتباعه.

قوله: [كان ينهى عن أذاه] أي وكان يخاطب[2] النبي عليه الصلاة والسلام بقوله:

---

(١) ذكره الواحدي في **أسباب النزول** ج١ ص١٤٣، وابن الجوزي ج٢ ص١٨، ونظام الدين القمي، الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، ج٣ ص٦٤، والبغوي، مصدر سابق، ج٣ ص١٣٦.

(٢) أخرج البيهقي بسنده إلى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس، أنه حدث أن قريشا حين قالت لأبي طالب إن ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومساجدنا، فانهه عنا، فبعث إلى رسول الله – ﷺ – فقال له : يا ابن أخي ، إن قومك قد جاءوني فقالوا كذا وكذا فأبق علي وعلى نفسك ، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت، فاكفف عن قومك ما يكرهون من قولك ، فقال رسول الله – ﷺ –: "يا عم لو وضعت الشمس في يميني والقمر في يساري ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله تعالى أو أهلك في طلبه" ثم استعبر رسول الله – ﷺ – فبكى، فلما ولى قال له حين رأى ما بلغ الأمر برسول الله – ﷺ –: يا ابن أخي فأقبل عليه ، فقال:

[ولقد علمت بأنّ دين محمّد] (١) ❁❁ من خير أديان البرية(٢) دينا

لولا الملامةُ أو حذار مسبةٍ ❁❁ لوجدتني سمحًا بذاكَ مبينا

[فاصدعْ(٣) بـ]أمرِك ما عليكَ غضاضةٌ(٤) ❁❁ حتى أوسد في التّراب رهينا(٥)

وهذا القول لابن عباس وعمرو ابن دينار وسعيد بن جابر، والقول بأنها نزلت في المشركين لجماعة منهم الكلبي والحسن، والأقرب لسياق ما قبلها وما بعدها والمعنى [الأول](٦) فتأمل. قوله [بذلك] أي بإهلاكه أنفسهم . قوله: ﴿ولو ترى﴾ المقصود من ذلك حكاية ما سيقع من الكفار يوم القيامة وتسلية للنبي وأصحابه، والمعنى: لو تبصر بعينيك يا محمد ما يقع لهولاء في الآخرة ، لرأيت أمرا عظيما تتسلى به عن الدنيا ، فالخطاب لسيدنا محمد :ما قال المفسر. إن قلت: هذا يقتضي أن رسول الله لم يطلع على ذلك، مع أنه لم يخرج من الدنيا حتى أحاط بوقائع الدنيا والآخرة. أجيب: بأن هذا قبل إعلام الله له بالآخرة. وأجيب أيضا بأن الخطاب له والمراد غيره، ورأى إما بصرية وهو الأقرب أو قلبية، والمعنى لو صرفت فكرك الصحيح في تدبير حالهم لازددت يقينا، ولو يحتمل أنها حرف امتناع،

"امض على أمرك وافعل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبدا" ثم أنشد أبو طالب هذا الشعر. انظر: البيهقي، **دلائل النبوة**، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م،) ج٢ ص١٨٧-١٨٨، وابن هشام في **السيرة النبوية** ج١ ص٢٧٨، دار تراث الإسلام- القاهرة.

(١) وعند ابن كثير في **السيرة النبوية** بدل ما بين القوسين [وعرضت دينا قد عرفت بأنه] ج١ ص٤٦٤.

(٢) البرية: الخَلْق، ينظر الجوهري في **الصحاح** في اللغة ج١ ص٣٦.

(٣) وعند محمد بن اسحاق في **السيرة النبوية** [إمضي لـ]

(٤) الغضاضة : الذلة والمنقصة والعيب ، انظر الزمخشري، **أساس البلاغة، ط١**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م)، ج١ ص٧٠٤.

(٥) وفي ألفية العراقي في السيرة للحافظ أبي الفضل العراقي ج١ ص١٠.

ولقد علمت بأنّ دين محمّد * من خير أديان البرية دينا

والله لن يصلوا إليكَ بأسرهم * حتى أوسَد في التراب رهينا

فاصدعْ بأمرِك ما عليكَ غضاضةٌ * وابشر بذاكَ وقَرَّ منهُ عيونا

لولا الملامةُ أو حذار مسبةٍ * لوجدتني سمحًا بذاكَ مبينا

ورأيت الفرق بين ما أورده المصنف وما أورده العراقي.

(٦) كذا في الأصل وفي النسخ الجديدة [الأولى] وهو خطأ.

فيكون قوله ترى بمعنى رأيت، و﴿إذ﴾ على بابها من المعنى، فيكون عبر بالماضي لتحقق الحصول، ويحتمل أنها بمعنى إن شرطية وإذ بمعنى إذا، فيكون مستقبلا، ولأقرب الأول.

قوله: [للتنبيه] أي لدخولها على الحرف. قوله: ﴿ليتنا نرد﴾[١] ليت حرف تمن، ونا اسمها، وجملة نرد خبرها. قوله: [برفع الفعلين استئنافا] أي واقع في جواب سؤال مقدر تقديره ماذا تفعلون لو رددتم، قوله: ﴿ولا نكذب﴾ خبر محذوف تقديره ونحن لا نكذب، وكذا قوله: ﴿ونكون﴾. قوله: [وبنصبهما في جواب التمني] أي بأن مضمرة بعد واو المعية، أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر معطوف على مصدر مصيد من الكلام السابق، وتقدير الكلام فقالوا نتمنى على الله ردنا مع عدم تكذيب منا وحصول إيمان. قوله: [ورفع الأول] أي على الاستئناف. وقوله: [ونصب الثاني] أي بأن مضمرة وجوبا بعد واو المعية في جواب التمني، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر معطوف على مصدر مصيد من الكلام السابق، تقديره نتمنى على الله ردنا مع كوننا من المؤمنين، وجملة ولا نكذب معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه، فهذه قراءات ثلاث وكلها سبعية،[٢] وقريء شذوذا بنصب الأول ورفع الثاني وتوجيهه كما علمت. قوله: [للإضراب] أي الإبطالي، والمعنى ليس الأمر كما قالوا من أنهم لو ردوا لآمنوا، بل إنما حملهم على ذلك فضيحتهم بشهادة أعضائهم.

قوله: ﴿ما كانوا يخفون﴾ أي وهو الشرك. قوله: [بقولهم] الباء سببية. قوله: [بشهادة جوارحهم] متعلق ببدا. قوله: [فتمنوا ذلك] أي فرارا من العذاب لا محبة في الإيمان. قوله: ﴿لعادوا﴾ جواب لو. قوله: [في وعدهم للإيمان] أي الذي وقع منهم بالتمني.

قوله: ﴿وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا﴾ يحتمل أنه معطوف على لعادوا، فهو من جملة جواب لو، ويحتمل أنه كلام مستأنف في خصوص منكري البعث وهذا هو المتبادر من المفسر، وإن نافية بمعنى

---

(١) كذا في الأصل بدون [يا] وفي النسخ الجديدة [يا ليتنا].

(٢) واختلفوا فى الرفع والنصب من قوله ﴿ وَلاَ نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائى وعاصم فى رواية أبى بكر، وقرأ ابن عامر وحمزة وعاصم فى رواية حفص ﴿وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ هذه رواية ابن ذكوان عن أصحابه عن ابن عامر. انظر: ابن مجاهد، مصدر سابق، ص٢٥٥،

ما، وهي مبتدأ، وحياتنا خبره والمعنى أنهم قالو ليس لنا حياة غير هذه الحياة التي نحن فيها، وما نحن بمبعوثين بعد الموت.

قوله: ﴿على ربهم﴾ أي على حسابه وسؤاله، فالكلام على حذف مضاف. قوله: ﴿قال﴾ [لهم] أي لمنكري البعث الذين قالوا ﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا﴾. قوله: [على لسان الملآئكة] دفع بذلك ما يقال إن الله لا ينظر إليهم ولا يكلمهم. قوله: ﴿قالوا بلى وربنا﴾ جواب مؤكد باليمين.

قوله: ﴿بما كنتم تكفرون﴾ أي بسبب الذي كنتم تكفرون به أو بسبب كفركم. قوله: [غاية للتكذيب] أي لا للخسران فإنه لا غاية له. قوله: ﴿الساعة﴾ المراد بها مقدمات الموت، فالمراد أن حزنهم الدائم يحصل لهم عند خروج أرواحهم. قوله: ﴿بغتة﴾ حال من فاعل جاءتهم، والتقدير جاءتهم مباغتة، أو من مفعوله، والتقدير جاءتهم حال كونهم مبغوتين. قوله: ﴿يحسرتنا﴾ يا حرف نداء، وحسرتنا منادى منصوب بفتحة ظاهرة لأنه مضاف لنا. قوله: [هي شدة التألم] أي التلهف التحسر على ما فات. قوله: [ونداؤها مجاز] أي تنزيلا لها منزلة العاقل، لأنه لا ينادى حقيقة إلا العاقل، والمقصود التنبيه على أن هذا الكافر من شدة هوله[1] لم يفرق بين خطاب العاقل وغيره، ومثله، يا ويلنا فتأمل. قوله: ﴿على مافرطنا﴾ أي من الأعمال الصالحة في الدنيا. قوله: ﴿وهم يحملون أوزارهم﴾ لجملة حالية من الواو في قالوا. قوله: [بأن تأتيهم الخ] ورد[2] أن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله أحسن شيء صورة وأطيب ريحا، فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: لا، فيقول: أنا عملك الصالح فاركبني فقد طال ما ركبتك في الدنيا، فذلك قوله -تعالى-: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً﴾ [3] يعني ركبانا، وأما الكافر فيستقبله أقبح شيء صورة وأنتنه ريحا، فيقول: هل تعرفني؟ فيقول:لا، فيقول : أنا عملك الخبث طالما ركبتني في الدنيا فأنا أركبك فذلك قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ [4].

---

(١) كذا في الأصل وفي النسخ الجديدة [هو له] وهو خطأ.

(٢) هذا الحديث أخرجه ابن جرير الطبري في **تفسيره** ج٩ ص ٢١٦-٢١٧، وأخرجه ابن أبي حاتم **في تفسيره** ج٤ ص١٢٨١، من طريق عمرو بن قيس عن أبي مرزوق، والبغوي ج٢ ص٢٩٣، وذكره السيوطي في **الدر المنثور** ج٦ ص٣٩ ونسبه لابن جرير.

(٣) سورة مريم، الآية:٨٥.

(٤) سورة الأنعام، الآية:٣١.

قوله: [أي الإشتغال فيها] أشار بذلك على أن الكلام على حذف مضاف، والمعنى أن الإشتغال في الحياة الدنيا عن خدمة الله وطاعته لعب ولهو، وليس المراد أن مطلق الحياة الدنيا لعب ولهو، بل ما قرب منها إلى الله فهو مزرعة للآخرة، وما أبعد منها عنه فهو حسرة وندامة.

قوله: ﴿خير للذين يتقون﴾ أي لأن منافعها خالصة من الكدورات وعزها دائم. قوله: ﴿أفلا يعقلون﴾[1] الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير ألا يتفكرون فلا يعقلون. قوله: [بالياء والتاء] أي فهما قراءتان سبعيتان.[2]

قوله: ﴿قد نعلم﴾ المقصود من هذه الآية وما بعدها تسلية النبي صلى الله عليه وسلم على ما وقع من الكفار من التكذيب وغيره، وتهديد لهم لعلهم يرجعون، وقد للتحقيق، نظير قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ﴾ [3]. قوله: ﴿إنه ليحزنك﴾ بكسر الهمزة لدخول اللام المعلقة لنعلم عن العمل في حيزها، قال ابن مالك:

وكسروا من بعدها فعل علقا ❊❊ باللام كاعلم إنه لذوا تقى[4]

وإن حرف توكيد، والهاء اسمها، واللام لام الإبتداء زحلقت للخبر لئلا يتوالى حرفا تأكيد، ويحزنك خبرها، و ﴿الذي﴾ فاعل يحزن و ﴿يقولون﴾ صلتها، والعائد محذوف تقديره يقولونه، والجملة من إن واسمها وخبرها في محل نصب سدت مسد مفعولي نعلم، فإن التعليق إبطال العمل لفظا لا محلا كما هو مقرر. قوله: ﴿فإنهم لا يكذبونك﴾ الفاء للتعليل، والمعنى لا تحزن من تكذيبهم لك، واصير ولا تكن في ضيق مما يمكرون، فإنهم لا يكذبونك في الباطن، بل يعتقدون صدقك، وإنكما تكذيبهم عناد وجحود. قوله: [في السر] دفع بذلك ما يقال إن بين ما هنا وقوله: ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ﴾ تنافيا، وحاصل الجواب أن المنفي التكذيب في السر، والمثبت التكذيب في العلانية. قوله: [وفي قراءة بالتخفيف] أي مع ضم الياء وسكون الكاف وهي سبعية أيضا. قوله: [أي لا ينسبك إلى

---

(١) كذا في الأصل بالياء وفي النسخ الجديدة بالتاء وهي قراءة سبعية.

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائى بالياء وقرأ نافع بالتاء. . انظر: ابن مجاهد، مصدر سابق، ص٢٥٦.

(٣) سورة الأحزاب، الآية:١٨.

(٤) انظر الأشموني في **شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك** ج١ ص ١٤٣.

الكذب] هذا يناسب كلا من القرائتين، والمعنى لا يعتقدون تكذيبك باطنا، ولذا قال أبو جهل للنبي -ﷺ-: إنا لانكذبك، ولكن نكذب الذي جئت به[١]. قوله: [وضعه موضع المضمر] أي زيادة في التقبيح والتشنيع عليهم. قول: ﴿يجحدون﴾ الجحد الإنكار مع العلم[٢]، والمعنى أنهم أنكروا آيات الله مع علمهم بأن ما جاء به صدق. قوله: ﴿يكذبونك﴾[٣] أي في علانية قوله [فيه تسلية] وذلك لأن البلوى إذا عمت هانت. قوله: ﴿فصبروا﴾ الفاء سببية، وصبروا معطوف علي كذبت. قوله ﴿على ما كذبوا﴾ متعلق بصبروا ، والمعنى صبروا على تكذيبهم. [قوله][٤] ﴿وأوذوا﴾ يصح عطفه على كذبت، والمعنى كذبت وأوذوا وصبروا، ويصح عطفه على صبروا، والمعنى كذبت رسل فصبروا وأوذوا مع حصول الصبر منهم، ويصح عطفه على قوله ما كذبوا، والمعنى صبروا على تكذيبهم وإيذائهم . قوله: ﴿حتى أتاهم نصرنا﴾ غاية في الصبر، والمعنى غاية صبرهم نصر الله لهم. قوله: [مواعيده] أي مواعيد الله بالنصر، قال تعالى: ﴿[وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ. إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴾[٥]، قال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾[٦]، قوله: (ولقد جاءك) اللام موطئة لقسم محذوف، وجاء فعل ماض،

---

(١) أخرجه **الترمذي** في السنن ص٦٨٦، كتاب التفسير باب "ومن سورة الأنعام"، ج٥ ص٢٦١ برقم ٣٠٦٤، قال الشيخ الألباني : ضعيف الإسناد، وأخرجه الحاكم النيسابوري أبو عبدالله، محمد بن عبدالله في **المستدرك على الصحيحين** ج٢ ص٣٤٥، وقال الحاكم: صيحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبيي فقال: ما خرجا لناجية شيئا. وذكر هذا الأثر السيوطي في **الدر المنثور** ج٣ ص١٧-١٨ وزاد نسبته لأبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه والضياء في المختارة من طريق ناجية بن كعب الأسدي عن علي بن أبي طالب. وناجية هو بن كعب الأسدي من الوسطى من التابعين قال ابن معين: صالح، وقال أبو حاتم: شيخ، وقال العجيلي وابن حبان: ثقة، وانظر **تهذيب** ج١٠ ص٣٩٩ **وتقريب التهذيب** ج٢ ص٢٩٤ **والكاشف** ج٣ ص١٩٥ **وتاريخ البخاري الكبير** ج٨ ص١٠٧ **والجرح والتعديل** ج٨ ص٢٢٢٣ **وميزان الاعتدال** ج٤ ص٢٣٩ **ولسان الميزان** ج٧ ص٤٠٧ **ومعرفة الثقات** ص١٨٣٠.

(٢) وهذا ما مال إليه المناوي في التعاريف قائلا: الجحد إنكار ما سبق له وجود وهو خلاف النفي إذ هو إنكار نفس وجود المدعي وقال الراغب الجحود نفي ما في القلب ثباته أو إثبات ما في القلب نفيه، انظر المناوي في **التوقيف على مهمات التعاريف**، ط١، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤١٠هـ)، تحقيق د. محمد رضوان الداية، ص٢٣٢.

(٣) كذا في الأصل (أ) وفي النسخ الجديدة وفي الأصل :(ب) [يكذبون] بدون كاف المخاطب.

(٤) سقط ما بين القوسين في الأصل (أ،ب).

(٥) سورة الصافات، الآية:١٧١-١٧٢.

(٦) سورة المجادلة، الآية:٢١.

والفاعل محذوف يعلم من السياق قدره المفسر بقوله ما يسكن به قلبك، وقوله (من نبإ المرسلين) بيان للمحذوف، ويحتمل أن من زائدة على مذهب الأخفش[1] ونبإ المرسلين فاعل، ويحتمل أن من اسم بمعنى بعض هي الفاعل، والمعنى ولقد جائك بعض أخبار المرسلين الذين كذبوا [و][2] أوذوا فصبروا، فتسل ولا تحزن فإن الله نصرك كما نصرهم.

قوله: ﴿وإن كان كبر عليك إعراضهم﴾ سبب نزولها: أن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف جاء رسول[3] الله -ﷺ- في نفر من قريش، فقالوا يا محمد ائتنا بآية من عند الله كما كانت الأنبياء تفعل فإنا نصدقك، فأبى الله أن يأتيهم بآية مما اقترحوا فأعرضوا عنه، فشك ذلك عليه لما أنه شديد الحرص على إيمان قومه، فكان إذا سألوه آية يود أن ينزلها الله طمعا لإيمانهم فنزلت.[4] وإن حرف شرط، وكان فعل ماض فعل الشرط، واسمها ضمير الشأن، وكبر فعل ماض، وإعراضهم فاعله، والجملة خبر كان، والأقرب أن إعراضهم اسم كان مؤخر[5]، وجملة كبر خبرها مقدما، وفاعل كبر ضمير يعود

---

(١) الأخفش هو: العلامة النحوي، أبو الحسن، علي بن سليمان بن الفضل البغدادي. وهذا الأخفش كان ضعيف البصر مع صغر العين، لازم ثعلبا والمبرد، وبرع في العربية وما أظنه صنف شيئا وهذا هو الأخفش الصغير روى عنه: المعافى الجريري، والمرزباني، وغيرهما، وكان موثقا، وكان بينه وبين ابن الرومي وحشة، فلابن الرومي فيه هجو في مواضع من ديوانه وكان هو يعبث بابن الرومي، ويمر ببابه فيقول كلاما يتطير منهابن الرومي، ولا يخرج يومئذ، وقد سار الأخفش إلى مصر سنة سبع وثمانين ومائتين، فأقام إلى سنة ست وثلاثمائة، وقدم إلى حلب، وغيره أوسع في الآداب منه، قال ثابت بن سنان: كان يواصل المقام عند ابن مقلة قبل الوزارة، فشفع له عند ابن عيسى الوزير في تقرير رزق، فانتهره الوزير انتهارا شديدا فتألم ابن مقلة، ثم آل الحال بالأخفش إلى أن أكل السلجم نيئا. مات فجأة في شعبان لسنة خمس عشرة وثلاثمائة وقيل: سنة ست عشرة وكان بدمشق – قبل الثلاثمائة – الأخفش المقرئ صاحب ابن ذكوان وكان في أيام المأمون الأخفش الأوسط، شيخ العربية، وهو أبو الحسن سعيد بن مسعدة صاحب سيبويه. وكان الأخفش الكبير في دولة الرشيد، أخذ عنه: سيبويه، وأبو عبيدة، وهو أبو الخطاب، عبد الحميد بن عبد المجيد الهجري اللغوي. انظر: **سير أعلام النبلاء**، ج١٤ ص٤٨١-٤٨٢.

(٢) سقط ما بين القوسين في النسخ الجديدة.

(٣) كذا في النسخ الجديدة وفي الأصل (أ – ب) [لرسول الله].

(٤) ذكره الخازن في تفسيره **لباب التأويل في معاني التنزيل** ج٢ ص٣٨٥ ونسبه لابن الجوزي، وذكره الرازي **في تفسيره** ج١٢ ص١٧١ عن ابن عباس، والألوسي في **روح المعاني** ج٥ ص٣٠٠، وأبو السعود العمادي في **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم** ج٢ ص٣٥٦ كلهم بغير إسناد.

(٥) كذا في الأصل (أ-ب) وفي النسخ الجديدة [مؤخرا] وهو خطأ.

على إعراضهم، وهو وإن كان مؤخرا لفظا إلا أنه مقدم رتبة. قوله: ﴿فإن استطعت﴾ هذه الجملة شرطية، وجوابها محذوف تقديره فافعل، والشرط وجوابه جواب الشرط الأول، ومنه النافقاء أحد أبواب حجرة اليربوع، وذلك أن اليربوع يحفر في الأرض سربا ويجعل له بابين أو ثلاثة، النافقاء والقاصعاء والرمياء،(١) ثم يدقق بالحفرة ما يقارب وجه الأرض، فإذا نابه أمر، دفع تلك القشرة الدقيقة وخرج. والمعنى إن شئت أن تتخيل على إتيان آية لقومك على طبق ما اقترحوا فافعل، وهذا عتاب لرسول الله على العلق بإيمانهم، وترق له إلى المقام الأكمل الذي هو التسليم.(٢) قوله: ﴿فتأتيهم بئاية﴾ أي من تحت الأرض أو من فوق السماء. قوله: [هدايتهم] أي جمعهم على الهدى. قوله: [ولكن لم يشأ ذلك] هذا استثناء نقيض المقدم، فينتج نقيض التالي إن كان بينهما تساو كما هنا، نظير لو كانت الشمس طالعة كان النهار موجودا، وقد أشار لمعنى النتيجة بقوله فلم يؤمنوا، وإلا فالنتيجة فلم يجمعهم على الهدى. قوله: ﴿فلا تكونن من الجاهلين﴾ أي الذين لا تسليم لهم، فلا تتعب نفسك في تطلب ما اقترحوه فإنهم لا يؤمنون.

قوله: ﴿إنما يستجيب الذين يسمعون﴾ هذا من جملة التسلية لرسول الله، والمعنى لا تحزن على عدم إيمانهم، فإنما يستجيب لك ويمتثل أمرك، ويقبل المواعظ الذين يسمعون سماع قبول، والذين لايسمعون يبعثهم الله فيجازيهم على ما صدر منهم، فللنار أهل، وللجنة أهل، فمن خلق الله فيه الهدى انتفع بالمواعظ وآمن، ومن خلق فيه الضلال فلا تزيده المواعظ والآيات إلا ضلالا،(٣) وهذه الآية في

---

(١) وذكر بعضهم أربعة وهي : النَّافِقَاء، والرَّاهِطاء، والدَّامَاء، والقَاصِعَاء، جحرة اليربوع، إذ أخذ عليه منها واحد خرج من الآخر. ينظر ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم في **أدب الكتاب**، ص٣٧.

(٢)كذ في الأصل (أ-ب) وزيد في النسخ الجديدة [له].

(٣) وهذا هو ما اعتقد به أهل السنة والجماعة ويقولون: إن على العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه في كل كائن من خلقه، فقدر ذلك تقديرا محكما مبرما، ليس فيه ناقض ولا معقب، ولا مزيل، ولا مغير، ولا زائد ولا ناقص من خلقه، في سماواته وأرضه، وأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأن للعبد مشيئة وإرادة تحت مشيئة الله وإرادته ﴿وَمَا تَشَاءونَ إِلاَّ أَن يَشَاء ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة التكوير، الآية:٢٩]. وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ شىْء أَحْصَيْنَٰهُ فِى إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة يس، الآية:١٢]. وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْء خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [سورة القمر، الآية:٤٩]. وقال - ﷺ -: "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة". انظر: صحيح مسلم، كتاب القدر، باب حجَاجِ آدم وموسى -عليهما السلام-، ج٨ ص٤٤ برقم٦٩١٩.

الحقيقة استدراك على قوله: ﴿ولو شآء الله لجمعهم على الهدى﴾ والمعنى لم يشأ جمعهم على الهدى، بل قسم الخلق قسمين : قسم للجنة، وقسم للنار. قوله: [دعاءك إلى الإيمان] هذا هو مفعول يستجيب، والسين والتاء لتأكيد الإجابة، والمراد بالذبن يسمعون من سبقت لهم السعادة في الأزل، فما يظهر منهم من الإيمان هو على طبق ما سبق. قوله: [أي الكفار] أشار بذلك على أن قوله: ﴿والموتى﴾ مقابل قوله: ﴿الذين يسمعون﴾. قوله: ﴿يبعثهم الله﴾ أي يحييهم، وقوله: [في الآخرة] إشارة للحشر، أن المراد بالبعث الإحياء بعد الموت، وهذا هو الأقرب، وقيل معنى يبعثهم يحيي قلوبهم بالإيمان، فهو بشارة لرسول الله بأن أعداءه يؤمنون، ولكن يرده الحصر المتقدم، وأيضا من آمن فهو داخل في قوله الذين يسمعون.

قوله [بأعمالهم] الباء سببية أو بمعنى على، والمراد بالأعمال الكفر والمعاصي، وقوله: ﴿ثم إليه يرجعون﴾ أي يوقفون للحساب والجزاء، وأما البعث فهو الإحياء بعد الموت فتغايرا.

قوله: ﴿وقالوا﴾ هذا إنكار منهم لما جاء به من المعجزات الباهرة، حيث جعلوا ما جاء به سحرا وكهانة وطلبوا غيره. قوله: [كالناقة والعصا] أي والنار لإبراهيم، وإلانة الحديد لداود، وغير ذلك من معجزات الأنبياء الظاهرة، فنزلوا معجزاته -ﷺ- منزلة العدم، حتى طلبوا معجزة على صدقه، ولكنهم من عَمْي قلوبهم، لم يفرقوا بين معجزاته ومعجزات غيره، فإن معجزاته أعلى وأجل، قال العارف البرعي(١):

وإن قابلت لفظه لن تراني ۞۞ بما كذب الفؤاد فهمت معنى(٢)

وقال أيضا:

وإن يكن خاطب الأموات عيسى ۞۞ فإن الجذع حنَّ(١) له وأنا(٢)

---

(١) هو عبد الرحيم بن علي البرعي اليماني، شاعر متصوف من سكان (النيابتين) في اليمن، والبرعي نسبة إلى برع وهو جبل بتهامة، أخذ في النحو والفقه على جماعة من علماء عصره حتى تأهل للتدريس وتاتيه الطلبة من أماكن شتى فدرس وأفتى واشتهر بالعلم والشعر وله مدائح كثيرة في النبي -ﷺ- وديوان شعره مشهور، وعليه مات سنة ٧٠٣. انظر الزركلي في **الإعلام** ج٣ ص٣٤٣، والسخاوي في **الضوء اللامع**، ج٢ ص١٣٤.

(٢) وهذا البيت من ضمن الأبيات التي تخالف نصوص الشريعة، ذلك بأن مبنى هذا الكلام على أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعيني رأسه في رحلة المعراج، وفي هذا نزاع مشهور بين أهل العلم ابتداءً في ما هو المرئي، أهو الله تعالى أم جبريل عليه السلام، ثم هل رأى ما رآه بفؤاده أم بعينه. فقد روى مسلم عن ابن عباس قال: رآه بقلبه.

إلى آخر ما قال.

قوله: [بالتشديد والتخفيف] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [أن نزولها الخ] هذه الجملة في محل نصبمفعول يعلمون. قوله: [بلاء عليهم] أي لعدم إيمانهم وانتفاعهم بها. قوله: [لوجوب هلاكهم] أي بحسب جري عادة الله، بأن من اقترح آية وجاءته ولم يؤمن بها أهلكه الله، فعدم إجابتهم لما اقترحوا رحمة بالأمة المحمدية جميعا لأن الله من على نبيه ببقائها إلى يوم القيامة، ولو أجاب المتعنتين بعين ما طلبوا، لانقرضت الأمة كما انقرض من تعنتت قبلهم.

قوله: ﴿وما من دابة﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان كمال قدرته تعالى وسعة علمه وتدبيره. قوله: [تمشي] قدره خاصا لدلالة مقابله وهو قوله يطير عليه، قال العلماء: جميع ما خلقه الله عز وجل لا يخرج عن المشي والطيران، وألحقوا حيوان البحر بالطير لأنه يسبح في الماء، كما أن الطير يسبح في الهواء. قوله: ﴿وفي الأرض﴾ خصها بالذكر لأن المشاهد أقطع لحجة الخصم، وإلا فسكان السماء كذلك. قوله: ﴿بجناحيه﴾ صفة كاشفة، نظير قوله: نظرت بعيني وسمعت بأذني. قوله: ﴿إلا أمم﴾ أي طوائف وجماعات أمثالكم، أي كل نوع على صفة وطريقة وشكل كما أنكم كذلك، فمن الدواب العزيز والذليل والمرزوق بسهولة وبتعب والقوي والضعيف والكبير والصغير والمتحيل في الرزق وغير المتحيل كبني آدم.

قوله: [في تدبير خلقها] أي وتصريفه فيها في كل لحظة، بجلب المنافع لها، ودفع المضار عنها، ولطفه بها، فلا يشغله شأن عن شأن، قال تعالى: ﴿ما خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (٣). قوله: [وأحوالها] أي من إحيائها وإماتتها وإعزازها وإذلالها ونحو ذلك، وكذلك تعرف ربها وتوحده، كما أنتم

---

(١) كذا في الأصل (أ) و (ب) وفي النسخ الجديدة [حق] وهو خطأ.

(٢) وقوله هذا حسن جيد وهو ما عليه أهل السنة والجماعة ولم يدخل تحت نهيه عن التفضيل بين الأنبياء والرسل الذي في قوله: -ﷺ-: "لا تخيروا بين الأنبياء" وهذا النهي إنما يكون ما إذا فُضِّل من غير تعيين. و لا خلاف بين العلماء في أن الأنبياء درجات وأن بعضهم أفضل من بعض؛ لقول الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٥٥]. وقوله: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٥٣]. وقول النبي -ﷺ-: "أنا سيد الناس يوم القيامة". انظر:صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا﴾، ج١٥ ص٣٧٨ برقم٤٤٣٥، وصحيح مسلم المقدمة، باب أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا، ج١ ص١٢٧ برقم٥٠١.

(٣) سورة لقمان، الآية: ٢٨.

تعرفون [ربكم][1] وتوحدونه، ولم يوجد كافر إلا من الجن والآدميين، وإلا فجميع المخلوقات عقلاء، وغيرهم مجبولون على التوحيد، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ﴾[2] وإنما كفر من كفر من الجن والإنس عنادا. قوله: [اللوح المحفوظ] أي من الشيطان، ومن التغيير والتبديل، وهو من درة بيضآء فوق السماء السابعة، طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق والمغرب[3]، فحيث أريد بالكتاب اللوح المحفوظ، فالعموم ظاهر، فإن فيه تبيان كل شيء ما كان وما يكون وما هو كائن، وقيل المراد بالكتاب القرآن، وعليه فالمراد بقوله: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ أي يحتاج[4] إليه الخلق في أمورهم. قوله: ﴿ثم إلى ربهم يحشرون﴾ أي يجمعون، وهذا بيان لأحوالهم في الآخرة إثر بيان أحوالهم في الدنيا. قوله [فيقضي بينهم] أي الأمم عقلاء أو غيرهم[5]. قوله [للجماء] أي وهي معدومة القرون، وهذا كله لإظهار العدل، فحيث لم يترك غير العقلاء فكيف بالعقلاء، فلا بد من الحشر والحساب والجزاء، إما بالعدل وإما بالفضل.

قوله: ﴿والذين كذبوا بآياتنا﴾ أي أعرضوا عنها ولم يؤمنوا بها. قوله: ﴿في الظلمات﴾ هو معنى قوله في الآية الأخرى، عمي فهم صم القلوب عميها بكمها، فلا يتأتى منهم انتفاع ولا اعتبار، ولا يصل إليهم نور أبدا. قوله [الكفر] أي فهو ظلمات معنوية، كما أن الكافر كذلك. قوله: ﴿ من يشإ الله يضلله﴾ هذا دليل لما قبله، ومفعول يشأ في كل محذوف قدره المفسر بقوله إضلاله وبقوله هدايته، والمعنى أن الإضلال والاهتداء بتقدير الله، فمن أراد الله هدايته، سهل له أسبابها، وجعله منهمكا في طاعته، وإن وقعت منه معصية وفق للتوبة منها، ومن أراد الله إضلاله، حجبه عن نوره، وتعسرت عليه

---

(١) أبدل ما بين القوين بالضمير الغائب في النسخ الجديدة بقولهم [تعرفونه].

(٢) سورة الإسراء، الآية:٤٤.

(٣)كذا أخرج الطبراني في **المعجم الكبير** ج٣ ص١٦٥، من حديث ابن عباس- رضي اللَّه عنهما- قال :إن اللَّه خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء ، دفّتاه من ياقوتةٍ حمراء، قلمه نور، وكتابه نورٌ، عرضه ما بين السّماء والأرض، ينظر فيه كلّ يومٍ ثلاثمائةٍ وستين نظرة، ففي كلّ نظرةٍ منها يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء ، فذلك قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [سورة الرحمن، الآية: ٢٩] .

(٤) كذا في الأصل (أ) و (ب) وفي النسخ الجديدة [ويحتاج].

(٥) هذا ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة لما روى البخاري في الأدب **المفرد** ص٧٢، عن أبي هريرة عن النبي -ﷺ- قال: "لتؤدن الحقوق إلى أهلها حتى يقاد للشاة الجماء من الشاة القرناء " وصحيح الألباني رحمه الله في **السلسلة الصحيحة** برقم (١٥٨٨).

أسباب الطاعة، تكون معلولة غير مقبولة، وما في هذه الآية هو معنى قوله تعالى في الآية الأخرى ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ﴾ (١).

(قل) [يا محمد] أي على سبيل التخويف والتوبيخ على الكفر بالله. قوله [أخبروني] هكذا فسرت الرؤية في هذه الآية ونظائرها بالإخبار، والأصل في الرؤية العلم أو الإبصار، فأطلق العلم أو الإبصار، وأريد لازمه وهو الإخبار، لأن الإنسان لا يخبر إلا بما علمه أو أبصره، واستعملت الهمزة التي هي في الأصل لطلب العلم أو الإبصار في طلب الإخبار ففيه مجازان، ورای فعل ماض، والتاء فاعل، والكاف مفعول أول على حذف مضاف، والجملة الإستفهامية في محل المفعول الثاني، والتقدير أرايتم عبادتكم غير الله هل تنفعكم، والمعنى أخبروني يا أهل مكة، إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة بسرعة، أتدعون إلها غير الله يكشف عنكم ما نزل بكم، وجواب الإستفهام لا يدعون غير الله، فإذا كان كذلك فهو أحق بأن يفرد بالعبادة.

قوله: ﴿إن أتاكم﴾ جواب الشرط محذوف تقديره فمن تدعون. قوله: [في الدنيا] أي كالصاعقة والصيحة. قوله [المشتملة] أي على العذاب، لأن الكافر لا يشاهد من حين موته إلا العذاب الدائم، وأسهله خروج الروح. قوله: [بغتة] أي سرعة(٢). قوله: ﴿أغير الله﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري وغير معمول لتدعون وهو صفة لموصمف محذوف والتقدير أتدعون إلها غير الله. قوله: [فادعوها] قدرة إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف.

قوله: ﴿بل إياه﴾ اضراب انتقالي عن النفي الذي علم من الإستفهام. قوله: [في الشدائد] أي كالمرض والفقر وغير ذلك. قوله: ﴿إن يشأ﴾ جوابه محذوف لفهم المعنى ودلالة ما قبله عليه، أي إن شاء أن يكشفه كشفه، وإن لم يشأ كشفه فلا يكشفه، فليست إجابة الدعاء وعدا لا يخلف، وهذا مخصوص بدعاء الكفار، وأما دعاء المؤمنين فهو مجاب بالوعد الذي لا يخلف، لكن على ما يريد الله،

---

(١) سورة الأنعام، الآية:١٢٥.

(٢) قلت: فالصحيح أن يقول: فجأة لأن السرعة لا يصح تفسير المباغتة بها إذ أن المباغة لا تكون إلا بدون شعور وأما السرعة قد تكون بشعور وبدونه، وذهب جمهور المفسرين بتفسير البغتة بالفجأة كما في **الصحاح للجوهري**: ص ٤٨ بَغَتَهُ، أي فاجأهُ. ولقيته بَغْتَةً، أي فجأة. والمباغَتَةُ: المفاجأة. ويقال: لستُ آمَنُ بَغَتاتِ العدو، أي فَجآتِه.

إما بعين المطلوب أو بغيره، فلا منافاة بين ما هنا وبين قوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [1]. وقوله: [وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ] أي حين نزول الشدائد بهم لا يلتفتون إلى أصنامهم، بل لا يدعون إلا الله.

قوله: ﴿ولقد أرسلنا﴾ هذا تسلية لرسول الله -ﷺ-. قوله: [فكذبوك] قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿فأخذهم﴾ مرتب على محذوف. قوله: ﴿يتضرعون﴾ من التضرع وهو التذلل والخضوع. قوله: [فهلا] أشار بذلك إلى أن التحضيض بمعنى النفي. قوله: [مع قيام المقتضى له] أي وهو البأساء والضراء.

قوله: ﴿ولكن قست قلوبهم﴾ أي يقع منهم تضرع ولا خضوع، بل ظهر منهم خلاف ذلك بسبب قسوة قلوبهم. قوله: [فلم تلن الإيمان] أشار بذلك إلى أن القسوة نشأ عنها الكفر، كما أن التضرع ينشأ عنه الإيمان. قوله: ﴿وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون﴾ أي الذي كانوا يعملونه أو عملهم. قوله: [فأصروا عليها] أي على المعاصي، ولم يتعظوا بما نزل بهم من البأساء والضراء. قوله: [بالتخفيف والتشديد] أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿حتى إذا فرحوا﴾ غاية للفتح، والمعنى أن من خالف أمر الله وطغى يستدرجه الله بالنعم ويمده بالعطايا الدنيوية، فإذا فرح بذلك كان عاقبة أمره أخذه أخذ عزيز مقتدر. قوله: ﴿فإذا هم مبلسون﴾ إذا فجائية أي فاجأهم الإبلاس بمعنى اليأس من كل خير.

قوله: ﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا﴾ الدابر التابع من خلف، يقال دبر الولد، والده، ودبر فلان القوم، تبعهم، فمعنى دابرهم آخرهم، وهو كناية عن الإستئصال، فلذلك قال بأن استؤصلوا ، أي فلم يبق منهم أحد. قوله: ﴿والحمد لله رب العالمين﴾ هذا حمد من اللهلنفسه على هلاك الكفار ونصر الرسل، وفيه تعليم للمؤمنين أنهم يشكرون الله على ذلك، إذ هو نعمة عظيمة.

قوله: ﴿قل أرءيتم﴾ هذا تنزل من الله سبحانه وتعالى لكفار مكة لإقامة الحجة عليهم قبل أخذهم. قوله: [أخبروني] تقدم أن استعمال رأي في الإخبار مجاز، وأصل استعمالها في العلم أو في الإبصار، وتقدم أنها تطلب مفعولين: الأول محذوف لدلالة [مفعولي][2] أخذ وهو سمعكم وأبصاركم عليه، فهو من باب التنازع أعمل الثاني وأضمر في الأول وحذف لأنه فضلة، والمفعول الثاني هو قوله:

---

(١) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٢) وفي الأصل (أ) و (ب) [مفعول].

﴿من إله غير الله﴾ الخ. قوله: ﴿سمعكم﴾ أفرده وجمع ما بعده، لأن السمع مصدر لا يثنى ولا يجمع كما تقدم في البقرة. قوله: ﴿وختم على قلوبكم﴾ المراد بالقلوب العقول أي أذهب عقولكم وصيركم كالبهائم فلا تعقلون شيئا.

قوله: [بما أخذه] أشار بذلك إلى أنه أفرد باعتبار ما ذكر، والمعنى من إله غير الله بزعمكم[١] يأتيكم بأي أحد مما أخذ منكم. قوله: [بزعمكم] متعلق بقوله من إله غير الله فالمناسب تقديمه. قوله: ﴿انظر كيف نصرف الآيات﴾ هذا تعجيب لرسول الله من عدم اعتبارهم بتلك الآيات الباهرة وكيف منصوب على التشبيه بالحال، والمعنى انظر يا محمد تصريفنا الآيات على أي كيفية.

قوله: ﴿أرأيتكم﴾ أي أخبروني، والمفعول الأول الكاف على حذف مضاف أي أنفسكم، والمفعول الثاني جملة الإستفهام. قوله: ﴿عذاب الله﴾ أي كالصيحة والصواعق. قوله: [ليلا أو نهارا] لف ونشر مرتب، وهذا التفسير لابن عباس[٢]، وقيل: البغة الذي يأتي من غير سبق علامة، والجهر الذي يأتي من سبق علامة كان كل بالليل أو النهار[٣]. قوله: [الكافرون] أشار بذلك إلى أن المراد هلاك سخط وغضب، فاندفع ما يقال إن المصيبة إذا أتت فلا تخص الكافر بل تعم الطائع، فالجواب أن هلاك الكفار سخط وغضب، وهلاك المؤمن إثابة ورفع درجات، والاستثناء مفرغ، والاستفهام إنكاري بمعنى النفي كما أشار له المفسر.

قوله: ﴿وما نرسل المرسلين﴾ هذا بيان لوظائف المرسلين، والمعنى أن المرسلين منصبهم البشارة لمن آمن، والنذارة لمن كفر، وليس قادرين على إيجاد نفع أو ضر، وإنما جعلهم الله سببا لذلك. قوله: [في

---

(١) وفي النسخ الجديدة [يزعمكم] وهذا لامعنى له.

(٢) وهذا مروي عن ابن عباس والحسن ابن أبي الحسن ، انظر الثعالبي أبو زيد المالكي في تفسيره **الجواهر الحسان في تفسير القرآن** ج٢ ص٤٦٦، دار التراث العربي – بيروت الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م. والبغوي في **تفسيره** ج٢ ص٩٨، وابن عطية في **تفسيره** ج٢ ص٢٩٣، والرازي في **تفسيره** ج١٢ ص١٨٩، **والوجيز** ج١ ص٢٤٠ والخازن في **تفسيره** ج٢ ص١١١، والزمخشري في **الكشاف** ج٢ ص٢٤، والبيضاوي في **تفسيره** ج١ ص١٣٨.

(٣) انظر ابن عادل الدمشقي في تفسيره اللباب في علوم القرآن ج٨ ص١٥٤–١٥٥.

الآخرة] احتراس[1] لبيان أن عدم الخوف والحزن هو في الآخرة فقط، وأما الدنيا فهي محل الخوف والحزن لأنها سجن المؤمن[2].

قوله: ﴿والذين كذبوا﴾ مقابل قوله فمن آمن كأنه قال فالذين آمنوا وأصلحوا الخ، وهذا يؤيد أن من موصولة. قوله: ﴿بما كانوا يفسقون﴾ الباء سببية وما مصدرية، أي بسبب فسقهم، والفسق الخروج عن الطاعة كلا أو بعضا، فالكافر فاسق لخروجه عن طاعة الله بالكلية.

قوله: ﴿قل لا أقول لكم﴾ هذا مرتب على قوله: ﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين﴾ كأنه قال ليس على الرسول إلا البشارة والنذارة، ليس من وظيفتهم إجابتهم عما سألوه عنه ولا فعل ما طلبوه منه لأنه ليس عنده خزائن الله الخ. قوله: ﴿خزائن الله﴾ أي لا أدعي أن مقدرات الله من أرزاق وغيرها مفوضة إلي حتى تطلبوا مني قلب الجبال ذهبا[3] وغير ذلك.

قوله: ﴿ولا أعلم الغيب﴾ أي ما غاب عني من أفعال الله حتى تسألوني عن وقت الساعة أو وقت نزول العذاب. قوله: ﴿ولا أقول لكم إني ملك﴾ أي حتى تكلفوني بصفات الملآئكة، كالصعود للسماء، وعدم المشي في الأسواق، وعدم الأكل والشرب، وهذه الآية نزلت حين قالوا له: إن كنت رسولا فاطلب منه أن يوسع علينا ويغني فقرنا، فأخبر أن ذلك بيد الله لا بيده بقوله: ﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله﴾، وقالوا له أيضا: أخبرنا بمصالحنا ومضارنا في المستقبل حتى نتهيأ لذلك، فنحصل

---

(١)كذا في الأصل (أ) و (ب) وفي النسخ الجديدة [احتراز] وهو خطأ لأن الاحتراس غير الاحتراز في مثل هذا الموضع.

(٢) كما في صحيح مسلم مِنْ حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ" (كتاب الزهد حديث برقم ٢٩٥٦، ج٤ ص٥٦٩).

(٣) هذا خبر غير ثابت عن النبي -ﷺ- غير أن أكثر المفسرين يشيرون إليه عند تفسير هذه الآية وهو مخرج عند الطبراني في المعجم الكبير ج ٨ ص٢١٨ الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ – ١٩٨٣ مكتبة العلوم والحكم – الموصل بتحقيق حمدي بن عبدالمجيد السلفي من حديث أبي أمامة أن ثعلبة بن حاطب الأنصاري : أتى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال يا رسول الله أدع الله أن يرزقني الله قال : ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم رجع إليه فقال : يا رسول الله أدع الله أن يرزقني مالا قال ويحك يا ثعلبة أما تريد أن تكون مثل رسول الله -ﷺ-؟ والله لو سألت أن يسيل لي الجبال ذهبا وفضة لسالت..." وأخرجه البغوى فى تفسيره (٣١٢/٢) ، وابن قانع في معجم الصحابة (ج١ ص١٢٤)، والبيهقى أبو بكر أحمد بن الحسين فى شعب الإيمان (ج٤ ص٧٩ ، رقم ٤٣٥٧) دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ، ١٤١٠ بتحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول. قال الهيثمى (٣٢/٧) : فيه على بن يزيد الألهانى، وهو متروك .

المصالح وندفع[1] المضار، فقال لهم: ولا أعلم الغيب فأخبركم بما تريدون، وقالوا له: ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ويتزوج النساء، فقال لهم: ولا أقول لكم إني ملك. قوله: ﴿أفلا تتفكرون﴾ الهمزة داخلة على المحذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير ألا تسمعون فلا تتفكرون. قوله: [فتؤمنون] معطوف على تتفكرون وليس جوابا للنفي وإلا لنصب.

قوله: ﴿وأنذر به الذين يخافون﴾ محط الأمر قوله لعلهم يتقون، والمعنى أن إنذارك لا ينفع إلا المؤمن العاصي الخائف، وأما الكافر المعاند فلا ينفع فيه [إلا][2] الإنذار، فلا ينافي أنه مأمور بإنذار كل مخالف أفاد الإنذار أولا، وإنما ذلك بيان للذين ينفع فيهم الإنذار. قوله: [والمراد بهم] أي بالذين يخافون. قوله: ﴿ولا تطرد الذين يدعون﴾ أي لا تبعدهم عن مجلسك ولا عن القرب منك. قوله: ﴿يدعون﴾ أي يعبدون. قوله: ﴿بالغداة والعشي﴾ خص هذين الوقتين لأن في الأول صلاة الصبح وفي الثاني صلاة العصر، وقد قيل إن كلا هي الصلاة الوسطى. قوله: [لأشياء]مفعول لمحذوف تقديره لا يريدون شيئا. قوله: [من أعرض الدنيا] يصح ضبطه بالعين المهملة وبالغين المعجمة، والثاني أولى لشموله للأموال وغيرها. قوله: [وهم الفقراء] أي كعمار بن ياسر وبلال وصهيب[3]. قوله: [وكان المشركون طعنوا فيهم]

---

(١) وفي الأصل [أ_ب] [وتدفع] وأثبتنا بالنون كما في النسخ الجديدة ليوافق الفعل الذي قبله.

(٢) لم يكن موجودا ما بين القوسين في الأصل [ب] وهو ثابت في الأصل [أ] وفي النسخ الجديدة.

(٣) فهؤلآء هم الفقراء المشهورين بالفقر في صحبته صلى الله عليه وسلم، وأما عمار بن ياسر فهو رضي الله عنه مولى لبني مخزوم، أسلم هو وأبوه وأمه، فكان المشركون . وعلى رأسهم أبو جهل . يخرجونهم إلى الأبطح إذا حميت الرمضاء فيعذبونهم بحرها . ومر بهم النبي صلى الله عليه وسلم وهم يعذبون فقال : (صبرًا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة) [سيرة ابن هشام: ١ / ٣٤٢، وذكره البرهان الفودي في كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ٥٢٨/١٣ برقم ٣٧٣٦٦] فمات ياسر في العذاب، وطعن أبو جهل سمية . أم عمار . في قبلها بحربة فماتت، وهي أول شهيدة في الإسلام.

وصهيب هو بن سنان الرومى رضي الله عنه قال : لما أسلم عمر ظهر الإسلام، ودعى إليه علانية، وجلسنا حول البيت حلقًا، وطفنا بالبيت، وانتصفنا ممن غلظ علينا، ورددنا عليه بعض ما يأتى به وفيه نزل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾ [الْبَقَرَةُ ٢٠٧] ذلك حين هاجر ، وترك جميع ماله لقريش ويدعونه يهاجر بنفسه إلى اللّه ورسوله.

وبلال هو مؤلَى أبي بكر رَضِي اللّه عنهمَا ، وهو بلَال بن رباح، وَكان اسْمُ أُمّهِ حمامة وَكان صادق الإسلام طاهر القلب وَكان أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع عَلَى صدره ثم يقول له: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللّات والعُزّى ؛ فيقول وهو فِي ذلك البلَاءِ: أَحَدٌ أَحَدٌ . حَتّى مَرّ بِهِ أَبُو بَكْرٍ الصّدّيقُ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ – رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ – يَوْمًا ، وَهُمْ يَصْنَعُونَ ذَلِكَ بِهِ وَكَانَتْ دَارُ أَبِي بَكْرٍ فِي بَنِي جُمَحَ فاشتراه

هذا إشارة لسبب نزولها. وحاصله كما قال الحازن: إنه جاء الأقرع بن حابس التيمي، وعتبة بن حصين الفزاري، وعباس بن مرداس، وهم من المؤلفة قلوبهم، فوجدوا النبي جالسا -ﷺ- مع ناس من ضعفاء المؤمنين، كعمار بن ياسر وصهيب وبلال ، فلما رأوهم حوله حقروهم وقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر المسجد وأبعدت عنا هولاء ورائحة جبابهم، وكانوا عليهم جبب من صوف [و](١) لها رائحة كريحة لمداومة لبسها لعدم غيرها، لجالسناك وأخذنا عنك، فقال النبي الأعبد -ﷺ- ما أنا بطارد المؤمنين، قالوا فإنا نحب أن تجعل لنا مجلسا [منك](٢) تعرف به العرب فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك فنستحيي أن ترانا مع هؤلاء الأعبد، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت، قال نعم، قالو فاكتب لنا عليك بذلك كتابا، فأتى بالصحيفة فدعا عليا ليكتب، فنزل جبريل بقوله: ﴿ولا تطرد الذين [يدعون ربهم الخ](٣)﴾ الآية، فألقى رسول الله -ﷺ- الصحيفة ثم دعانا وهو يقول: سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة، فكنا نقعد معه، وإذا أراد أن يقوم قام وتركنا، فأنزل الله: ﴿واصبر نفسك﴾(٤)، فكان يقعد معنا بعد ذلك وندنو منه، حتى كادت ركبنا تمس ركبته، فإذا بلغ الساعة التي يريد أن يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم اهـ.(٥)

فأعتقه. انظر ابن الأثير في أسد الغابة ٢٦/٢، والذهبي في السير ١٤٥/١، والمباركفوري الرحيق المختوم ص ١٠٨، و الصلابي في السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ج١ ص ١٢٦.

(١) سقط ما بين القوسين في الأصل [ب] وذكر الخازن الحديث بغيره وكذا الأصل [أ] والنسخ الجديدة، وهي ثابتة في المصادر الحديثية الأصيلة.

(٢) سقط ما بين القوسين في الأصل [أ] وفي النسخ الجديدة وهو ثابت في أصل الحديث.

(٣) لم يكن ما بين القوسين في الأصل [ب] وفي النسخ الجديدة .

(٤) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره ج١١ ص٣٧٧، وابن ماجه في السنن كتاب الزهد، باب مجالسة الفقراء، برقم٤١٢٧، ج٢ ص٣٨٢-٣٨٣.

وقد روى مسلم والنسائي بعضه من حديث سعد. وانظر صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، رقم (٢٤١٣) ج٤ ص١٨٨٧. وساقه ابن كثير في تفسيره ج٢ ص١٢٦ وقال : "هذا حديث غريب فإن هذه الآية مكية والأقرع بن حابس وعتبة إنما أسلما بعد الهجرة بدهر" ولا اعتقد غرابة في هذا، فإنه من الممكن أن نقول إن الأقرع وعتبة لم يكونا من المسلمين عندما قالا ذلك".

قوله: ﴿ما عليك من حسابهم من شيء﴾ هذا كالتعليل لما قبله، والمعنى لا تؤاخذ بذنوبهم ولا بما في قلوبهم إن أرادوا بصحبتك غير وجه الله، وهذا على فرض تسليم ما قاله المشركون، وإلا فقد شهد الله أولا بالإخلاص، وما نافية مهملة، وعليك جار ومجرور خبر مقدم، وشيء مبتدأ مؤخر، ومن صلة، ومن حسابهم متعلق بمحذوف حال، وهذا نظير قوله في الآية الأخرى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾[1]. قوله ﴿وما من حسابك عليهم من شيء﴾ يقال في إعرابها ما قيل فيما قبلها، إلا أن قوله من حسابك بيان لقوله من شيء وليس حالا، وفي هاتين الجملتين من أنواع البديع رد ال صدر على العجز، كقولهم: عادات السادات سادات العادات والتتميم، وإلا فأصل التعليل قد حصل بالجملة الأولى. قوله [جواب النفي] أي المرتب على النهي، وقوله: ﴿فتكون﴾ معطوفا على قوله: ﴿فتطردهم﴾. قوله: [إن فعلت ذلك] أي طردهم.

قوله: ﴿وكذلك﴾ الكاف في محل نصب نعت لمصدر محذوف،والتقدير ومثل ذلك الفتون المتقدم من أخبار الأمم الماضية فتنا بعض هذه الأمة ببعض. قوله: [والغني بالفقير] أي ففتنة الغني بالفقير لسبق الفقير إلى الإيمان، وفتنة الفقير بالغني زينة الدنيا [التي][2] يتمتع فيها مع كفره. قوله: [بأن قدمناه بالسبق إلى الإيمان] بيان لفتنة الأغنياء بالفقراء. قوله: ﴿ليقولوا﴾ اللام يصح أن تكون لام كي أو لام الصيرورة والعاقبة. قوله [منكرين] أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفيعلى سبيل التهكم. قوله [قال تعالى] أي ردا عليهم. قوله [بلى] جواب الاستفهام التقريري.

قوله: ﴿وإذا جاءك﴾ هذا من تتمة ما نزل في الفقراء. قوله: ﴿الذين يؤمنون﴾ وصفهم أولا بالعبادة وثانيا بالإيمان إظهارا لمزاياهم. قوله: ﴿فقل سلام عليكم﴾ الخ، أي اذكر لهم هذه الآية إلى قوله: ﴿غفور رحيم﴾ في وقت مجيئهم إليك، وهذا السلام يحتمل أنه سلام التحية أمر أن يبدأ به إذا قاموا عليه خصوصية لهم، وإلا فسنة السلام أن تكون أولا من القادم، وعليه فتكون الجملة إنشائية، ويحتمل أنه سلام الله عليهم إكراما لهم أمر بتبليغه لهم، وعليه فتكون الجملة خبرية لفظا ومعنى، وسلام مبتدأ، وعليكم خبره، وسوغ الإبتداء بالنكرة كونه دعاء، والدعاء من المسوغات، قوله: ﴿كتب ربكم﴾ أي ألزم

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٤.

(٢) سقط ما بين القوسين وفي النسخ الجديدة.

نفسه تفضلا منه وإحسانا. قوله: [وفي قراءة بالفتح][1] أي وهي سبعية أيضا، والحاصل أن القراءات ثلاث، فتحهما وكسرهما، وفتح الأولى وكسر الثانية، وكلها سبعية فأما الفتح فيهما فالأولى بدل من الرحمة، والثانية في محل رفع مبتدأ، والخبر محذوف، أي فغفرانه ورحمته حاصلان له، وأما الكسر فيهما فالأولى مستأنفة جيء بها كالتفسير لما قبلها، والثانية مستأنفة أيضا بمعنى أنها في صدر جملة وقعت خبرا لمن الموصولة، وأما على فتح الأولى وكسر الثانية، فالأولى بدل، والثانية استئناف، فتأمل فإنه زبدة احتمالات كثيرة. قوله: [بدل من الرحمة] أي بدل شيء من شيء. قوله: ﴿بجهالة﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من فاعل ﴿عمل﴾، والتقدير عمل سوءا حال كونه جاهلا بما يترتب على معاصيه من العقاب غافلا عن جلال الله، وفيه إشارة إلى أن المؤمن لا يقع منه الذنب إلا في حال جهله وغفلته، وهذه الآية لا تخص الفقراء الذين كانوا في زمنه -ﷺ- بل هي عامة لكل من تاب إلى يوم القيامة، ولعموم بشارتها افتتح بها أبو الحسن الشاذلي[2] حزبه.

قوله: ﴿ولتستبين﴾ معطوف على محذوف قدره المفسر بقوله ليظهر الحق، فطريق الهدى واضحة، لما في الحديث "تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يضل عنها إلا هالك"[3]. قوله: [وفي قراءة بالتحتانية][4] أي ورفع سبيل، فالقراءات ثلاث وكلها سبعية، ففي الفوقانية الرفع والنصب، وفي التحتانية الرفع لا غير. قوله: [خطاب للنبي] أي والمعنى لتعلم سبيلهم فتعاملهم بما يليق بهم.

---

(١) وهي قراءة عاصم ، وابن عَامِر (أَنَّهُ) بفَتْحِ الهَمْزةِ في الأولى والثانيةِ (فأَنَّهُ)، وتوجيهها في قراءة الأولى بدلٌ من (الرحمة)، وفي (أَنَّهُ) الثانية : خبرُ ابتداء مضمرة ، تقديرُهُ : فأمره أنَّه غفورٌ رحيمٌ ، هذا مذهب سيبَوَيْه. وانظر الثعالبي في تفسيره الجواهر الحسان في تفسير القرآن ج ٢ ص٤٧٠.

(٢) هو على بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف أبو الحسن الهذلي الشاذلي – نسبة إلى شاذلة قرية بأفريقيا- ولد في بلاد غمارة بريف المغرب ونشأ في بني زرويل ويسمى الضرير الزاهد، نزيل الأسكندرية، وشيخ الطائفة الشاذلية، وقد انتسب في بعض مصنفاته إلى علي بن أبي طالب، تفقه وتصوف بتونس، وسكن شاذلة قرب تونس وتفنن في علوم كثيرة دخل العراق ثم سكن الإسكندرية وتوفي بصحراء عيذاب في طريقه إلى الحج. انظر الزركلي في الإعلام ج٣ ص ٤٨٥.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه ج٢٤ ص٨٠، والحاكم في مستدركه كتاب العلم بحديث رقم ٣٣١ ج ١ ص١٦٥.

(٤) وهي قراءة حمزة والكسائي وشعبة، انظر: ابن مجاهد، مصدر سابق، ص٢١٢.

قوله: ﴿قل إني نهيت﴾ هذا أمر من الله لنبيه أن يخاطب الكفار الذين طمعوا في دخول رسول الله -ﷺ- في دينهم ويرد عليهم بذلك. قوله: ﴿نهيت﴾ أي نهاني ربي بواسطة الدليل العقلي والسمعي، لدلالة كل منهما يدل على أن اله واحد لا شريك له، متصف بكل كمال مستحيل عليه كل نقص. قوله[تعبدون] هذا أحد إطلاقات الدعاء، وبه فسر في غالب القرآن لأنه يشمل الطلب وغيره. قوله: ﴿قل لا أتبع أهوائكم﴾ جمع هوى سمي بذلك لأنه يهوي بصاحبه إلى المهالك، وهذه الجملة تأكيد لما قبلها. قوله: ﴿إذا﴾ حرف جواب وجزاء، ولا عمل لها لعدم وجودفعل تعمل فيه. قوله: [إن اتبعها] أي الأهواء وهو بيان لمعنى إذا. قوله: ﴿وما أنا من المهتدين﴾ تأكيد لما قبلها.

قوله: ﴿قل إني على بينة﴾ هذا زيادة في قطع طمعهم الفاسد، والمعنى لا تطمعوا في دخولي دينكم لأني على بينة من ربي، ومن كان كذلك كيف يخدع ويتبع الضلال، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿وتلك حجتنا ءاتيناها إبراهيم على قومه﴾ [1] قوله: [بيان] أي دليل واضح. قوله: ﴿وكذبتم به﴾ أي بوحدانيته، [2] والجملة حالية، ويشير لذلك تقدير المفسر قد. قوله: ﴿ما عندي ما تستعجلون به﴾ ما الأولى نافية والثانية موصولة، وقوله: [من العذاب] بيان لما الثانية. وسبب نزولها أن رسول الله -ﷺ- كان يخوفهم بنزول العذاب عليهم، وكانوا يستعجلون به استهزاء كما في آية الأنفال ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو من عندك﴾ [3]. قوله: ﴿يقص الحق﴾ قدر المفسر القضاء إشارة إلى أنه منصوب على أنه صفة لمصدر محذوف، ويحتمل أنه ضمنه معنى ينفذ فعداه إلى المفعول به، ويحتمل أنه منصوب بنزع الخافض أي بالحق. قوله: [وفي قراءة يقص] [4] من قص الأثر تتبعه، وقص الحديث قاله.

قوله: ﴿لوكان عندي﴾ أي لو كان الأمر مفوضا إلي. قوله: ﴿ما تستعجلون به﴾ أي من العذاب. قوله: [بأن أعجله] بيان لقوله: [لقي الأمر] والضمير عائد على ما تستعجلون. قوله: [متى يعاقبهم] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضافين، والتقدير والله أعلم بوقت عقوبة الظالمين، فلا يستعجلوا

---

(١) سورة الأنعام، الآية:٨٣.

(٢) كذا في الأصل وفي النسخ الجديدة [بواحدانيته] وهو خطأ.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٣٢.

(٤) قرأ ابن كثير ونافع وعاصم ﴿يقص﴾ بالصاد وقرأ أبو عمرو وحمزة وابن عامر والكسائى ﴿يقض الحق﴾ بالضاد. انظر: ابن مجاهد، مصدر سابق، ص٢٥٩.

ذلك، فإنه لا حق لهم إن لم يتوبوا، وإنما تأخيره من حلم الله عليهم، فلولا حلمه ما بقي أحد، قال تعالى: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾[١]، فمن القبيح بعض العامة حلم الله يفتت الأكباد. إن قلت مقتضى هذه الآية أنه لو كان الأمر مفوضا له في تعذيبهم لعجله واستراح، ومقتضى ما ورد من إتيان ملك الجبال يستشيره في أنه يطبق عليهم الأخشبين أنه لم يرض وقال أرجو أن يخرج من ذريتهم من يؤمن بالله فحصل التنافي. أجيب : بأن ما في الآية بالنظر لأصل البشرية، لأن البشر يتأثر بالضر والنفع، وما في الحديث إنما هو رحمة من الله ألقاها عليه فرحمهم الله بها، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [٢] فرجع الأمر لله فتدبر.

قوله: ﴿وعنده مفاتح الغيب﴾ لما بين سبحانه وتعالى أولا أنه منفرد بإيجاد كل شيء خيرا كان أو شرا لقوله: ﴿إن الحكم إلا لله﴾[٣] الآية، بين ثانيا أنه منفرد بعلم الغيب بقوله: ﴿وعنده مفاتح الغيب﴾ فهو كالدليل لما قبله كانه قال العذاب والرحمة بقدرة الله، ولا يعلم وقت مجيء ذلك إلا الله لأن عنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو، وعنده خبر مقدم، ومفاتح الغيب مبتدأ مؤخر، وتقديم الظرف يؤذن بالحصر وهو منصب على الجميع، فلا ينافي أن بعض الأنبياء والأولياء[٤] يطلعه الله على بعض المغيبات الحادثة، قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾[٥] وأما من قال إن نبينا أو غيره أحاط بالمغيبات علما كما أحاط علم الله بها فقد كفر.[٦]

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٧١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٣) هذه الآية تكررت ثلاث مرات: الأنعام ٥٧، يوسف ٤٠، يوسف ٦٧.

(٤) وهذا مما يعتقده الصوفية، والروافض.

(٥) سورة الجن، الآية: ٢٦-٢٧.

(٦) قلت: وقد وافق الصاوي مذهب أهل السنة والجماعة، إلا أن استدلاله بالآية السابقة على أن بعض الأولياء يطلعون على بعض المغيبات فهذا ليس على إطلاقه، والأحسن تقسيم المغيبات إلى قسمين: المطلق والنسبي، وأما المطلق فهو الذي يختص به الله سبحانه وتعالى ويتأثر به، ولا أحد يستطيع معرفة شيء من هذا النوع من الغيب ومن ادعى معرفة شيء من هذا فهو كافر، وهذا هو النوع الذي تطرق إليه المؤلف في تكفيره إياه، والثاني: هو ما يطلعه على بعض خلقه من الأنبياء والرسل، وقد فصل القول في هذا محمد أحمد لوح في رسالته تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي. ج١ ص١٨٤.

قوله: [خزائنه] أشار بذلك إلى أن مفاتح جمع مفتح بفتح فكسر كمخزن وزنا ومعنى العلوم المخزومة الغيبة، وقوله: [أو الطرق] أي فهو جمع مفتح بكسر ففتح بمعنى الطرق التي توصل إلى تلك العلوم المخزونة الغيبة ﴿لا يعلمها﴾ أي الخزائن أو الطرق تفصيلا إلا هو، وأما علمنا فيها فهو على سبيل الإجمال، وهو تأكيد لما علم من تقديم الظرف.

قوله: ﴿علم الساعة﴾ أي وقت مجيئها وتفصيل ما يحصل فيها. قوله: [الآية] أي وهي ﴿ينزل الغيث﴾[1] أي المطر، أي لا يعلم وقت مجيئه وعدد قطراته ونفع الناس به إلا الله، ﴿ويعلم ما في الأرحام﴾[2] أي من كونه ذكرا أو أنثى شقيا أو سعيدا يعيش أو يموت. ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غدا﴾[3] لاتعلم نفس ما يعرض لها في المستقبل من خير أو شر، وغير ذلك من الأحوال التي تطرأ على الأنفس، قال الشاعر:

واعلم علم اليوم ولأمس قبله ۞۞ ولكنني عن علم ما في غد عمي[4]

وقوله: ﴿وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾[5] أي بأي محل يكون قبض روحها فيه أو دفنها فيه، إن الله عليم خبير ببواطن الأشياء كظواهرها، وهذا التفسير لإبن عباس،[6] وقال الضحاك ومقاتل: مفاتح الغيب خزائنه الخفية في الأرض،[7] والأقرب والأتم أن المراد بمتاتح الغيب الأمور المغيبة الخفية جميعها الخمسة أو غيرها. قوله: ﴿ما﴾ [يحدث] ﴿في البر﴾ أي من خير أو شر. قوله: [القرى التي على الأنهار] أي فيعلم رزق أهلها وعددهم وغير ذلك، وقال جمهور المفسرين: المراد البر والبحر المعروفان، لأن جميع الأرض إما بر أو بحر، وفي كل عوالم وعجائب وسعها علمه وقدرته.

---

(١) سورة الشورى، الآية:٢٨.

(٢) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

(٣) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

(٤) وهذا البيت ينسب إلى زهير بن أبي سلمى المزني والبيت من ضمن معلقاته كما أشار إلى ذلك الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني في كتابه شرح المعلقات السبع، ط١، (بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م) ص ١٥٢.

(٥) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

(٦) انظر الشوكاني، محمد بن علي بن محمد في تفسيره فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير ٤٩٨/٥.

(٧) حكاه الإمام الألوسي في تفسيره روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ١٨٧/١٥.

قوله: ﴿وما تسقط من ورقة﴾ أي من الشجر إلا يعلمها، أي يعلم وقت سقوطها والأرض التي تسقط عليها. قوله: ﴿ولا حبة في ظلمات الأرض﴾ أي هي والتي يضعها والزارع للنبات فيعلم موضعها وهل تنبت أو لا؟ وقيل : المراد بالحبة التي في الصخرة التي في الأرض التي قال فيها الله: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾(١) وكل صحيح.

قوله ﴿ولا رطب ولا يابس﴾ عطف عام، لأن جميع الأشياء إما رطبة أو يابسة. فإن قلت: إن جميع هذه الأشياء داخل تحت قوله وعنده مفاتح الغيب، فلم أفردها بالذكر؟ أجيب : بأنه من [التفصيل] بعد الإجمال، وقدم ذكر البر والبحر لما فيهما من جنس العجائب ثم الورقة لأنه يراها كل أحد، لكن لا يعلم عددها إلا الله، ثم ما هو أضعف من الورقة وهو الحبة، ثم ذكر مثالا يجمع الكل وهو الرطب واليابس.

قوله: [عطف على ورقة] أي الثلاثة معطوفة على ورقة، لكن لا يناسب تسليط السقوط عليها فيضمن السقوط بالنسبة للحية والرطب واليابس معنى الثبوت. قوله: [بدل اشتمال من الاستثناء قبله] أي وهو قوله إلا يعلمها، وذلك لأن دائرة العلم أوسع من دائرة اللوح، فذات الله وصفاته أحاط بها العلم لا اللوح، والكائنات وما يتعلق بها أحاط بها اللوح والعلم، وهذا على أن المراد بالكتاب اللوح كما أفاده المفسر، وإن أريد بالكتاب علم الله يكون بدل كل من كل لزيادة التأكيد والإيضاح.

قوله:[يقبض أرواحكم] ما ذكره المفسر بناء على أن الإنسان له روحان، روح تقبض بالنوم وتبقى روح الحياة فإذا أراد الله موته قبضهما جميعا وعليه جملة من المفسرين ويشهد له آية الزمر، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾(٢)، ويقرب هذا أحوال الأولياء لأن لهم حالة تسرح فيها أرواحهم وترى العجائب كالنائم، والمشهور أنها روح واحدة، ويكون معنى يتوفاكم يذهب شعوركم لأنهم عرفوا النوم بأنه فترة طبيعية تهجم على الشخص قهزا عليه، تمنع حواسه الحركةوعقله الإدراك. قوله:

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٦.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٤٢.

﴿ويعلم ما جرحتم بالنهار﴾ أي لأنه الخالق للأفعال والحركات والسكنات، فهو المغير للأشياء ولا يتغير، قال العارف(١):

رأيت خيال الظل أعظم عبرة ❊❊ لمن كان في أوج الحقيقة راق

شخوص وأشكال تمر وتنقضي ❊❊ وتفنى جميعاً والمحرك بـاق.

قوله: ﴿ثم يبعثكم﴾ ثم في كل للترتبي، لألإن بعد النوم البعث بالإيقاظ إلى انقضاء الأجل ثم بعده البعث بالإحياء من القبور ثم الإخبار بما وقع من العباد. قوله: ﴿ليقضى أجل﴾ الجمهور على بناء يقضى للمجهول، وأجل نائب فاعل والفاعل محذوف إما عائد على الله أو على السخص، ومعنى قضاء الشخص أجله استيفاؤه إياه، وقريء بالبناء للفاعل، وأجلا مفعوله، والفاعل مستتر عائد على الله. قوله: [فيجازيكم به] أي إن خيرا فخير، وإن شر فشر. قوله: ﴿وهو القاهر﴾ أي المستعلي الغالب على أمره الحاكم فلا معقب لحكمه، يعطي ويمنع، ويصل ويقطع، ويضر وينفع، فلا راد لما قضى، ولا ملجأ منه إلا إليه، فهو المتصرف في خلقه بجميع أنواع التصرفات، من إيجاد وإعدام، واعتزاز وإذلال، وغير ذلك.

قوله: ﴿فوق عباده﴾ أي فوقية مكانة أي شرف رفعة وعلو قدر تليق به، لا فوقية مكان لاستحاة اتصافه به. قوله: ﴿ويرسل﴾ معطوف على صلة أل كأنه قال وهو الذي يقهر ويرسل، وهذا من جملة قهره سبحانه وتعالى. قوله: [ملائكة تحصي أعمالكم] أي من خير وشر، لما ورد أن كل إنسان له ملكان، ملك عن يمينه، وملك عن شماله، فإذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين حالا، وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال أصبر لعله يتوب منها، فإن لم يتب منها كتبها صاحب الشمال، قال العلماء يؤخر ست ساعات فلكية فإن تاب فيها لم تكتب هكذا، قال المفسر: وقيل المراد

---

(١) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حماد بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق أبو الفرج بن أبي قحافة، الشيخ الإمام الحافظ الواعظ المفسر العلامة جمال الدين أبو الفرج القرشي التيمي البكري البغدادي الحنبلي المعروف بابن الجوزي؛ صاحب التصانيف المشهورة في أنواع العلوم: كالتفسير والحديث والفقه والوعظ والزهد والتاريخ والطب وغير ذلك. مولده ببغداد سنة عشر وخمسمائة تقريباً بدرب حبيب. وتوفي أبوه وله ثلاث سنين. انظر: ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج٢ ص١٧٥. وشذرات الذهب ج٥ ص٤٢٧، و ابن تغري بردى، أبو المحاسن جمال الدين يوسف، **الدليل الشافي على المنهل الصافي**، ط١، (مكة: مكتبة الخانجي، د. ت.ط.) ج٢ ص٥٧٣، والذهبي، **تذكرة الحفاظ**، مصدر سابق، ج٤ ص١٤٧٥.

بالحفظة الملائكة الموكلون بحفظ ذوات العبيد من الحوادث والآفات، وهم عشرة بالليل وعشرة بالنهار، وقيل المراد ما هو أعم وهو الأتم.إن قلت: إن الله هو الحافظ فلم وكلت الملائكة بحفظ الشخص؟ أجيب: بأن ذلك تكرمة لبني آدم وإظهارا لفضلهم، والحكمة في كون الملائكة تكتب على الشخص ما صدر منه أنه إذا علم ذلك، ربما كان ذلك داعيا للخوف والانزجار عن فعل القبائح والمعاصي.

قوله: ﴿حتى إذا جاءوك﴾ حتى ابتدائية، والمعنى ينتهي حفظ الملائكة للأشخاص عندى فراغ الأجل، فالملائكة مأمورون بحفظ ابن آدم ما دام حيا، فإذا فرغ أجله فقد انتهى حفظهم له. قوله: ﴿والموتى﴾ أي أسبابه. قوله: [وفي قراءة توفاه][1] أي بالإمالة المحضة، وهي ما كانت للكسر أقرب، وهي إما ماض وحذفت التاء لأنه مجازي التأنيث، أو مضارع ويكون فيه حذف إحدى التاءين. قوله:﴿وأرسلنا﴾ أي أعوان ملك الموت الموكلون بقبض الأرواح. إن قلت: قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[2] وقال في الأخرى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾[3] فكيف الجمع بين هاتين الآيتين وهذه، أجيب: بأن الله هو هو الموتفي حقيقة، فإذا حضر أجل العبد، اشتغلت أعوان ملك الموت بانتزاعها من الجسد، فإذا بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت بيده، فهو القابض لجميع الأرواح، إن قلت: ورد في بعض الأحاديث وتولى قبض أرواحنا عند الأجل بيد أجيب: بأن معناه شهود الرب واستيلاء محبته على قلبه حتى يغيب عن إحساسه، فلا يشاهد ملك الموت حين قبض الروح، وإن كان هو القابض لها، وذلك في أهل محبة الله، ومن يموت شهيد حرب أو غريقا أو حريقا ونحوهم.

قوله: ﴿وهم لا يفرطون﴾ هذه الجملة حالية من رسلنا أي والحال أنهم لا يقصرون في ذلك. فقد ورد ما من أهل بيت شعر ولا مدر، إلا وملك الموت يطوف بهم مرتين. وورد: أن الدنيا كلها بين ركبتي ملك الموت، وجميع الخلائق بين عينيه، ويداه يبلغان المشرق والمغرب، وكل من نفذ أجله يعرفه بسقوط صحيفته من تحت العرش عليها اسمه، فعند ذلك يبعث أعوانه من الملائكة ويتصرفون بحسب ذلك.

---

(١) وهي قراءة حمزة فإنه قرأ ﴿توفاه﴾ ممالة الألف. انظر: ابن مجاهد، مصدر سابق، ٢٥٩.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٤٢.

(٣) سورة السجدة، الآية:١١.

وورد: أن ملك الموت يقبض الروح من الجسد ويسلمها إلى ملائكة الرحمة إن كان مؤمنا، أو إلى ملائكة العذاب إن كان كافرا ويقال معه سبعة من ملائكة الرحمة، وسبعة من ملائكة العذاب، فإذا قبض نفسا مؤمنة، دفعها إلى ملائكة الرحمةفيبشرونها بالثواب ويصعدون بها إلى السماء، وإذا قبض نفسا كافرة، دفعها إلى ملائكة العذاب فيبشرونها بالعذاب ويفزعونها، ثم يصعدون بها إلى السماء، وروح المؤمن إلى عليين.

قوله: ﴿ثم ردوا ﴾ معطوف على توفته، وأفرد أولا لأن التوفي يكون لكل شخص على حدة، وجمع ثانيا لأن الرد يكون للجميع. قوله: [مالكهم] دفع بذلك ما يقال إن بين هذه الآية وآية ﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾[١] تنافيا، فأجاب بأن المراد بالمولى هنا المالك وبه هناك الناصر.

قوله: ﴿ألا لله الحكم ﴾ أي لا لغيره. قوله: [الحديث بذلك] وفي رواية أنه تعالى يحاسب الكل في مقدار حلب شاة.

قوله: ﴿قل﴾ [يا محمد] أي توبيخا لهم وردعا. قوله: [أهوالهما] أي فالظلمات كناية عن الأهوال والشدائد التي تحصل في البر والبحر، وما مشى عليه المفسر أتم لشولها الحقيقة وغيرها، وقيل المراد بالظلمات حقيقتها، فظلمات البر هي ماجتمع من ظلمة الليل وظلمة السحاب، وظلمة البحر ماجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة الرياح العاصفة والأمواج اهائلة.

قوله: ﴿وخفية﴾ الجمهور على ضم الخاء، وقرأ أبوبكر بكسرها، وقرأ الأعمش خيفة كالأعراف.[٢]

قوله: ﴿لإن أنجانا من هذه﴾ الجملة في محل نصب مقول القول كما قدره المفسر. قوله: [والشدائد] عطف تفسير. قوله: [بالتخفيف والتشديد] أي وكل منهما مع قراءة أنجيتنا بالتاء، وأما من قرأ أنجانا فيقرأ بالتشديد هنا لا غير، فالقراءات ثلاث وكلها سبعية.[٣]

---

(١) سورة محمد، الآية:١١.

(٢) أي كما في آية من سورة الأعراف وهي قوله: تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٢٠٥].

(٣) قرأ الكوفيون: عاصم وحمزة والكسائي ﴿لئن أنجانا﴾ بألف، وقرأ الحجازيان ابن كثير ونافع وأهل الشام وأبو عمرو ﴿لئن أنجيتنا﴾. انظر: ابن مجاهد، مصدر سابق، ص٢٥٩.

قوله: ﴿قل هو القادر﴾ هذا بيان لكونه قادرا على الإهلاك إثر بيان أنه المنجي من المهالك. قوله: [كالحجارة] أي التي نزلت على أصحاب الفيل،[١] وقوله: [كالخسف] أي الذي وقع لقارون.[٢] قوله: ﴿شيعا﴾ منصوب على الحال جمع شيعة وهي من يتقوى بهم الإنسان ويجمع على أشياع.[٣] قوله: [فرقا] جمع فرقة وهي الجماعة.[٤] قوله: [لما نزلت] أي آية ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾. قوله: [أهون وأيسر] أي مما قبله وهو رضا بقضاء الله، وإلا فقد استعاذ منه أولا فلم يفد.قوله: [ولما نزلت ما قبله] أي قوله: ﴿عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ﴾ الخ. قوله: [أعوذ بوجهك][٥] أي فقال مرتين: مرة عند نزول قوله: ﴿عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ﴾، ومرة عند نزول قوله: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾.

قوله: [فمنعنيها] أي منعني هذه المسألة، بمعنى أنه لم يجبني في هذه الدعوة لما سبق في علمه من حصولها، فكان أول ابتداء إذاقة البعض بأس البعض بعد موته -ﷺ- في خمس وعشرين سنة في وقعة علي ومعاوية،[٦] ومازالت الفتن تتزايد إلى يوم القيامة. قوله: [لما نزلت] أي هذه الآية. قوله: [قال

---

(١) وهو ما ذكره ربنا عزوجل في قوله: ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ۞ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ [سورة الفيل، الآية:٤-٥].

(٢) كما في قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ۞ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾[سورة القصص، الآية:٨١-٨٢].

(٣) انظر: الراغب الاصفهاني، الحسين بن محمد. **مفردات غريب القرآن**، ص٢٧٠-٢٧١.

(٤) انظر الصاحب بن عباد. **المحيط في اللغة** ج٢، ص٤٧٢.

(٥) وهذا جزء الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة، باب في قول الله تعالى [أو يلبسكم شيعاً] ، عن عمرو، سمع جابر بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يقول: يَقُولُ: " لَمَّا نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾، قَالَ: أَعُوذُ بِوَجْهِكَ. ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾، قَالَ: أَعُوذُ بِوَجْهِكَ، فَلَمَّا نَزَلَتْ ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾، قال: "هاتان أهون أو أيسر".

(٦) هذه هي أعظم فتنة مدلحمة جرت في الأمة الإسلامية بعد وفاة النبيء -ﷺ- ، وسببها أن علي بن أبي طالب لم يكن قادراً على تنفيذ القصاص في قتلة عثمان مع علمه بأعيانهم، وذلك لأنهم سيطروا على مقاليد الأمور في المدينة النبوية، وشكلوا فئة قوية ومسلحة كان من الصعب القضاء عليها. لذلك فضل الانتظار ليتحين الفرصة المناسبة للقصاص، ولكن بعض الصحابة وعلى رأسهم طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رفضوا هذا التباطؤ في تنفيذ القصاص ولما مضت أربعة أشهر على بيعة علي دون أن ينفذ القصاص خرج طلحة والزبير إلى مكة، والتقوا أم المؤمنين عائشة التي كانت عائدة من أداء فريضة الحج، واتفق رأيهم على الخروج إلى البصرة ليلتقوا بمن فيها من الخيل والرجال، ليس لهم غرض في القتال، وذلك تمهيداً للقبض على قتلة عثمان،

أما إنها] أما أداة استفتاح، وإنها بكسر الهمزة، والضمير عائد على الأمور الأربعة: عذابا من قبلكم، وعذابا من تحت أرجلكم، وتفريقكم شيعا، ونصب القتال بينكم، فهذه الأربعة كائنة قبل يوم القيامة، لكن الأخيران قد وقعا من منذ عصر الصحابة، والأولان تفضل الله بتأخير وقوعهما إلى قرب قيام الساعة، هكذا أورد، ولكن قال: [العلماء][1]: وإن كان الخيران يقعان قرب قيام الساعة، لكن العذاب بهما ليس عاماكما وقع في الأمم الماضية. قوله: [ولم يأت تأويلها] الضمير يعود على الآية أو الأمور الأربعة، أي صرفها عن ظاهرها، بل هي باقية على ظاهرها، لكن بالوجه الذي علمته.

قوله: ﴿وكذب به قومك﴾ أي أنكره حيث قالوا: إنه سحر أو شعر أو كهانة[2] أو غير ذلك، وما ذكره المفسر من أن الضمير عائد على القرآن هو أحد أقوال وهو أقربها،[3] وقيل الضمير عائد على العذاب،[4] وقيل على الحق، وقيل على النبي وهو بعيد. قوله: [الصدق] أي لأنه منزل من عند الله وما كان من عند الله فهو صدق لا محالة. قوله: [وهذا قبل الأمر بالقتال] أشار بذلك إلى أنه منسوخ

وإنفاذ القصاص فيهم. والمؤسف أن حركات الشيعة في تلويث هذا الأمر وتشويه سمعة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأت تؤثر في شباب المسلمين وكانوا يشتمون معاوية ولا يتراضون بذكره، وهذا خطأ جلي، والصحابة كلهم يجب علينا التعرف بفضلهم ولا يجوز أن نأخذ في شتمهم محنة نقول فيهم ما نشاء رضي الله عنهم أجمعين. ينظر الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك . (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٧هـ) ج٣، ص٢٠-٢٥. والقاضي أبي بكر العربي. العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي -ﷺ- .

(١) سقط ما بين القوسين في النسخ الجديدة.

(٢) أي يصفونه وما جاء به من عند الله بأنه سحر أو كهانة أو شعر، كما جاء في غير آية من القرآن، قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٧]، وقال أيضا: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ [سورة يس، الآية:٦٩]، ونفى عنه الكهانه وقال: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ [سورة الطور، الآية:٢٩].

(٣) أي الضمير في قوله: تعالى ﴿به﴾، وذهب إلى هذا ابن أبي حاتم الرازي أثرا بإسناد حسن قال: أخبرنا أحمد بن حكيم الأودي فيما كتب إليّ، حدثنا أحمد بن المفضل ثنا إسباط عن السدي، قوله: : ﴿وكذب به قومك﴾، يقول : كذبت قريش بالقرآن، وهو الحق. ثم أخرج هذا الأثر الإمام الطبري في تفسيره ج١١ ص٤٣٥ برقم ١٣٣٨١ مع الأثرين وجعلهما أثرا واحدا، عن محمد بن الحسين قال: حدثنا أحمد بن المفضل به مثله، وذكر السيوطي في الدر ج٢ ص٢٠، والشوكاني في الفتح ج٢ ص١٣١ أثرا واحدا ونسباه لابن جرير، وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن السدي، مثله، والله أعلم.

(٤) هذا قال به الزمخشري، انظر الزمخشري في الكشاف ج٢ ص٣٤.

بآيات القتال،[1] ولكن المناسب للمفسر أن يقول فأقاتلكم بدل قوله: فأجازيكم.[2] والحاصل أن في الآية تفسيرين الأول أن الآية محكمة، والمعنى لست مجازيا على أعمالكم في الآخرة، والثانية أنها منسوخة، والمعنى لست مقاتلا لكم إن حصلت منكم المخالفة، إذا علمت ذلك فالمفسر لفق بين تفسيرين.

قوله: ﴿لكل نبإ مستقر﴾ نزلت ردا لاستعجالهم العذاب الذي كان يعدهم به، والمعنى لكل خبر من الأخبار رحمة وعذابا، زمن يقع فيه إما الدنيا أو الآخرة أو فيهما لا يعلمه إلا الله. قوله: وقت يقع فيه] أشار بذلك إلى أن مستقر اسم زمان، ويصح أن يكون مصدرا أو اسم مكان.

قوله: ﴿وإذا رأيت﴾ رأى بصرية والذين مفعولها، ويبعد كونها علمية، لأنه يقتضي أن المفعول الثاني محذوف، وحذفه إما شاذ أو ممنوع. قوله: ﴿يخوضون﴾ الخوض في الأصل الدخول في الماء فيستعار للشروع والدخول في الكلام، فشبه آيات الله بالبحر، وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو الخوض، فإثباته تخييل، والجامع بينهما التعرض للهلاك في كل، فإن الخائض للبحر الغريق متعرض للهلاك، فكذلك المتعرض للأباطيل في كلام الله.

قوله: ﴿فأعرض عنهم﴾ الخطاب له ولأصحابه، فالنهي عام وهو منسوخ بآية القتال.[3] قوله: ﴿في حديث غيره﴾ الضمير عائد على الآيات وذكر باعتبار كونها حديثا.

قوله: ﴿وإما ينسينك﴾ الخطاب له والمراد غيره، لأن إنساء الشيطان له مستحيل عليه. قوله: [بسكون النون والتخفيف] أي للسين من أنساه أي أوقعه في النسيان، وقوله: [وفتحها] أي النون،

---

(١) لم أجد من المفسرين من يقول بهذا غير ما أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ ج٢ ص٣١٨ أثرا من طريق جويبر عن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نسخ هذا آية السيف ﴿فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [سورة التوبة، الآية:٥]. ولكن النحاس ذهب على أنه غير منسوخ، انظر النحاس. الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص٢٨١.

(٢) قلت: بل الأفضل أن يقول: أجازيكم ، لأن الجزاء يتضمن القتل وغيره ولأن الجزاء لمن كفر بآيات الله تختلف من ظروف إلى أخرى وعليه تكون فأجازيكم أفضل من أقاتلكم كما قاله السيوطي. انظر: السيوطي في الدر، ج٢ ص٢٩.

(٣) هذا بعيد، وكيف يكون منسوخا بالقتال إذ أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمر مقدم على القتال، وإنما نهي عن الجلوس معهم لأن الجلوس معهم وهم في تلك الحالة من سبهم له ولدينه قد يقتضي الرضا إذا لم يكن لهم معارضا بلسان المقال وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو بلسان الحال وهو الامتناع عن مجالستهم.

وقوله: [والتشديد] أي للسين من نساه فيتعدى للهمزة والتضعيف، وهما قراءتان سبعيتان،(١) ومفعول ينسينك محذوف تقديره النهي أو ما أمرك الله به. قوله: [فيه وضع الظاهر الخ] أي زيادة في التشنيع عليهم، وأتى في جانب الرؤية بإذا المفيدة للتحقيق، وفي جانب الإنساء بإن المفيدة [للشك](٢) إشارة إلى أن خوضهم في الآيات محقق، وإنساء الشيطان غير محقق، بل قد يقع وقد لا يقع. قوله: [وقال المسلمون الخ] بيان لسبب نزول الآية.(٣)

قوله: ﴿وما على الذين يتقون﴾ الجار والمجرور خبر مقدم، و﴿من شيء﴾ مبتدأ وخبر. قوله: [إذا جالسوهم] أي فالجلوس مع الخائضين غير ممنوع لكن بشرط عدم مسايرتهم لما هم عليه وبشرط وعظهم ونهيهم عن المنكر، فهو تخصيص للنهي المتقدم. قوله: ﴿ولكن﴾ [عليهم] ﴿الذكرى﴾ أشار بذلك إلى أن ذكرى مبتدأ خبره محذوف، ويصح أن يكون مفعولا لمحذوف تقديره ولكن يذكرونهم ذكرى. قوله: [الذين كلفوه] أي وهو دين الإسلام، ودفع بذلك ما يقال المشركون لا دين لهم من الأديان المشروعة، فكيف أضيف إليهم دين، وأخبر عنهم أنهم اتخذوه لعبا ولهوا.(٤) قوله: [وهذا قبل الأمر بالقتال] أي

---

(١) كلهم قرؤوا ﴿ينْسيَنَّك﴾ ساكنة النون الأولى وبتشديد الثانية غير ابن عامر فإنه قرأ ﴿ينَسِّيَنَّك﴾ بفتح النون الأولى وتشديد السين مع النون الثانية، وكلها سبعية. انظر: ابن مجاهد، مصدر سابق، ص٢٦٠.

(٢) سقطت ما بين القوسين في النسخ المطبوعة وهي ثابتة في الأصلين.

(٣) ذكر ابن جرير الطبري سببا لنزول هذه الآية وقال: حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدي: "وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين"، قال: كان المشركون إذا جالسوا المؤمنين وقعوا في النبي -ﷺ- والقرآن فسبوه واستهزءوا به، فأمرهم الله أن لا يقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره . وأما قوله: :"وإما ينسينك الشيطان"، يقول: نَهْيَنَا فتقعد معهم، فإذا ذكرت فقم. الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير. جامع البيان في تأويل القرآن، (اط ١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م) ج١١ ص٤٣٦.

(٤) قلت: وما زالت بعض الطوائف المنتسبة إلى دين الله يتخذ أصحابها اللعب واللهو دينا وتقربا إليه، لقد أنكر العلماء السابقون ما وقع عند المتصوفة في عصرهم من الرقص واللهو، والتقرّب إلى الله بذلك؛ فقد سئل الحلواني من علماء الحنفية عمّن سمّوا أنفسهم الصوفية، واختصوا بنوع لِبسة، واشتغلوا باللهو والرقص وادّعوا لأنفسهم المنزلة. فقال: أفتروا على الله، أم بهم جنة.

وقال القرطبي: (وأما ما ابتدعته الصوفية في ذلك، فمن قبيل ما لا يُختلف في تحريمه، لكن النفوس الشهوانية غلبت على كثير ممن يُنسب إلى الخير، حتى لقد ظهرتْ من كثير منهم فعلات المجانين والصبيان، حتى رقصوا بحركات متطابقة، وتقطيعات متلاحقة، وانتهى التواقحُ بقوم منهم إلى أن جعلوها من باب القُرَب وصالح الأعمال، وهذا على التحقيق من آثار الزندقة، وقول أهل المخْرَقة، والله

فهو منسوخ بآياته، ويدخل في عموم هذه الآية، من اتخذ دين الإسلام لهوا ولعبا، وأحدث فيه ما ليس منه، كالخوارج[1] وبعض من يدعي الانتساب إلى الصالحين، حيث جعلوا الطريقة الموصلة إلى الله طبلا وزمرا، وأحدثوا أمورا لا تحل في دين الله.[2]

قوله: ﴿أن تبسل﴾ علة لقوله: ﴿وذكربه﴾ على حذف لام العلة قدرها المفسر ولا مقدرة، والإبسال هو تسليم النفس في الحرب للقتال،[3] والباسل الشجاع الذي يلقي بنفسه للهلاك. قوله: ﴿ليس لهم﴾ إما استئناف أو حال من نفس أو صفة لها. قوله: [تفد كل فداء] أي تفتد بكل فداء. قوله: [ما تفدي به]

المستعان). انظر: القرطبي، القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم، المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم، ط١، (دار ابن كثير، ١٩٩٦ – ١٤١٧هـ) ج٥ ص١٦٧.

(١) هي طائفة قديمة معروفة وهم الذين خرجوا على الإمام علي عليه السلام في معركة صفين بعد قبول التحكيم، وكفروه –عليه السلام– وكفروا كلاًّ من معاوية والحكمين عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري –رضي الله عنهما– وكلَّ من رضي بالتحكيم ، ولم يكتفوا بهذا بل كفروا أيضا أصحاب الجمل وعائشة وطلحة والزبير، بالإضافة إلى تكفيرهم لكل مسلم يرتكب كبيرة، وحكموا عليه بالخلود في النار. وقد قاتلهم الإمام علي عليه السلام في النهروان وهزمهم شر هزيمة ولم ينج من القتل منهم إلا عدد قليل، وعُرفوا بلقب المارقة، وفيهم قال رسول الله –ﷺ–: "سيخرج قوم في آخر الزمان، أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البريَّة، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميَّة، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة". وقد انتشر من نجا بالنهروان من الخوارج في المدن الإسلامية الكبيرة كالمدينة ودمشق والبصرة بأواخر فترة علي عليه السلام وبداية حكم الأمويين ، وعقدوا مجالس المناظرات والمجادلات الكلامية فيها، وكانت بذلك فرقة الخوارج هي أولى الفرق الكلامية التي ظهرت في التاريخ الإسلامي، وتشعب الخوارج إلى فرق عديدة أشهرها العجاردة والنجدية والصفرية والأزارقة والأباضية، ولم يبق من هذه الفرق سوى الأباضية التي تعد الأكثر اعتدالا"، ويشكل أتباعها اليوم أغلبية سكان سلطنة عمان بالإضافة إلى وجود أقليات منهم في شمال إفريقيا. انظر: صحيح البخاري، كتاب التوحيد، ج ٩ ص ٤٨٩، وكتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم،ج٩ ص١٧، وينظر: جعفر السبحاني ، بحوث في الملل والنحل ، ج ٥ ص ٢١٣ – ٢٤٠.

(٢) وأما اتخاذ الطبول وغيرها من آلات اللهو دينا وإن كانت الخوارج هم الذين فتحوا الأبواب لذلك وقد اقتدت بهم الفرقة القدرية الصوفية في هذه السنة السيئة وكانوا يعبدون الله بها ويتقربون بها، وإن كان بعض العلماء يبيحون ضرب الطبول ولكن لم يقل أحد منهم باتخاذها دينا، حتى قال بعض العلماء فيهم إن التصوف. بشهادة بعض المعجبين به. تفرّد بالتجويد في الموسيقى والغناء، فكانت مجالس الذكر الصوفي مدارس لتخريج المغنين؛ إذ إن الذكر عندهم يكون وَفْق أنغام محددة، وآلات موسيقية. انظر: لزكي مبارك، التصوف الإسلامي، ص ١٩٨– ١٩٩.

(٣) قلت هذا هو أصح معاني الإبسال وهو تفسير مجاهد رحمه الله كما قال أبو المسفر السمعاني في تفسيره، ج٦ ص٧٦.

أشار بذلك إلى أن الضمير في لا يؤخذ عائد على الفداء بمعنى المفدي به، فهو مصدر أريد به اسم المفعول.

قوله: ﴿أولئك الذين﴾ اسم الإشارة مبتدأ خبره الإسم الموصول، و﴿لهم شراب﴾ مبتدأ وخبر والجملة إما خبر ثان أو حال من الضمير في أبسلوا، أو مستأنف بيان للإبسال. قوله: [ماء بالغ نهاية الحرارة] أي يقطع الأمعاء كما قال في الآية الأخرى ﴿وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم﴾[١]. قوله: [بكفرهم] أشار بذلك إلى أن ما مصدرية ، والفعل في تأويل مصدر مجرور بالباء.

قوله: ﴿قل أندعوا﴾ قيل سبب نزولها أن عبد الرحمن ابن أبي نكر الصديق قبل إسلامه دعا والده إلى عبادة الأصنام، فنزلت الآية أمرا للنبي -ﷺ- أن يرد على عبد الرحمن[٢] ومن يقول بقوله، وفيه اعتناء لشأن الصديق وإظهار فضله، حيث وجه الأمر إلى رسول الله، وفي الواقع الأمر لأبي بكر، والمعنى لايليق منا عبادة من لا ينفعنا إذا عبدناه، ولا يضرنا إذا تركناه.

قوله: ﴿ونرد على أعقابنا﴾ معطوف على ﴿أندعوا﴾، فهو داخل في حيز الاستفهام. قوله: ﴿بعد إذ هدانا الله﴾ أي بعد وقت هداية الله لنا. قوله: ﴿كالذي﴾ صفة لموصوف محذوف، أي نرد ردا مثل الذي استهوته، والإستهواء من الهوى وهو السقوط من علو إلى سفل، سمي الإضلال بذلك، لأن من سقط من علو إلى سفل ولم يجد محلا يستند عليه هلك، فكذلك من ترك الدين القويم ولم يتبعه هلك ولا يجد ناصرا وقد صرح بالمراد من هذا التشبيه في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[٣] والحاصل أن المشرك[٤] بالله مع وجود من يدله

---

(١) سورة محمد، الآية: ١٥.

(٢) هو ابن الصديق عبد الله ابن أبي قحافة رضي الله عنهما، وأما ما ذكره المصنف من سبب نزول هذه الآية فقد ضعفه غير واحد من أئمة التفسير لتضاربه مع ما ورد في الصحيحين، الإمام عبد الرحمن الثعالبي في تفسيره الجواهر الحسان في تفسير القرآن: وقول من قال إن المراد بالذي في هذه الآية عبد الرحمن بن أبي بكر وبالأصحاب أبواه قول ضعيف يرده قول عائشة في الصحيح ما نزل فينا من القرآن شيء إلا براءتي قلت تريد وقصة الغار إذ يقول لصاحبه وقوله: ولا يأتل اولوا الفضل منكم إذ نزلت في شأن ابي بكر وشأن مسطح، انتهى.

(٣) سورة الحج، الآية:٣١.

(٤) الشرك هو أن يجعل العبد ندا لله، وهو من أخطر الذنوب بل من أكبرها لا سيما إذا مات العبد ولم يتب من شركه وهو خالد مخلد في النار قال تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً﴾

على التوحيد، مثل من اختطفته الشياطين وسارت به في المفاوز والمهالك مع سماعه مناداة من يأخذ بيده ويخلصه منهم وهو مفرط وراض لنفسه بذلك، والمراد بالشياطين ما يشمل شياطين الإنس.

قوله: ﴿في[1] الأرض﴾ متعلق باستهوته. قوله: [حال من الهاء] أي في استهوته. قوله: ﴿له أصحاب﴾ جملة في محل نصب صفة لحيران قوله: ﴿والاستفهام الخ] أي وهو قوله: أندعوا، والمعنى أي لا ينبغي أن نعبد غير الله بعد هدايته لنا، لأن من عبد غير الله بعد إيمانه بالله، كان كمثل من أخذته الشياطين فصار حيران لا يدري أين يتوجه، مع كون أصحابه يدعونه إلى الطريق المستقيم فلا يجيبهم. قوله: ﴿هو الهدى﴾ أي التوفيق والاستقامة والجملة المعرفة الطرفين تفيد الحصر، فهو بمعنى أن الدين عند الله الاسلام. قوله: ﴿وأمرنا﴾ أي أمرنا الله بأن نسلم بمعنى نوحد وننقاد لرب العالمين.

قوله: ﴿وأن أقيموا الصلوة﴾ قدر المفسر الباء إشارة إلى أنه معطوف على أن نسلم، فهو داخل تحت الأمر أيضا، وفيه التفات من التكلم للخطاب، وعطف تقوى عليه من عطف العام، وخص الصلاة بعد الإسلام لأنها أعظم أركانه. قوله: ﴿وهو الذي إليه تحشرون﴾ هذا دليل للأمر المتقدم وموجب لامتثاله، والمعنى امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه، لأنكم تجمعون إليه ويحاسبكم. قوله: [أي مُحِقًّا] أشار بذلك إلى أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال، أي حال كونه محقا أي موصوفا بالحقية وهو وجوب الوجود الذي لا يقبل الزوال، ويحتمل أن يكون المعنى محقا لا هازلا ولا عابثا، بل خلقهما لحِكم ومصالح لعباده، ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾[2].

[سورة النساء، الآية:٤٨]، ويضاده الإخلاص، فمن ليس مخلصا فهو مشرك إلا أن الشرك درجات. فالإخلاص وضدّه يتواردان على القلب فمحله القلب وإنما يكون ذلك في القصود والنيات. وقد ذكر حقيقة النية وأنها ترجع إلى إجابة البواعث، فمهما كان الباعث واحداً على التجرد سمي الفعل الصادر عنه إخلاصا بالإضافة إلى المنوي، فمن تصدّق وغرضه محض الرياء فهو مخلص، ومن كان غرضه محض التقرب إلى الله تعالى فهو مخلص. ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الإخلاص بتجريد قصد التقرب إلى الله تعالى عن جميع الشوائب، كما أنّ الإلحاد عبارة عن الميل ولكن خصصته العادة بالميل عن الحق، ومن كان باعثه مجرد الرياء فهو معرض للهلاك. فمعرفة حقيقة الإخلاص والعمل به بحر عميق يغرق فيه الجميع إلا الشاذ النادر والفرد الفذ وهو المستثنى في قوله: تعالى: ﴿إِلا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ﴾ [سورة الحجر، الآية:٤٠] فليكن العبد شديد التفقد والمراقبة لهذه الدقائق وإلا التحق بأَتباع الشياطين وهو لا يشعر.

(١) كذا في الأصلين وفي النسخ المطبوعة [وفي] بزيادة الواو وهو خطأ لأن الآية كما في الأصلين.

(٢) سورة الأنبياء، الآية:١٦.

قوله: ﴿يَوْمِ﴾ معمول محذوف قدره المفسر بقوله: اذكر والواء للإستئناف. قوله: ﴿ يقول كن﴾ هذا كناية عن سرعة الإيجاد، وهو تقريب للعقول، وإلا فلا كاف ولا نون، قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾[1]. قوله: ﴿فيكون﴾ كل من كن ويكون تام يكتفي بالمرفوع، و[هو] ضمير يعود على جميع ما يخلقه الله. قوله: ﴿قوله: الْحَقّ﴾[2] يصح أن يكون مبتدأ وخبرا أو مبتدأ، والحق نعته [و][3] خبره قوله: يوم يقول. قوله: [لا محالة] أي لا بد من وقوعه وهو بفتح الميم مصدر ميمي، وأما بضم الميم فمعناه الباطل، وليس مرادا هنا. قوله: ﴿يوم ينفخ﴾ إما ظرف لقوله: ﴿وله الملك﴾ وخص بذلك وإن كان الملك لله مطلقا، لأنه في ذلك الوقت لا يملك أحد شيئا مما كان يملكه في الدنيا، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[4] أو خبر عن الملك والتقدير والملك ينفخ في الصورة له أو بدل من يوم يقول. قوله: ﴿في الصور﴾ هو نائب الفاعل. قوله: [القرن] أي المستطيل،[5] قال مجاهد: الصور قرن كهيئة البوق،[6] وفيه جميع الأرواح وفيه ثقب بعددها، فإذا نفخ خرجت كل روح من ثقبة ووصلت لجسدها فتحله الحياة،[7] فالإحياء يحصل بإيجاد الله عند النفخ لا بالنفخ، فهو سبب عادي. قوله: [النفخة الثانية] أي وأما الأولى فعندها يموت كل ذي روح. قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[8].

---

(١) سورة النحل، الآية:٧٧.

(٢) كذا في الأصلين [أ-ب] وفي النسخ المطبوعة [بالحق] وهو خطأ.

(٣) في الأصلين.

(٤) سورة الأنعام، الآية:٩٤.

(٥) يعني بها صفة القرن لا القرن نفسها.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه تعليقا في كتاب الرقاق باب نفخ الصور حديث رقم٦٠٦٣، ج٨ ص١٦٧.

(٧) هذا جزء من الأثر الذي أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في كتابه العظمة ج١ ص٨٤٧، بسند ضعيف إلى وهب ابن منبه، وسبب ضعفه وجود محمد بن إبراهيم بن العلاء في سنده وهو منكر الحديث ووهب بن منبه هذا مشهور برواية الإسرائيليات، انظر محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، **ذكر أسماء من تكلم فيه**، ط١، (الزرقاء، مكتبة المنار، ١٤٠٦هـ ،١٩٨٦م) ج٢ ص٢٣٢. وذكر هذا الأثر السيوطي في الدر المنثور ج٣ ص٦٨ وعزاه إلى أبي الشيخ الأصبهاني.

(٨) سورة الزمر، الآية:٦٨.

قوله: [ما غاب وما شوهد] أي بالنسبة، وإلا فالكل عند الله شهادة ولا يغيب عليه شيء، بل ما في تخوم[1] الأرضين والسماوات بالنسبة له كما على ظهرها سواء بسواء. قوله: ﴿وهو الحكيم الخبير﴾ كالدليل لما قبله.

قوله: ﴿وإذ قال إبراهيم﴾ الظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله: اذكر، والجملة معطوفة على جملة ﴿قل أندعوا من دون الله﴾، والمعنى قل يا محمد لكفار مكة أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا، واحتج عليهم بما وقع لإبراهيم مع قومه حيث شنع على عبادة الأصنام. قوله: [واسمه تارخ] يقرأ بالهاء المعجمة والحاء المهملة،[2] وقيل إن آزر اسمه تارخ لقبه، وهو جمع بين قولين، وتارخ بدل أو عطف بيان، وآزر من الأزر وهو العيب، لأنه قام به العيب حين عبد الأصنام أو العوج، ولا شك أنه قام به الأمران العيب والعوج. قوله: ﴿أصناما﴾ المراد بها ما صور على هيئة الإنسان وعبد من دون الله، كانت من خشب أو حجر أو ذهب أو فضة أو غير ذلك،[3] وأصناما مفعول أول لتتخذ، وآلهة مفعول

---

(١) التُّخومُ بالضم : الفصلُ بين الأرضينَ من المعالِمِ والحدودِ مُؤَنَّثَةٌ، انظر الزَّبيدي في تاج العروس من جواهر القاموس، ج ٣١ ص ٣٢٣.

(٢) اختلف المفسرون في تحديد اسم أبي إبراهيم عليه السلام، منهم من ذهب على أن اسمه تارخ وجزمه كالفراء والزجاج، قالا: اسم أبيه تارخ، أجمع عليه النسابون وآزر لقب له [ينظر الفراء في معاني القرآن ج١ ص ٣٤٠، والزجاج في معاني القرآن وإعرابه، ج٢ ص٢٩٠]، ومن المفسرين من قال إن له اسمان: آزر وتارخ، ومال إلى هذا القول اللإمام الطبري، [ينظر الطبري في تفسيره ج١١ ص٤٦٦، والخازن في تفسيره ج٢ ص١٢٢، والقرطبي في تفسيره ج١١ ص٢٢]، ومنهم من ذهب على أن اسمه آزر لاغير، وبه قال الحسن وغيره قالوا هذا ما نص عليه القرآن.

قلت: بل وفي السنة أيضا كما روى البخاري في صحيحه من حديث " أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: عَنِ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– قَالَ: " يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزر يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ..." ، [ينظر البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ [سورة النساء، الآية:١٢٥] وقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ﴾ [سورة النحل، الآية:١٢٠] وقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [سورة التوبة، الآية:١١٤]، وبهذا نستطيع أن نرجح بأن مسمى أبي إبراهيم عليه السلام هو آزر لا غير وبه سماه الصادق المصدوق.

(٣) الصَّنم والأصْنام وهو ما اتُّخِذ إلها من دون اللّه تعالى . وقيل : هو ما كان له جسْم أو صورة ، فإن لم يكن له جسم أو صورة فهو وثَن ." ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٥ ص١٢٣.

ثان، قوله: [تعبدها] أي أنت وقومك وهم الكنعانيون.[1] قوله: [استفهام توبيخ] أي على سبيل الإنكار. قوله: ﴿إني أراك﴾ أعلمك، فالكاف مفعول أول، وفي ضلال مبين مفعول ثان، ومقتضى هذه الآية وآية مريم، أن آزر أبا إبراهيم كان كافرا، وهو يشكل على ما قاله المحققون أن نسب رسول الله محفوظا من الشرك، فلم يسجد أحد من آبائه من عبد الله إلى آدم لصنم قط، وبذلك قال المفسر في قوله: تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾[2] وقال البوصيري في الهمزية[3]

وبد للوجوه منك كريم ❁❁ من كريم آبائه كرماء

وأجيب عن ذلك بأن حفظهم من الإشراك ما دام النور المحمدي في ظهرهم،[4] فإذا انتقل جاز أن يكفروا بعد ذلك، كذا قال المفسرون هنا، وهذا على تسليم أن آزر أبوه، وأجاب بعضهم أيضا بمنع أن آزر أبوه بل كان عمه وكان كافرا وتارخ أبوه مات في الفترة ولم يثبت سجوده لصنم، وإنما سماه أبا على عادة العرب من تسمية العم أبا، وفي التوراة اسم أبي إبراهيم تارخ. قوله: [بيِّن] أي ظاهر لا شك فيه. قوله: [كما أريناه[5] إضلال أبيه قومه] أي بسبب تعليمه التوحيد وكونه مجبولا عليه، لما ورده أنه حين

---

(١) الكنعانيون : أصل كلمة الكنعانيين (كنع) أو (خنع)، ويرجح بأن الاسم الأول هو للجد الأول كنعان، وهم من العموريين، وهم قبائل عربية، هاجرت من شبه الجزيرة العربية، إلي بلاد الشام وفلسطين، ومنهم الفينيقيون و اليبوسيون والآراميون والآشوريون والبابليون و الهكسوس. ينظر أبو الحسن الشيباني، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم، الكامل في التاريخ، ط٢، (بيروت– دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ)، ت: عبد الله القاضي، ج١ ص٦٣.

(٢) سورة الشعراء، الآية:٢١٩.

(٣) سبقت ترجمة الإمام البوصيري، وأما همزيته فهي من إحدى مؤلفاته الشعرية اللتي نالت اهتمامَ الشعراء والأدباء والباحثين، فأثنوا على قائلها، وقد عبّر عن عظمة الهمزيّة شارحُها الشيخ سُليمان بن عمر بن منصور المعروف بالجَمَل (ت ١٢٤٠هـ – ١٧٨٩م)، عبّر عن همزية البوصيري بقوله: : قصيدته الهمزيّة المشهورة، العذبة الألفاظ، الجزلة المعاني، النجيبة الأوضاع، العديمة النظير، البديعة التحرير، إذْ لم يُنسجْ على مِنْوالها، ولا وَصَلَ إلى حُسنها وكمالها أَحَدٌ. انظر: **مقدمة الفتوحات الأحمديّة بالمنح المحمديّة**، ط١، (القاهرة: ١٢٧٤هـ–١٨٥٧م.) ص٣٨.

ولقد أصبحت الهمزيّة من عُمُدِ التراث الإسلامي في تأريخ السيرة النبوية الشريفة، ولذلك نجد العلماء والباحثين الصوفيين وغيرهم يستشهدون بأبيات منها، كما هو الحال في الحاشية التي بين أيدينا واستشهد الآلوسي في تفسيره روح المعاني في أماكن منها: (ج:١٩-١٤١ و١٨٠، وج:٢٦-٧٥).

(٤) كذا في النسخ الأصلية وزيدت الهاء في النسخ الجديدة وهو خطأ.

(٥) كذا في الأصل وفي النسخ المطبوعة [رأيناه] وهو خطأ.

نزل في بطن أمه قام على قدميه وقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت، الحمد لله الذي هدانا لهذا. قوله: [ملك] أشار بذلك إلى أن المراد بالملكوت الملك، والتاء فيه للمبالغة كالرغبوت والرهبوت والرحموت، من الرغبة والرهبة والرحمة،[1] وعلى هذا فالملكوت والملك واحد، وللصوفية فرق بين الملك والملكوت،[2] فالملك ظهر لنا، والملكوت ما خفي عنا كالسماوات وما فيها إذا علمت ذلك، فالأولى إبقاؤه على ظاهره لما ورد[3] أنه أقيم على صخرة وكشف له من السماوات حتى العرش والكرسي وما في السموات من العجائب، وحتى رأى مكانه في الجنة، فذلك قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾[4] وكشف له من الأرض حتى نظر إلى أسفل الأرضيين ورأى ما فيها من العجائب، وهذا يفيد أن الرؤية بصرية لا علمية. قوله: [ليستدل به على وحدانيتنا] أي ليعلم قومه كيفية الاستدلال على ذلك لا لتوحيد نفسه، فإن توحيده بالمشاهدة لا بالدليل.[5] قوله: ﴿وليكون من الموقنين﴾ معطوف على محذوف قدره المفسر بقوله: ليستدل الخ. قوله: [اعتراض] أي بين قوله: ﴿وإذ قال إبراهيم﴾ وبين الاستدلال عليهم. قوله: ﴿فلما جن﴾ من الجنة وهي الستر، وحاصل ذلك[6] أن نمروز بن كنعان كان يدعوا الناس إلى عبادته، وكان له كهان ومنجمون، فقالوا له: إنه يولد في بلدك هذه السنة غلام يغير دين أهل الأرض، ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه، فأمر بقتل كل غلام يولد في تلك السنة، وأمر بعزل النساء عن الرجال، وجعل على كل عشرة رجلا يحفظهم، فإذا حاضت المرأة خلو بينها وبين زوجها، لأنهم كانوا لايجامعون في الحيض فإذا طهرت من الحيض حالوا بينهما، فخرج نمروز بالرجال في البرية وعزلهم عن النساء تخوفا من ذلك المولود،فمكث بذلك ما شاء الله، ثم بدت له حاجة إلى

---

(١) هذا ما ذهب إليه الكثيرون منهم الثعالبي في تفسيره ج١ ص٥٣٤، وانظر مجاز القرآن ج١ ص١٩٧-١٩٨، والطبري في تفسيره ج١١ ص ٤٧٠، والزجاج في معاني القرآن وإعرابه ج٢ ص٢٩١، وإصلاح المنطق ص٤١٩-٤٢٠.

(٢) وأما أهل السنة من المفسرين يرون خلاف ذلك،

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في مسنده ج٤ ص١٣٣٦، برقم ٧٥٠٢. وذكره السيوطي في الدر ج٦ ص١٠٤.

(٤) سورة العنكبوت، الآية:٢٧.

(٥) ولأن توحيد المشاهدة أقوى من توحيد الدليل.

(٦) ولم أجد من يرويها بسندها وأوردها أبي القاسم علي بن الحسن إبن هبة الله بن عبد الله الشافعي في تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، والقصة طوياة. ج٦ ص١٦٩.

المدينة فلم يأمن عليها أحدًا من قومه إلا آزر، فبعث إليه عنده فأحضره عنده وقال له: إن لي إليك حاجة أحب أوصيك بها، ولم أبعثك فيها إلا لثقتي بك، فأقسمت عليك ألا تدنو من أهلك، فقال آزر: أنا أشح على ديني من ذلك،فأوصاه بحاجته فدخل المدينة وقضى حاجة الملك، ثم دخل على أهله فلم يتمالك نفسه حتى واقع زوجته فحملت من ساعتها بإبراهيم، فلما دنت ولادتها خرجت هاربة مخافة أن يطلع عليها فيقتل ولدها، فلما وضعته جعلته في نهر يابس، ثم لفته بخرقة وتركته، قيل أخبرت أباه به، وقيل : لا، وكانت تختلف لينظر إليه ما فعل، فتجده حيا يمص من أصبع ماء، ومن أصبع لبنا، ومن إصبع سمنا، ومن إصبع عسلا، ومن أصبع تمرا، وكان إبراهيم يشب في اليوم كالشهر، وفي الشهر كالسنة، فمكث خمسة عشر شهرا، قالوا : فلما شب إبراهيم وهو في السرب قال لأمه من ربي؟ قالت: أنا، قال فمن ربك؟ قالت : أبوك، قال : فمن رب أبي؟ قالت: اسكت، ثم رجعت إلى زوجها فقالت: أرأيت الغلام الذي كنا نحدث أنه يغير دين أهل الأرض، ثم أخبرته بما قال، فأتاه أبوه آزر فقال إبراهيم: يا أبتاه من ربي؟ قال: أمك، قال: فمن رب أمي قال أنا، قال: فمن ربك قال: نمروذ، قال: فمن رب نمروذ فلطمه لطمةً وقال له اسكت.

قوله: ﴿فلما جن عليه الليل رءا كوكبا﴾ الآية، واختلف في وقت هذا القول، هل كان قبل البلوغ والرسالة أو بعدهما، والصحيح أنه بعد البلوغ وإيتاء الرسالة،[1] وما وقع من إبراهيم إنما هو مجاراة لقومه واستدراج لهم، لأجل أن يعرفهم جهلهم وخطأهم في عبادة غير الله، وليس إثباته الربوبية لهذه الأجرام على حقيقة حاشاه من ذلك، لأن الأنبياء معصومون من الجهل قبل النبوة وبعدها، لأن توحيدهم

---

(١) ذكر هذا الخلاف الخازن دون عزوها إلى أصحابها، ينظر الخازن في تفسيره ج٢ ص ١٢٥. وذكرها أبو الحيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط وعزاه إلى ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال :" إن ذلك وقع له في حال صباه وقبل بلوغه وأنه عبده حتى غاب، وعبد القمر حتى غاب وعبد الشمس حتى غابت" ج٤ ص١٧٢.

قلت: هذا لا يصح، لأنه لا يجوز أن يقال في نبي من أنبياء الله أنه عبد لغير الله، وإنما جرى بينه وبين قومه حوار التعليم، وعندما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿هَذَا رَبِّي﴾ [سورة الأنعام: الآية٧٦] لم يكن على وجه إثبات الربوبية للكوكب أصلا إنما أراد أن يُفهِم قومه بأن هذا الكوكب الذي يعبدونه، الذي لا يضر ولا ينفع لا يمكن أن يكون إلها، ولا يجوز الإعتقاد بأن إبراهيم عليه السلام عبد الكوكب، أو عبد القمر، أو عبد الشمس والعياذ بالله تعالى، حاشاه وغيره من الأنبياء أن يقوم بذلك، وقد قال الباري جل وعلا في حق إبراهيم: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ [سورة الانبياء:٥١] يعني أن إبراهيم كان على هدى من ربه منذ صغره، لم يعبد قط سوى الله تبارك وتعالى، وعلى هذا لإن هذا الأثر لا يثبت من ابن عباس رضي الله عنهما.

بالشهود على طبق ما جبلت عليه أرواحهم من يوم ألست بربك.[1] قوله: [قيل هو الزهرة][2] خصها لأنها أضوأ الكواكب وهي في السماء الثالثة، قوله: [وكانوا نجامين] أي عالمين بالنجوم أو عابدين لها. قوله: [في زعمكم] أي فالجملة خبرية على حسب زعمهم، لا على حسب الواقع واعتقاد إبراهيم. قوله: [غاب] يقال أفل الشيء أفولا. قوله: [التغير والانتقال] أي لأن الأفول حركة، الحركة تقتضي حدوث المتحرك وإمكانه، فيمتنع أن يكون إلها. قوله: [فلم ينجع] أي يؤثر ويفد، وهو من باب خضع، يقال نجع نجوعا ظهر أثره.

قوله: ﴿بازغًا﴾ حال من القمر والبزغ الطلوع. قوله: ﴿قال هذا ربي﴾ أي بزعمكم كما تقدم. قوله: [يُثبّتْني على الهدى] إنما قال ذلك لأن أصل الهدى حاصل للأنبياء بحسب الفطرة والخلقة فلا يتصور نفيه. قوله: [تعريض لقوله] إنما عرض لضلالهم في أمر القمر، لأنه أيس منهم من أمر الكوكب، ولو قاله في الأول لما أنصفوه، ولهذا صرح في الثالثة بالبراءة منهم وأنهم على شرك، أي فالتعريض هنا لاستدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم. قوله: [فلم ينجع فيهم ذلك] أي الدليل المذكور. قوله: [لتذكير خبره] أي وهو ربي وهذا كالمتعين، لأن المبتدأ والخبر عبارة عن شيء واحد، والرب سبحانه وتعالى

---

(١) أي من يوم كنا على ظهر أبينا آدم فنادانا الله إلى التوحيد وقال فيه قولا عظيما ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٧٢].

(٢) قلت : والذي يظهر لي أن يقال رأى نجما فقط دون التحديد لما أن الأثر الذي جاء عنه لا يصح، وهذا الأثر رواه ابن أبي حاتم الرازي من حسين بن حسن الأشقر عن الصباح بن يحيى عن زيد بن علي في قوله: تعالى: ﴿فلما جن عليه الليل رأى كوكبا﴾ قال: الزهرة. وذكره السيوطي في الدر المنثور ج٢ ص٢٦ ونسبه لابن المنذر، وابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ عن زيد بن علي كلهم من طريق الصباح الكوفي وهو متهم، قال فيه البخاري: فيه نظر، وقال ابن عدي هو من جملة الشيعة ، وقال أبو حاتم: هو شيخ، وقال ابن حبان: كان ممن يخطيءحتى خرج عن حد الإحتجاج به إذا انفرد، وقال الذهبي : متروك بل متهم. انظر في ترجمته في الجرحج٤ ص٤٤٢، والمجروحين ج١ ص٣٧٧، والميزان ج٢ ص٣٠٦، واللسان ج٣ ص١٨٠.

مصان عن شبهة التأنيث، ألا تراهم قالوا في صفته علام ولم يقولوا علامة، وإن كان علامة أبلغ تباعدا عن علامة التأنيث. [١]

قوله: ﴿هذا أكبر﴾ أي جرما وضوءا، وسعة جرم الشمس مائة وعشرون سنة كما قاله الغزالي[٢] وفي رواية[٣] أنها قدر الأرض مائة وستين مرة، والقمر قدرها مائة وعشرين مرة. قوله: ﴿مما يشركون﴾ ما مصدرية أي بريء من إشراككم، أو موصولة أي من الذي تشركونه من الله فحذف العائد. قوله: [والأجرام] عطف عام لأنها تشمل الأصنام والنجوم. قوله: [قصدت بعبادي] أي فليس المراد بالوجه الجسم المعروف، بل المراد به القلب، وإنما عبر المفسر بالقصد، لأن القصد والنية محلهما واحد، وإنما انتهى الوجه الحسي لاستحالة الجهة على الله. [٤]

---

(١) وإلى هذا القول ذهب أهل السنة والجماعة لما ورد في سنن أبي داود بإسناده إلى الصُبَي بن مَعْبَد، أنه أول ما حج لبى بالحج والعمرة جميعًا ، ثم ذكر ذلك لعمر فقال : هديت لسنة نبيك ، وإن لم يذكر ذلك في تلبيته فلا بأس ، فإن النية محلها القلب. [انظر: أبا دود، سنن أبي داود، كتاب الحج، باب فِي الإِقْرَانِ، ج٢ ص٩٢ برقم ١٨٠١، وصححه الألباني].

(٢) هو أبو حامد محمد الغزّالي الطوسي النيسابوري الصوفي الشافعي الأشعري، أحد أهم أعلام عصره وأحد أشهر علماء المسلمين في التاريخ، ومجدد علوم الدين الإسلامي في القرن الخامس الهجري، كان فقيها وأصوليا وفيلسوفيا ، وكان صوفي الطريقةِ، شافعي الفقهِ إذ لم يكن للشافعية في آخر عصره مثلَه، وكان سني المذهب على طريقة الأشاعرة في العقيدة، لُقّب الغزالي بألقاب كثيرة في حياته، أشهرها لقب" حجّة الإسلام"، وله أيضاً ألقاب مثل: زين الدين، ومحجّة الدين، والعالم الأوحد، ومفتي الأمّة، وبركة الأنام، وإمام أئمة الدين، وشرف الأئمة. انظر: ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي، **معجم البلدان**، ط١، (دار صادر، ١٣٩٧هـ – ١٩٩٣م) ج٤ ص٢١٦-٢١٩، ومحمد البهي، **الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي**، ط٣، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ) ص٢٣٢.

(٣) هذا من قول الرازي في تفسيره، ولكن يشعر القاريء كأنه رواية الحديثية أو الأثر ولكنه منقول من كتب الفلكيين. ينظر الفخر الرازى، في تفسيره مفاتيح الغيب من القرآن الكريم، ج٢ ص ٢٥٨.

(٤) نعم، النية محلها القلب ولكن لم يكن السلف من المفسرين يرون أن هذه الآية تنفي عن الله عز وجل الجهة ، ولذا لم يلتفت إلى تفسير هذه الآية أحد من العلماء في هذه الناحية ، بل فسروها وقالوا في قوله: [حنيفاً] معناه: حاجاً، وبهذا فسر حبر هذه الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما،﴿ينظر الطبري في تفسير سورة البقرة الآية١٣٥، ج٣ ص١٠٧، وذكر ابن كثير رواية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: حاجا) وقال ابن كثيرفي قوله: :﴿إني وجهت وجهي﴾ أي أخلصت ديني وأفردت عبادتي [انظر: ابن كثير في تفسيره ج٦ ص٩٨] .

قوله: [خلق] ﴿السموات والأرض﴾ أي وما فيهما، ومن جملته معوداتكم العلوية والسفلية، [فقد][1] أبطل السلفية بقوله: : إني أراك وقومك في ضلال مبين، والعلوية بقوله: فلما جن عليه الليل الخ. قوله: ﴿حنيفا﴾ حال من التاء في وجهت.

قوله: ﴿وحاجه قومه﴾ روى[2] أنه لما شب إبراهيم وكبر، جعل آزر يصنع الأصنام ويعطيها له ليبيعها، فيذهب بها وينادي يا من يشتري ما يضره ولا ينفعه، فلا يشتريها أحد، فإذا بارت عليه ذهب بها إلى نهر وضرب فيه رؤوسها وقال لها اشربي استهزاء بقومه، حتى إذا فشا فيهم استهزاؤه جادلوه، وذلك قوله: تعالى: ﴿وحاجه قومه﴾ الخ. قوله: [وهددوه] عطف تفسير على [جادلوه] أي فمحاجتهم كانت بالتهديد لا بالبرهان لعدمه عندهم ومحاجة إبراهيم كانت بالبرهان ففرق بين المقامين. قوله: [أن تصيبه بسوء] أي كخبل[3]وجنون. قوله: ﴿قال أتحاجوني﴾ الخ، استئناف وقع جوابا لسؤال نشأ من حكاية محاجتهم، كأنه قيل فماذا قال حين حاجوه. قوله: [بتشديد النون] أي لإدغام نون الرفع في نون الوقاية. وقوله: [تخفيفها] أي تخلصا من اجتماع مشددين في كلمة واحدة وهما الجيم والنون. قوله: [عند النحاة] أي كسيبويه[4]وغيره من البصريين، مستدلين بأنها نائبة عن الضمة، وهي قد تحذف [تخفيفا][5] كما في قراءة أبي عمرو[6] وينصركم ويأمركم بالإسكان، كذلك ما ناب عنها. قوله: [عند

---

(١) كذا في الأصل وفي النسخ المطبوعة [لقد].

(٢) هذه قصة ذكرها البغوي في تفسيره، مصدر سابق، ج٣ ص١٦٣، والواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد. مصدر سابق، ج٢ ص٢٩٠. دون إسناد ولا عزو لأحد ولم أجد غيرهما يذكر القصة عند هذه الآية.

(٣) الخَبْلُ : بسكون الباء فَسادُ الأَعْضاءِ وبالفتح الجن. ينظر الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب في القاموس المحيط، ص١٠٣.

(٤) هو عمرو بن عثمان بن قنبر، مولى بني الحارث بن كعب، وكان يكنى أبا بشر وقيل كنيته أبو الحسن، وسيبويه بالفارسية "رائحة التفاح" وقيل إن أمه ترقصه وتلاعبه في صغره بذلك. وقال الآخرون : كان يشم منه رائحة الطيب فسمي سيبويه. وقيل : غير ذلك. وتوفي وله نيف وأربعيين على المشهور. ينظر إتحاف النبلاء ببيان تسمية العلماء ، وأبجد العلوم ج٣ ص٣٨.

(٥) سقط ما بين القوسين في النسخ المطبوعة.

(٦) هو حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صهيب و يقال : ابن صهبان الأزدى أبو عمر الدورى المقرىء الضرير الأصغر– صاحب الكسائي– إمام القراءة في عصره، وله مؤلفات منها: ما اتفقت ألفاظه ومعانيه من القرآن، و أجزاء القران و قرآات النبي صلى الله عليه وسلم، كان من كبارالآخذين عن تبع الأتباع، ولد ١٥٠ هـ وهو أول من جمع القراءات. وكان ضريرا، نسبته إلى (الدور) (محلة ببغداد) ونزل سامراء. وتوفي ٢٤٦ أو ٢٤٨ هـ. انظر: ابن الجزري، غاية النهاية، مصدر سابق، ج١ ص ٢٥٥.

القراء] أي مستدلين بأن الثقل إنما حصل بها. قوله: ﴿وقد هدان﴾ يرسم بلا ياء لأنها من ياءات الزوائد، وفي النطق يجب حذفها في الوقف، ويجوز إثباتها وحذفها في الوص، وجملة وقد هدان في محل نصب حال من الياء في أتحاجوني، والمعنى أتحاجوني في الله حال كوني مهديا من عنده، وحجتكم لا تجدي نفعا لأنها داحضة. قوله: ﴿ما تشركون به﴾ أشار إلى أن ما موصولة، فالهاء في به تعود على ما، والمعنى ولا أخاف الذي تشركون الله به، أو تعود على الله، والمحذوف هو العائد على ما. قوله: [لكن] أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع، لأن المشيئة ليست مما يشركون به. قوله: [فيكون] بالنصب عطف على مدخول أن أو بالرفع استئناف، أي فهو يكون محول عن الفاعل كما يفيده المفسر نحو ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً﴾[1]، والجملة كالتعليل للاستثناء قوله: ﴿أفلا تتذكرون﴾ الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه، أي أتعرضون عن التأمل في أن آلهتكم جمادات لا تضر ولا تنفع فلا تتذكرون بطلانها.

قوله: ﴿وكيف أخاف ما أشركتم﴾ استئناف مسوق لنفي الخوف عنه بالطريق الإلزامي بعد نفيه بحسب الواقع في سابقا ﴿ولا أخاف ما تشركون به﴾[2] والاستفهام للتعجب. قوله: ﴿ما لم ينزل به﴾ مفعول لأشركتم. قوله: ﴿فأي الفريقين﴾ أي من الموحد والمشرك. قوله: ﴿إن كنتم تعلمون﴾ إن شرطية وجوابها محذوف، قدره المفسر بقوله: فاتبعوه.

قوله: ﴿الذين ءامنوا﴾ الخ، يحتمل أن يكون من كلام إبراهيم، أو من كلام قومه، أو من كلام الله تعالى، أقوال للعلماء، فإن قلنا إنها من كلام إبراهيم،[3] كان جوابا عن السوال في قوله: فأي الفربقين الخ، وكذا [إن][4] قلنا إنها من كلام قومه، ويكونون أجابوا بما هو حجة عليهم، وعلى هذين الإحتمالين فهو خبر لمحذوف، وإن كان من كلام الله[5] تعالى لمجرد الإخبار، كان الموصول مبتدأ، وأولئك

---

(١) سورة مريم، الآية: ٤.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٨٠.

(٣) انظر القرطبي، في تفسيره ج٧ ص٣٠، والخازن في تفسيره ج٢ ص١٢٧، والبحر المحيط ج٤ ص١٧١.

قلت: فلا منافاة بين أن يكون كلام الله تعالى أو كلام إبراهيم عله السلام، إذ إبراهيم يبلغ كلام الله عز وجل.

(٤) سقط ما بين القوسين في النسخ المطبوعة.

(٥) ينظر: القرطبي في تفسيره ج١١ ص٤٩٢-٤٩٤، والبغوي ج٢ ص٢٧.

مبتدأ ثان، والأمن مبتدأ ثالث، ولهم خبره، والجملة خبر أولئك، وأولئك وخبره خبر الأول، قوله: [في حديث الصحيحين](1) أي ففيهما عن ابن مسعود قال: لما نزلت ﴿الذين ءامنوا﴾ الخ، شق ذلك على المسلمين وقالوا أينا لم يظلم نفسه، فقال رسول الله -ﷺ- ليس ذلك، إنما هو للشرك، ألم تسمعوا قول لقمان لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[2]. وهذا ما ذهب إليه أهل السنة، وذهب المعتزلة﴿3﴾ إلى أن المراد بالظلم في الآية المعصية لا الشرك، بناء على أن خلط أحد الشيئين بالآخر

---

(١) أخرجه البخاري، في صحيح الجامع. كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿واتذ الله إبراهيم خليلا﴾ وقوله: : ﴿إن إبرلهيم أمة﴾ وقوله: : ﴿إن إبراهيم لأواه حليم﴾. ج٤ ص١٩٨ برقم٦٧٤٥٢. ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه، ج٢ ص١٤٣. وساقه البغوي بسنده في تفسيره عند هذه الآية، ينظر البغوي في تفسيره، ج٢ ص١٢٧.

(٢) سورة لقمان، الآية:١٣.

(٣) المعتزلة هي طائفة إسلامية تخلاف أهل السنة في كثير من معتقداتها، وكانوا يرون أن أفعال الخير من الله وأفعال الشر من الإنسان وأن القرآن مخلوق محدث ليس بقديم وأن الله تعالى غير مرئي يوم القيامة وأن المؤمن إذا ارتكب الذنب مثل الزنا وشرب الخمر كان في منزلة بين منزلتين، (أي ليس هو بمؤمن ولا كافر) ومن هنا اضطروا بتفسير الشرك معصية ليخلدوا مرتكبي المعصية في النار وقال عند تفسير هذه الآية ﴿ ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ أي لم يخلطوا إيمانهم بمعصية تفسقهم ﴿ج٨ ص٣٦٩﴾، وهذا من عدولهم في تفسير بعض الآيات ويرد قوله: هذا حديث ابن مسعود الذي أورده المصنف فراجع. وعلى هذا التفسير فإن من دخل النار لمعصية لم يخرج منها. وإسموا معتزلة لأن واصل بن عطاء كان يجلس إلى الحسن البصري -رضي الله تعالى عنه- فلما ظهر الخلاف وقالت الخوارج بكفر مرتكب الكبائر وقال الجماعة بأنهم مؤمنون وإن فسقوا بالكبائر، خرج واصل عن الفريقين وفسقهما وقال إن الفاسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر بل هو في منزلة بين منزلتين فطرده الحسن رضي الله تعالى عنه عن مجلسه فاعتزل عنه فسميت أتباعه معتزلة. ولم يزل مذهب الإعتزال ينمو إلى أيام الرشيد ولكنه سكت ولم يقل شيئا إلى أن ولي المأمون فقال بخلق القرآن وبقي يقدم رجلا ويؤخر أخرى في الدعوة إلى ذلك، إلى أن قوي عزمه في السنة التي مات فيها وطلب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، فأخبر في الطريق أنه توفي فبقي الإمام محبوساً بالرقة حتى بويع المعتصم فأحضر إلى بغداد وعقد له مجلس المناظرة وفيه عبد الرحمن بن إسحق، والقاضي أحمد بن أبي دؤاد وغيرهم، فناظروه ثلاثة أيام فلم يقطع في بحث حتى يفهمهم، وسفه أقوال الجميع فأمر به فضرب بالسياط إلى أن أغمي عليه ورمي على بارية وهو مغشي عليه ثم حمل وصار إلى منزله ولم يقل بخلق القرآن ومكث في السجن ثمانية وعشرين شهراً ولم يزل يحضر الجمعة ويفتي ويحدث حتى مات المعتصم وولي الواثق فأظهر ما أظهر من المحنة وقال للامام أحمد لا تجمعن إليك أحداً ولا تسكنن في بلد أنا فيه، فاختفى الإمام أحمد لا يخرج إلى صلاة ولا غيرها، حتى مات الواثق وولي المتوكل، فأحضره وأكرمه وأطلق عليه مالا فلم يقبله وفرقه، وأجرى على أهله وولده في كل شهر أربعة آلاف درهم ولم تزل جارية إلى أن مات المتوكل، وفي أيامه ظهرت السنة وكتب إلى الآفاق برفع ما توقع من المحنة وإظهار السنَّة وتكلم في مجلس بالسنة، ولم يكن في هذه الأمة الإسلامية أهل بدعة أكثرمنهم . ومن مشاهيرهم على ما ذكروا من الفضلاء والأعيان الجاحظ وواصل بن عطاء والقاضي عبد الجبار والرماني النحوي وأبو علي الفارسي وأقضى القضاة الماوردي الشافعي، ومن المعتزلة أيضاً الصاحب بن عباد

يقتضي اجتماعهما، ولا يتصور خلط الإيمان بالشرك، لأنهما ضدان لا يجتمعان، وأجاب أهل السنة بأن الإيمان قد يجامع الشرك، ويراد بالإيمان مطلق التصديق، سواء كان باللسان أو بغيره، وكذا إن أريد به تصديق القلب، لجواز أن يصدق المشرك بوجود الصانع دون وحدانيته، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[1] أفاده زاده على البيضاوي. [2]

قوله: ﴿وتلك حجتنا﴾ أعرب المفسر اسم الإشارة مبتدأ، وحجتنا بدل منه، وجملة ﴿ءاتيناها﴾ خبر المبتدأ. وقوله: ﴿على قومه﴾ متعلق بمحذوف حال من الهاء في آتيناها، وهو أحسن الأعاريب[3] وقيل إن تلك حجتنا مبتدأ وخبر، وآتيناها خبر ثان، وعلى قومه متعلق بحجتنا، واسم الإشارة عائد على قوله: ﴿فلما جن عليه الليل﴾ إلى هنا، أو من قوله: ﴿وكذلك نري إبراهيم﴾ [الأنعام:٧٥] إلى هنا. وقوله: [أفول الكواكب] أي التي هي الزهرة والقمر واشمس. قوله: [وما بعده] أي وهو قوله: ﴿وحاجه قومه﴾[4]الخ. قوله: ﴿ءاتيناها إبراهيم] أي بوحي أو إلهام. قوله: [حجة] ﴿على قومه﴾ قدره المفسر إشارة إلى أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من الهاء في ءاتيناها. قوله: ﴿نرفع درجات من نشاء﴾ مفعول نشاء محذوف تقديره رفعها. قوله: [بالإضافة والتنوين] أي فهما قراءتان سبعيتان[5] فعلى الإضافة مفعول به هو درجات وعلى التنوين هو من نشاء، ودرجات ظرف لنرفع، والتقدير نرفع من نشاء في درجات، قوله: [في العلم والحكمة] [6] قيل هي النبوة، فالعطف مغاير، وقيل العلم النافع،

وصاحب الكشاف والفراء النحوي والسيرافي وابن جني والله أعلم. ينظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي. **البداية والنهاية**. ط١، (دار هجر، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، ج١٣ ص٣٤٨-٣٤٩. و الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم. **الملل والنحل**. ط٣، (بيروت: دار المعرفة، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م) ص٥٦-٥٩.

(١) سورة يوسف، الآية:١٠٦.

(٢) انظر عصام الدين، اسماعيل بن محممد الحنفي. **حاشية القونوي على تفسير البيضاوي**، ط١، (بيروت: دار النكتب العلمية، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)، ج٨ ص١٧٣-١٧٤.

(٣) كذا قال ابن سيده . ينظر ابن سيده . إعراب القرآن. ج١ ص٤٥.

(٤) سورة الأنعام، الآية:٨٠.

(٥) قرأ الكوفيون بالتنوين وقرأ الباقون بغير تنوين. انظر: أبا عمرو الداني، عثمان بن سعد. **كتاب التيسير في القراءات السبع**، ط٢، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م) ص١٠٤.

(٦) وأمال إلى هذا الإمام البغوي في تفسيره، ينظر: البغوي،مصدر سابق، ج٣ ص١٦٤.

فالعطف خاص على عام اعتناء بشرف نفع العلم وإظهارا لفضله. قوله: ﴿إن ربك حكيم﴾ أي يضع الشيء في محله، وهو كالدليل لما قبله، والمعنى أن الله يحكم لا معقب لحكمه، فيرفع من يشاء، ويضع من يشاء، لا اعتراض عليه، فإنه ﴿الحكيم﴾ يضع الشيء في محله، ﴿العليم﴾ لا يخفى عليه شيء.

قوله: ﴿ووهبنا له إسحاق﴾ الخ، لما أنعم الله على إبراهيم عليه السلام بالنبوة والعلم، ورفع درجاته حيث جاهد في الله حق جهاده، أتم الله عليه النعمة، بأن وهب له إسحاق ويعقوب وإسماعيل وجعل في ذريته النبوة إلى يوم القيامة،[1] وإسحاق هو من سارة، وجملة وهبنا معطوفة على قوله: ﴿وتلك حجتنا﴾ عطف فعلية على اسمية، والمقصود من تلاوة هذه النعمعلى محمد تشريفه، لأن شرف الوالد يسري للولد. قوله: ﴿كلاً هدينا﴾ أي أي للشرع الذي أوتيته. قوله: ﴿ونوحا هدينا من قبل﴾ نوح هو ابن لَمك بفتح اللام وسكون الميم وبالكاف، وقيل ملكان بفتح الميم وسكون اللام، وبالنون بعد الكاف ابن متوشلخ، بضم الميم وفتح التاء الفوقية والواو، وسكون الشين المعجمة وكسر اللام، وبالخاء المعجمة ابن إدريس. قوله: ﴿ومن ذريته﴾ يحتمل أن الضمير عائد على نوح، لأنه أقرب مذكور واختاره المفسر، ويحتمل أنه عائد على إبراهيم، لأنه المحدث عنه، ويبعده ذكر لوط في الذرية، مع أنه ليس ذرية إبراهيم، بل هو ابن هرون وهو أخو[2] إبراهيم. قوله: ﴿وأيوب﴾ هو ابن أموص بن رازح بن عيص بن إسحاق.[3] قوله: ﴿وموسى﴾ هو ابن عمران بن يصهر بن لاوي بن يعقوب، وقوله: ﴿وهرون﴾ أي وهو أخو موسى وكان أسن منه بسنة. قوله: ﴿نجزي المحسنين﴾ أي المؤمنين، أي فمن اتبعهم في الإيمان ألحق بهم ورفع الله درجاته. قوله: [يفيد أن الذرية الخ] أي لأن عيسى لا أب له.

---

(١) قلت : وهذا هومعتقد أهل السنة والجماعة، فالأنبياء متفاوتون في الدرجات، النبي ﷺ هو أفضل خلق الله على الإطلاق، ثم أهل العزم من الرسل وهم أهل الثبات والجد من الرسل وهم على المشهور إبراهيم الخليل وموسى الكليم وعيسى الروح ونوح النجي فيكونون خمسة بنبينا محمد –ﷺ– ، وهم المذكورون في قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [سورة الأحزاب، الآية:٧] ثم سائر الأنبياء ثم سائر الخلق. ينظر: مختصر معارج القبول.

(٢)كذا في الأصلين وفي النسخ المطبوعة [أخوا] بالألف وهو خطأ.

(٣) ذكر الثعلبي هذا النسب، غير أنه قال :عيصا بدل عيص، ينظر الثعلبي النيسابوري، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم. **الكشف والبيان**، ط١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م) ج٤ ص١٦٦.

قوله: ﴿وإلياس﴾ [ابن أخي هارون] وقيل هو إدريس فله اسمان وهو خلاف الصحيح، لأن إدريس أحد أجداد نوح وليس من الذرية، والياس بهمز أوله وتركه وهو بن ياسيناىب فنحاص بن عيزار بن هارون بن عمران، وهذا هو الصحيح، فالصواب للمفسر حذف لفظة أخي.

قوله: ﴿واليسع﴾ الجمهور على أنه بلام واحدة ساكنة وفتح الياء، وقريء بلام مشددة وياء ساكنة، وهو ابن أخطوب بن العجوز. قوله: ﴿ويونس﴾ هو ابن متى وهو أمه. وقوله: ﴿وكلا فضلنا على العالمين﴾ أي على سائر الأولين والآخرين. قوله: [عطف على كلا] أي والعامل فيه فضلنا، وقوله: [أو نوحا] أي العامل في هدينا، والأقرب الأول. قوله: [ومن للتبعيض] هذا ظاهر في الآباء والأبناء لا الإخوان فإنهم كلهم مهديون. قوله: [لأن بعضهم لم يكن له ولد الخ] هذا تعليل لكون من للتبعيض، وقد خصه المفسر بالذرية، ويقال مثله في الآباء. والحاصل أنه ذكر في هذه الآيات من الأنبياء الذين يجب الإيمان بهم تفصيلا ثمانية عشر، وبقية سبعة وهم محمد -ﷺ- وإدريس وشعيب وصالح وهود ذوالكفل وآدم، وتكون الجملة خمسة وعشرون مذكورين في القرآن،[1] واختلف في نبوتهم، لقمان وذو الكفل والعزيز، من أنكر وجودهم كفر، ومنم أنكر نبوتهم كفر. [2] قوله: [الذي هدوا إليه] أي وهو التوحيد.

---

(١) فهذا هو ماعتقده أهل السنة والجماعة يوجبون الإيمان بهم جملة وبمن ذكرت أسماءهم جملة وتفصيلا على نحو ما جاء به النصوص من مسمياتهم وأخبارهم وفضائلهم وخصائصهم، وأما عددهم فقد اختلف فيه لاختلافهم على صحة الأحاديث الواردة في عدد الأنبياء والرسل، فحكم ابن الجوزي بالضعف على الوايات بحجة أن متون الحديث مضطربة. انظر ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي. تفسير القرآن العظيم، ط١، (جيزة: مكتبة أولاد الشيخ للتراث، ١٤١٢هـ-٢٠٠٠م)، ج٤ ص٣٧١. قلت: لقد أخرج ابن حبان حديثا صحيحا من طريق أحمد بن قاسم بن القاسم عن القاسم بن أصيغ عن الحادث بن أبي أسامة عن الفضل بن دكين عن هشام بن عروة عروة عن عروة بن الزبير عن سعد الغفاري عن أبي ذر رضي الله عنه، وهذا إسناد صحيح، انظر ابن حبان، كتاب البر والإحسان، باب ما جاء في الطاعات وثوابها.

(٢) يجب الإيمان بكل الرسل والأنبياء عليهم السلام إيمانا مجملا، دون أن يفرق بين أحد منهم، ونؤمن بهم جميعاً دون حصر بعدد. ومن هؤلاء الرسل من قصَّ الله علينا قصصهم وذكر لنا أسماءهم، ومنهم من لم يذكرهم ولم يقص قصصهم قال الله تعالى: [ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لمن نقصص عليك] [غامر: ٧٨].

قوله: ﴿ولو أشركوا﴾ [فرضا] أشار بذلك إلى الشرك مستحيل عليهم، فلو غير مقتضيه للوقوع أو هو خطاب لهم والمراد غيرهم.

قوله: ﴿أولئك﴾ أي الأنبياء المتقدمون وهم الثمانية عشر. قوله: [الحكمة] أي العلم النافع أي المراد بالحكم الفصل بين الناس والقضاء بينهم. قوله: ﴿فقد وكلنا﴾ أي وفقنا وأعددنا للقيام بحقوقها، وهذا التعليل لجواب الشرط محذوف تقديره: فلا ضرر عليك لأننا قد وكلنا الخ.، وفي هذه وعد من الله بنصره وإظهار دينه. قوله: ﴿ ليسوا بها بكافرين﴾ أي بل هم مستمرون على الإيمان بها، والمعنى أي لا تحزن يا محمد على كفر أهل مكة، لأن من كفر منهم وباله على نفسه، وأما آيانت الله فقد جعل لها أهلا يؤمنون بها ويعملون إلى يوم القيامة. قوله: [من التوحيد الخ] دفع ذلك ما يقال إن هذه الآية تقتضي أن رسول الله تابع لغيره من الأنبياء، مع أن شرعه ناسخلجميع الشرائع، وإن كلهم ملتمسون منه، فأجاب بأن الاقتداء بالتوحيد الصبر على الأذى، لا في فروع الدين. قوله: [وقفا ووصلا] أما الوقف فظاهر، وأما الوصل فإجراء له مجرى الوقف، قال ابن مالك:

وربما أعطى لفظ الوصل ما		للوقف نثرا وفشا منتظما

قوله: ﴿الإنس والجن﴾ أي أي ففي الآية دليل على عموم رسالته للعالمين إلى يوم القيامة، وقد احتج العلماء بهذه على أن رسول الله -ﷺ- أفضل من جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وبيانه أن جميع خصال الكمال وصفات الشرف كانت متفرقة فيهم، فكان نوح صاحب احتمال أذى على قومه وإبراهيم صاحب كرم وبذل ومجاهدة في سبيل الله عز وجل، وإسحاق ويعقوب ولأيوب أصحاب صبر على البلاء والمحن، وداود وسليمان أصحاب شكر على النعم، ويوسف جمع بين الصبر والشكر، وموسى صاحب الشريعة الظاهرة والمعجزات الباهرة، وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس من أصحاب الزهد في الدنيا، وإسماعيل صاحب صدق الوعد، ويونس صاحب تضرع وإخبات، ثم إن الله أمر نبيه أن يقتدي بهم في

جميع الخصال المحمودة المتفرقة فيهم، فثبت بهذا بأنه أفضل الأنبياء لما اجتمع فيه من هذه الخصال والله أعلم اه من الخازن.[1]

لكن قد إن المزية لا تقتضي الأفضلية، ولذا قال أشياخنا المحققون إنه وإن كان جامعا لجميع ما تفرق [في] [2] غيره، لتفضيله من الله لا بتلك المزايا، فقد فاقهم فضلا ومزايا.

تتمة: "بين آدم[3] ونوح ألف ومائة سنة[4] وعاش آدم تسعمائة وستين سنة وكان بين إدريس ونوح ألف سنة، وبعث نوح لأربعين سنة، ومكث في قومه ألف سنة إلا خمسين،

وعاش بعد الطوفان ستين سنة،[5] وقيل بعث نوح وهو ابن ثلاثمائة وخمس وخمسين، وإبراهيم[6] ولد على رأس سنة من آدم، وبينه وبين نوح عشرة قرون، وعاش إبراهيم مائة وخمسا وسبعين، وولده إسماعيل[7]

---

(١) انظر: الخازن، علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، لباب التأويل في معاني التنزيل، ط١، بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م)، ج٣ ص١٥٧.

(٢) تكرر ما بين القوسين في النسخ المطبوعة وهو خطأ.

(٣) وقد ذكر آدم في القرآن خمس وعشرون مرة في القرآن العظيم، وكان نبيا كما في حديث أبي ذر الغفاري –رضي الله عنه- عند الهيثمي وفيه: "قلت : يا رسول الله أي الأنبياء كان أول؟ قال: " آدم" . قلت : يا رسول الله ونبي كان؟ قال: " نعم نبي مكلم". ينظر: الهيثمي، علي بن أبي بكر، **مجمع الزوائد**. د.ط، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٢هـ) ج٨ ص١٠٠.

(٤) وذكر نوح عليه السلام في الكتاب العزيز خمسين مرة، وفي حديث أبي أمامة الباهلي عند الطبراني "أن بينه وبين آدم عشرة قرون" والحديث صحيح لغيره، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وقال بعد ذكر الحديث: "رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير أحمد بن خليل الحلبي وهو ثقة" الهيثمي ، مرجع سابق، ج ٨ ص١٠٠. ولا منافاة بين النصين، بين ما نقله المصنف وبين ما أخرجه الطبراني إنما ذكره المصنف تعديدا بالسنوات وذكر بالقرون، ينظر: الطبراني، سليمان بن أحمد، **المعجم الكبير**، ط٢، (المدينة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م) ج٥ ص٧٤.

(٥) كذا في المستدرك الحاكم في كتاب التاريخ، ذكر إدريس –عليه السلام- قال: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حَمْشَاذَ الْعَدْلُ، ثنا هِشَامُ بْنُ عَلِيٍّ السَّدُوسِيُّ، ثنا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، ثنا دَاوُدُ بْنُ أَبِي الْفُرَاتِ، ثنا عِلْبَاءُ بْنُ أَحْمَرَ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ تَلا هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ولا تَبرَّجن تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾ [سورة الأحزاب، الآية:٣٣] قَالَ: " كَانَتْ فِيمَا بَيْنَ نُوحٍ وَإِدْرِيسَ أَلْفُ سَنَةٍ....." ، ولم يكن فيه "أن نوحا بعث لأربعين سنة ومكث في قومه ألف سنة إلا خمسين، وعاش بعد الطوفان ستين سنة" إنما أخرجه الحاكم في مكان آخر عند ذكر حديث عن نوح –عليه السلام-. انظر: الحاكم، مصدر سابق، ج٢ ص٥٤٥، وسكت الذهبي عن الحديثين.

(٦) وذكر أيضا إبراهيم في ثلاث وستين موضعا في القرآن العظيم وهو من أولي العزم من الرسل –عليهم الصلاة والسلام- ابن آزر

(٧) كذا هو ذكر في القرآن اثنين وعشرين مرة.

عاش مائة وثلاثين سنة، وكان له حين مات أبوه تسع وثمانون سنة، وأخوه ولد بعده بأربع عشر سنة، وعاش مائة وثمانين سنة، وبينه وبين موسى[1] أربعمائة سنة، وبين موسى وإبراهيم خمسمائة وخمس وستون سنة، وعاش موسى مائة وعشرون سنة، وبين موسى وداوود[2] خمسمائة وتسع وتسعون سنة، وعاش مائة سنة، وولده سليمان[3] عاش نيفا وخمسين سنة، وكانت مدة بلائه سبع سنين" انتهى من التحبير في علم التفسير للسيوطي.[4]

قوله: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ استئناف مسوق لبيان أوصاف اليهود، وقدر من باب نصر، يقال قدر الشيئ إذا سبره[5] وحرزه ليعرف مقداره، والمعنى لم يعترفوا بقدر الله،[6] وهذا الكلام إنما تنزل مع اليهود، وإلا فالخلائق لم تعظموا الله حق تعظيمه ولم يعرفوه حق معرفته، واعلم أن هناك معنيين: والأول أن معنى ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ أي ما عرفوه معرفة التي تليق به،[7] وهذه لا يصل إليها أحد أبدا،[8] ففي الحديث: "سبحانك ما عرفناك حق معرفتك يا معروف لا أحصي ثناء عليك أنت كما

---

(١) وذكر موسى في الكتاب العزيز واحدا وثلاثين بعد مائة وهو أكثر الأنبياء والرسل ذكرا في القرآن العظيم.

(٢) ونبي الله داوود ورد ذكره ستة عشر مرة في كتاب الله العزيز.

(٣) وأما سليمان فقد ورد في ستة عشر مواضع.

(٤) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **التحبير في علوم القرآن**، د.ط، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤٠٤هـ) ص٤٨٠-٤٨٨.

(٥) السَّبرُ: مصدر سَبَرت الجرح أسبُره سبراً: إذا قسته لتعرف غوره. انظر: الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد بن طلحة بن نوح بن الأزهر، **تهذيب اللغة**. ط١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م)، ج٣ ص٢١٣.

(٦) قلت: وهذا التفسير لهذه الآية باطل، لأن الله تعالى لم يطالبهم بالاعتراف، إنما طالبهم بالايمان لأنهم قد اعترفوا بها، كما في قوله: تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [سورة الزمر، الآية:٣٨] وغيرها في مواضع كثيرة، وكلها تشير على أن الكفار ممعترفين بقدرة الله ولكنهم يؤفكون.

(٧) كذا فسرها أبو عبيدة، ينظر: أبا عبيدة، معمر بن المثنى التيمي، **مجاز القرآن**، د. ط، (القاهرة: مكتبة الخانجي، د.ت.ط)، ج١ ص٢٠٠.

(٨) قلت: وهذا مخالف لما كان عليه السلف الصالح، إذ بقوله: هذا ينفي معرفة النبي -صلى الله عليه وسلم- لربه، والآية نفسها دليل على أن بعضا من الناس قدروا الله حق قدره، إنما نفت الآية معرفة الله حق المعرفة عن من قام بمثل ما قام به هؤلآء، ومن لم يقم بما قام به هؤلآء فقد قدر الله حق قدره، وإلا فلا معنى لذكر ما أجرم هؤلآء من تقصيرهم في تقدير الله حق قدره، والله أعلم.

ثنيت على نفسك"[1] . وهذا منتف في حق كل مخلوق، [فلا][2] خصوصية لليهود أمروا به، وهذا لم يقع من اليهود،[3] وإنما هو واقع من المؤمنين وهذا هو المراد هنا.

قوله: ﴿إذ قالوا﴾ إما ظرف لقدروا أو تعليل له. قوله: [وقد خاصموه في القرآن] أي ومالك بن الصيف، وقد جاء[4] يخاصم النبي -ﷺ- فقال له النبي أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى، هل تجد فيها أن الله تعالى يبغض الحبر السمين أي العالم الجسيم، وكان مالك المذكور كذلك، وكان فيها ما ذكر، فقال لهم: نعم، وكان يجب إخفاء ذلك، لكن أقر لأقسام النبي -ﷺ- فقال له النبي -ﷺ-: أنت حبر سمين، فغضب وقال: ما أنزل الله على بشر من شيء، فقال أصحابه الذين معه: ويحك ولا على موسى، فقال : والله ما أنزل الله على بشر من شيء، فلما سمعت اليهود تلك المقالة غضبوا عليه وقالوا: أليس الله أنزل التوراة على موسى؟ فلم قلت هذا؟ قال: أغضبني محمد فقلته، فقالوا : وأنت إذا

---

(١) ذكره المناوي في فيض القدير دون إسناد ولا عزو إلى أحد. انظر: المناوي، محمد عبد الرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)، ج٢ ص٥٢٠.

(٢) كذا في الأصل، وفي بقية النسخ المطبوعة [فلالا] فهو خطأ.

(٣) قلت: كيف وقد ورد في كثير من الروايات على أن الآية نزلت فيهم، ومن بين من يقول هذا حبر الأمة عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما–.

قال سعيد بن جبير: جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف يخاصم النبي صلى الله عليه وسلم بمكة، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى أما تجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين" وكان حبرا سمينا فغضب، وقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء . أخرجه الطبري **في التفسير**: ج١١ ص٥٢١-٥٢٢، والواحدي في **أسباب النزول**، ص٢٥٣، والبيهقي في **الشعب** عن كعب من قوله: . ويروى عن مالك بن دينار قال: "قرأت في الحكمة: إن الله يبغض كل حبر سمين". وعزاه السيوطي لابن المنذر وابن أبي حاتم، واختصره ابن هشام في السيرة: ج١ ص ٥٤٧. وقال الحافظ السخاوي: "ما علمته في المرفوع، نعم روى أحمد في المسند: ج٣ ص٤٧١، و ج٤ ص ٣٣٩، والحاكم: ج٤ ص١٢١-١٢٢، وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، والبيهقي بسند جيد عن جعدة الجشمي أنه صلى الله عليه وسلم نظر إلى رجل سمين، فأومأ إلى بطنه، وقال: لو كان هذا في غير هذا لكان خيرا لك" [انظر: السخاوي، أبو الخير محمد بن عبد الرحمن، **المقاصد الحسنة في بيان كَثِير مِنَ الأحادِيث المشتهرة عَلى الألِسنة**، د.ط، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ص١٥٦. وذكره المنذري وعزاه لابن أبي الدنيا والطبراني بإسناد جيد، انظر المنذري، **الترغيب**: ج٣ ص ١٣٨. والأزهري، مصدر سابق، ج١ ص٢٨٩-٢٩٠، والهيثمي، **في مجمع الزوائد**، مصدر سابق: ج٥ ص٣١، والسيوطي في **الدر المنثور**: ج٣ ص٣١٤، والألباني، محمد ناصر الدين، **سلسلة الضعيفة**: ج٣ ص٢٦٥-٢٦٧.

غضبت فتقول على الله غير الحق، فعزلوه من الحبرية وجعلوا مكانه كعب[1] بن الأشرف. قوله: ﴿نورا﴾ حال إما من به والعامل فيها جاء، أو من الكتاب والعامل فيه أنزل، ومعنى نورا بينا في نفسه، وهدى مبينا لغيره، وللناس متعلق بهدي. قوله: : ﴿تجعلونه﴾ حال ثانية، وجعل بمعنى صير، فالهاء مفعول أول، وقراطيس[2] مفعول ثان على حذف مضاف، أي ذا قراطيس أو بولغ فيه. قوله: [بالياء والتاء][3] فعل التاء يكون خطابا لليهود، وعلى الياء التفات من الخطاب للغيبة. قوله: [في المواضع الثلاثة] أي يجعلون ويبدون ويخفون. قوله: [مقطعة] أي مفصولا بعضها من بعض، ليتمكنوا من إخفاء ما أرادوا إخفاءه. قوله: ﴿وتخفون كثيرا﴾ أي لم يظهروه، بمعنى لم يكتبوه أصلا أو كتبوه وأخفوه عن ملوكهم وسفلتهم، وجعلوا ذلك سرا بينهم. قوله: [كنعت محمد] أي وكآية الرجم، وآية: إن الله يبغض الحبر السمين. قوله: ﴿وعُلِّمْتم﴾ يحتمل أن الخطاب لليهود كما قال المفسر، وتكون الجملة حالية، والمعنى تبدونها وتخفون كثيرا. والحال أن محمدا أعلمكم في القرآن بأشياء في التوراة، ما لم تكونوا تعلموها أنتم ولا آباؤكم، ويحتمل أن الخطاب لقريش، وتكون الجملة مستئنفة معترضة بين السؤال والجواب. قوله: ﴿قل الله﴾ يحتمل أنه مبتدأ وخبره محذوف تقديره أنزله، وعليه درج المفسر وهو الأولى، لأن السؤال جملة اسمية، فيكون الجواب كذلك، ويحتمل أنه فاعل بفعل محذوف تقديره أنزل الله، وقد صرح بالفعل في قوله: تعالى: ﴿لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾[4]. قوله: ﴿في خوضهم﴾ إما متعلق بذرهم أو بيلعبون، ومعنى يلعبون أي يستهزئون ويسخرون.[5]

---

(١) كعب بن الأشرف النبهاني حليف بني النضير، وأمه عقيلة بنت أبي الحقيق، وكان أبوه أصاب دما في قومه فأتى المدينة فارا وقتل في ربيع الأول سنة ٣، على يد محمد بن مسلمة وكان معه أربعة أو خمسة من الأنصار.انظر: البلاذري، أحمد بن يحيى، **أنساب الأشراف**، د. ط، (مصر: دار المعارف، ١٩٥٩م) ج٣ ص٣٧٤-٣٨٤.

(٢) القراطيس: ،

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتاء وقرأ الباقون بالياء. انظر أبا عمرو الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمرو، التيسير فى القراءات السبع ط٢، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م) ص٧٨.

(٤) سورة الزخرف، الآية:٩.

(٥) والأحسن أن يقال : يعملون ما لا يُجدي عليهم، كما فسره الواحدي. انظر: الواحدي، مصدر سابق،

قوله: ﴿وهذا كتاب﴾ مبتدأ وخبر، و﴿أَنزَلْنَاهُ﴾ صفة أولى، و﴿مُبَارَكٌ﴾ صفة ثانية، و﴿مصدق الذي بين يديه﴾ صفة ثالثة. قوله: [القرآن] لغة من القرء وهو الجمع، واصطلاحا: اللفظ المنزل على رسول الله -ﷺ- للإعجاز بأقصر سورة منه المتعبد بتلاوته،[١] وهذا رد عليهم حيث قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء. قوله: ﴿مبارك﴾ [٢] أي كلمة خير لمن آمن به، وشر على من كفر به، ومن بركته بقاء الدنيا، وإنبات الأرض، وإمطار السماء، ولذا إذا رفع القرآن تأتي ريح لينة فيموت بها كل مؤمن ويبقى الكفار، فبقاء الخير في الأرض مدة بقاء القرآن فيها. قوله: : ﴿مصدق الذي بين يديه﴾ أي موافق للكتب التي قبله في التوحيد والتنزيه، والمعنى أنه دال على صدقها وأنها من عند الله. قوله: [بالتاء والياء] أي فهما قرائتان سبعيتان،[٣] فعلى التاء خطابا للنبيء، وعلى الياء يكون الضمير عائد على القرآن. قوله: [أي أنزلناه للبركة] هذه العلة مأخوذة من الوصف بالمشتق، لأن تعليق الحكم به يؤذن بالعلية، قوله: [أي أهل مكة] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، أي أهل أم القرى[٤]وهي مكة. قوله: [وسائر الناس] أشار بذلك على أنه ليس المراد بمن حولها ما قال ربها من البلاد، بل المراد

---

(١) وهذه إحدى التعريفات الإصطلاحي للقرآن الكريم، ولكني أراه ناقصا وليس تاما، لأنه قد يدخل في القرآن ما نقل بغير التواتر، ولكن لو زدنا وقلنا: "القرآن هو كلام الله المنزل على نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته المعجز ولو بسورة منه" لكان أتم. انظر: الزرقاني، محمد عبد العظيم، ط٣، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م) ج١ ص١٧.

(٢) قال الألوسي: مبارك، أي كثير الفائدة والنفع لاشتماله على منافع الدارين وعلوم الأولين والآخرين صفة بعد صفة. انظر الألوسي: شهاب الدين محمود، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم**، د.ط، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.ط) ج٧ ص٢٢١. قلت: وهذه البركة عامة فيمن استنار بهديه واشتغل به في حياته، والبركة كائنة بهم في الدارين، كما أن البركة في ألفاظه مكننة لا يدركها إلا الذين يتلونه حق تلاوته آنآء الليل وآنآء النهار وكلما ازداد الإنسان فهما وعملا ازدادت البركة فيه ولا يوجد في اشتغال علم إلا فيه، ولذا قال الإمام فخر الرازي: وأنا قد نقلت أنواعاً من العلوم النقلية والعقلية ، فلم يحصل لي بسبب شيء من العلوم من أنواع السعادات في الدين والدنيا مثل ما حصل بسبب خدمة هذا العلم. انظر: الفخر الرازي: محمد بن عمر بن الحسين الرازي، **مفاتيح الغيب من القرآن الكريم**، ط١، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ج١٣ ص٨٥.

(٣) أي في قوله: تعالى: ﴿ولتنذر أم القرى﴾، وانظر في سبعيتها أبا عمرو الداني، المصدر السابق، ص٧٩.

(٤) ينظر الطبري، مصدر سابق، ج١١ ص٥٣١، والبغوي، مصدر سابق، ج٢ ص١٣١، والقرطبي، مصدر سابق، ج٧ ص٣٨.

جميع البلاد، لأن مكة وسط الدنيا،[1] واقتصر على الإنذار لأنه هو الموجود في صدر الإسلام، إذ ليس ثم مؤمن يبشر. قوله: ﴿والذين﴾ مبتدأ، و﴿يؤمنون﴾ صلته، و﴿بالآخرة﴾ متعلق بيؤمنون، وقوله: ﴿يؤمنون به﴾ خبره، ولم يتحد المبتدأ والخبر لتغاير متعلقيهما، والمعنى والذين يؤمنون بالآخرة إيمانا معتدا به، محصورون في الذي يؤمن بالقرآن، فخرجت اليهود فلا يعتد بإيمانهم بالآخرة لعدم إيمانها بالقرآن. قوله: ﴿وهم على صلاتهم يحافظون﴾ جملة حالية من فاعل يؤمنون، وخص الصلاة بالذكر لأنها أشرف العبادات. قوله: [خوفا من عقابها] أي الآخرة.

قوله: ﴿ومن أظلم﴾ من اسم استفهام مبتدأ، وأظلم خبره، و﴿كذبا﴾ تمييز، وأشار بقوله: [أي لا أحد] إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: ﴿أو قال أوحي إلي﴾ أو للتنويع والعطف مغاير، وليس من عطف الخاص على العام، ولا من عطف التفسير، لأن ذلك لا يكون بأو. قوله: ﴿ولم يوح إليه شيء﴾ أي من قبل الله، بل استهوته الشيطان، وسلب الله عقله، وختم على سمعه وقلبه، وجعل على بصره غشاوة حيث قال لما نزلت سورة الكوثر، أنزلت على سورة مثلها، "إنا أعطيناك العقعق، فصل لربك وازعق، إن شانئك هو الإبلق"[2] وغير ذلك من الخرافات التي قالها مسيلمة الكذاب،[3] فإن

---

(١) هذا لكون الكعبة فيها، لقد توصل علماء الهندسة أن الكعبة تمثل وسط الدنيا. انظر: يحيى وزيري (٢٠٠٦م). **إعجاز القرآن الكريم في وصف حركة الظلال**، كتاب بحوث المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، المجلد ، الكويت.

(٢) ولم أقف على هذا النص رواية، ولكن ذكر بعض المفسرين روايات أخرى مختلفة، وكلها لا تتفق مع هذا الذي ذكره المصنف، وعند فخر الرازي، المصدر السابق، ج٣٢ ص٣٣٢، "إنا أعطيناك الجماهر، فصل لربك وجاهر، إن مبغضك رجل كافر" وذكر محمود الألوسي، المصدر السابق، ج٣٠ ص٢٤٩، والنص عنده: "إنا أعطيناك الزمجار، فصل لربك وهاجر، إن مبغضك رجل كافر" وكلها تتقارب في المعنى.

(٣) هو مسلمة بن حبيب الملقّب بالكذاب رجل من بني حنيفة، يذكر أن اسمه مسلمة وأن المؤرخين المسلمين يذكرونه باسم مسيلمة استحقاراً له كان ويسمى أيضا رحمان اليمامة، تزوج بسجاح التميمية وكان يعمل كثيراً من أعمال الدجل، ادعى النبوة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وشهد له أحد أتباعه أنه سمع الرسول يقول: أنه أشرك معه مسيلمة في الأمر، وتابعه كثير من أهل اليمامة، وخاصة من بني حنيفة، وادعى الكرامات، ولم يلبث حتى أظهر الله كذبه ولُصق به لقب الكذاب، وأراد إظهار كرامات تشبه معجزات النبي ، فقد ذكر ابن كثير في البداية أنه بصق في بئر فغاض ماؤها، وفي أخرى فصار ماؤها أجاجاً، وسقى بوضوئه نخلا فيبست، وأتى بولدان يبرك عليهم فمسح على رؤسهم فمنهم من قرع رأسه ومنهم من لثغ لسانه، ودعا لرجل أصابه وجع في عينيه فمسحهما فعمي، قتل في معركة حديقة الموت بمعركة اليمامة أيام خلافة ابي بكر، وقيل إن عمره حينئذ كان يناهز مائة وخمسين سنة،

الآية نزلت فيه كما قال المفسر، وقد ورد أنه أرسل لرسول الله -ﷺ- كتابا مع رسولين يذكر فيه: من عند مسيلمة رسول الله، إلى محمد رسول الله، أما بعد، فإن الأرض بيننا نصفين، فلما وصله الكتاب قال للرسولين: "أتشهدان له بالرسالة؟" فقالا: نعم، فقال رسول الله: لولا أن الرسل لا يقتل لضربت أعناقكما"، وكتب له: "من ند محمد رسول الله، إلى مسيلمة الكذاب، أما بعد، فإن الأرض لله يورث من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين"[1]. قوله: ﴿و﴾ [مِنْ] ﴿مَنْ قال﴾ قدره المفسر إلى أنه معطوف على المجرور بمن. قوله: [وهم المستهزءون] أي كعقبة بن أبي معيط وأبي جهل وأضرابهما، وما ذكره لمفسر هو المشهور، وقيل نزلت في عبد الله بن أبي سرح،[2] كان من كتبة الوحي ثم ارتد وقال سأنزل مثل ما

وقيل: إن الذي قتله وحشي بن حرب قاتل حمزة بن عبد المطلب يوم معركة أحد. انظر: ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج٥ ص٦٢، ج٦ ص٣٤٢، ٣٥٥،٣٧٥، ج٨ ص٨٢.

(١) ذكره ابن كثير بدون سند. انظر: ابن كثير المصدر السابق، ج٧ ص٣٤٢. وأخرجه ابن شيبة في تاريخ المدينة بسند صحيح لغيره، وقال: حَدَّثَنَا الْحِزَامِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ عِيسَى، قالا: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ، قال: سَمِعْتُ عَمْرَو بْنَ الْحَارِثِ، عَنِ ابْنِ أَبِي هِلالٍ، أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ مُسَيْلَمَةَ الْكَذَّابَ، كَتَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: "مِنْ مُسَيْلِمَةَ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ، سَلامٌ عَلَيْكَ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ أُشْرِكْتُ فِي الأَمْرِ مَعَكَ، وَإِنَّ لَنَا نِصْفَ الأَرْضِ وَلِقُرَيْشٍ نِصْفَهَا، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ.فَكَتَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: " مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ، سَلامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، والعاقبة للمتقين". انظر ابن شبة النميري، **تاريخ المدينة**، ط١، (بيروت: الكتب العلمية، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م)، ص٢٩٨.

(٢) هوعبد الله بن سعد ابن أبي سرح بن الحارث، الأمير ، قائد الجيوش ، أبو يحيى القرشي العامري ، من عامر بن لؤي بن غالب، هو أخو عثمان من الرضاعة ، له صحبة بالنبي صلى الله عليه وسلم ورواية حديث، روي عنه الهيثم بن شفي. ولي مصر في عهد عثمان رضي الله عنه، وقيل : شهد صفين . والظاهر أنه اعتزل الفتنة ، وانزوى إلى الرملة ، واستأمن عثمان لابن أبي سرح يوم الفتح من النبي -صلى الله عليه وسلم- وكان أمر بقتله . وهو الذي فتح إفريقية، قال الدارقطني: ارتد، فأهدر النبي دمه ، ثم عاد مسلما ، واستوهبه عثمان. قال ابن يونس : كان صاحب ميمنة عمرو بن العاص ، وكان فارس بني عامرالمعدود فيهم . غزا إفريقية، نزل بأخرة عسقلان، فلم يبايع عليا ولا معاوية . قال أبو نعيم : قيل : توفي سنة تسع وخمسين، وكان ابن أبي سرح يكتب لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأزله الشيطان ، فلحق بالكفار ، فأمر به النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يقتل، فاستجار له عثمان .

وفى السنة الثامنة للهجرة ، كان فتح مكة ، و كان هُناك أحد عشر شخصاً (ثمانية رجال و ثلاث سيدات) أمر النبى بقتلهم و لو وجودوا مُتعلقين بأستار الكعبة ، و كان عبد الله منهُم و هُم : عبد الله بن سعد بن أبى السرح، وعبد الله بن خطل و آمتاه، والحويرث بن نقيذ بن وهب، ومقيس بن حبابة ، و الحارث بن هشام ، وزُهير بن أمية بن المغيرة، وعِكرمة بن أبى جهل، وصفوان بن أمية، وهند بنت عُتبة. ولم يُقتلوا جميعاً و إنما قُتل بعضهم و عفى عن بعضهم بعد أن توسط لهم أقاربهم و معارفهم و أشقائهم و أزواجهم لدى

أنزل الله، ثم رجع للإسلام فأسلم قبل فتح مكة والنبي -ﷺ- نازل بمر الظهران، وقد دخل في حكم هذه الآية كل من افترى على الله كذبا في أي زمان إلى يوم القيامة.[1] قوله: ﴿ولو ترى﴾ لو حرف شرط وجوابها محذوف، قدره المفسر فيما يأتي بقوله: لرأيت أمرا فظيعا، وترى بصرية ومفعولها محذوف تقديره الظالمين، وإذ ظرف لترى والتقدير ولو ترى الظالمين وقت كونهم في غمرات الموت الخ. قوله: [المذكورون] أي مسيلمة الكذاب المستهزئون، والأحسن أن يراد ما هو أعم. قوله: ﴿في غمرات﴾ جمع غمرة من الغمر وهو الستر، يقال غمره الماء إذا ستره،[2] سميت السكرة بذلك لأنها تستر العقل وتدهشه. قوله: ﴿وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ﴾ تقدم أن الكافر موكل به سبع من الملآئكة يعذبونه عند خروج روحه، لأن الكافر يكره لقاء الله، فتأبى روحه الخروج فيخرجونها كرها. إن قلت: إن المؤمن يكره الموت أيضا. أجيب: بأن المؤمن وإن أحب الحياة وكره المت لكن ذلك قبل احتضاره ومعاينته ما أعد الله له من النعيم الدائم، وأما إذا شاهد ذلك هانت عليه الدنيا وأحب الموت ولقاء الله، وأما الكافر فعند خروج روحه حين يشاهد ما أعد الله لم من العذاب الدائم يزداد كراهة في الموت، وعلى ذلك يحتمل ما ورد: "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه".﴿[3]﴾ قوله: : [يقولون لهم تعنيفا] أي لأن الإنسان لا يقدر على إخراج روحه، وإنما ذلك لأجل تعنيفهم، ويحتمل أن معنى

النبي، و كان عبد الله بن أبي السرح ممن عُفى عنهم ، و كان شقيق عثمان بن عفان فى الرضاعة ، فأختبأ فى منزل عُثمان.انظر: الطبري في تاريخه، ج٣ ص٢٨١، والمعارف ص٤٠٥، والذهبي في **السير** ج٣ ص٣٥، وابن كثير، **البداية والنهاية** ج٧ ص١٧٧.

(١) وهذا الحكم عام كما قاله المصنف، علما بأن المدَّعين لهذا الأمر كثيرون خاصة الطوائف المنحرفة الذين يبنون طائفيتهم بالكذب على خير البرية من ادعاء تلقي الأوامر من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أو أدعية خاصة لم يعط النبي أحدا قبلهم، دون خجل ولا ورع، حتى إن بعضهم يزعم أنه يتلقى أورادا التي هي أعظم من القرآن، عن النبي بعد وفاته بسنوات، يقظة لا مناما، فهؤلآء كلهم داخلون -لاشك- تحت حكم هذه الآية، نعوذ بالله من شرورهم.

(٢) الغر أصله: الماء الكثير، وغمرات الموت: شدائده. انظر: الجوهري، المصدر السابق، ج٢ ص٧٧١-٧٧٢.

(٣) هذا حديث صحيح. وعزاه المزي في **التحفة** (٧١٢) إلى النسائي في الكبرى مستدركه على الحافظ بن عساكر، وتبعه ابن حجر في **الفتح** ج١١ ص٣٠٧، وقال: هذا الحديث صحيح يرويه أنس عن عبادة بن الصامت. وهو عند أحمد في مسنده، ج٥ ص٣٣١، والبخاري، مصدر سابق، في كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، برقم ٦٥٠٧،ج٣ ص١٣٢٠. ومسلم، مصدر سابق، في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، برقم ٢٦٨٣.

﴿أخرجوا أنفسكم﴾ نحوها من العذاب الذي حل بكم تهكما بهم. قوله: ﴿اليوم﴾ ظرف لقوله: ﴿تُجْزَون﴾ فالوقف ثم على أنفسكم، وأل في اليوم للعهد أي اليوم المعهود وهو يوم خروج أرواحهم، ويحتمل أن المراد باليوم يوم القيامة، والأحسن أن يراد ما هو أعم. قوله: [الهوان] أي الذل والصَّغار، لا عذاب التطهير كما يقع لبعض عصاة المؤمنين، لأن كل عذاب يعقبه عفو، فلا يقال له هون، وإنما يقال لعذاب الكافر. قوله: ﴿بما كنتم﴾ الباء سببية، وما مصدرية، أي بسبب كونكم تقولون الخ. قوله: [بدعوى النبوة الخ] هذا راجع لقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾. قوله: ﴿وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي وبسبب كونكم تستكبرون عن آياته، فالجار والمجرور متعلق بتستكبرون، وهو راجع لقوله ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله، ففيه لف ونشر مرتب، وهذا باعتبار سبب النزول، وإلا فكل كافر يقال له ذلك عند الموت.

قوله: ﴿و﴾ [يقال لهم] اختلف في تعيين القائل، فقيل الله سبحانه، وقيل الملآئكة ترجمانا عن الله وهذا مرتب على الخلاف هل الله يكلمهم أو لا. [١] قوله: ﴿فرادى﴾ جمع فردا وفريدا وفردان بمعنى منفردين خاليين عن الدنيا ومتاعها. قوله: [حفاة عراة] أي وذلك عند الحساب،[٢] فلا ينفي أنهم يخرجون من القبور بالأكفان. قوله: : [غرلا] بضم الغين المعجمة وسكون الراء المهملة، جمع أغرل كحمر جمع أحمر، أي غير مقطوعين القلفة[٣]. قوله: ﴿وتركتم ما خولناكم﴾ الجملة حالية من فعل جئتمونا، وقوله: ﴿وراء ظهوركم﴾ متعلق بتركتم. قوله: [أي في استحقاق عبادتكم] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضافين. قوله: ﴿وبينكم﴾ على قراءة الرفع هو فاعل تقطع، والبين بمعنى الوصل

---

(١) والذي يظهر والله أعلم أن القائل هو ملك الموت، لما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما، انظر أفيما أخرجه الطبري في تفسيره

(٢) كما في حديث الصحيحين عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا ثُمَّ قَرَأَ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [سورة الأنبياء، الآية:١٠٤]، وَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ وَإِنَّ أُنَاسًا مِنْ أَصْحَابِي يُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ فَأَقُولُ أَصْحَابِي أَصْحَابِي فَيَقُولُ إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي -إِلَى قوله- الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة المائدة، الآية:١١٧]". انظر البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب الحشر، ج١٣ ص١٨٨ حديث رقم:٦٥٢٧، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة، باب فناء الدنيا وبيان الحشر، ج٩ ص٢١٠، حديث رقم: ٢٨٥٩.

(٣) الزّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج٢ ص٣٤٢.

وهو المراد هنا، ويراد منه البعد من باب تسمية الأضداد. قوله: [وفي قراءة بالنصب] [1] أي وهي سبعية أيضا، والفاعل على هذه القراءة ضمير يعود على الوصل المفهوم من قوله: ﴿شفعاؤكم﴾ و ﴿شركاؤكم﴾ لأن بين الشفع والمشفوع له إيصال، و﴿بيتكم﴾ ظرف له، والتقدير تقطع الوصل فيما بينكم فقول المفسر [أي وصلكم] تفسير للضمير المستتر. قوله: ﴿ما كنتم تزعمون﴾ ما اسم موصول فاعل ﴿وضل﴾، وكنتم تزعمون صلته، والعائد محذوف تقديره وضل عنكم الذي كنتم تزعمونه شفيعا ونافعا.

قوله: ﴿إن الله فالق الحب والنوى﴾ لما تقدم ذكر التوحيد،[2] وما يتعلق به أتبعه بذكر ما يدل على ذلك، والمراد بالحب مالا نوى له يرمى، كالقمح والشعير والفول، وبالنوى ضد الحب، كالرطب والمشمش[3] والنبق[4]، فانحصر ما يخرج من الأرض في هذين النوعين، وإضافة الفالق للحب يحتمل أنها محضة، ففالق بمعنى فلق، فهو بمعنى الصفة المشبه وهو الأقرب، ويحتمل أنها لفظية، والمراد فالق في الحال والاستقبال. قوله: : [شاق] فسر الفلق بالشق لأنه المشهور في اللغة، ولأنه أقرب عبرة وأكثر فائدة، وقال[5] ابن عباس: إن فالق بمعنى خالق. قوله: [عن النخل] مراده به كل ما له نوى. قوله: ﴿يخرج الحي من الميت﴾ يحتمل أنه خبر ثان لأن، ويحتمل أنه كلام مستأنف كالعلة لما قبله، والمراد بالحي كل ما ينمو كان ذا روح أو لا كالحيوان والنبات، وبالميت ما لا ينمو كان أصله ذا روح أم لا كالنطفة والحبة، فتسمية النبات حيا مجاز بجامع قبول الزيادة في كل. قوله: [من النطفة والبيضة] لف ونشر مرتب، وأدخلت الكاف جميع ما يخرج من النطفة والبيضة، فجميع الحيوانات لا تخلو عن هذين الشيئين، فجميع الطيور من البيض وما عداها من النطفة. قوله: ﴿ومخرج الميت من الحي﴾ إنما عبر باسم الفاعل مع العطف،

---

(١) وهي قراءة نافع والكسائي وحفص.انظر:ابن خلف المقرئ، العنوان في القراءات السبع، ص١٤.

(٢) سورة الأنعام هي من ضمن السور التي نزلت توضح وحدانية الله سبحانه وتعالى، التي تدفع الإنسان لشكره والثناء عليه كما هو الشأن في افتتاحية السورة وأردفها ببيان قدرة شأنه و عظيم شأنه، وأراد الله عز وجل هنا ليقطع سبيل الغاوين في صرف عبادتهم لغيره بالأدلة الدامغة التي تثبت وجود الله وعلمه وإرادته.

(٣) المشمش بكسر الميمين وسكون الشين هي شجرة معروفة . انظر نهاية الأرب ج١١ ص١٤٠.

(٤) النَّبِق ثمر السِّدْر. انظر ابن منظور الأفريقي في اللسان ج١٠ ص٣٥٠.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ج٤ ص١٣٥١، بحديث رقم ٧٦٥٠، عن محمد ابن سعد به. وأخرجه الطراني أيضا في تفسيره ج٩ ص٤٢١، عن محمح بن سعد به أيضا.

إشارة إلى أنه كلام آخر معطوف فالق وليس بيانا له، وإلا لأتى بالفعل. قوله: : ﴿من الحي﴾ أي كالإنسان والطائر، ويشمل عموم هذه الآية المسلم والكافر، فيخرج الحي كالمسلم من الميت كالكافر وبالعكس[1]. قوله: ﴿فأنى تؤفكون﴾ أتى بذلك وإن علم من قوله: إن الله فالق لأجل الرد على من كفربقوله: ﴿فأنى تؤفكون﴾. قوله: [فكيف تصرفون عن الإيمان] أي لا وجه لصرفكم عن الإيمان بالله مع اعترافكم بأنه الخالق لجميع الأشياء، فهو استفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: [مصدر] أي لأصبح بمعنى الدخول في الصباح وليس مرادا، بل المراد الصبح نفسه، فلذا فسره حيث أطلق المصدر وهو الإصباح، وأراد أثره وهو الصبح، وظاهر الآية مشكل، لأن الإنفلاق[2]يكون للظلمة لا للصبح. وأجيب: بأن الكلام على حذف مضاف، والأصل فالق ظلمة الإصباح بمعنى الصبح، أو يراد فالق الإصباح بمعنى عمود الصبح، وهو الفجر الكاذب عن ظلمة الليل، ثم يعقبه الفجر الصادق، فهو فالق الإصباح الأول عن ظلمة آخر الليل، وعن بياض النهار أيضا،[3] ويفيد هذا المفسر أو يفسر فالق بخالق، وسماه فلقا مشاكلة لما قبله، وكل صحيح. قوله: [وهو أول ما يبدوا من النهار] أي وهو الفجر الكاذب. قوله: [عن ظلمة الليل] متعلق بشاق.

قوله: ﴿سكنا﴾ أي محل سكون واستراحة. قوله: [يسكن فيه الخلق] أي جميعها حتى الهوام والمياه[4]. قوله: [عطفا على محل الليل] أي وهو النصب حسبانا معطوف على سكنا ففيه العطف على

---

(١) وقد ذكر في تفسير هذه الآية أقوالا مختلفة ولكن معظمها ترجع إلى ما أخرجه ابن أبي حاتم الرازي من طريق سفيان بن الثولري عن سليمان التيمي عن أبي عثمان عن سلمان قال: قال عمر: خمر الله عز وجل طينة آدم أربعين يوما، ثم وضع يده فيها ، فارتفع على هذه كل طيب، وعلى هذه كل خبيثة ثم خلط بعضه ببعض-وقال مؤمل بيده هكذا، ودمج احداهما بالأخرى- ثم خلق منها آدم، فمن ثم ﴿يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي﴾ يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن". انظر الطبري في تفسيره ج٦ ص٣٠٧ برقم٦٨٢٠، عن حميد بن مسعدة عن بشر بن المفضل، عن سليمان التيمي عن ابن مسعود، قلت: وحميد بن مسعدة صدوق (التقريب ج١ ص٢٠٣) وبشر بن المفضل ثقة ثبت (التقريب ج١ ص١٠١) وبقية الرجال ثقات.

(٢) كذا في الأصل، وفي النسخ الجديدة [الإنفاق] وهو خطأ.

(٣) وهذا على فرض ما ذهب إليه الضحاك ومجاهذ وقتادة، فسروا [فالق الإصباح] بإضاءة الصبح، اعتمادًا بقول ابن عباس رضي الله عنهما "يعني بالإصباح ضوء الشمس بالنهار وضوء القمر بالليل" انظر: الطبري في تفسيره ج٩ ص٤٢٥.

(٤) والسكن اسم مفعول مثل الفلق على اعتباره مفعولا بالتوسع بحذف حرف جر وهو ما يسكن إليه النفس وتطمئن القلب إليه، ولذا سميت الزوج سكنا كما سمي البيت قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَناً﴾ [سورة النحل، الآية:٨٠] أي أنه جعل

معمولي عامل واحد وهو جاعل، والتقدير: وجاعل الشمس والقمر حسبانا وذلك جائز باتفاق. قوله: ﴿حسبانا﴾ مصدر حسب وكذا الحسبان بكسر الحاء والحساب فله ثلاثة مصادر وقوله: : [حسابا للأوقات] أي ضبطا لها،[1] أي علامة ضبط، لكن الشمس يتم دورانها في سنة والقمر وشهر، وذلك لنفع العباد دنيا ودينا، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[2]. قوله: [أو الباء محذوفة] أي فهو منصوب بنزع الخافض. قوله: : [وهو حال مقدر] لو قال متعلق بقدر لكان أحسن، لأنك إذا تأملت تجد المحذوف هو الحال، على أن جاعل بمعنى خالق، وأما إن جعل بمعنى صير فهو مفعول ثان، وهو إشارة لتقدير ثان في الآية. قوله: ﴿العزيز﴾ أي الغالب على أمره. قوله: ﴿العليم﴾ أي ذو العلم التام.

قوله: ﴿وهو الذي جعل﴾ أي خلق، و ﴿لكم﴾ متعلق بجعل، و ﴿لتهتدوا﴾ بدل من لكم بدل اشتمال، فلم يلزم عليه تعلق جر في جر مُتّحدي اللفظ، والمعنى بعامل واحد، ونظيره قوله تعالى: ﴿لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّن فَضَّةٍ﴾[3] فلبيوتهم بدل من لمن يكفر بإعادة العامل.

قوله: ﴿أنشأكم﴾ إنما عبر به لموافقة ما يأتي فبقوله: ﴿وأنشأنا من بعدهم﴾، وقوله: ﴿وهو الذي أنشأ جنات﴾. قوله: [هي آدم] أي فكل أفراد النوع الإنساني منه. قوله: ﴿فمستقِر﴾ بالكسر[4] اسم فاعل وصف، والمعنى منكم من استقر في الرحم، وعبر في جانبه بالاستقرار، لأن زمن بقاء النطفة في الرحم أكثر من زمن بقائها في الصلب. قوله: [وفي قراءة بفتح القاف] [5] أي وأما مستودع فليس فيه إلا فتح

لتحصل فيه راحة النفس من تعب العمل. انظر: ابن عشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي، ط١، (بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م) ج٩ ص٣٩٢.

(١) والأحسن أن يقال والله أعلم: إن الله عز وجل جعل الشمس والقمر بحساب معلوم محدد يدوران به من حيث لا يجاوزانه أبدا إلى أن ينتهيا إلى منازلهما. انظر البغوي المصدر السابق ج٧ ص١٧١.

(٢) سورة يونس، الآية:٥.

(٣) سورة الزخرف، الآية:٣٣.

(٤) أي بكسر القاف.

(٥) وهذه قراءة الجمهور، وقرأه ابن كثير وأبو عمرو وروح عن يعقوب بكسر القاف.

الدال، لكن على قراءة الكسر يكون معنى مستودع شيء مردوع وهو النطفة، وعلى الفتح مكان استيداع وهو الصلب. قوله: ﴿يفقهون﴾ أي يفهمون الأسرار والدقائق، وعبر هنا يفقهون إشارة إلى أن أطوار الإنسان وما احتوى عليه الإنسان أمر خفي تتحير فيه الألباب، بخلاف النجوم فأمرها ظاهر مشاهد، فعبر فيها بيعلمون.

قوله: ﴿وهو الذي أنزل من السماء ماء﴾ لما امتن سبحانه وتعالى على عباده أولا: بالإيجاد حيث قال ﴿وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة﴾ امتن ثانيا: بإنزال الماء الذي به حياة كل شيء ونفعه، وهو الرزق المشار إليه بقوله تعالى ﴿وفي السماء رزقكم﴾[١]. قوله: [فيه التفات] أي ونكتته الاعتناء بشأن ذلك المخرج، إشارة إلى أن نعمه عظيمة. قوله: ﴿به﴾ الباء للسببية. قوله: ﴿فأخرجنا﴾ بيان لما أجمل أولا. قوله: ﴿خضرا﴾ يقال خضر الشيء فهو خضر وأخضر،[٢] كعور فهو عور وأعور، وقدر المفسر [شيئا] إشارة إلى أن خضرا صفة لموصوف محذوف. قوله: ﴿ومن النخل﴾ شروع في تفصيل حال الشجر، بعد ذكر عموم النبات، لمزيد الرغبة فيه. قوله: [ويبدل منه] أي بدل بعض من

---

(١) سورة الذاريات، الآية:٢٢.

(٢) الله عز وجل سبحانه وتعالى في حكمته أن جعل تعتمد النباتات والإنسان والحيوانات في غذائها على النباتات الخضرة حتى وإن كانت تنتج من المصانع الحديثة وهذه المصانع الحديثة التي تعتمد من انتاجاتها الخضراء يخرجها النبات بأمر ربه عند بداية نموه وتسمى في كتب العلوم النباتية "البلاستيدات الخضراء" والتي تحتوي على الكلوروفيل الذي عبّر عنه القرآن بالخضر حيث يقوم بالاستفادة من الطاقة الضوئية ويحولها إلى طاقة كيمائية ينتج عنها تكوين الحبوب والثمار المختلفة وسائر أجزاء النبات التي نراها في الحدائق والبساتين.
إن العلماء الباحثين في مجال فسيولوجيا النبات اكتشفوا أن المادة الخضراء "الخضر" هي التي تقوم بامتصاص الطاقة الضوئية ، وتحويلها إلى طاقة كيماوية ينتج عنها تكوين الثمار المختلفة .وكان هذا الاكتشاف بعد دراسات متواصلة ، وتجارب متنوعة استغرقت قروناً ثلاثة امتدت إلى القرن العشرين . إن هذه العملية في تكوين الحبوب والثمار والأشجار كانت سراً مجهولاً يختفي في أعماق الثيلاكويد داخل البلاستيدة الخضراء التي لا ترى بالعين المجردة ، عرفها علماء النبات بعد سلسلة طويلة من البحوث والدراسات المتواصلة التي تجند لها العلماء طوال بضعة قرون . وبعد أن توافرت لهم وسائل البحث العلمي الدقيقة قرروا في نهاية المطاف: أن في النبات مادة خضراء ، وأن هذه المادة الخضراء تخرج المواد الكربوهيدراتية التي هي أساس لتكوين جميع المواد المكونة للثمار والأشجار والزروع .وهذا ما قرره القرآن الكريم قبل ألف وأربعمائة عام. انظر وموقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: http://quran-m.com/articleprint.php?id=١٢١٥

كل. قوله: [أول ما يخرج منها] أي قبل انفلاق الكيزان عنه، فإذا انفلقت عنه سمي عذقا[1]. قوله: ﴿قنوان﴾ جمع قنو كصنو وصنوان، وهذا الجمع يلتبس بالمثنى دون حالة الوقف، ويتميز المثنى بكسر نونه، والجمع بتوارد الحركات الإعراب عليه وبالإضافة، فتحذف نون المثنى دون الجمع، فنقول هذا قنواك، وفي الجنع هذه قنوانك، وبالنسب فإذا نسبت إلى المثنى رددته غلى المفرد فقلت قنوي، وإذا نسبت إلى الجمع أبقيتَه على حاله فقلت قنواني. قوله: [عراجين][2]جمع عرجون قيل هي الشماريخ،[3] وقيل هي السبائط، ولا شك أن الشماريخ قريب بعضها من بعض، والسبائط كذلك، واعلم أن أطوار النخل سبع كالإنسان، يجمعها قولك: طاب زبرت، فأولها الطلع، ثم الإغريض، ثم البلح، ثم الزهو، ثم البسر، ثم الرطب، ثم التمر، وفي الحديث "أكرموا عمتكم النخلة"[4] ولهذه الأمور قدم على ما بعده. قوله: : ﴿وجنات﴾ معطوف على نبات، من عطف الخاص على العام، والنكة مزيد الشرف لكونها من أعظم النعم، وكذا قوله: [والزيتون والرمان] معطوفان على النبات. ويكون قوله: ﴿ومن النخل﴾ الخ معترضا بين المعطوف والمعطوف عليه اعتناء بشأن النخل لعظم منته، ويصح عطف جنات على خضر، وهذا على قراءة الجمهور، وقريء شذوذا برفع جنات والزيتون والرمان، وخرج على أنه مبتدأ، والخبر محذوف تقديره ومن الكرم جنات. قوله: ﴿مشتبها﴾ يقال مشتبه ومتشابه بمعنى. قوله: [نظر اعتبار] أي تفكروا

---

(١) العَذْقُ بالفتح: النَخلةُ بحملها؛ ومنه قول الحُباب بن المنذِر: أنا عُذَيقُها المرجَّبُ. والعِذْقُ، بالكسر: الكِباسةُ. وعَذَقْتُ النخلةَ: قطعتُ سَعَفها. انظر الجوهري، مرجع سابق، ص٤٥٥.

(٢) العرجون: ما يحمل التمر والعذق وهو من النخل كالعنقود من العنب، ويجمع بعراجين. ينظر إبراهيم مصطفى ، المعجم الوسيط، ج٢ ص٥٩٢.

(٣) وَالشِّمْرَاخُ مَا يَكُونُ فِيهِ الرُّطَبُ وَالشُّمْرُوخُ وِزَانُ عُصْفُورٍ لُغَةٌ فِيهِ وَالْجَمْعُ فِيهِمَا شَمَارِيخُ. انظر الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، د.ط، (بيروت: المكتبة العلمية، د.ت)، ص٤٣٩.

(٤) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، مسند علي بن أبي طالب، حديث أكرموا عمتكم النخلة، حديث "أكرموا عمتكم" عن شَيْبَانَ، قال:حَدَّثَنَا مَسْرُورُ بْنُ سَعِيدٍ التَّمِيمِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأَوْزَاعِيُّ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ رُوَيْمٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: "أَكْرِمُوا عَمَّتَكُمُ النَّخْلَةَ، فَإِنَّهَا خُلِقَتْ مِنَ الطِّينِ الَّذِي خُلِقَ مِنْهُ آدَمُ، وَلَيْسَ مِنَ الشَّجَرِ يُلْقَحُ غَيْرُهَا " وفي سنده مسرور بن سعيد التيميمي قال فيهأبو أحمد بن عدي الجرجاني: منكر الحديث. قلت: وله شواهد يرتقي بها إلى درجة الحسن لغيره، وذكره الألباني وقال: موضوع، انظر: الألباني، محمد ناصر الدين، السلسلة الضعيفة، ط٤ ﴿الرياض: مكتبة المعارف﴾ ج١ ص٢٦٨ برقم ٢٦٣.

في مصنوعاته لتعلموا أن ربكم هو القادر المريد لما يشاء، فتفردوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئا. قوله: : [وهو جمع ثمرة][1] أي المفتوح والمضموم، قوله: [كشجرة وشجر] راجع للمفتوح، وقوله: [وخشبة وخشب] راجع للمضموم، فهو لف ونشر مرتب. قوله: ﴿وينعه﴾ مصدر ينع بكسر النون ينيع بفتحها كتعب يتعب ويصح العكس،[2] وقرىء بضم الياء، والمعنى تفكروا وتأملوا ابتداء الثمر، حيث يكون بعضه مرا وبعضه ملحا لا ينتفع بشيء منه، وانتهاؤه إذا نضج فإنه يعود حلوا تسقى بماء واحد، ونفضل بعضها على بعض في الأكل. قوله: ﴿إن في ذلكم﴾ الإشارة إلى جميع ما تقدم من قوله: ﴿إن الله فالق الحب والنوى﴾ إلى هنا. قوله: [لأنهم المنتفعون بها] أشار بذلك إلى أن ظهور الأدلة لا تفيد ولا تنفع، إلا إذا كان العبد مؤمنا، وأما من سبق له الذكر، فلا تنفعه الآيات ولا يهتدي بها.

قوله: ﴿وجعلوا﴾ الضمير لعبدة الأصنام، وهذا إشارة إلى أنهم قابلوا نعم الله العظيمة بالإشراك. قوله: [مفعول ثان] هذه طريقة في الإعراب، وهناك طريقة أخرى، وهي أن ﴿لله﴾ متعلق بمحذوف حال، والجن مفعول أول مؤخر، و[شركاء] مفعول ثان مقدم. قوله: ﴿الجن﴾ قيل المراد بهم الشياطين، وإلى هذا يشير المفسر بقوله: [حيث أطاعوهم الخ]. وقيل المراد بهم نوع من الملآئكة كانوا يعبدونهم، لاعتقادهم أنهن بنات الله.

قوله: ﴿وخلقهم﴾ الضمير يصح أن يكون عائدا على الجن، وعليها المفسر، ويصح أن يعود على الجميع، والجملة حال من الجن، ولذا قدر المفسر [قد]. قوله: ﴿وخرقوا﴾ الضمير عائد على اليهود والنصارى ومشركي العرب، فاليهود والنصارى نسبوا له البنين، ومشركوا العرب نسبوا له البنات، فالكلام على التوزيع. قوله: [اختلقوا] يقال اختلق وخلق وخرق وافترى وافتعل وخرص بمعنى كذب، وقرىء شذوذا بالهاء المهملة والفاء من التحريف وهو التزوير لأن المحرف مزور مغير للحق بالباطل. قوله: [حيث

---

(١) الثمر هو الجنى الذي يخرجه الشجر، بفتح الثاء والميم، وبه قرأ الجمهور، وقرأ حمزة والكسائي وخلف بضم الثاء والميم وهو جمع تكسير. انظر: الدمياطي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني، **إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر**، ط١، (لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، ص٢٧٠.

(٢) والينع هو الطيب والنضج، يقال: يَنَعَ يَيْنَع –بفتح النون وكسرها، ويقال أينع ويُونع يَنعًا. ينظر الجوهري، مصدر سابق، ج٣ ص٤٤٥.

قالوا عزير ابن الله] كان عليه أن يقول: والمسيح ابن الله ليكون قد جمع مقالة الفرق الثلاثة، فاليهود قالوا: عزيرا ابن الله، والنصارى قالوا: المسيح ابن الله، والمشركون قالوا: الملآئكة بنات الله.

قوله: ﴿بديع السماوات﴾ خبر محذوف قدره المفسر بقوله هو. قوله: ﴿أنى يكون له ولد﴾ أنى منصوبة على التشبيه بالحال، وله خبر مقدم مفعول وولد اسمها مؤخر، ويصح أن تكون تامة وولد فاعلها، والمعنى: كيف يوجد له ولد، والحال أنه لم تكن له صاحبة، مع كونه الخالق لكل شيء. قوله: [من شأنه أن يخلق] دفع بذلك ما يقال إن من جملة الشيء ذاته وصفاته، فيقتضي أنها مخلوقة مع أن ذلك مستحيل. قوله: : ﴿ذلكم﴾ مبتدأ. و﴿الله﴾ خبر أول، و﴿ربكم﴾ خبر ثان، و ﴿لا إله إلا هو﴾ خبر ثالث، و﴿خالق كل شيء﴾ خبر رابع، وقوله: ﴿فاعبدوه﴾ مفرع على ما ذكر من هذه الأوصاف، فالمعنى أن المتصف بالألوهية، الخالق لكل شيء، هو أحق بالعبادة وحده. فقوله: ﴿خالق كل شيء﴾ توطئة لقوله: ﴿فاعبدوه﴾. وأما قوله: ﴿وخلق كل شيء﴾ فهو رد لما زعموه من الولد له سبحانه وتعالى. قوله: ﴿وهو على كل شيء وكيل﴾ أي متصرف في خلقه ومتولي أمورهم، فالواجب قصر العبادة عليه، وتفويض الأمور إليه.

قوله: ﴿لا تدركه الأبصار﴾[1] جمع بصر وهو حاسة النظر، أي القوة الباصرة، ويطلق على العين نفسها من إطلاق الحال وإرادة المحل. قوله: [وهذا مخصوص] أي نفي الرؤية عام مخصوص برؤية المؤمنين ربهم في

---

(١) إدراك البصر صفة من المخلوق، وكل ما أدرك إليه البصر فهو مخلوق، وكل ما أدركه بصرك يمكنك تصويره تصويرا كاملا، ولذا نفى الله عز وجل عن ذاته وقوع الإدراك عليه، إذ حتى المؤمنون الذين اختصوا بالنظر إليه، لم يعطوا إدراك البصر بل النظر إليه، كما في سورة لقيامة، حيث قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۞ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [سورة القيامة، الآية: ٢٢-٢٣]، ولم يعبر بأن وجوها يومئذ مبصرة، لأن الإبصار جمع بصر، وهو القوة التي بها النظر تامنتشرة في عين الإنسان في وسط الحدقة وبه يتم إدراك المبصرات، فمن هنا تتبين خصوصية الله الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وبين آلهتهم الباطلة المصنوعة من الصخور والأحجار والخشب وغيرها. إذًا نقول: إنه سبحانه يراه المؤمنون يوم القيامة رؤيا عيانية حقيقية ، إلا أنهم مع رؤيتهم له لا يدركونه ، ولا يحيطون به سبحانه وتعالى . وفرقٌ بين الرؤية وبين الإدراك ، ولله المثل الأعلى فنحن الآن مثلاً نرى السماء ، ونرى الشمس ، ونرى القمر ، لكننا لا نستطيع أن ندرك هذه المخلوقات ، بل في الأرض نرى الجبل ، إلا أننا لا نستطيع أن ندرك تفاصيل هذا الجبل ونحو ذلك ، ولله المثل الأعلى ، فالله يرى ، ولكن مع ذلك لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ، فهو سبحانه وتعالى لا تتوهمه القلوب بتصوير معين ، سواء كان هذا التصوير مما يتوهمه القلب أو العقل لصفة ذاتية لله سبحانه وتعالى ، أو لصفة معنوية أو لصفة فعلية . انظر: ابن عشور، مصدر سابق ج٧ ص٤١٤.

الآخرة، لأن الفعل إذا دخل عليه النفي يكون من قبيل العام. قوله: [لرؤية المؤمنين] علة لقوله: مخصوص، وقوله: [لقوله تعالى] علة للعلة. قوله: [ناضرة] أي قامت بها النضارة، وهي البهجة والحسن، وقوله: [ناظرة] أي باصرة للذات المقدس. قوله: [ليلة البدر] أي ليلة أربعة عشر(١). قوله: [وقيل المراد الخ] أي وعلى هذا فالنفي باق على عمومه فلا يحيط به بصر أحد أبدا، لا في الدنيا ولا في الآخرة، فلا ينافي أن المؤمنين يرونه في الآخرة، لكن بلا كيف ولا انحصار لوجود أدلة عقلية ونقلية، أما النقلية فالكتاب والسنة والإجماع، والعقلية منها أن الله علق رؤيته على استقرار الجبل وهو جائز، والمعلق على الجائز جائز، ومنها لو كانت الرؤية ممتنعة لما سألها موسى ﷺ، إذ لا يجوز على النبي سؤال المحال إذ هو جهل، ويستحيل على النبي الجهل، ومنها أن يقال الله موجود، فكل موجود يصح أن يرى، فالله يصح أن يرى، خلافا للمعتزلة والمرجئة والخوارج حيث أحالوا الرؤية يستلزم المقابلة واتصال أشعة بصر الرائي بالمرئي، فيلزم أن يكون المرئي جسما، وتعالى الله عن الجسمية، ورد كلامهم بما علمت، وبأن هذا التلازم عادي لا عقلي، ويجوز تخلف العادة. قوله: [لا تحيط به] أي لا تبلغ كنه حقيقة ذاته وصفاته أبصار ولا بصائر.

قوله: ﴿وهو يدرك الأبصار﴾ فيه تفسيران أيضا، الأول يراها، والثاني يحيط بها على أسلوب ما تقدم. قوله: [ولا يجوز في غيره الخ] أي لأن رؤية كل منهما لصاحبيه غير مستحيلة، وما جاز على أحد المثلين يجوز على الآخر. قوله: [أو يحيط به علما] هذا هو التفسيرالثاني. قوله: ﴿وهو اللطيف﴾ من لطف بمعنى احتجب،(٢) فلا يحيط به بصر ولا بصيرة، فقوله: راجع لقوله: : ﴿لا تدركه الأبصار﴾، وقوله:

---

(١) كما في الصحيحين عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله قال كنا جلوساً ليلاً مع النبي –صلى الله عليه وسلم–، فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال: "إنكم سترون ربكم كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا، ثم قرأ ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ سورة ق وفي رواية إنكم سترون ربكم عياناً". انظر: البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ ج٣ ص١٣٩، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليها، ج٢ ص١١٣ برقم ١٤٦٦.

(٢) هذا لا يصح، ولم يقل به أحد قبله، والذي أجمع عليه أصحاب المعاجم هو أن: اللَّطيفُ: اسم من أسماء الله العظيم، ومعناه والله أعلم: الرفيق بعباده. ولَطف فلان لفلان يَلْطُف: إذا رفَق لُطْفاً: ويقال: لَطَف الله لك، أي أوصل إليك ما تُحب برفق. ولطُف الشيء يلطُف–بضم عين الكلمة–:أي صغُر. ويقال: وجارية لطيفة الخصر: إذا كانت ضامرة البطن. وقال الليث: اللَّطَفُ: البِرُّ والتَّكْرِمة. وأمُّ لطيفة بولدها تُلْطف إلطافا. وفلان لطيف بهذا الأمر: أي رفيق. قال: واللطيف من الكلام: ما غَمُض معناه وخَفي

﴿الخير﴾ راجع لقوله: ﴿وهو يدرك الأبصار﴾ فهو لف ونشر مرتب، وهذا هو المناسب هنا، فقول المفسر [بأوليائه] يقتضي أن معنى ﴿ اللطيف﴾ الرؤوف المحسن، وهو وإن كان مناسبا في نفسه، إلا أنه غير ملائم هنا. فتحصل مما تقدم أن الرؤية بالبصر في الآخرة للمؤمنين، وقع فيها خلاف بين المعتزلة وأهل السنة، وأما رؤية قلوب العارفين له في الدنيا بمعنى شهود القلب له في كل شيء فهو جائز،[1] بل هو مطلبهم وغاية مقصودهم ومناهم،

لرقته ودقته، وهذه هي مدار معاني هذه الكلمة، والله أعلم. انظر: الأزهري، الزرقاني، محمد عبد العظيم، ط٣، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م) ج١ ص١٧. و الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، د.ط، (بيروت: المكتبة العلمية - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، ج٤ ص٤٩٦.

(١) قضية رؤية الله عز وجل قضية هبت الغبار بين هذه الأمة منذ العصر الأول إلى وقتنا هذا، منهم من ينفي هذه الرؤية نفيا كليا كالمعتزلة، ويقول: لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة، ومنهم منم يقول يرى في الدنيا في المنام ولا يرى رأي العين إلا في الآخرة، كأهل السنة والجماعة، وبه قال ابن تيمية وغيره، ومنهم من يقول إنه يرى يوم القيامة لدى المؤمنين فقط، إلى غير ذلك من الخلاف. وأما أهل السنة والجماعة يقولون إن كل من ادعى أنه رأى ربه بعينيه قبل الموت فدعواه باطلة باتفاق ؛ لأنهم اتفقوا جميعهم على أن أحدا من المؤمنين لا يرى ربه بعينيه حتى يموت، استدلالا بما صح عند مسلم عن النواس بن سمعان عن النبي صلى الل ذكر الدجال قال: "واعلموا أن أحدا منكم لن يرى ربه حتى يموت. قال الزهري : فأخبرني عمر بن ثابت الأنصاري : أنه أخبره بعض أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : «أن النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- قال يومئذ للناس وهو يحذِّرهم فتنته : "تعلمون أنَّه ليس يرى أحد منكم ربَّه حتى يموتَ ، وأنَّه مكتوب بين عينيه : كافر ، يقرؤه كلُّ من كَرِهَ عَملَه" [انظر صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد، برقم٥٢١٩، ج١٨ ص٥٦-٥٧].

ولكن الذي يقع لأهل حقائق الإيمان من المعرفة بالله، ويقين القلوب ومشاهدتها، وتجلياتها هو صحيح ويقع ذلك حسب مراتب الإيمان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لما سأله جبريل عليه السلام عن الإحسان، قال: "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك" [ابن ماجه في سننه، باب في الإيمان، ج١ ص٤٩].

وقد يرى المؤمن ربه في المنام في صورة متنوعة على قدر إيمانه ويَقِينِه، فإذا كان إيمانه صحيحا لم يره إلا في صورة حسنة، وإذا كان في إيمانه نقص رأى ما يشبه إيمانه، ورؤيا المنام لها حكم غير رؤيا الحقيقة في اليقظة، ولها تعبير وتأويل لما فيها من الأمثال المضروبة للحقائق.

وقد يحصل لبعض الناس في اليقظة أيضا من الرؤيا نظير ما يحصل للنائم في المنام، فيرى بقلبه مثل ما يرى النائم، وقد يتجلى له من الحقائق ما يشهده بقلبه، فهذا كله يقع في الدنيا. وربما غلب أحدهم ما يشهده قلبه وتجمعه حواسه، فيظن أنه رأى ذلك بعيني رأسه حتى يستيقظ فيعلم أنه منام، وربما علم في المنام أنه منام.

قال العارف[1]:

فهكذا من العباد من يحصل له مشاهدة قلبية تغلب عليه حتى تفنيه عن الشعور بحواسه فيظنها رؤية بعينه، وهو غالط في ذلك، وكل من قال من العباد المتقدمين أو المتأخرين أنه رأى ربه بعيني رأسه فهو غالط في ذلك بإجماع أهل العلم والإيمان.ا.هـ انظر: ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني، **مجموع الفتاوى**، ط٣، (دار الوفاء، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م)، ج٣ ص٣٨٩.

أما الرؤيا في المنام فيقول شيخ الإسلام بجواز وقوعها، لكن حكمها غير رؤيا الحقيقة في اليقظة، ولها تعبير وتأويل لما فيها من الأمثال المضروبة للحقائق، ولذلك تختلف الرؤيا في المنام من شخص لآخر حسب إيمانه، مما يؤكد أن لها حكما يخالف رؤيا اليقظة، والله تعالى أعلم.

(١) هو أبو حفص عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد بن علي الحموي الأصل المصري المولد والدار والوفاة، المشهور بابن الفارض ، صاحب نظم التائية في السلوك على طريقة المتصوفة المنسوبين إلى الاتحاد ، تكلم فيه غير واحد من المشايخ والمحققين بسبب قصيدته هذه "وقد ذكره شيخنا أبو عبد الله الذهبي في ميزانه وحط عليه" قاله ابن كثير، [انظر: ابن كثير، البداية والنهاية ج١٣ ص١٤٣].

ولد في ذي القعدة سنة (٥٧٦ هـ) بالقاهرة ، ومات سنة ٦٣٢ هـ، قال المنذري: سمعت منه من شعره ، وقال في التكملة: كان قد جمع في شعره بين الحوالة والحلاوة. [انظر الحافظ ابن حجر، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني الشافعي، **لسان الميزان لسان الميزان**، ط٣، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٦ – ١٩٨٦) ج٤ ص٣٢٤].

ومن قصيدته:

لها صلواتي بالمقام أقيمها ۞۞ وأشهد فيها أنـــــها لي صلت

كلانا مصل واحد ساجد ۞۞ إلى حقيقته بالجمع في كل سجدة

ومنها:

وها أنا أبدي في اتحادي مبدأي ۞۞ وانهي انتهائي في مواضع رفعتي

وفي موقفي لا بل إلى توجهـــي ۞۞ ولكن صلاتي لي ومنـي كعبتي

ومنها:

ولا تك ممن طيشة دروســـه ۞۞ بحيث استقلت عقله واستفزت

فتم وراء العقل علم يدق عن ۞۞ مدارك غايات العقول السلمية

تلقيته عني ومني أخذته ونفسي ۞۞كانت من خطائي محيدتـي.

قال الذهبي بعدما ساق هذه الأبيات: "فإن لم يكن في تلك القصيدة صريح الاتحاد الذي لا حيلة في وجوده فما في العالم زندقة ولا ضلال ، اللهم ألهمنا التقوى وأعذنا من الهوى فيا أئمة الدين ألا تغضبون لله فلا حول ولا قوة إلا بالله". [انظر الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج٢٢ ص٣٦٧].

وقال أبو حيان الأندلسي في تفسيره، عند قول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَآلُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [سورة المائدة، الآية:١٧] "ومن بعض اعتقاد النصارى استنبط من أقر بالإسلام ظاهراً ، وانتمى إلى الصوفية حلولَ الله في الصور الجميلة ، وذهب

أنلنا مع الأحباب رؤيتك التي ❁❁ إليها قلوب الأولياء تسارع

وكذا رؤياه في المنام. قوله: ﴿بصائر﴾ جمع بصيرة وهي النور الباطني الذي ينشأ عنه العلوم والمعارف. قوله: [حجج] جمع حجة وهي الأدلة، وسميت الحجج بصائر، لأنها تنشأ عنها من باب تسمية المسبب باسم السبب. قوله: ﴿فمن أبصر﴾ [ها] قدر المفسر الضمير إشارة إلى أن المفعول محذوف. قوله: : ﴿فلنفسه﴾ [أبصر] قدر المفسر متعلق الجار والمجرور فعلا ماضيا مؤخرا، وهو غير مناسب للزوم زيادة الفاء، بل المناسب تقديره اسما مبتدأ، والجار والمجرور خبره، والتقدير فإبصاره لنفسه، وكذا يقال في قوله: ﴿ومن عمي فعليها﴾. قوله: [لأن ثواب إبصاره] أي نفعه فلا يعود على الله من الطاعة نفع، ولا يصل له من المعصية ضر. قوله: ﴿ومن عمي﴾ [عنها] أي عن البصائر بمعنى الحجج.

قوله: ﴿وكذلك نصرف الآيات﴾ الكاف في محل نصب نعت لمصدر محذوف تقديره نصرف الآيات في غير هذه السورة تصريفا[١]، مثل التصريف في هذه السورة. قوله: [كما بينا ما ذكر] أي الأحكام المذكورة. قوله: ﴿نبين﴾ [الآيات] هذا وعد من الله بإكمال الدين وإظهاره، فلذا كان نزول قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[٢] من مبشرات الوفاء لرسول الله[٣]. قوله: [ليعتبروا] أي لتقوم بهم العبرة أي الإتعاظ، فيميزوا الحق من الباطل، وقدره المفسر، قوله: ﴿وليقولوا﴾ عليه. قوله: [في عاقبة الأمر] أشار بذلك إلى أن اللام في [وليقولوا] لام العاقبة والصيرورة[٤]نظير قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً﴾[٥]، وقيل إن اللام للعلة حقيقة، والمعنى نصرف الآيات ليعتبر الذين آمنوا

من ذهب من ملاحدتهم إلى القول بالاتحاد والوحدة كالحلاج، والشعوذي ، وابن أحلى ، وابن عربي المقيم بدمشق ، وابن الفارض ، وأتباع هؤلاء كابن سبعين". [انظر أبا حيان في تفسيره ، ج١٤ ص١٤٣]. قلت: والذي يظهر أن هذا الرجل –على كل حال– ليس برجل خير، والله أعلم.

(١) ذلك أن السورة تدور حول المحاور الثلاثة كما ذكرت في أول السورة فراجعها.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٣) ذكر بعض العلماء أنه ﷺ مكث بعد نزول هذه الآية إحدى وثمانين يوماً ، ثم قبضه الله إليه. انظر السيوطي، **في الدر المنثور**، ج٥ ص١٧٩-١٨٠.

(٤) هذا من قول أبي البقاء وابن عطية بأنها لام الصَّيْرُورةِ. انظر: ابن عادل الدمشقي، في **اللباب**، ج٨ ص٣٥٥.

(٥) سورة القصص، الآية:٨.

ويزدادوا بها إيمانا، وليقول الذين كفروا درست ليزدادوا كفرا،[1] ونظيره قوله تعالى:﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ ۞﴾ [2]، قوله: [دارست][3]كقاتلت، من المدارسة، والمعنى تذاكرت مع أهل الكتاب فتعلمت منهم تلك القصص. قوله: [وفي قراءة درست] أي قرأت الكتب، وبقي قراءة ثالثة سبعية أيضا: وهي درست بفتح الدال والراء والسين، أي عفت وبليت وتكررت على الأسماع. قوله: [وجئت بهذا منها] راجع لكل من القرائتين. قوله: ﴿ولنبينه﴾ أي الآيات، وذكر باعتبار معناها وهي القرآن.

قوله: ﴿اتبع ما أوحي إليك﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى قبائح المشركين وتكذيبهم لرسول الله، أخذ يسلي رسوله بقوله: اتبع، أي دم على ذلك، ولا تبال بكفرهم، ولا تلتفت لقولهم، وما اسم موصول، والعائد محذوف، ونائب فاعل أوحي ضمير مستتر عائد على ما، وإليك متعلق بأوحي، ومن ربك متعلق بمحذوف حال، ومن لابتداء الغاية، والتقدير اتبع الذي أوحي إليك هو أي القرآن، حال كونه صادرا وناشئا عن ربك، ويصح أن تكون مصدرية، ونائب الفاعل هو الجار والمجرور، والتقدير اتبع الإيحاء الجائي إليك من ربك. قوله: [لآ إله إلا هو] جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه لتأكيد التوحيد[4]. قوله: ﴿وأعرض عن المشركين﴾ أي لا تتعرض لهم ولا تقاتلهم، وهذا على أنه منسوخة [1]

---

(١) وهذا التفسير يوافق مع ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة بأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، يستندون في هذا القول بالآيات الباهرة والأحاديث الطاهرة، ومن تلك الآيات قول الباري سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ﴾ [سورة محمد، الآية:١٧]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة العنكبوت، الآية:٦٩] ومن الحديث ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري τ قال: قال رسول الله ﷺ: "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان" وترجم مسلم لهذا الحديث قائلاً: [بَاب بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الإِيمَانِ وَأَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ وَأَنَّ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبَانِ]، ينظر: مسلم، كتاب الإيمان، بَاب بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الإِيمَانِ وَأَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ..الخ، ج١ ص٥٤.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٤-١٢٥.

(٣) وهذه قراءة ابن كثير وابو عمرو، بالالف وفتح التاء: ﴿دارسْتَ﴾، وقرأ ابن عامر بغير الف وفتح السين واسكان التاء: ﴿درَسَتْ﴾، والباقون بغير الف واسكان السين وفتح التاء: ﴿درَسْتَ﴾ وكلها سبعية. ينظر: أبا عمرو الداني، مصدر سابق، ص١٠٥.

(٤) قلت: وتفيد هنا اندماج التذكير بالوحدانية لزيادة تقريرها وإغاظة المشركين. انظر: ابن عاشور، مصدر سابق، ج٧ ص٤٢٥.

كما يأتي للمفسر، وقيل إن الآية محكمة، والمعنى لا تلتفت إلى رأيهم، ولا تغتظ من أقوالهم وإشراكهم، لأن ذلك بمشية الله، ومثل ذلك يقال: إذا أجمع خلق على ضلالة لا يستطاع ردها، ففي الحديث "إذا رأيتم الأمر لا تستطيعون رده حتى يكون الله هو الذي يغيره"(٢).

قوله : ﴿ولو شاء الله﴾(٣) مفعول ثان محذوف تقديره عدم إشراكهم. قوله: ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ تأكيد لما قبله، أي لست حفيظا مراقبا لهم فتجبرهم على الإيمان. قوله: [وهذا قبل الأمر بالقتال] أشار بذلك إلى أن الآية منسوخة، واسم الإشارة عائد على قوله: ﴿وأعرض عن المشركين﴾ الخ.

قوله: ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله﴾ سبب نزولها أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾(٤)كثر سب المسلمين للأصنام، فتحزب المشركون على كونهم يسبون الله الكلام نظير سب المسلمين لأصنامهم، فنزلت الآية، وقيل إن أبا طالب حضرته الوفاة، فقالت قريش انطلقوا بنا لندخل على هذا الرجل، فلنأمره أن ينهى عنا ابن أخيه، فإنا نستحيي أن نقتله بعد موته فتقول العرب كان عمه يمنعه، فلما مات قتلوه. فانطلق أبو سفيان، وأبو جهل، والنضر بن [الحارث](٥)،

---

(١) قاله السيوطي، انظر السيوطي، مصدر سابق، ج٦ ص١٦٧.

(٢) هذا الحديث شديد الضعف، أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، باب ما جاء في فساد الناس عند إظهار الخمور واستحلال الحرير والفروج، بحديث رقم٧٥٨١ من حديث صدي ابن العجلان، أبو أمامة الباهلي τ. وفي سنده عفير بن معدان، وهو منكر الحديث. انظر الطبراني، مصدر سابق، ج١ ص٥٩. وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان، باب في الستر على أصحاب القروف، فصل في أي الناس أشد بلاء، بحديث رقم ٩١٥٨، وفيه أيضا عفير بن معدان. انظر: البيهقي، مصدر سابق، ج٧ ص٨٤.

(٣) هذه الآية تسمى آية القدرية، ذلك لأنهم يعتمدون عليها في مذهبهم القدرية، والقدرية فرقة ضالة يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف، أي مستأنف، لم يسبق به قضاء الله وقده، وأول من تكلم به في البصرة بالقدر معبد الجهني، وقد افتتح مسلم رحمه الله في صحيحه أبوابه بحديث عمر المشهور الذي فيه سؤال جبريل للنبي –صلى الله عليه وسلم– عن الإسلام والإيمان والإحسان وأوله ذكر شيء عن معبد هذا أمام عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. انظر: مسلم، مصدر سابق، ج١ ص٢٨. وابن منده، محمد بن إسحاق بن منده، **الإيمان**، ط١، (بيروت: دار أطلس، د.ت.ط)، ج١ ص٢٧٩. وانظر في ترجمة معبد الجهني: السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار. **الأنساب**، ط ج٣ ص٣٩٥، هذا وقد ألف ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى كتابا أطلق عليه شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، فصل فيه الكلام على القدر وذكر الآثار فيه.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٩٨. ومعنى حصب جهنم: أي حطب جهنم ووقودها قال أبو حيان: الحصب ما يحصب به أي يُرمى به في نار جهنم، وقبل أن يُرمى به لا يُطلق عليه حصبٌ إلا مجازاً. انظر: أبا حيان،ة مصدر سابق، ج٦ ص٣١٥.

(٥) كذا في النسخ المطبوعة وفي النسخة القديمة [الحرث] وهو خطأ.

أمية وأبي ابنا خلف، وعقبة بن أبي معيط، وعمرو بن العاص، والأسود بن أبي البحتري، إلى أبي طالب، فقالوا يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا، وإن محمدا قد آذانا وآذى آلهتنا، فنحب أن تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا، وندعه وإلهه، فدعاه فجاء النبي -ﷺ- فقال له أبو طالب [١]: إن هؤلآء قومك وبنو عمك، فقال رسول الله -ﷺ-: وما يريدون؟ قالوا نريد أن تدعنا وآلهتنا، وندعك وإلهك، فقال له أبو طالب: قد أنصفك قومك فاقبل منهم، فقال النبي -ﷺ-: "أرأيتم إن أعطيتكم هذا، فهل أنتم معطي كلمة، إن تكلمتم بها ملكتكم العرب، ودانت لكم العجم، وأدت لكم الخراج؟" قال أبو جاهل: نعم وأبيك لنعطينكها وعشرة أمثالها فما هي؟ فقال: لا إله إلا الله، فأبوا ونفروا، فقال أبو طالب قل غيرها ياابن أخي، فقال: "يا عم ما أنا بالذي أقول غيرها، ولو أتوني بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت غيرها"، فقالوا: لتكفن عن شتمك آلهتنا أو نسبن من يأمرك فنزلت [٢].

قوله: ﴿الذين يدعون﴾ أي يعبدون، وقدر المفسر الضمير إشارة إلى أن مفعول يدعون محذوف. قوله: ﴿فيسبوا الله﴾ أي فيترتب على ذلك سب الله فسب الأصنام وإن كان جائزا، إلا أنه عرض له النهي بسبب ما يترتب عليه من سب الله، ففي الحقيقة النهي عن سب الله [٣]. قوله: [اعتداء] أشار بذلك إلى أن ﴿عدوا﴾ مصدر، ويصح أن يكون حالا مؤكدة، لأن السب لا يكون إلا عدوانا، قوله: [أي جهلا منهم بالله] أي بما يجب في حقه. قوله: ﴿كذلك زينا﴾ نعت لمصدر محذوف، أي زينا لهؤلآء

---

(١) هو ابو طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وله من البنين طالب،عقيل: جعفر، وعلي، بين كل واحد منهم أحد عشر سنين وقد كان يحدب على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ويرق له مع بقائه على قومه إلى أن مات قبل الهجرة بثلاث سنين. انظر: ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، جمهرة أنساب العرب، ط٣، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م)، ج١ ص١٠٨. وابن كثير، في البداية والنهاية، ج٣ ص١٢٢، وابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، **المعارف**، ط٣، (القاهرة: دار المعارف، د.ت.ط) ص٢٠٢-٢٠٤، وابن هشام، مصدر سابق، ج١ ص١٧٩.

(٢) هذا الحديث ضعيف الإسناد لأنه مرسل، أخرجه الطبري في تفسيره ج١٢ ص٣٥، وابن أبي حاتم في تفسيره، ص١٣٦٧، والبغوي، مصدر سابق، ج٣ ص١٧٦.

(٣) وفي هذا حكمة عظيمة لفقه الدعوة التي تغافل عنها كثير من دعاة اليوم، فكل أمر يترتب عليه فساد كبير في تفريق الأمة وتشويه سمعة الإسلام يجب تركه وإن كان مأمورا إذ لا يتوقى ذاك الفساد إلا بتركه، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وهو من باب ترك ما لله لله. والله أعلم.

أعمالهم تزيينا مثل تزييننا لكل أمة عملهم. قوله: [من الخير والشر] أشار بذلك إلى أن الآية رد على المعتزلة الزاعمين أن الله لا يريد الشرور ولا القبائح.(1) قوله: ﴿ثم إلى ربهم مرجعهم﴾ مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله: [فأتوه].

قوله: ﴿وأقسموا﴾ أي حلفوا. قوله: [غاية اجتهادهم] أي لأنهم كانوا يحلفون بآبائهم وآلهتهم، فإذا أرادوا تغليظ اليمين حلفوا بالله. قوله: ﴿لئن جائتهم ءاية﴾ حكاية عنهم، وإلا فقولهم ﴿لأن جائتنا آية﴾. قوله: [مما اقترحوا] أي طلبوا، وذلك أن قريشا قالوا يا محمد إنك تخبرنا أن موسى كان له عصا يضرب بها الحجر، فتنفجر منه اثنا عشر عينا، وتخبرنا أن عيسى كان يحي الموتى، فأتنا بآية نصدقك ونؤمن بك، فقال رسول الله: "أي شيء تحبون؟": قالوا تجعل لنا الصفا ذهبا، وابعث لنا بعض موتانا نسأله عنك، أحق ما تقول أم باطل؟ وأرنا الملآئكة يشهدون لك، فقال رسول الله: "إن فعلت ما

---

(١) فقد تمسك المعتزلة بهذه الآية وقالوا: إن فيها ردا على أهل السنة، و أجيب بأن أهل السنة تمسكوا في هذه المسألة بما ترسخت فيه الحجج والبراهين وقامت عليه وهو أن الله خالق كل مخلوق ويستحيل أن يخلق المخلوق شيئا ، والإرادة شرط في الخلق ويستحيل ثبوت المشروط بدون شرطه ، فلما عاند المشركون المعقول وكذبوا المنقول الذي جاءتهم به الرسل وألزموا الحجة بذلك تمسكوا بالمشيئة والقدر السابق ، وهي حجة مردودة، لأن القدر لا تبطل به الشريعة وتجرى الأحكام على العباد بما كسبت أيديهم، فمن قُدِّر عليه بالمعصية كان ذلك علامة على أنه قدر عليه العقاب إلا إذا شاء الله أن يغفر له من غير المشركين ، ومن قدر عليه بالطاعة كان ذلك علامة على أنه قدر عليه بالثواب ، وحرفت المسألة المعتزلة حيث قاسوا الخالق على المخلوق وهذا باطل، لأن المخلوق لو عاقب من يطيعه من أتباعه عد ظالما لكونه ليس مالكا له بالحقيقة ، والخالق لو عذب من يطيعه لم يعد ظالما ؛ لأن الجميع ملكه فله الأمر كله يفعل ما يشاء ولا يسأل عما يفعل وهم يسئلون، وعلى فرض فهم المسألة فهما دقيقا قسم العلماء الإرادة إلى قسمين : إرادة أمر وتشريع، وإرادة قضاء وتقدير، فالأولى تتعلق بالطاعة والمعصية سواء وقعت أم لا ، والثانية شاملة لجميع الكائنات محيطة بجميع الحادثات طاعة ومعصية ، وإلى الأول الإشارة بقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [سورة البقرة، الآية:١٨٥] وإلى الثاني الإشارة بقوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾ [سورة الأنعام، الآية:١٢٥]، وفرق بعضهم بين الإرادة والرضا فقالوا : يريد وقوع المعصية ولا يرضاها ، لقوله تعال: [وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا] [سورة السجدة، الآية:١٣]، وقوله: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [سورة الزمر، الآية:٧]. وقد بسط العلما القول في هذه المسألة فيما فيه الكفاية، انظر: الحافظ بن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، د.ط. (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩)، ج١٣ ص٤٤٨. وابن أبي العز الدمشقي، القاضي علي بن علي بن محمد، شرح العقيدة الطحاوية، د.ط. (مؤسسة الرسالة، د.ت.ط) ج١ ص٧٩-٨٣.

تقولون تصدقوني؟" قالوا: نعم والله لئن فعلت لنتبعنك أجمعين، وسأل المسلمون رسول الله أن ينزلها عليهم حتى يرضوا، ولكن إن لم يصدقوك لنعذبهم، وإن شئت تركت حتى يتوب تائبهم، فقال رسول الله -ﷺ-: "بل يتوب تائبهم"، فنزلت الآية [(١)].

قوله: ﴿ليؤمنن بها﴾ جواب القسم، وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه. قوله: ﴿قل إنما الآيات عند الله﴾ أي لا عندي، فالقادر على إنزالها هو الله، وينزلها على حسب ما يريد. قوله: ﴿وما يشعركم﴾ ما اسم استفهام مبتدأ، وجملة يشعر خبرها، والكاف مفعول أول، والثاني محذوف قدره المفسر بقوله: [بإيمانهم] والخطاب للمؤمنين، أي وما يعلمهم أي المؤمنون بإيمانهم، وقوله: ﴿أنها إذا جاءت﴾ بكسر استئناف مسوق لقطع طمع المؤمنين بإيمان المشركين، وتكذيب للمشركين في حلفهم. قوله: [وفي قراءة [(٢)] بالتاء] [(٣)] ظاهره أن هذه القراءة مع كسر إن وليس كذلك بل هي مع الفتح، فالمناسب تأخيرها عن قوله: [وفي أخرى بفتح أن] [(٤)]، فالقراءات ثلاث: الكسر مع الياء لا غير، والفتح إما مع الياء أو التاء. قوله: [بمعنى لعل] أي ومجيء أن[(٥)] بمعنى لعل كثير شائع عند العرب،[(٦)] والترجي في كلام الله مثل الحقيق، فهي مساوية لقراءة الكسر. قوله: [أو معمولة لما قبلها]أي على أنها المفعول الثاني، ولا إما صلة أو داخلة على محذوف، والتقدير إذا جائت لا تعلمون أنهم يؤمنون أو المقابل محذوف، والتقدير إذا جاءت لا يؤمنون أو يؤمنون، وهو إخبار عن الكفار عن قراءة الياء، وخطاب لهم على قراءة التاء[(٧)].

---

(١) أخرج الحديث الطبري في تفسيره، انظر الطبري: مصدر سابق، ج٩ ص٤٨٧، وأورده البغوي في تفسيره ج٢ ص٢٣٩، وهو صحيح لغيره.

(٢) وهي قراءة ابن كثير وابي عمرو وابي بكر والباقون بالياء. انظر ابن عمرو الداني، مصدر سابق، ص٧٨.

(٣) كذا في الأصل وفي النسخ المطبوعة [بالياء] وهو خطأ.

(٤) وهي قراءة الجمهور، انظر ابن عمر الداني، مصدر سابق، ص٧٩.

(٥) كذا في الأصل وفي النسخ المطبوعة [أي] وهو خطأ.

(٦) قال ابن عاشور: (وروى سيبويه عن الخليل : أن قوله تعالى: أنها معناه لعلها، أي لعل آية إذا جاءت لا يؤمنون بها . وقال : تأتى (أن) بمعنى لعل ، يريد أن في لعل لغة تقول : لأن، بإبدال العين همزة وإبدال اللام الأخيرة نونا، وأنهم قد يحذفون اللام الأولى تخفيفا كما يحذفونها في قولهم : علك أن تفعل، فتصير (أن) أي (لعل). وتبعه الزمخشري وبعض أهل اللغة، وأنشدوا أبياتا..انتهى) انظر ابن عاشور، مصدر سابق، ج٧ ص٤٤٠ .

(٧) انظر ابن عاشور، مصدر سابق، ج٦ ص٤٤١.

قوله: ﴿ونقلب أفئدتهم﴾ باستئناف مسوق لبيان أن خالق الهدى والضلال هو الله لا غيره، [1] فمن أراد [الله له] [2] الهدى حول قلبه له،

ومن أراد الله شقاوته حول قلبه لها.[3] قوله: ﴿كما لم يؤمنوا به﴾ مرتبط بمحذوف قدره المفسر بقوله فلا يؤمنون، والمعنى تحول قلوبهم عن الإيمان ثانيا، كما حولناها أولا عند نزول الآيات لو نزلت، أي فهم لا يؤمنون على كل حال. قوله: ﴿ونذرهم﴾ عطف على لا يؤمنون. قوله: ﴿يعمهون﴾ إما حال أو مفعول ثان، لأن الترك بمعنى التصيير، وعمه من باب تعب إذا ترددت متحيرا،[4] مأخوذ من قولهم أرض عمهاء، إذا لم يكن فيها أمارات تدل على النجاة.

قوله: ﴿ولو أننا نزلنا﴾ هذه زيادة في الرد عليهم، ما أجمل في قوله: ﴿وما يشعركم أنها إذا جاءت لايؤمنون﴾. قوله: [كما اقترحوا] أي طلبوا بقولهم: لولا أنزل علينا الملآئكة، قولهم [5]: ﴿فأتوا بآياتنا﴾ قوله: [كل شيء] أي من أصناف المخلوقات، كالوحوش والطيور. قوله: [بضمتين جمع قبيل][6] أي كنصيب ونصب، وقضيب وقضب. قوله: [أي فوجا فوجا] تفسير لقبيل، وأما قبلا فمعناه أفواجا أفواجا، وعلى هذه القراءة فنصب قبلا على الحال. قوله: [وبكسر القاف وفتح الباء][7] أي وهي سبعية

---

(١) هذا على مذهب أهل السنة والجنماع خلافا للمعتزلة الزاعمين أن العباد هم الخالقون لأفعالهم، وسيأتي البيان عنها وافيا.

(٢) سقط ما بين القوسين في النسخ المطبوعة.

(٣) وقد ورد في الحديث قَالَ: قُلْتُ لِأُمِّ سَلَمَةَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، مَا كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– إِذَا كَانَ عِنْدَكِ؟ قَالَتْ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ: " يا مقلب القلوب ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ "، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لأَكْثَرِ دُعَاءَكَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ؟ قَالَ: يَا أُمَّ سَلَمَةَ: " إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ "، فَتَلَا مُعَاذٌ قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾". انظر: الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي، **الجامع الصحيح سنن الترمذي**، د.ط، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.ط) ج٥ ص٥٣٨.

(٤) انظر: الراغب الاصفهاني، مصدر سابق، ص٣٤٨.

(٥) كذا في الأصل وفي النسخ المطبوعة [قوله] وما أثبتناه هو الصحيح.

(٦) وهي قراءة الجمهور، وقِبَل بمعنى المواجهة والمعاينة، وأولت بتأويلات أخرى بعيدة عن المراد والاستعمالات. انظر ابن عاشور، مصدر سابق، ج٨ ص٦.

(٧) وهي قراءة نافع وابن عامر وأبي جعفر. انظر: ابن مجاهد، مصدر سابق، ص٢٩٠.

أيضا. قوله: [أي معاينة] أي فيقال فلان قبل فلان، أي مواجهه ومعاينه وهو مصدر منصوب على الحال، أي معاينين ومشافهين لكل شيء، وصاحب الحال الهاء في عليهم. قوله: ﴿ما كانوا ليؤمنوا﴾ جواب لو، واللام في ليؤمنوا لام الجحود، ويؤمنوا منصوب بأن مضمرة وجوبا بعد لام الجحود، وخبر كان محذوف تقديره ما كانوا أهلا للإيمان. قوله: ﴿إلا أن يشاء الله﴾ قدر المفسر [لكن] إشارة إلى أن الإستثناء منقطع[١] كما هو عادته، وذلك لأن المشيئة ليست من جنس إرادتهم، وقال بعضهم: إن الإستثناء متصل[٢]، والمعنى ما كانوا ليؤمنوا في حال من الأحوال، إلا في حال مشيئة الله لهم بالإيمان. قوله: [يجهلون] [ذلك] أي يجهلون أن ظهور الآيات يوجب الإيمان، لو لم تصحبه مشيئة الله، وهو توبيخ لهم حيث أقسموا بالله جهد أيمانهم، أنهم إذا جاءتهم الآيات يؤمنون، مع أنه سبق في علم الله شقاؤهم، ومن هنا لا ينبغي ترك المشيئة والاعتماد على الأسباب، فقد يوجد السبب ولا يوجد المسبب. قوله: [وكذلك جعلنا] هذا تسلية لرسول الله على ما وقع منهم من العداوة، والكاف داخلة على المشبه وهو بمعنى مثل. والمعنى مثل ما جعلناك أعداء من قومك، جعلنا لكل نبي عدواً إلخ، فتسل ولا تحزن، وجعل بمعنى صير، فتنصب مفعولين: الأول [عدوا] مؤخرا، والثاني [لكل نبي] مقدم، و[شياطين الإنس والجن] بدل، وهذا ما درج عليه المفسر، وقيل إن عدوا مفعول ثان، وشياطين مفعول أول، ولكن نبي متعلق بمحذوف حال من عدوًّا. قوله: [لكل نبي] أي وإن لم يكن رسولاً[٣]، ولذا أن الكفار قتلوا في يوم واحد سبعين نبياً[٤]. قوله: [مردة][١] جمع مارد وهو المتمرد المستعد للشر، وقدم شياطين الإنس لأنها

---

(١) وممن ذهب إلى أن الاستثناء هنا منقطع الكرماني وأبو البقاء والحوفي، وليس وجيها، إذ أن أنهم لا يستطيعون الإيمان بشيء مما ذكر إلا بمشيئة الله عز وجل. انظر أبا حيان الأندلسي، مصدر سابق، ج٤ ص٢٠٨، والكشاف، مصدر سابق، ج٢ ص٣٨٨.

(٢) وذهب إلى هذا القول أبو حيان النحوي الأندلسي. انظر أبا حيان، مصدر سابق، ج٤ ص٢٠٩.

(٣) وكلام المصنف هنا يوحي إلى أنه على مفهوم أن النبي من أوحي إليه أو أنزل عليه الوحي ولم يؤمر بتبليغه، والرسول من أوحي إليه وأمر بتبليغه، وهذا المفهوم عليه أكثر الأشاعرة، والصواب غير ذلك، إذ ليس نبي أوحي إليه إلا أمر بتبليغ ما أوحي إليه وهذا هو معنى الإرسال كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة الحج، الآية: ٥٢].

(٤) انظر النحاس، في إعراب القرآن، ج١ ص٣٦٣، والشربيني، محمد بن أحمد، **تفسير السراج المنير**، د.ر.ط. (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.ط)، ج١ ص٦٢.

أقوى في الإيذاء، قال ابن مالك بن دينار: إن شيطان الإنس أشد علي من شيطان الجن، وذلك إذا تعوذت بالله ذهب عني شيطان الجن، وشيطان الإنس ييجيئني فيجرني إلى المعاصي(٢). وقال الغزالي:(٣) كن من شياطين الجن في أمان، واحذر من شياطين الإنس، فإن شياطين الإنس أراحو شياطين الجن من التعب. وهذا على أن المراد شياطين من الإنس وشياطين من الجن، وقيل إن الشياطين كلهم من إبليس، وذلك أنه فرق أولاده فرقتين. ففرقة توسوس لصلحاء الجن، وتسمى شياطين الجن، وكل صحيح(٤). قوله: ﴿يوحي بعضهم﴾ أي وهو شيطان الجن، وقوله: ﴿إلى بعض﴾ أي وهو شيطان الإنس، قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ﴾ (٥). قوله: [من الباطل] بيان لزخرف القول،(٦) وأشار به إلى أن المراد بالزخرف المموه الظاهر الفاسد الباطل. قوله: [أي

---

(١) ويقال المارد والمريد من شياطين الجن والانس، أي المتعرى من الخيرات، من قولهم شجر أمرد إذا تعرى من الورق، ومنه قيل رملة مرداء لم تنبت شيئا، ويقال : الرجل أو الطفل الامرد لتجرده عن الشعر. انظر: الأصفهاني، **غريب القرآن**،

(٢) ذكره الواحدي في تفسيره، ج٢ ص٣١٣، والقرطبي في تفسيره، ج٦ ص٥٦، والكشاف في تفسيره،ج٢ ص٣٨٩.

(٣) انظر الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، **إحياء علوم الدين**، ط٣، (بيروت: دار المعرفة،١٣٣١ هـ)ج١ ص١٤.

(٤) والذي يظهر والله أعلم أن وصف شيطان ألجن وصف حقيقي، ووصف شيطان الإنس وصف مجازي، فإن لكل من الفريقين يتعاونون ببعضهم البض، بالوسائل المتاحة المتفقة بينهما، هذا شيطان الجن إذا لم يوفق بالإسلام والصلاح ذهب يغوي ويضل بوسائل معروفة مذكورة في القرآن من الأصوات وغيرهما التي قل من ينجو منها في عصرنا هذا، وأما شيطان الإنس فهو من بني الإنس ولكنه موصوف بالشيطنة بما يقوم من دوره بالتعاون معهم بل إنه التآمرُ بين الفريقينِ والتواطؤُ بينهما حيث تفاقمَت أخطارُهم وتغالبت لا سيَّما في هذا العصر ، حيث يبدو ذلك واضحًا في ظلِّ هذا الظهورِ الإعلامي الفجِّ لشياطين الإنس ومن وراءهم إخوانُهم من شياطين الإنس والجنِّ ؛ بوساوسهم وتزيينهم وإلهاماتهم وإيحاءاتهم وإمدادهم لتلك الحشودِ، من الكُتَّابِ والمخرجينَ ومهندسي الإضاءة و الزّينات، والمنتجينَ والممثلين والنقاد والمحكمين والمذيعين الذين يَلبِسون الحقَّ بالباطل ويكتمون الحق وهم يعلمون ، ويجرُّون الناسَ إلى المعاصي جهارا نهارا ، لا حول ولا قوة إلا بالله. انظر لمزيد من هذا ابن عاشور، مصدر سابق، ج٨ ص٩، و الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، **الكشف والبيان**، ط١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م) ج٤ ص١٨١.

(٥) سورة الحشر، الآية: ١٦.

(٦) فسره بعض العلماء أنه "قول مزين لا معنى تحته" وعلى هذا فالآية مفسرة لآية الإسراء ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٦٤]. فيدخل تحته جميع الأغنية المحرمة والمغريات من الأقوال بغير الحق. انظر: الطبري، مصدر سابق، ج١٢ ص٥١، والبغوي، مصدر سابق، ١٤٣.

ليغرقوهم] أشار بذلك إلى أن [غرورا] مفعول لأجله. قوله: ﴿ولو شاء ربك﴾ مفعول شاء محذوف تقديره عدم فعلهم[١].

قوله: ﴿وما يفترون﴾ ما اسم موصول أو نكرة موصوفة، وجملة يفترون صلة أو صفة، والعائد محذوف تقديره فذرهم والذي يفترونه، أو مصدرية والتقدير فذرهم وافتراءهم. قوله: [وهذا قبل الأمر بالقتال] أي فهي منسوخة. قوله: [عطف على غرورا] أي فاللام للتعليل، وما بين الجملتين اعتراض، والتقدير يوحي بعضهم لبعض للغرور، قوله: ﴿وليرضوه﴾ أي يحبوه لأنفسهم. قوله: [من الذنوب] بيان لما، وقوله: [فيعاقبوا] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، والتقدير وليقترفوا عقاب ما هم مقترحون. قوله: [لما طلبوا] اي قريش. قوله: [أن يجعل بينه وبينهم حكما] أي من أحبار اليهود، أو من أساقفة النصارى، ليخبرهم بما في كتابهم من أوصاف النبي وأمره.

قوله: ﴿أفغير الله﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير أميل لزخارفكم التي زينها الشيطان. فغير الله أبتغي حكما. وغير مفعول لأبتغي، وحكما حال أو تمييز، أو حكما مفعول وغير حال، والحكمة أبلغ من الحاكم لأن الحكم من تكرر منه الحكم، وأما الحاكم فيصدق ولو بتمرة، أو لأن الحكم لا يجوز أصلا، والحاكم قد يجوز[٢]. قوله: ﴿وهو الذي أنزل﴾ الجملة حالية كأنه قال: أفغير الله أطلب حكما، والحال أن الله هو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا، فالذي يشهد لي هو القرآن، وأما الكتب القديمة فإنها وإن كانت تشهد له أيضا، لكن لما غيروا وبدلوا، صارت

---

(١) قلت: في هذه الآية حكم ما الله بها عليم، أمرنا باتباعه واتلخضوع لأمره وأمر رسوله وزأمرنا أن لا نتبع الشيطان بل أمر أن يُتَّخذ عدوا ، ولكن مع هذا كله أعطاه وسائل الإمكانيات لغرور المؤمن وأعطاه أعوانا من بني جنسنا لمحص الله الخبيث من الطيب والطالح من الصالح وليبتلينا اينا أحسن عملا، ومن تلك الحكمة ما ذكره السعدي رحمه الله: "ومن حكمة الله تعالى في جعله للأنبياء أعداء ، وللباطل أنصارا قائمين بالدعوة إليه : أن يحصل لعباده الابتلاء والامتحان ، ليتميز الصادقُ من الكاذبِ ، والعاقلُ من الجاهلِ، والبصيرُ مِنَ الأعْمَى ، ومن حكمتِهِ أن في ذلك بيانًا للحقِّ ، وتوضيحًا له ، فإن الحقَّ يستنيرُ ويتضحُ إذا قام الباطلُ يصارعُه ويقاومُه ، فإنه –حينئذٍ– يتبين من أدلة الحق ، وشواهده الدالة على صدقه وحقيقته ، ومن فساد الباطل وبطلانه ، ما هو من أكبر المطالب ، التي يتنافَسُ فيها المتنافسون ". انظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ط١، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م) ص٢٦٩.

(٢) والحكم هو الحاكم، العادل الذي يفصل بين الناس بالحق، والحكم أبلغ من الحاكم لأنها صفة تعظيم في مدح، ولا تطلق إلا على من يحكم بالحق، بخلاف الحاكم فقد يسمى به من يحكم بغير الحق. انظر: القرطبي، مصدر سابق، ج٤ ص٢٠٩.

غير معول عليها. قوله: [وأصحابه] أي ممن أسلم من علماء اليهود. قوله: [يعلمون أنه] أي الكتاب[1]. قوله: [بالتخفيف والتشديد] أي فهما قراءتان سبعيتان[2]، قوله: ﴿بالحق﴾ متعلق بمحذوف حال، والتقدير أنه منزل من ربك حال كونه متلبسا بالحق. قوله: [والمراد بذلك التقدير الخ] دفع بذلك ما يقال إن الشك مستحيل على النبي، فكيف ينهى عما يستحيل وصفه منه، فأجاب بما ذكر، وأجيب أيضا بأنه من باب التعريض للكفار بأنهم هم الممترون، فالخطاب له والمراد غيره.

قوله: ﴿وتمت كلمت ربك﴾ أي القرآن وفيها قراءتان[3]: الجمع والإفراد، فالجمع ظاهر، والإفراد على إرادة الجنس والماهية، وترسم بالتاء المجرورة على كل من القراءتين، وهكذا كل ما قريء بالجمع والإفراد إلا موضعين: أحدهما في يونس وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[4] وثانيهما في غافر في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾[5]، فاختلف فيها المصاحف، فبعضهم بالتاء المجرورة، وبعضهم بالتاء المربوطة. قوله: [بالأحكام والمواعيد] راجع لقوله: ﴿صدقا وعدلا﴾ على سبيل اللف والنشر المشوش، ولو أخره لكان أحسن، والمعنى تمت كلمات ربك من جهة الصدق، كالأخبار والمواعيد، والعدل كالأحكام فلا جور فيها، وهذا إخبار من الله بحفظ القرآن من التغيير والتبديل، كما وقع في الكتب المتقدمة، وذلك سر قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[6]، وقوله: ﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾[1]. قوله: [تمييز] أي على التوزيع،

---

(١) هو القرآن الكريم. انظر الطبري، مصدر سابق، ج١٢ ص٦١، والوجيز، مصدر سابق، ج١ ص٢٥٨، والبغوي، مصدر سابق، ج٢ ص١٤٤.

(٢) قرأ الجمهور بالتخفيف، وقرأ ابن عامر وحفص بالتشديد، والمعنى متقارب. انظر: ابن عمر الداني، مصدر سابق، ص٨٠.

(٣) قرأ الجمهور بصيغة الجمع، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف بالإفراد. انظر ابن عمر الداني، مصدر سابق، ص٨٢. ووجهوا بالقرائتين بأن المراد بالكلمات أو الكلمة هي القرآن، وهو قول جمهور المفسرين، وهو الأظهر والمناسب لجعل الجملة معطوفة على جملة [والذين آتيناهم الكتاب]، فأما قراءة الإفراد فإطلاق الكلمة على القرآن باعتبار أنه كتاب من عند الله فهو من كلامه وقوله. انظر: الواحدي، مصدر سابق، ج١ ص٢٥٨، والبغوي، مصدر سابق، ج٢ ص١٤٤، وابن عاشور، مصدر سابق، ج٨ ص١٩.

(٤) سورة يونس، الآية:٩٦.

(٥) سورة غافر، الآية:٦.

(٦) سورة الحجر، الآية:٩.

أي صدقا في مواعيده وعدلا في أحكامه، ويصح أن يكون حالا من ربك، ويؤول المصدر باسم الفاعل، أي حا ل كونه عادلا وصادقا. قوله: [لا مبدل لكلماته] هذا كالتوكيد لقوله: ﴿وتمت كلمة ربك﴾، وقوله: [بنقض أو خلف] راجع لقوله: ﴿صدقا وعدلا﴾ على سبيل اللف والنشر المرتب. قوله: [أي الكفار] تفسير للأكثر.

قوله: ﴿إن يتبعون﴾ قدر المفسر ما إشارة إلى أن إن نافية بمعنى ما. قوله: [إذ قالوا الخ] إشارة لسبب نزول هذه الآية وما بعدها، وذلك أن المشركين قالوا للنبي: أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها؟ فقال: الله قتلها. قالوا: أنت تزعم أن ماقتلت أنت وأصحابك حلال، وما قتلها الكلب والصقر حلال، وما قتله الله حرام، فكيف تدعون أنكم تعبدون الله ولا تأكلون ما قتله ربكم؟ فما قتله الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم أنتم[٢]. قوله: ﴿إلا يخرصون﴾ الخرص في الأصل الحرز والتخمين، ومنه خرص النخلة، وقوله: ﴿يكذبون﴾ سمي الخرص كذبا لأن فيه تتبع الظنون الكاذبة. قوله: [في ذلك] أي في قولهم ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم.

قوله: [أي عالم] دفع بذلك ما يقال إن أفضل التفضيل بعض ما يضاف إليه، فأجاب: بأن اسم التفضيل مؤول اسم الفاعل. وأجيب أيضا: بأن قوله: [من يضل] مفعول لمحذوف تقديره يعلم من يضل، أو منصوب بنزع الخافض، والتقدير بمن يضل يدل عليه قوله بعد ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾.

قوله: ﴿فكلوا مما ذكر اسم الله عليه﴾ هذا رد لقولهم المتقدم ، فإن الميتة[٣] لم يذكر عليها اسم الله، فعند مالك الوجوب الذكر،[١] وعند الشافعي السنية،[٢] والمراد بذكر اسم الله هنا، عدم ذكر اسم غيره كالأصنام،[٣] ليدخل ما إذا نسي التسمية فإنها تؤكل، وسيأتي إيضاح ذلك.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٠٦.

(٢) هذا الحديث حسن لغيره، أخرجه الطبري في تفسيره، ج١٢ ص٨٠، والخازن في تفسيره ج٢ ص١٦٨، و بأبو حيان الأندلسي في تفسيره، ج٤ ص٢١٣، البغوي في تفسيره، ج٣ ص١٨٤، والواحدي في أسباب النزول ج١ ص١٨٤، والسيوطي في الدر ج٦ ص١٨٦.

(٣) الميتة: هي الحيوان الذي مات حتف أنفه ودون تذكية، وهي قسمان: ماكان نجساً حال الحياة، فميتته نجسة بغير تفصيل، وما كان طاهرا حال الحياة، فأجزاء ميتته على أقسام كما سيذكر المصنف قريبا. انظر ابن قدامة، عبد الله بن أحمد المقدسي، ط١، **المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني**، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٥هـ)

قوله: ﴿وما لكم ألا تأكلوا﴾ هذا تأكيد لإباحة ما ذبح على اسم الله، وما اسم استفهام مبتدأ، ولكم خبره، والتقدير أي شيء ثبت لكم في عدم أكلكم الخ. قوله: ﴿وقد فصّل﴾ أي بين وميز، والواو للحال. قوله: [بالبناء للمفعول وللفاعل] أي فهما قراءتان سبعيتان،[٤] وبقي ثالثة، وهي بناء الأول للفاعل، والثاني للمفعول. قوله: [في الفعلين] أي فصل وحرم. قوله: [في آية حرمت عليكم الميتة] أي التي ذكرت في المائدة، وفي المقام إشكال أورده فخر الدين الرازي،[٥] وهو أن سورة الأنعام مكية، وسورة

---

(١) وفي المدونة، قال ابن القاسم: ومن ترك التسمية عمدا على الذبيحة، لم أر أن تؤكل الذبيحة وهو قول مالك...انتهى، انظر ابن القاسم، **المدونة الكبرى**، د.ط، (مصر: مطبعة السعادة، ١٣٢٣هـ) ج١ ص٥٣٢.

(٢) انظر الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس، **الأم**، ط٢، (بيروت: دار المعرفة، ١٣٩٣هـ) ج٢ ص٢٣٩.

(٣) هذا على مذهب المالكية، وسيأتي التفصيل عنه.

(٤) فقرأ ببناء الفعل للفاعل نافع، وحمزة، والكسائي، وعاصم، وأبو جعفر، وخلف أي بفتح أول الحرفين من [فَصَّلَ] و[حَرَّم]، أي: فصّل ما حرّمه من مطاعمكم، فبيَّنه لكم .

وقرأ عامة قرأة الكوفيين وهي قراءة عاصم فى رواية أبى بكر وحمزة والكسائى: [وَقَدْ فَصَّلَ] بفتح فاء [فصل] وتشديد صاده، [مَا حُرِّمَ]، بضم حائه وتشديد رائه، بمعنى: وقد فصل الله لكم المحرَّم عليكم من مطاعمكم .

وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض البصريين وهم ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: ﴿وَقَدْ فُصِّلَ لَكَمْ﴾، بضم فائه وتشديد صاده، ﴿مَا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾، بضم حائه وتشديد رائه، على وجه ما لم يسمَّ فاعله في الحرفين كليهما .

وروي عن عطية العوفي أنه كان يقرأ ذلك: ﴿وَقَدْ فَصَلَ﴾، بتخفيف الصاد وفتح الفاء، بمعنى: وقد أتاكم حكم الله فيما حَرَّم عليكم.

وقال أبو جعفر الطبري: والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن كل هذه القراءات الثلاث التي ذكرناها، سوى القراءة التي ذكرنا عن عطية، قراءات معروفات مستفيضةٌ القراءةُ بها في قرأة الأمصار، وهن متّفقات المعاني غير مختلفات، فبأيِّ ذلك قرأ القارئ فمصيبٌ فيه الصوابَ. انظر الطبري، مصدر سابق، ج١٢ ص٧٠. وانظر بن مجاهد التميمي، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس البغدادي، **كتاب السبعة في القراءات**، ط٢، (القاهرة: دار المعارف، ١٤٠٠هـ)، ص٢٦٧.

(٥) ونصه: "قوله : ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ أكثر المفسرين قالوا: المراد منه قوله تعالى في أول سورة المائدة : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾[سورة المائدة، الآية:] وفيه إشكال: وهو أن سورة الأنعام مكية وسورة المائدة مدنية، وهي آخر ما أنزل الله بالمدينة. وقوله: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ﴾ يقتضي أن يكون ذلك المفصل مقدماً على هذا المجمل، والمدني متأخر عن المكي، والمتأخر يمتنع كونه متقدماً. بل الأولى أن يقال المراد قوله بعد هذه الآية: ﴿قُل لا أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ﴾ يطعمه. وهذه الآية وإن كانت مذكورة بعد هذه الآية بقليل إلا أن هذا القدر من التأخير لا يمنع أن يكون هو المراد والله أعلم" انظر: فخر الرازي، مصدر سابق، ج١٣ ص١٧٥.

وذكر مثل هذا الإشكال القرطبي رحمه الله وقال: "قلت: هذا فيه نظر؛ فإن "الأنعام" مكية والمائدة مدنية فكيف يحيل بالبيان على ما لم ينزل بعد، إلا أن يكون فصل بمعنى يفصل. والله أعلم" انظر: القرطبي، مصدر سابق، ج٧ ص٣٧.

المائدة مدنية، من آخر القرآن نزولا بالمدينة. وأجيب: بأن الله علم أن سورة المائدة متقدمة على سورة الأنعام في الترتيب لا في النزول، فبهذا الاعتبار حسنت الحوالة عليها لسبقية علم الله بذلك،[1] وقال بعضهم: الأولى أن يقال وقد فصل لكم الخ أي في قوله: ﴿قل لا أجد في ما أوحي إلي محرما﴾ الآية، وهذه وإن كانت مذكورة بعد، إلا أنه لا يمنع الاستدلال بها الاتحاد في وقت النزول. قوله: ﴿إلا ما اضطررتم إليه﴾ استثناء منقطع، لأن ما اضطررتم إليه ليس داخلا في المحرم. قوله: [فهو أيضا حلال لكم] أي وهل يشبع ويتزود منها، ويقتصر على ما يسد الرمق، خلاف بين العلماء.[2]

---

(١) قلت: ولم يذكر المفسرون جوابا أوفى مما ذكره المصنف هنا، والله أعلم.

(٢) اختلف الفقهاء في هذه المسألة إلى قولين:

١ – ذهب الجمهور (الحنفية، والأظهر عند الشافعية، وأصح الروايتين عند الحنابلة، وبعض المالكية كابن الماجشون وابن حبيب)، على أن المضطر يأكل للغذاء، ويشرب للعطش، ولو من حرام أو ميتة و مال غيره، مقدار ما يدفع الهلاك عن نفسه أو يؤمن معه الموت: وهو مقدار ما يتمكن به من الصلاة قائماً، ومن الصوم، وهو لقيمات معدودة، ويمتد ذلك من حالة عدم القوت إلى حالة وجوده. لقوله تعالى: ﴿فمن اضطر غير باغ ولاعاد، فلا إثم عليه﴾ [سورة البقرة، الآية:١٧٣]، ولأن (ما جاز للضرورة يتقدر بقدرها) ويكون المضطر بعد سد الرمق غير مضطر، فلم يحل له الأكل، فيصير بعد سد رمقه كما كان قبل أن يضطر، وحينئذ لم يبيح له الأكل، فكذا بعد زوال حالة الضرورة.

٢– وذهب المالكية على المعتمد أنه يجوز للمضطر أن يتناول من الحرام حتى يشبع، وله التزود (ادخار الزاد) من الميتة ونحوها، إذا خشي الضرورة في سفره، فإذا استغنى عنها طرحها، لأنه لا ضرر في استصحابها، ولا في إعدادها لدفع ضرورته وقضاء حاجته، ولكن لا يأكل منها إلا عند ضرورته.

ودليلهم أن الضرورة ترفع التحريم، فتعود الميتة جميعها ونحوها مباحة لظاهر قوله تعالى: ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد﴾ [سورة البقرة، الآية:١٧٣]. ومقدار الضرورة إنما هو في حالة عدم القوت إلى حالة وجوده، ولأن كل طعام يباح، جاز أن يأكل منه الإنسان قدر سد الرمق، جاز له أن يشبع منه كالطعام الحلال.

هذا إذا كانت المخمصة نادرة في وقت ما، فإن كانت المجاعة عامة مستمرة، فلا خلاف بين العلماء في جواز الشبع من الميتة ونحوها من سائر المحظورات.

ويتفق الشافعية، والحنابلة في أصح الروايتين مع المالكية في جواز التزود من المحرَّمات، ولو رجى الوصول إلى الحلال. ويبدأ وجوباً بلقمة حلال ظفر بها، فلا يجوز له أن يأكل من الحرام حتى يأكلها لتتحقق الضرورة.

وصرح الشافعية: لو عمَّ الحرام الأرض بحيث لا يوجد فيه حلال إلا نادراً، جاز استعمال ما يحتاج إليه، ولا يقتصر على الضرورة، بل على الحاجة. وعلل العز بن عبد السلام جواز تناول الحرام حينئذ، دون أن يقتصر على الضرورات بقوله: لأن المصلحة العامة كالضرورة الخاصة.

قوله: [المعنى لا مانع الخ] أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري. قوله: [وهذا ليس منه] أي من المحرم، وأما ما لم ينص على حرمته ولا حله من قبيل الحل، لأنه ذكر الأشياء واستثنى الحرام منها، فالحرام معدود معروف،[1] فمثل القهوة والدخان غير محرم، إلا أن يطرأ له ما يحرمه، كالإسراف[2] والتغيب العقل[3]. وحاصل ذلك أن يقال: إن اعتاد ذلك وصار دواء له فهو جائز، ولكن بقدر الضرورة، وإن كان يضر جسمه أو يسرف فيه فهو حرام، وإن اشتغل به عن عبادة مندوبة فهو مكروه، فكثرته إما حرام أو مكروه. قوله: [بفتح الياء] أي من ضل اللازم، بمعنى قام به الضلال في نفسه، وقوله: [وضمها] أي من أضل الرباعي، بمعنى أوقع غيره في الضلال. قوله: [بأهوآئهم] الباء سببية، وفي قوله: [بغير علم] متعلق بمحذوف حال، والمعنى يضلون في أنفسهم، أو يوقعون غيرهم في الضلال، بسبب اتباعهم أهواءهم، ملتبسين بغير علم. قوله: [وغيرها] أي كالدم ولحم الخنزير، إلى آخر ما ذكر في آية المآئدة. قوله: ﴿إن ربك هو أعلم بالمعتدين﴾ أي فيجازيهم على اعتدائهم.

انظر: ابن رشد الحفيد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد، **بداية المجتهد و نهاية المقتصد**، ط٤، (مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م)، ج١ ص٤٦٢، وابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله، **أحكام القرآن**، د.ط، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.ط) ج١ ص٧٧، وابن قدامة، أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن أحمد، الشرح الكبير، ط١، (جيزة: دار هجر، ١٤١٥هـ -١٩٩٥م) ج١١ ص٩٥-٩٦، وابن قدامة، في **المغني**، ج٨ ص٥٩٥، وأبا إسحاق الشيرازي، إبراهيم بن علي، **المهذب في فقه الإمام الشافعي**، ط١، (دمشق: دار القلم، ١٤١٣هـ -١٩٩٢م) ج٢ ص٨٧٧، و الزُّحَيْلِيّ، أ.د. وَهْبَة، **الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ**، ط٤، (دمشق: دار الفكر، ١٤١٤هـ-١٩٨٤م) ج٤ ص١٦٥.

(١) قلت: والأحسن أن يقول: المحرم المنصوص على تحريمه معدود معروف، لأن المحرم الذي لم ينص الشرع على تحريمه يتجدد في كل زمان ومكان، وحينئذ نضطر إلى قياس أو إجماع قبل أن نثبت حرمته.

(٢) بدليل قوله تعالى: ﴿وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية:٣١].

(٣) بدليل قول النبي صلى الله عليه وسلم: "ما أسكر كَثِيرُهُ فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ "، أخرجه النسائي، كتاب الأشربة: باب تحريم كل شراب أسكر قليله، ج٨ ص٣٠١، والدارمي، مصدر سابق، كتاب الأشربة: باب ما قيل في المسكر، ج٢ ص١١٣، والطحاوي في "شرح معاني الآثار" ج٤ ص٢١٦، وأبو يعلى، ج٢ ص٥٥، برقم [٦٩٤، ٦٩٥]، والبيهقي، مصدر سابق، ج٨ ص٢٩٦، من طريق عامر بن سعد عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسل قال: "أنهاكم عن قليل ما أسكر كثيره" صححه ابن حبان. قلت: والحديث صحيح لغيره لأن في سنده داود بن بكر بن أبي الفرات الأشجعي قال عنه الحافظ شيخ لا بأس به وليس بالمتين، وبجع الطرق والشواهد يرتقي إلى درجة الصحيح لغيره. انظرعن ابن أبي الفرات الأشجعي، المزي، أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبدالرحمن، **تهذيب الكمال**، ط١، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠ – ١٩٨٠) ج٨ ٣٧٦.

قوله: ﴿وذروا﴾ الأمر من المكلفين من اللإنس والجن وهو للوجوب. قوله: [علانيته وسره] لف ونشر مرتب. قوله: [قيل الزنى][1] أي وكان العرب يحبونه، وكان الشريف منهم يستحي من ذلك فيظهره، فأنزل الله تحريمه ظاهرا وباطنا.[2] قوله: [وقيل كل معصية][3] أي فالظاهر منها: كالزنى والسرقة وبقية معاصي الجوارح الظاهرية، والباطن منها : كالكبر والحقد والحسد والعجب والرياء وحب الرياسة وغير ذلك من المعاصي القلبية، وهذا التفسير هو الأقرب، وإن كان الأول موافقا لسبب النزول، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. قوله: ﴿سيجزون﴾ [في الآخرة] أي بالعذاب الدائم إن كان مستحلا، ومات من غير توبة ولم يعف الله عنه،[4] فإن تاب الكافر قبل قطعا، وإن تاب المسلم فقيل كذلك، وقيل تقبل ظنا. إن قلت : لأي شيء اختلف توبة المسلم دون الكافر؟ وأجيب: بأن رحمة الله سبقت غضبه، فلو جاز عدم القبول لتوبة الكافر، لكان مخلدا في النار، مع أن رحمته غلبت غضبه. وأما المؤمن فهو مقطوع له بالجنة، فلو لم يقبل توبته وعذبه، فلا بد له من الرحمة، انتهاء غاية ما هناك عذابه تطهير له. قوله: ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾ اختلف في تفسير هذه الآية[5]، فقال بعض

---

(١) قال به الكلبي، انظر البغوي، مصدر سابق، ج٣ ص١٨٣.

(٢) انظر: معاني القرآن، ج١ ص٣٥٩، والطبري ج١٢ ص٧٤، والبحر المحيط ج٤ ص٢١٢، قلت: والذي يظهر لي أن الآية عامة كما قال قتادة: أراد بها النهي عن كل المعاصي سرا وجهرا، وإلى هذا ذهب البغوي، انظر البغوي، مصدر سابق، ج٢ ص١٤٦.

(٣) وهو من قول البغوي. انظر: : البغوي ، مصدر سابق، ج ٣ ص١٨٤.

(٤) وإلى هذا ذهب أهل السنة والجماعة خلافا للمرجئة.

(٥) استدل بهذه الآية من ذهب إلى أنه لا تحل الذبيحة إذا لم يذكر اسم الله عليها وإن كان الذابح مسلما. ثم اختلف الفقهاء فى هذه المسألة على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنه لا تحل الذبيحة التى لم يذكر اسم الله عليها عمدا أو سهوا ، وبه قال ابن عمر ونافع وعامر والشعبى ومحمد بن سيرين ، وداود الظاهرى وفى رواية عن الإمامين مالك وأحمد بن حنبل .

واحتجوا بهذه الآية التى فيها وصف ما لم يذكر اسم الله عليه بأنه فسق ، وبقوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ واذكروا اسم الله عَلَيْهِ﴾ وبالأحاديث التى وردت فى الأمر بالتسمية عند الذبيحة والصيد كحديث عدى بن حاتم وفيه " "إذا أرسلت كلبك وَسَمَّيْتَ فَأَمْسَكَ وَقَتَلَ فَكُلْ،" .متفق عليه. وبحديث رافع بن خديج وهو في الصحيحين وفيه "ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه" .

أما القول الثانى: فيرى أصحابه أن التسمية ليست شرطا بل هى مستحبة ، وتركها عمدا أو سهوا لا يضر، ويروى هذا القول عن ابن عباس وأبى هريرة وعطاء وهو مذهب الشافعى وأصحابه وفى رواية عن الإمامين مالك وأحمد بن حنبل. واحتجوا بقوله تعالى: ﴿وَلاَ

المجتهدين غير الأربعة: الآية عامة في كل شيء، فأي شيء لم يذكر اسم الله عليه لا يجوز أكله، وقال بعضهم: الآية مخصوصة بالذبيحة، فمن ترك التسمية عمدا أو نسيانا لا تؤكل ذبيحته، وقال بعضهم: إن تركها عمدا لا تؤكل، وإن تركها نسيانا أو عجزا كخرس أكلت، وبه قال مالك وأبو حنيفة، وقال بعضهم: التسمية سنة، فإن تركها عمدا أو نسيانا أكلت، وبه قال الإمام الشافعي، وعن الإمام أحمد روايتان: الأولى يوافق فيها مالكا، والثانية يوافق فيها الشافعي، إذا علمت ذلك فمحمل الآية ما أهل به لغير الله فقط، لأنه المفسر به الفسق فيما يأتي في قوله تعالى: ﴿أو فسقا أهل به لغير الله﴾. وأما حكم الميتة فمعلوم من غير هذا الموضع، وحملها المفسر عليهما معا وهما طريقتان. قوله: [أو ذبح على اسم غيره] أي وإن لم يذكر اسم غير الله، وأما الكتابي إذا لم يذكر اسم الله ولم يهل به لغيره، فإنها تؤكل، فإن جمع الكتابي بين اسم الله واسم غيره أكلت ذبيحته عند مالك، لأن اسم الله يعلو ولا يعلى عليه، وأما المسلم إن جمع بينهما على وجه التشريك في العبودية، فهو مرتد لا تؤكل ذبيحته[1]. قوله: [وعليه

تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسم الله عَلَيْهِ﴾، وقالوا إن الآية واردة فيما ذبح لغير الله ولم يذكر على الذبيحة اسم الله بل ذكر اسم صنم كما كان يفعل المشركون عند ذبائحهم .

واحتجوا أيضاً بما رواه الدارقطنى، في سننه، كتاب الأشربة وغيرها، باب الصيد والذبائح والأطعمة وغير ذلك، بحديث رقم٤٢٣٣، ج٤ ص١٧٠، وأخرجه البيهقي في السنن الصغير، كتاب الصيد والذبائح، باب المسلم يذبح على اسم الله وإن لم يذكره بلسانه، برقم١٧١٣، ج٢ ص٤٠٠، كلاهما موقوف على ابن عباس –رضي الله عنهما– ورجال سنده كلهم ثقات، ولفظه: "إذا ذبح المسلم ولم يذكر اسم الله فليأكل فإن المسلم فيه اسم من أسماء الله" .

أما القول الثالث: فيرى أصحابه أن ترك التسمية نسيانا لا يضر ، أما عمدا فلا تحل الذبيحة ، وإلى هذا المذهب ذهب علي ابن أبي طالب وابن عباس وسعيد بن المسيب والحسن البصرى وهو المشهور من مذهب أحمد بن حنبل وعليه أبو حنيفة وأصحابه .

واحتجوا لمذهبهم بأحاديث منها ما رواه عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما– عن النبى –ﷺ– أنه قال : " إن الله وضع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه " قال الشيخ الألباني: صحيح. انظر: سنن ابن ماجه، كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي ج١ ص٦٥٩ برقم ٢٠٤٥. وقد بسط في القول في المسألة علماؤ التفسير كالقرطبي ج٧ ص٥٧، وابن كثير ج٣ ص٣٢٤ وما بعده. ولعل هذا المذهب أقرب المذاهب إلى الصواب، ويميل إليه المصنف رحمه الله.

(١) هذه القضية من أخطر القضية التي ينبغي أن يتبنى علماؤنا توضيحا أكثر، لأن هذه المسألة تدخل في جميع المسائل الدينية خاصة العبادات التي لا يجوز للمسلم صرفه لغير الله ولا أن يشرك فيها غيره من استغاثة وطلب شيء مالا يقدر إلا الله، ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [سورة البينة، الآية:٥]، ومع كل هذه الآيات البينات يستغاث بقبور الأولياء ويذكرون أسمائهم عند القيام والجلوس من دون الله، أليس هذا إشراك غير الله فيما لله؟ فتفقه.

الشافعي] أي فالتسمية عنده سنة. قوله: [أي الأكل منه] أي المفهوم من لا تأكلوا على حد ﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ أي العدل المفهوم من اعدلوا. قوله: ﴿وإن الشيطان﴾ أي إبليس وجنوده من الجن. قوله: [الكفار] أي وهم شياطين الإنس. قوله: ﴿ليجادلوكم﴾ تعليل ﴿ليوحون﴾ وذلك أن المشركين قالوا يا محمد أخبرنا عن الشاة إذا ما تت من قتلها؟ فقال : الله قتلها، قال : أتزعم أن ما قتلت أنت وأصحابك حلال، وما قتله الله حرام فنزلت[1]. قوله: ﴿إنكم لمشركون] أي لأن من أحل شيئا مما حرم الله، أو حرم شيئا مما أحل الله فهو مشرك،[2] لأنه أثبت حاكما غير الله، ولا شك أنه إشراك. قوله: [وغيره] أي كعمر بن الخطاب أو حمزة أو عمار بن ياسر أو النبي -ﷺ-،[3] ولكن العبرة بعموم اللفظ فهذا المثل للكافر والمسلم، وسبب نزولها على القول بأنها في أبي جهل وحمزة ، أن أبا جهل رمى النبي -ﷺ- بفرث، فأخبر حمزة بما فعل أبو جهل، وكان حمزة قد رجع من صيد وبيده قوس، وحمزة لم يكن مؤمنا إذ ذاك، فأقبل حمزة غضبانحتى علا أبا جهل وجعل يضربه بالقوس، وجعل أبو جهل يتضرع إلى

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره، ج١٢ ص٨٠، والواحدي في أسباب النزول ص١٨٤. والحديث حسن لغيره.

(٢) وإلى هذا ذهب أهل العلم من أهل السنة والجماعة، قال ابن باز رحمه الله: وهكذا لو حرم ما أحله الله ، مع التوحيد والإخلاص والإيمان بالرسل ، فقال مثلا : أنا ما أحل الإبل أو البقر أو الغنم أو غيرها مما أحله الله حلا مجمعا عليه ، وقال : إنها حرام يكون بهذا كافرا مرتدا عن الإسلام بعد إقامة الحجة عليه ، إذاكان مثله قد يجهل ذلك وصادف جنس من أحل ما حرم الله.

انظر ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله، بيان التوحيد الذي بعث الله به الرسل جميعا وبعث به خاتمهم محمدا، ط١، (الراض: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد إدارة الطبع والترجمة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، ص٢٨.

(٣) اختلف العلماء في تحديدمن نزلت فيه الآية، وقال الضحاك: إنها في عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأبي جهل، -أي الذي أحياه الله بالإسلام والإيمان هو عمر والذي هو في ظلمات الكفر والشرك أبو جهل". انظر: الطبري، مصدر سابق، ج١٢ ص٨٩. وقال ابن عباس –رضي الله عنهما-: إنها في عمار بن ياسر وأبي جهل، انظر الطبري، مصدر سابق، ج١٣ ص٩٠، والبغوي، مصدر سابق، ج٢ ص١٤٨.

قلت: والأقرب ما ذهب إليه الضحاك لما رواه الترمذي في سننه بسند صحيح عن زيد بن أسلم في قوله: ﴿أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به الناس كمن مثله في الظلمات﴾ قال: أنزلت في عمر بن الخطاب وأبي جهل بن هشام ، كانا ميتين في ضلالتهما فأحيا الله عمر بالإسلام وأعزه وأقر أبا جهل في ضلالته وموته ، وذلك أن رسول الله -ﷺ- دعا فقال: "اللهم أعز الإسلام بأبي جهل بن هشام أو بعمر بن الخطاب". انظر الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، كتاب المناقب، باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ط٢، (مصر: مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م)، ج٥ ص٦١٧.

حمزة ويقول: يا أبا يعلى ألا ترى ما جاء به؟ سفه عقولنا، وسب آلهتنا، وخالف آباءنا، فقال حمزة: ومن أسفه منكم عقولا تعبدون الحجارة من دون الله، أشهد ألا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، فأسلم حمزة يومئذ فنزلت الآية.(١)

قوله: ﴿أو من كان ميتا﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والواء عاطفة على ذلك المحذوف تقديره أيستويان، ومن كان ميتا الخ، ومن اسم شرط مبتدأ، وكان فعل الشرط واسمها مستتر، وميتا خبرها. وقوله: ﴿فأحييناه﴾ جواب الشرط، وقوله: ﴿كمن مثله﴾ خبر المبتدأ. قوله: ﴿بالهدى﴾ أي الإيمان. قوله: [مثل زائدة] أي لأن المثل هو صفة، والمستقر في الظلمات ذواتهم لا صفاتهم. قوله: ﴿ليس بخارج منها﴾ هذا إخبار من الله بعدم إيمان أبي جهل رأسا، ولكن تقدم أن العبرة بعموم اللفظ.(٢) قوله: [لا] أي لا يستويان، وأشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري. قوله: [كما زين للمؤمنين الإيمان] أي لقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (٣). قوله: ﴿زين للكافرين ما كانوا يعملون﴾ أي والمزين لهم حقيقة هو الله، ويصح نسبة التزيين للشيطان من حيث الإغواء والوسوسة.

قوله: ﴿وكذلك﴾ الكاف اسم بمعنى مثل، والمعنى ومثل ما جعلنا في مكة كبراءها وعظماءها المجرمين، جعلنا في كل قرية كبراءها وعظماءها مجرميها، فذلك سنة الله أنه جعل أول من يقتضي بالرسل الضعفاء(٤) والمعارضين المنكرين الكبراء، ليكون عن الرسل بربهم ظاهرا وباطنا، وكل آية وردت في ذم

---

(١) انظر:البغوي، مصدر سابق، ج٢ ص٢٤٦، وا للواحدي، مصدر سابق، ص ٢٥٧-٢٥٨، وذكر قصة إسلام حمزة: ابن هشام في السيرة ج١ ص٢٩١-٢٩٢، والحاكم في المستدرك، ج٣ ص١٩٢ ولم يذكرا أن الآية نزلت في هذا.

(٢) قلت: وقد فسر الآية بقول آخر وهو أن معناه: أو من كان ميتا بالجهل، فأحييناه بالعلم، أي وكل جاهل ميت وكل عالم حي. وأحسن ما قيل في الآية قول السعدي حيث جمع جميع الأقوال في الآية وقال: يقول تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ﴾ من قبل هداية الله له ﴿مَيْتًا﴾ في ظلمات الكفر،والجهل، والمعاصي، ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ بنور العلم والإيمان والطاعة، فصار يمشي بين الناس في النور، متبصرا في أموره، مهتديا لسبيله، عارفا للخير مؤثرا له، مجتهدا في تنفيذه في نفسه وغيره، عارفا بالشر مبغضا له، مجتهدا فيتركه وإزالته عن نفسه وعن غيره. أفيستوي هذا بمن هو في الظلمات،ظلمات الجهل والغي، والكفر والمعاصي.. انتهى. انظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ط١، (مكة: مؤسسة الرسالة ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م)، ج١ ص٢٧١.

(٣) سورة الحجرات، الآية:٧.

(٤) قلت: كما في حديث أبي سفيان في قصة هرقل الطويلة وهو في الصحيحين، وفيه: "وسألتك عن أتباعه أضعفاؤهم أم أشرافهم فقلت بل ضعفاؤهم وهم أتباع الرسل" متفق عليه، وهذه كما قال سنة الله في أتباع الحق إلى يوم يرث الأرض ومن عليها، وفي معناه

الكفار تجر بذيلها على عصاة المؤمنين، فإن المباشر للظلم والفجور أكابر كل قرية ومدينة كما هو مشاهد. قوله: [فساق مكة] هو معنى مجرميها، وحل المفسر يفيد أن مجرميها مفعول أول مؤخر، وأكابر مفعول ثان مقدم، وفي كل قرية ظرف لغو متعلق بجعلنا، وهو أحد أعاريب أربعة، الثاني: أن قوله في كل قرية مفعول ثان مقدم، وأكابر مفعول أول مؤخر وهو مضاف لمجرميها، وأخر المفعول الأول لأن فيه ضميرا يعود على المفعول الثاني، فلو قدم لعاد الضمير على متأخر لفظا ورتبة، وقد أشار ابن مالك لذلك بقوله:

كذا إذا عاد عليه مضمر ۞ مما به عنه مبينا يخبر[1]

فيصير المعنى وكذلك جعلنا عظماء المجرمين كائنين في كل قرية. الثالث: أن في كل مفعول ثان، وأكابر مفعول أول، ومجرميها بدل من أكابر، ولم يُضَف لئلا يلزم عليه إضافة الصفة للموصوف وهو لا يجوز عند البصريين. الرابع: أن أكابر مفعول أول مضاف لمجرميها، وفي كل قرية ظرف لغو متعلق بجعلنا، والمفعول الثاني محذوف تقديره فساقا، ورد بأن هذا التقدير لا فائدة فيه ولا محوج له، فالأحسن الثلاثة الأول. قوله: ﴿ليمكروا فيها﴾ اللام إما لام العاقبة والصيرورة نظير ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً﴾[2]، أو لام العلة بمعنى الحكمة، وأما قولهم تنزه الله عن العلة، فمعناه العلة الباعثة على الفعل ليتكمل به، وأما الحكم فلا تخلو أفعال الله عنها، [سبحانك ما خلقت هذا عبثا] والمكر والخديعة والحيلة والغدر والفجور وترويج الباطل، وهذه الأشياء لا تقبل عادة إلا من الكبراء. قوله: [بالصد عن

أحاديث كثيرة منها ما روه مسلم في صحيحه من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ τ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: "احْتَجَّتِ النَّارُ وَالْجَنَّةُ، فَقَالَتْ: هَذِهِ يَدْخُلُنِي الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ، وَقَالَتْ: هَذِهِ يَدْخُلُنِي الضعفاء وَالْمَسَاكِينُ، فَقَالَ اللَّهُ ﷻ-: لِهَذِهِ أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَرُبَّمَا قَالَ: أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَقَالَ لِهَذِهِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا " متفق عليه واللفظ لمسلم. انظر، مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النر يدخلها البارون والجنة يدخلها الضعفاء، برقم ٥-٨٥، ج١ ص٢١٩. وعيره من الأحاديث.

(١) انظر: ابن عقيل العقيلي ، بهاء الدين عبد الله المصري الهمذاني، ط٢، **شرح إبن عقيل**، (دمشق: دار الفكر، ١٩٨٥م) ج١ ص٢٢٢.

(٢) سورة القصص، الآية:٨.

الإيمان] أي لما ورد[1] أن كل طريق من طرق مكة كان يجلس عليه أربعة، يصرفون الناس عن الإيمان بالنبيي ﷺ، ويقولون هو كذاب ساحر كاهن. قوله: [لأن وباله عليهم] أي وبال مكرهم لاحق بهم، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾[2] وقال أيضا: ﴿سيصيب الذين أجرموا صغار[3] عند الله﴾ الآية. قوله: ﴿وما يشعرون﴾ [بذلك] أي لم يعلموا بأن وباله عليهم.

قوله: ﴿وإذا جاءتهم ءاية﴾ نزلت في الوليد بن المغيرة حيث قال للنبي ﷺ: لو كانت النبوة حقا لكنت أنا أولى بها منك، لأني أكبر سنا وأكثر منك مالا،[4] وقيل في أبي جهل حيث قال: زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف، حتى صرنا كفرسي رهان، قالوا منا نبي يوحى إليه، والله لا نؤمن به ولا نتبعه أبدا، إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه.[5] قوله: ﴿مثل ما أوتي رسل الله﴾ قال بعضهم: يسن الوقف عليه هنا، ويستحب الدعاء بين هاتين الجلالتين، وذكر بعضهم له دعاء مخصوصا وهو: اللهم من الذي دعاك فلم تجبه، ومن الذي استجارك فلم تجره، ومن الذي سألك فلم تطعه، ومن الذي استعان بك فلم تعنه، ومن الذي توكل عليك فلم تكفه، ياغوثاه ياغوثاه ياغوثاه، بك أستغيث، أغثني يا مغيث، واهدني هداية من عندك، واقض حوائجنا، واشف مرضانا، واقض ديوننا، واغفر لنا ولآبائنا ولأمهاتنا، بحق القرآن العظيم، والرسول الكريم، برحمتك طيا أرحم الراحمين اهـ. قوله: [قال تعالى] أي ردا عليهم. قوله: [لفعل دل عليه أعلم] دفع بذلك ما يقال من أن حيث مفعول به ولست ظرفا، لأنها كناية عن الذات التي قامت بها الرسالة، واسم التفضيل لا ينصب المفعول به، فأجاب بما ذكر. وأجيب أيضا: بأن اسم التفضيل ليس على بابه بل هو مؤول باسم الفاعل وهذا أولى، لأن ما لا تقدير فيه خير مما فيه تقدير، وأيضا يدفع

---

(١) انظر: ابن هشام، مصدر سابق، ج١ ص٢٧١، وابن كثير في البداية والنهاية، ج٣ ص٣٨٢.

(٢) سورة فاطر، الآية:٤٣.

(٣) أخرج ابن أبي حاتم الرازي في تفسيره بسند حسن عن أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي نسده إل السدي قال: والصغار: الذلة. انظر وأخرجه الطبري في تفسيره، ج١٢ ص٩٧ برقم ١٣٨٥١، عن محمد بن الحسين قال حدثنا أحمد بن المفضل به مثله. وذكر السيوطي في الدر، ج٣ ص١٤، ونسبه لابن أبي حاتم عن السدي مثله. ونسبه الشوكاني لابن المنذر عن ابن عباس قال: صغار: هوان، انظر الشوكاني، مصدر سابق، ج٢ ص٢٤.

(٤) انظر: البغوي ، مصدر سابق، ج٣ ص١٨٥.

(٥) انظر: ابن عاشور، مصدر سابق، ج٨ ص٥٢-٥٣.

توهم المشاركة بين علم القديم والحادث، والحاصل أن اسم التفضيل في أسماء الله وصفاته، كأكرم وأعلم وأعظم وأجل ليس على بابه. قوله: [والموضع الصالح لوضعها فيه] أي الذات التي تستحق الرسالة وهو محمد ﷺ. قوله: ﴿الذين أجرموا﴾ أي ماتوا على الكفر.(١) قوله: ﴿صغار﴾ كسحاب مصدر صغر كتعب، معناه الذل والهوان،(٢) وأما الصغر ضد الكبر، فيقال فيه: صغر بالضم كعظم فهو صغير.(٣) قوله: ﴿عند الله﴾ إما ظرف ليصيب أو لصغار، والعندية مجازية كناية عن الحشر، والوقوف بين يديه، والحساب والجزاء.(٤) قوله: [أي بسبب مكرهم] أشار بذلك إلى أن الياء سببية وما مصدرية.

قوله: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره﴾ إعلم أن الله سبحانه وتعالى جعل خلقه في الأزل قسمين: ثقي وسعيد، وجعل لكل أمة علامة تدل عليه، فعلامة السعادة شرح الصدر للإسلام، وقبوله لما يرد عليه من النور والأحكام، وعلامة الشقاوة ضيق الصدر، وعلامة قبوله لذلك، وجعل لكل قسم في الآخرة دار يسكنوها ، فلأهل السعادة الجنة ونعيمها، ولأهل الشقاوة النار وعذابها،(٥) لما في الحديث: "إن الله خلق

---

(١) هذا من تفسير ابن عباس -رضي الله عنه- ، ذكره الشوكاني ونسبه إلى ابن المنذر ، عن ابن عباس ، في قوله : ﴿سَيُصِيبُ الذين أَجْرَمُواْ﴾ قال: أشركوا ﴿ صَغَارٌ ﴾ قال : هوان. انظر: الشوكاني، مصدر سابق، ج٢ ص٢١٢.

(٢) قلت: كأن المصنف جمع بين القولين في تفسير صغار، فسره ابن عباس بالهوان وفسره السدي بالذل، انظر السيوطي في الدر المنثور، ج٦ ص١٩٥-١٩٦.

(٣) انظر أبا حيان، مصدر سابق، ج٤ ص٢١٩.

(٤) اختلف العلماء في معنى عند الله إلى قولين، الأول : معناه صغار من عند الله على تقدير من المحذوف، وإليه ذهب الفراء والطبري، وعلى قولهما أن العندية عندية حقيقية لامجازية، وإليه أشار الإمام الطبري بقوله: وأما قوله:(صغار عند الله)، فإن معناه: سيصيبهم صغارٌ من عند الله، كقول القائل:"سيأتيني رزقي عند الله"، بمعنى: من عند الله، يراد بذلك: سيأتيني الذي لي عند الله . وغير جائز لمن قال:"سيصيبهم صغار عند الله"، أن يقول:"جئت عند عبد الله"، بمعنى: جئت من عند عبد الله، لأن معنى"سيصيبهم صغارٌ عند الله"، سيصيبهم الذي عند الله من الذل، بتكذيبهم رسوله. فليس ذلك بنظير:"جئت من عند عبد الله". انظر الطبري، مصدر سابق، ج١٢ ص٩٧، و الفراء في معاني القرآن، ج١ ص٢٥٣.

والثاني أن العندية هنا مجازية وغليه ذهب البصريون. انظر الزجاج في معاني القرآن، ج٢ ص٣١٣.

(٥) وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ۞ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۞ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ ۞ ﴾ [سورة هود، الآية: ١٠٥-١٠٨].

خلقا وقال هؤلآء للجنة ولا أبالي، وخلق خلقا وقال هؤلآء للنار ولا أبالي"[1] فذكر في هذه الآية علامة كل قسم، فإذا رزق الله العبد شرح الصدر وأسكنه حلاوة الإيمان، فليعلم أن الله أعظم عليه النعمة. وبضدها تتميز الأشياء. ومن اسم شرط، ويرد فعل الشرط، ويشرح جوابه. قوله: ﴿يهديه﴾ أي يوصله للمقصود، وليس المراد الدلالة لأنها هي شرح الصدر. قوله: ﴿يشرح صدره﴾ الشرح في الأصل التوسيع، والمراد هنا لازمه، وهو أن يقذف الله في قلب الشخص النور، حتى تكون أحواله مرضية لله، لأنه يلزم من الوسع قبول ما يحل فيه. قوله: [كما ورد في حديث] أي وهو أنه لما نزلت هذه الآية، سئل رسول الله –ﷺ– عن شرح الصدر فقال: هو نور يقذفه الله في قلب المؤمن، فينشرح له وينفتح، قيل: فهل لذلك أمارة؟ قال : نعم، الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزول الموت.[2] وفي رواية قبل لقي الموت. قوله: ﴿ومن يرد أن يضله﴾ أي يمنعه عن الوصول، ويسكنه دار العقاب، ويطرده عن رحمته،[3] ومن اسم شرط، ويرد فعل الشرط، ويجعل جوابه، وجعل بمعنى صير، فصدره مفعول أول ، وضيقا مفعول ثان، وحرجا صفته. والمعنى: أن أراد الله شقاوته، وطرده عن رحمته،

---

(١) وهذا حديث صحيح، أخرجه الحاكم في مستدركه عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ قَتَادَةَ السُّلَمِيِّ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ –ﷺ– قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –ﷺ– يَقُولُ: " خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ ثُمَّ خَلَقَ الْخَلْقَ مِنْ ظَهْرِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَؤُلاءِ لِلْجَنَّةِ ولا أبالي، وَهَؤُلاءِ لِلنَّارِ وَلا أُبَالِي "، قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَعَلَى مَاذَا نَعْمَلُ، قَالَ: " عَلَى مُوَافَقَةِ الْقَدَرِ ". قال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ قَدِ اتَّفَقَا عَلَى الاحْتِجَاجِ بِرُوَاتِهِ، عَنْ آخِرِهِمْ إِلَى الصَّحَابَةِ. انظر: الحاكم النيسابوري، في مستدركه، كتاب الإيمان، ج١ ص٨٥ برقم ٨٤. قلت: ولم أقف على لفظ بداية الحديث الذي أورده المصنف.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه من حديث عبد الله بن مسعود، كتاب الزهد، باب ما ذكر في زهد الأنبياء وكلامهم عليهم السلام، ج٨ ص١٢٧–١٢٨، وأخرجه الصنعاني في تفسيره انظر الصنعاني، عبد الرزاق، **تفسير القرآن الصنعاني**، ط١، (الرياض، مكتبة الرشد، د.ت.ط)، ج٢ ص٦٥–٦٦.

والحديث صحيح لغيره بسند الذي أورده الصنعاني بلفظ آخر الحديث " قبل لقي الموت " وهو موضوع بلفظ آخر الحديث "قبل نزول الموت" .

(٣) قال ابن عباس –رضي الله عنهما–: ﴿ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً﴾ يقول: من أراد الله أن يضله يضيق عليه حتى يجعل الإسلام عليه ضيقاً والإسلام واسع، وذلك حين يقول: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ [سورة الحج، الآية: ٧٨] يقول : ما في الإسلام من ضيق . انظر الطبري، مصدر سابق، ج١٢ ص١٠٤.

ضيق قلبه،[1] فلا يقبل شيئا من وصول الإسلام ولا من فروعه، ولو قطع إربا إربا، وعلامة ذلك إذا ذكر التوحيد نفر قلبه واشمأز،[2] وإن نطق بلسانه كأهل النفاق، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾[3] الآية. قوله: [بالتخفيف ةالتشديد] أي كميت وميت، قراءتان سبعيتان.[4] قوله: [شديد الضيق] أي زائدة، فلا يقبل شيئا من الهدى أصلا.[5] قوله: [بكسر الراء صفة] أي اسم فاعل كفرح فهو فرح. قوله: [وصف به مبالغة] أي أو على حذف مضاف، أي ذا حرج على حد زيد عدل. قوله: ﴿كأنما يصعد﴾ أي يتكلف الصعود فلا يستطيعه.[6] قوله: [وفيهما إدغام التاء في الأصل] أي بعد قلبها صادا فأصل الأولى يتصعد، وأصل الثانية يتصاعد، وهاتان القراءتان مع تشديد ضيقا، وكسر راء حرجا أو فتحها. وأما قوله: [وفي أخرى بسكونها] فهي قراءة من خفف ضيقا ويفتح حرجا فالمخفف للمخفف، والمشدد للمشددة. قوله: [لشدته عليه] أي لتعسر الإيمان عليه،[7] فإن القلب بيد الله يسكن فيه أي الأمرين شاء، وليس مملوكا لصاحبه، وحينئذ فلا يبنبغي له أن يأمن لما هو في قلبه من الإيمان ومحبة الله ورسوله، ومن هنا علمنا الله طلب الهداية على سبيل الدوام مع كونها

---

(١) وكأنه يرجح قول أبي جعفر الطبري، يقول: ومن أراد الله إضلاله عن سبيل الهدى، يَشغله بكفره وصدِّه عن سبيله، ويجعل صدره بخذلانه وغلبة الكفر عليه ، حرجًا. انظر الطبري، مصدر سابق، ج١٢ ص١٠٩.

(٢) هذا جزء من تفسير ابن عباس لهذه الآية حيث قال: ": إذا سمع ذكر الله اشمأز قلبه، وإذا ذكر شيئا من عبادة الأصنام ارتاح إلى ذلك.

(٣) سورة الزمر، الآية:٤٥.

(٤) قرأ الجمهور بتشديد الياء وقرأ ابن كثير بتخفيفها. انظر: ابن مجاهد، مصدر سابق، ص٢٦٨.

(٥) قلت : هو كما قال عطاء الخراساني، قال: ليس فيه للخر منفذ. انظر: السيوطي في الدر المنثور، ج٦ ص٢٠٠.

(٦) انظر: الشوكاني، مصدر سابق، ج٢ ص٢٣٣.

(٧) قلت: إن قلب الإنسان مضغة عجيبة في خلقه، إذا لان وخضع يكون كالعهن، وإذا تفرغ عن ذكر الله وموالاته كانكالحجارة قسوة أو أشد، وإن صلح وبه صلاح الإنسان وإذا فسد وبفساده فساد الإنسان، يقول ابن القيم رحمه الله: " ولما كان القلب محلا للمعرفة والعلم والمحبة والإنابة، وكانت هذه الأشياء إنما تدخل في القلب إذا اتسع لها، فإذا أراد الله هداية عبد، وسع صدره وشرحه فدخلت فيه وسكنته، وإذا أراد ضلاله ضيق صدره وأحرجه، ولم يجد محلا يدخل فيه، فيعدل عنه ولا يساكنه". انظر: ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي، **الضوء المنير على التفسير**، ط١، (عنيزة: مؤسسة النور للطباعة والتجليد، د.ت.ط) ج٣ ص٨٩-٩٠.

حاصلة بقوله: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المستَقِيمَ﴾[١] وبقوله: ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾[٢] الآية، وقال رسول الله -ﷺ-: "اللهم يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك".[٣] ولذا خاف العارفون ولم يسكنوا إلى علم ولا عمل، لما علموا أن القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء، ولا يأمنون حتى تقبض أرواحهم على الإيمان،[٤] ولكن شأن الكريم، أن من تمم له نعمة الإيمان لايسلبها منه، لأنه وعد منه وهو لا يخلف. قوله: [أي يسلطه] أي الشيطان وهو تفسير للجعل على التفسير الثاني، وأما تفسيره على الأول فمعناه يلقى ويصيب. قوله: [الذي أنت عليه] أي وهو الإسلام.

قوله: [صراط ربك] شبه دين الإسلام بالصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، واستعار اسم المشبه به للمشبه على طريق الإستعارة التصريحية الأصلية. قوله: [ونصبه على الحال المؤكدة للجملة] المناسب أن يقول المؤكدة لصراط، لأن الحال المؤكدة للجملة عاملها مضمر، قال ابن مالك:

---

(١) سورة الفاتحة، الآية:٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية:٨.

(٣) ولم آثر على هذا الحديث بهذا اللفظ، ولكن صح بلفظ "يا مقلب القلوب، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ "، والحديث بطوله عند الترمذي، من حديث أَنَسٍ –رضي الله عنه–، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ- يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: "يا مقلب القلوب ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ "، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: " نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ "، انظر الترمذي في سننه، كتاب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن برقم ٢٠٦٦، ج٢ ص٥٥٢. والحديث صحيح لغيره.

وأظن أن لفظ "والأبصار" زيادة عند المصنف وليس في الحديث، ولو ثبت أن اللفظ من عنده فهذا من العدوى التي ابتلي به علماؤ الصوفية من زيادات في ألفاظ الأحاديث التي لا داعية لها، فالواجب الوقوف على ألفاظ الأحاديث كما هي قدر الإستطاعة دون زيادة ولا نقصان.

(٤) قلت: وعلى هذا عاش سلف هذه الأمة من الصحابة ومن بعدهم، وكانوا يسألون الله عز وجل حسن الخاتمة وكانوا شديدي الخوف لسوء الخاتمة، ولقد بكى سفيان الثوريُ ليلة إلى الصباح ، فقيل له : أبكاؤك هذا على الذنوب ؟ فأخذ تبنة من الأرض وقال : الذنوب أهون من هذه ؟ إنما أبكي خوف الخاتمة. [انظر: الأشبيلي، عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله أبو محمد، العاقبة في ذكر الموت والآخرة، ص ١٧٥]. وقال عطاء الخفاف: ما لقيت سفيانَ إلا باكياً فقلت: ما شأنك ؟ وقال: أتخوف أن أكون في أم الكتاب شقياً [انظر: الذهبي في السير ج٧ ص٢٦٦].وهؤلآء هم الموصوفون في قول الباري جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [سورة المؤمنون، الآية:٦٠].

وإن تؤكد جملة فمضمر ❁❁ عاملها ولفظها يؤخر[1]

فينافيه.

قوله: [والعامل فيها معنى الإشارة] قوله [معنى الإشارة] المناسب أن يقول: والعامل فيها اسم الإشارة، باعتبار ما فيه من معنى الفعل وهو أسير. قوله: [فيه إدغام التاء في الأصل] أي بعد قلبها ذالا. قوله: [وخصوا بالذكر لأنهم المنتفعون] أي المؤتمرون بأمره، المنتهون بنهيه، وهم الصالحون المتقون، فبقاء القرآن دليل على بقاء جماعة على قدم النبي بدليل هذه الآية وآية ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً﴾[2] ولا عبرة لمن يقول عدمت الصالحون،[3] وربما قال : أنا لم أر أحدا منهم. فقد قال ابن عطاء الله: أولياء الله عرائس مخدرة، ولا يرى العرائس إلا المجرمون.[4]

قوله: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ﴾ الجار والمجرور خبر مقدم، ودار السلام مبتدأ مؤخر، والجملة يحتمل أن تكون مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر تقديره وما جزاء من ينتفع بالذكرى، فأجاب بقوله لهم دار السلام، ويحتمل أن يكون حالا من القوم أو صفة لهم، والتقدير قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون، حال كونهم لهم دار السلام، أو موصوفين بكونهم لهم دار السلام. قوله: [أي السلامة] أي من جميع المخاوف والمكاره، لأن بدخولها يحصل الأمن التام من جميع المكاره حتى الموت[5] ويصح المراد بالسلام التحية الواقعة من الله والملآئكة، قال تعالى: ﴿تحيتهم فيها سلام﴾[6] وقال: ﴿وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم

---

(١) انظر ابن عقيل، مصدر سابق، ج١ ص٥٩٤.

(٢) سورة الزمر، الآية:٢٣.

(٣) قلت : هذا صحيح، لأن الذي تجرأ بمثل هذا القول فهو طالح، لأن هذا إشارة منه إلى أن الناس قد هلكوا، وهو منهي عنه عليه الصلاة والسلام، كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ: " إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ" انظر: صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآدب، بَاب النَّهْيِ عَنْ قَوْلِ هلك الناس، ج ١٦ ص١٧٥ برقم٤٧٦١.

(٤) ذكره صاحب شرح نهج البلاغة، انظر: عز الدين، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، **شرح نهج البلاغة**، (مصر: دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ت.ط)، ص٤٥.

(٥) قلت: هذا على قول من قال إن لهم دار السلام ، أراد به السلامة، أي أن لهم دار السلامة من الآفات، انظر: الزجاج، مصدر سابق، ج٢ ص٣١٩.

(٦) سورة إبراهيم، الآية:٢٣.

مِّن كُلِّ بَابٍ ٢٣ سَلاَمٌ عَلَيْكُم﴾[1] وقال: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا تَأْثِيماً ۝ إلاَّ قِيلًا سلاماً سلاماً﴾[2]. قوله: [وهي الجنة] أشار بذلك إلى أن المراد بدار السلام ما يعم باقي الجنان، وليس المراد خصوص الدار المسماة بدار السلام.[3] قوله: [عند ربهم] العندية عندية شرف، بمعنى أنها منسوبة لله خاصة وليس لأحد فيها منة أو المعنى أن من دخلها كان من حضرة ربه، لا يشهد شيئا سواه، ولا يحجب بنعيمها عن مولاه، بل كلما ازداد من الجنة نعيما، ازداد قربا من الله، وزالت الحجب عن قلبه بخلاف الدنيا، إذا اشتغل بشيء من زينتها بعد عن الله، فكلما ازداد فيها شغلا، ازداد فيها بعدا عن الله، فلا يخلص منها إلا من جاهد نفسه وخرج عن هواه. قوله: ﴿وهو وليهم﴾ الجملة حالية، والمعنى ناصرهم ومتولي أمورهم، وقوله: ﴿بما كانوا يعملون﴾ الباء سببية وما مصدرية، والتقدير بسبب عملهم السابق، تولاهم وأدخلهم حضرة قربه.

قوله: ﴿ويوم يحشرهم﴾ يوم ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر. قوله: [بالنون والياء] أي فهما قراءتان سبعيتان.[4] قوله: [أي الله] تفسير للضمير على قراءة الياء والنون على قراءة الأخرى. قوله: [الخلق] أي جميع الحيوانات عقلاء وغيرهم. قوله: ﴿جميعا﴾ توكيد للضمير أو حال منه. قوله : ﴿يامعشر الجن﴾ معمول المحذوف قدره المفسر بقوله: [ويقال لهم] وليس معمولا لنحشرهم بل هما

---

(١) سورة الرعد، الآية:٢٣.

(٢) سورة الواقعة، الآية: ٢٥-٢٦.

(٣) قلت: وهو كما قاله البغوي إلا أنه وجه بقوله: "وقيل: سميت بذلك لأن جميع حالاتها مقرونة بالسلام، يقال في الابتداء: ﴿ادخلوها بسلام آمنين﴾ [سورة الحجر، الآية:٤٦]، ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم﴾ [سورة الرعد، ٢٣]، وقال: ﴿لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما﴾ [سورة الواقعة، الآية:٢٦]، وقال: ﴿تحيتهم فيها سلام﴾ [سورة إبراهيم، الآية:٢٣]، ﴿سلام قولا من رب رحيم﴾ [سورة يس، الآية: ٥٨]. انظر: البغوي، مصدر سابق، ج٣ ص١٨٨.

قلت: وليس هناك تنافي بين هذه التوجيهات كلها إذ المدار إلى إثبات دار نعيم فيها السلام من كل نقص معيب، أكرمنا الله منها. انظر: ابن القيم، في الضوء، مصدر سابق، ج٣ ص٩٧.

(٤) قرأ الجمهور بنون العظمة على الالتفات، وقرأ حفص عن عاصم، وروح عن يعقوب بياء الغيبة، وهما سبعيتان كما ذكر المصنف. انظر: ابن مجاهد، مصدر سابق، ط٢، (القاهرة: دار المعارف،١٤٠٠هـ) ص٢٦٩.

جملتان، وهذا الخطاب بعد جمع الخلائق في الموقف، وتصيير غير العاقل ترابا،[١] وقوله: ﴿يامعشر الجن﴾ المعشر الجماعة والجمع معاشر،[٢] والمراد بالجن الشياطين. قوله: ﴿قد استكثرتم﴾ السين والتاء لتأكيد الكثرة. قوله: [بإغوائكم] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، والتقدير قد استكثرتم من إغواء الإنس. قوله: ﴿وقال أولياؤهم من الإنس﴾ لعل وجه الإقتصار على كلام الإنس، الإشارة إلى أن الجن بهتوا فلم يردوا جوابا، قوله من الإنس في محل نصب على الحال. قوله: ﴿ربنا﴾ منادى حذف منه حرف النداء. قوله: [انتفع الإنس بتزيين الجن لهم الشهوات] أي التي تنوعت فيها الإنس من سحر وكهانة، ودعوى ألوهية، ودعوى نبوة، وسائر الأديان والوسائل الباطلة، ومن ذلك كان الرجل في الجاهلية، إذا سافر ونزل بأرض فقراء، خاف على نفسه من الجن فقال: أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فيبيت في جوارهم.[٣] قوله: [بطاعة الإنس لهم] أي في هذه الأمور المزينة، فاستمتاع الجن بالإنس بالسلطنة التي تولوها عليهم حيث امتثلوا أوامرهم، وكانوا من حزبهم ودخلوا في جاههم،[٤] قوله: [الذي أحلت لنا] أي الذي قدرته لنا. قوله: [من الأوقات التي يخرجون فيها] تبع المفسر في ذلك شيخه الجلال المحلي في تفسير سورة الصافات، وهو مخالف لظاهر قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ

---

(١) وهو ثابت كما جاء في حديث صحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، فِي قَوْلِهِ -جلاله-: ﴿إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [سورة الأنعام،٣٨] ، قَالَ: " يُحْشَرُ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْبَهَائِمُ، وَالدَّوَابُّ، وَالطَّيْرُ، وَكُلُّ شَيْءٍ فَيَبْلُغُ مِنْ عَدْلِ اللَّهِ، أَنْ يَأْخُذَ لِلْجَمَّاءِ مِنَ الْقَرْنَاءِ، ثُمَّ يَقُولُ: كُونِي تُرَابًا فَذَلِكَ ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًاق﴾"، قال الحاكم: جَعْفَرٌ الْجِذْرِيُّ هَذَا هُوَ ابْنُ بُرْقَانَ، قَدِ احْتَجَّ بِهِ مُسْلِمٌ وَهُوَ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ. انظر:الحاكم في المستدرك، مصدر سابق، ج٢ ص٣١٦ برقم ٣١٥٨.

(٢) قيل: المعشر: الجماعة الذين أمرهم وشأنهم واحد، تجمعهم صفة أو عمل خيرا كان أ شرا، وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه. وهو مشتق من المعاشرة والمخالطة ويجمع على معاشر أيضا بمعناه،. وذهب الأكثر على أن يضاف المعشر إلى اسم يبين الصفة التي اجتمع مسماه فيها، وهي هنا صفة كونهم جنا. انظر: ابن عاشور، مصدر سابق، ج٨ ص٦٧.

(٣) انظر: ابن كثير، مصدر سابق، ٧ ص١٧٣.

(٤) وقال ابن القيم الجوزية -رحمه الله-: فاستمتاع الجن بالإنس طاعتهم لهم فيما يأمرونهم به، من الكفر والفسوق والعصيان، فإن هذا أكثر أكثر أغراض الجن من االإنس فإذا أطاعوهم فيه، فقد أعطوهم مناهم، واستمتاع الإنس بالجن أنهم أعانوهم على معصية الله تعالى، والشرك به بكل ما يقدرون عليه، من التحسين والتزيين والدعاء وقضاء كثير من حوائجهم، واستخدامهم بالسحر والعزائم وغيرها، فأطاعهم الإنس فيما يرضيهم من الشرك والفواحش والفجور وأطاعتهم الجن فيمايرضيهم من التأثيرات والأخبار ببعضى المغيبات فتمتع كل من الفريقين بالآخر..انتهى. انظر: ابن القيم الجوزية، مصدر سابق، ج٣ ص٩٩.

النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ﴾[(١)] والأحسن أن يقال إلا ما شاء الله من الأوقات التي ينقلون في فيها من النار إلى الزمهرير، فينقلون من عذاب النار، ويدخلون واديا فيه من الزمهرير، وهو شدة البرد، ما يقطع بعضهم من بعض، فيطلبون الرد إلى الجحيم، كما ذكر في حواشي البيضاوي.[(٢)] قوله: [لشرب الحميم] أي وهو ماء شديد الحرارة يقطع الأمعاء، وذلك حين يستغيثون من شر النار، يطلبون الماء ليبرد عنهم تلك الحرارة، قال تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾[(٣)]. قوله: [وعن ابن عباس الخ] أي فيحمل على من مات مؤمنا وهو مصر على المعاصي، ونفذ فيه الوعيد، ويكون المراد من النار دار العذب، وإن لم تكن دار خلود كجهنم لعصاة المؤمنين.[(٤)] قوله: ﴿الحكيم﴾ [في صنعه] أي يضع الشيء في محله. قوله: ﴿عليم﴾ [بخلقه] أي فيجازي كلا على عمله.

قوله: ﴿نولي﴾ أي نسلط ونؤمر. قوله: ﴿بما كانوا يكسبون﴾ الباء سببية، وما مصدرية، والمعنى كما متعنا الإنس والجن بعضهم ببعض، نسلط بعض الظالمين على بعض، بسبب كسبهم من المعاصي، فيؤخذ الظالم بالظالم، لما في الحديث "ينتقم الله من الظالم بالظالم ثم ينتقم من كليهما"[(٥)] ولما في الحديث أيضا "كما تكونوا يولي عليكم"[(١)] ومن هذ المعنى قول الشاعر[(٢)]:

---

(١) سورة المائدة، الآية:٣٧.

(٢) عصام الدين إسماعيل بن محمد، **حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي**، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية،د.ت.ط.) ج٥ ص٢٣٢.

(٣) سورة الكهف، الآية:٢٩.

(٤) قلت: كما هي في عقيدة أهل السنة والجماعة أن من مات وفي قلبه مثقال حبة من الإيماب بالله لا يخلد في النار، وإن مات وهو عاص مصر على المعصية ولم يتب وأمره مفوض إلى مشيئة الله عز وجل، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [سورة النساء، الآية: ١١٦].

وقد جاء في الصحيحين من حديث أنس -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- أنه قال : "يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير". متفق عليه. [انظر: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه، ج١ ص٢٤ برقم ٤٤، ومسلم في صحيحه ،كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، ج١ ص٤٣٩ برقم ١٩٣].

(٥) لم أقف على هذا اللفظ، ولكن ذكره العجلوني، في كشف الخفاء ، وقال: قال النجم: لا يعرف بهذا اللفظ، لكن روى ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم عن مالك بن دينار قال قرأت في الزبور "إني أنتقم بالمنافق من المنافق ثم أنتقم من المنافقين جميعا"، وذلك في كتاب

وما من يد إلا يد الله فوقها ۞۞ ومـا ظالـم إلا سيبلى بظالـم

قوله: ﴿يامعشر الجن والإنس﴾ هذا زيادة في التوبيخ عليهم، لأن الله سبحانه وتعالى أولا وبخ الفريقين بتوجيه الخطاب للجن، وثانيا خاطبهم جميعا ووبخهم. قوله: [أي من مجموعكم] دفع بذلك ما يقال إن ظاهر الآية يقتضي أن من الجن رسلا، مع أن الرسالة مختصة بالإنس، فليس من الجن بل ولا من الملائكة رسل،[3] فأجاب: بأن المراد من مجموعكم الصادق بالإنس، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ

الله تعالى: ﴿وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون﴾ الآية. انظر: العجلوني، إسماعيل بن محمد الجراحي، **كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على ألسنة الناس**، د.ط، (دار إحياء التراث العربي، د.ت.ط) ج١ ص٢٧٤.

(١) الحديث شديد الضعف، ذكره صاحب الكشف، وقال: في الأصل رواه الحاكم ومن طريقه الديلمي عن أبي بكرة مرفوعا ، وأخرجه البيهقي بلفظ يؤمر عليكم بدون شك وبحذف أبي بكرة فهو منقطع ، وأخرجه ابن جميع في معجمه والقضاعي عن أبي بكرة بلفظ يولى عليكم بدون شك وفي سنده مجاهيل. انظر: العجيلي، مصدر سابق، ج٢ ص١٤٩.

(٢) ذكره ابن عبد البر في بهجة المجالس، ج١ ص٣٦٧، ولم ينسبه لأحد. ويستشهد به أكثر المفسرين عند هذه الآية كما استشهد به المصنف هنا.

(٣) اختلف أهل العلم في وجود في هذه المسألة إلى قولين والقول فيها مفصل معروف في كتب التفسير والذي أراه أقرب للصواب إثبات الرسل من الجن، والحجج على هذا كالتالية:

أولا: قوله تعالى: ﴿يامعشر الجن والإنس ألم يأتِكُم رُسَلٌ منكم يقصونَ عليكم ءايتي﴾ [الأنعام :١٣٠]، فهذه الآية يقتضي ظاهرها أن منهم رسل، بدلالة قوله تعالى: ﴿منكم﴾ وإلى هذا ذهب ابن عباس . رضي الله عنه . ومقاتل والضحاك بن مزاحم ، ويرون أنه لا يجوز صرف الآية عن ظاهرها إلا ببرهان. انظر: ابن كثير، مصدر سابق، ج٣ ص٣٤٠، والطبري، مصدر سابق، ج١٢ ص١٢١-١٢٢.

ولا ينفي هذا كونهم تبعا لرسلٍ من بني البشر لِما في قصة الجآن التي في سورة الأحقاف ﴿ياقومنآ إنا سَمِعنا كِتَاباً انزل من بعدِ موسى﴾[سورة الأحقاف، الآية:٢٩].

ومن تلك الحجج أنه سبحانه وتعالى أخبرنا بأن الجن مكلفون، ولكن لم يحدد وقت تكليفهم بخلقِ بني آدم فصح بعموم النص أنهم مكلفون مذ خلقوا ، وصح بالنص بأن الله لا يترك المكلفين هملاً دون أن يبين لهم ما شريعتهم، وقد ثبت بالنص أن الرسل هم واسطة الله إلى المكلفين، وبهذا يتبين أن الجنَ قبل خلق آدم مكلفون مبلغون شرع ربهم.

ومن بين الحجج ما قصه الله علينا من قول الملائكة عليهم السلام :﴿أتجعلُ فيها من يُفُسِدُ فيها ويَسْفِكُ الدِّمَآءَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٩]، ففي هذا إلماحٌ إلى تكليفٍ ورسالةٍ على وجه الأرض قبل خلق بني آدم.

وهذه بعض حججهم التي أثبتوا من خلالها رسلا من بين الجن، والذي أراه ما ذهبوا لقوة استدلالهم وأدلتهم كلها نقلية لا عقلية بيانية كما هو صريح في بيان المؤلف، وعلى الرغم هذا كله فإن حبر هذه الأمة وغيره من الصحابة يرون ذلك، وقد رجح أن في الجن رسلاً

وَالْمَرْجَانُ﴾[1] أي من أحدهما وهو الملح، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً﴾[2] أي في إحداهن وهي سماء الدنيا. قوله: [أو رسل الجن نذرهم] أشار بذلك إلى جواب آخر، وتسليم أن هناك رسلا من الجن، لكنهم رسل الرسل الذين يسمعون من النبي المواعظ والأحكام، ويبلغون قومهم ذلك، قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾[3] الآية، وقال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً ۞ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾[4]، فيكون المعنى على ذلك: ألم يأتكم رسل منكم، أي من الإنس يبلغونكم عن الله، ومن الجن يبلغونكم عن الرسل؟ والمراد جنس الرسل الصادق بالواحد، وهو سيدنا محمد -ﷺ- لأنه لم يرسل لهم غيره، وأما حكم سليمان فيهم، فحكم سلطنة وملك لا حكم رسالة، وأما قوله تعالى حكاية عن الجن: ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى﴾[5] فلا يلزم من علمهم بموسى وسماعهم لكتابه، أن يكونوا مكلفين به.[6] قوله: ﴿يقصون عليكم ءاياتي﴾ القص معناه الحديث، أي يحدثونكم بآياتي على وجه البيان. قوله: ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ﴾ أي يخوفونكم يوم القيامة ، والمعنى يحذرونكم من مخالفة الله توجب الخوف يوم القيامة. قوله: [أن قد بلغنا] يصح بناؤه للفاعل والمفعول. قوله: ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ عطف سبب على مسبب، أو علة على معلول. قوله: ﴿وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ﴾ كرر شهادتهم على أنفسهم لاختلاف المشهود به، فأولا شهدوا بتبليغ الرسل لهم، وثانيا شهدوا بكفرهم زيادة في التقبيح عليهم، والمقصود من ذكر ذلك الاتعاظ به والتحذير من فعل مثل ذلك. إن قلت: إن شهادتهم بكفرهم تدل على أنهم أقرروا به، وهو مناف لقوله تعالى: ﴿وَاللّهِ رَبِّنَا مَا

الإمام أبو محمد ابن حزم الأندلسي رحمه الله، انظر: بن حزم الظاهري، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، **المحلى**، د.ط، (بيروت: دار الآفاق الجديدة، د.ت.ط) ج٧ ص٤٩٣.

(١) سورة الرحمن، الآية:٢٢.

(٢) سورة نوح، الآية:١٦.

(٣) سورة الأحقاف، الآية:٢٩.

(٤) سورة الجن، الآية:١.

(٥) سورة الأحقاف، الآية:٣٠.

(٦) هذا تحريف ظاهر، فكيف مع أن الآية ظاهر الدلالة في أن الجن مكلفين كما هو مؤيد في آي الأخرى، مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات، الآية:٥٦]، وإن قلنا بأنهم غير مكلفين بما سمعوا من الوحي فكيف يعبدونه.

﴿كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[1] أجيب: بأن مواقف القيامة مختلفة فأولا حين يرون المؤمنين توزن أعمالهم، ويمشون على الصراط لدخول الجنة، ينكرون الإشراك، طمعا في دخولهم في زمرة المؤمنين، فحينئذ يختم على أفواههم، وتنطق أعضاؤهم قهرا عليهم وتقر بالكفر.

قوله: ﴿ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن﴾ اسم الإشارة مبتدأ، وأن لم يكن خبره، واللام محذوفة، وأن مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن كما قال المفسر، والتقدير ذلك ثابت لأنه لم يكن إلخ. قوله: ﴿لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى﴾ أي لغلبة رحمته، لا ينزل العذاب على من خالف وعصى، حتى يتكرر عليهم التنزيل والتخويف.[2] قوله: ﴿بِظُلْمٍ﴾ [منها] الباء سببية، وقدر المفسر قوله منها إشارة إلى أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من القرى، والمعنى لم يكن مهلك أهل القرى بسبب وقوع ظلم منها، والحال أن أهلها لم يرسل لهم رسول. قوله: [من العالمين] أي طائعين أو عاصين. قوله: [جزاء] دفع بذلك ما يقال إن الدرجات بالجيم للطائعين فينا في العموم المتقم. فأجاب بأن المراد بالدرجات الجزاء، وهو صادق بالدرجات والدركات. وأجيب أيضا: بأن في الكلام اكتفاء أي ودركات على حد سرابيل تقيكم الحر أي البرد. قوله: [بالياء والتاء] أي فهما قراءتان سبعيتان. [3]

قوله: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ﴾ هذا مرتب على ما قبله، جواب عما يقال حيث كان لكل من الطائعين والعاصين جزاء لا مفر لهم منه، فما وجه إمهالهم وعدم تعجيل ذلك لهم؟ فأجاب: بأنه الغني، فلا ينتفع بطاعة طائع، ولا تضره معصية العاصي، وربك مبتدأ، والغني خبره، و﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾ خبر ثان ويصح أن يكون الغني وذو الرحمة صفتين له. وجملة ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ خبره. قوله: ﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾ أي ومن أجل ذلك بقاء الخلق من غير استئصال الهلاك لهم. قوله: [بالإهلاك] أي جملة واحدة، بحيث لم يبق منهم أحد

---

(١) سورة الأنعام، الآية:٢٣.

(٢) ومن رحمة الله تعالى لهذه الأمة أنه سبحانه لا يؤاخذهم فجأة حتى يرسل رسولا ومنذرا ليتوب من وفق للتوبة ويهلك من أعرض على بينة، كما قال الباري جل وعلا: ﴿مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [سورة الإسراء، الآية:١٥]، وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– عَنِ النَّبِيِّ –ﷺ- قَالَ: " أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَى امْرِئٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ حَتَّى بَلَّغَهُ سِتِّينَ سَنَةً " انظر: صحيح البخاري، كتاب الرقاق، بَاب مَنْ بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً فَقَدْ أعذر الله إِلَيْهِ فِي الْعُمُرِ، ج٥ ص٢٣٦٠ برقم ٦٠٥٦.

(٣) قرأ الجمهور يعملون بياء الغيبة، وقرأ ابن عامر بتاء الخطاب. انظر: ابن مجاهد التميمي، مصدر سابق، ص٢٧.

كعاد وثمود. قوله: ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ﴾ أي ينشيء ويوجد بعد إذهابكم ما يشاء. قوله: ﴿مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ أي وهم أهل سفينة نوح وذريتهم من بعدهم من القرون إلى زمنكم. قوله: [ولكنه أبقاكم رحمة لكم] أي لوجود نبيكم، لأنه بعث رحمة لا عذابا. قوله: [من الساعة] بيان لما. قوله: ﴿لآتٍ﴾ خبر إن مرفوع بضمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين كقاض. قوله: ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ أي فارين من عذابنا، بل هو مدرككم لا محالة.

قوله: ﴿اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ هذا أمر تهديد وزجر،[1] نظير قوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾[2]، وقوله -ﷺ-: "إذا لم تستح فاصنع ما شئت" [3] والمكانة إما من التمكن وهو الاستطاعة فتكون الميم أصلية، أو من الكون بمعنى الحالة فتكون زائدة، والمفسر جعلها بمعنى الحالة. قوله: ﴿من﴾ [موصولة مفعول العلم] أي و[تكون] صلتها، و﴿عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ اسمها، و[له] خبرها، وعلم عرفانية متعدية لواحد، ويصح أن تكون استفهامية مبتدأ، قوله: [أي العاقبة المحمودة في الدار] أشار بذلك إلى أن الإضافة على معنى في، والمراد بالعاقبة المحمودة الراحة التامة والسرور الكامل. قوله: ﴿أنحن أم أنتم﴾ هذا يناسب كون من استفهامية لا موصولة، وإلا لو جعلها موصولة لقال فسوف تعلمون الفريق الذي له عاقبة الدار. قوله: ﴿إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ استئناف كأنه واقع في جواب سؤال مقدر تقديره ما عاقبتهم، فقال إنه لا يفلح الظالمون. قوله: ﴿وَجَعَلُواْ لِلّهِ﴾ هذا من جملة قبائحهم وخسران عقولهم، وجعل فعل ماض، والواو فاعل، و﴿لِلّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بمحذوف مفعول ثان مقدم، و﴿نَصِيباً﴾ مفعول أول مؤخر، ﴿مِمِّا ذَرَأَ﴾ متعلق بجعلوا. قوله: ﴿مِنَ الْحَرْثِ﴾ متعلق بمحذوف حال من مما ذرأ. قوله: [الزرع] أي ما يزرع كان حبا أو غيره. قوله: ﴿وَالأَنْعَامِ﴾ أي الإبل والبقر والغنم. قوله: ﴿ولشركائهم﴾ متعلق بمحذوف تقديره وجعلوا لشركائهم، وأشار المفسر بذلك إلى أن في الآية اكتفاء بدليل التفصيل بعد ذلك بقوله وهذا لشركائنا. قوله: [إلى سدنتها] أي خدمتها. قوله: ﴿فَقَالُواْ﴾ هذا تفريع على الشق المذكور والشق

---

(١) انظر: تفسيرالوجيزن مصدر سابق، ج١ ص٢٦٢. وقيل معناه : على تمكنكم. انظر: الزجاج، مصدر سابق، ج٢ ص٣٢٣.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٤٠.

(٣) أخرجه البخارى ج٢ ص٣٧٩ ، و كذا أبو داود برقم ٤٧٩٧ ، و ابن ماجه برقم ٤١٨٣ ، وأحمد ج٤ ص١٢١ ، ١٢٢ ، وج٥ ص٢٧٣ ، عن منصور عن ربعى بن حراش حدثنا أبو مسعود به .

المطوي. قوله: ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾ الزعم الكذب ومصبه قوله بعد ﴿وَهَذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ فمحط الكذب التنصيف، حيث جعلوا نصف ما خلق الله وأنشأه من الحرث والأنعام له، ونصفه لشركائهم، وحق الجميع أن يكون لله، ويحتمل أن الزعم من حيث ادعائهم الملك وإنشاء الجعل من عندهم، والملك في الحقيقة لله. قوله[بالفتح والضم] أي فهما قراءتان سبعيتان:(١) الأولى لغة أهل الحجاز، والثانية لغة بني أسد، وفي لغة بالكسر، لكن لم يقرأ بها،(٢) والكل بمعنى واحد. قوله: [فكانوا إذا سقط في نصيب الله شيء من نصيبها التقطوه] وكانوا إذا رأوا ما عينوه لله أزكى، بدلوا بما لآلهتهم، وإن رأوا ما لآلهتهم أزكى، تركوه حبا لها، وإذا هلك ما جعلوه لها، أخذوا بدله ما جعلوه لله، ولا يفعلون ذلك فيما جعلوه لله،(٣) قوله: [أي لجهته] أي لجهة مراضيه، وإلا فيستحيل على الله الوصول والجهة.(٤) قوله: ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ ساء فعل ماض ، وما اسم موصول فاعل، ويحكمون صلته، والمخصوص بالذم محذوف قدره المفسر بقوله حكمهم، وقوله: [هذا] بدل من حكمهم، لأن حكمهم مبتدأ، والجملة قبله خبره.

قوله: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الجملة معطوفة على الجملة قبلها، والكاف بمعنى مثل. قوله: ﴿زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ زين بالبناء للفاعل، ولكثير متعلق بزين، ومن المشركين صفة لكثير، و﴿قَتْلَ﴾ بالنصب

---

(١) قرأ الجمهور بفتح الزاي، وقرأ الكسائي بضم الزاي، وفي رواية قرأها بالكسر، وقال ابن عطية: ولا أحفظ أحدا به ، أي الكسائي في رواية منه. انظر: ابن عطية، مصدر سابق، ج٢ ص٣٤٨.

(٢) بل قرأ بها الكسائي إلا أنها شاذة منه كما سبق أن بينا.

(٣) وقد ذكر في المراد في هذه الآية عدة أقوال منها: قال ابن عباس : كان المشركون يجعلون لله من حروثهم وأنعامهم نصيبا، وللأوثان نصيبا ، فما كان للصنم أنفقوه على الأصنام وحدها، وما جعلوه لله أطعموه الضيفان والمساكين ، ولا يأكلون منه ألبتة، وإن سقط من نصيب الأوثان فيما جعلوه لله ؛ ردوه إلى الأوثان ، وقالوا : إنها محتاجة ، وإن سقط شيء مما جعلوه لله في نصيب الأوثان، وقالوا: إنها محتاجة ، وإن سقط شيء مما جعلوه لله في نصيب الأوثان، تركوه وقالوا : إن الله غني عن هذا.

وقال الحسن والسديي: كان إذا هلك وانتقص شيء مما جعلوه للأصنام خيروه بما جعلوه لله ولا يفعلون مثل ذلك فيما لله -جلاله-.

وقال مجاهد: المعنى: انه إذا انفجر من سقي ما جعلوه للشيطان في نصيب الله تعالى - سدوه ، وإن كان على ضد ذلك ، تركوه .

قلت: وقد ذكر في معنى الآية أقوالا غير ذلك، ولكن مصادها ما ذكرته هنا. انظر: الطبري، مصدر سابق، ج٩ ص٥٦٩-٥٧١، وابن عطية، مصدر سابق، ج٢ ص٣٤٩، وابن عاشور، مصدر سابق، ٩٦-٩٧.

(٤) قوله [والجهة] يريد به النفي بأن الله سبحانه وتعالى في السماء، وهذا مخالف لنصوص الشريعة الواردة في إثبات كون الله عز وجل في السماء، وقد سبق أن ذكرت أدلة الإثبات، فراجعها.

مفعول لزين، وهو مضاف لأولادهم، وشركاؤهم بالرفع فاعل زين، وقرأ ابن عامر من السبعة زين بالبناء للمفعول، وقتل بالرفع نائب فاعل زين، و﴿أَوْلاَدِهِمْ﴾ بالنصب مفعول المصدر الذي هو قتل، وقتل مضاف، وشركائهم مضاف إليه، ولا يضر الفصل بين المضاف والمضاف إليه بمعمول المضاف، لأنه ليس أجنبيا، والمضر الفصل بالأجنبي، وهذه القراءة متواترة صحيحة موافقة للنحو، خلاف لمن شذ وعاب على من قرأ بها، كيف وهو أعلى القراءة سندا، وأقدمهم هجرة، وقرأ ابو عبد الرحمن السلمي زين مبنيا للمفعول، وقتل نائب الفاعل، وأولادهم بالجر مضاف لقتل، وشركاؤهم بالرفع فاعل، قال ابن مالك:

وبعد جره الذي أضيف له ❁❁ كمثل بنصب أو برفع عمله[1]

وقرأ أهل الشام كقراءة ابن عامر، إلا أنهم خفضوا الأولاد أيضا، على أن شركاءهم صفة لهم، بمعنى أنهم يشركوهم في المال والنسب، وقرأ فرقة من أهل الشام، زين بكسر الزاي بعدها ياء ساكنة مبني للمفعول كقيل ربيع، وقتل نائب الفاعل، وأولادهم بالنصب، وشركائهم بالجر، وتوجيهها معلوم مما تقدم، فجملة القراءات خمس: اثنتان سبعيتان وهما اللتان مشى عليهما المفسر، وثلاثة شواذ. قوله: [بالوأد] هو دفن الإناثبالحياة مخافة الفقر والعار، قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ ۞ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾[2] قوله: [من الجن] أي الملابسين للأصنام. قوله: [ولا يضر] رد على من منع ذلك وعاب على ابن عامر.[3] قوله: [وإضافة القتل] مبتدأ، وقوله: [لأمرهم به] خبره، ومباشر القتل هو كثير من المشركين.

قوله: ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾[4]علة للتزيين، وقوله: ﴿وَلِيَلْبِسُواْ﴾ معطوف على ليردوهم، وهو من لبس بفتح الباء يلبس بكسرها لبساً بمعنى خلط.[5] قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ مفعول محذوف تقديره عدم فعلهم، والمعنى لو أراد الله عدم التزيين والقتل ما فعلوه، لأن الله هو الموجد للخير والشر، وإنما الخلق أسباب

---

(١) انظر: ابن عقيل، مصدر سابق، ج٣ ص١٠١.

(٢) سورة التكوير، الآية:٨-٩.

(٣) انظر: ابن عطية، مصدر سابق، ج٢ ص٣٤٩-٣٥٠. وقد أوفى القول في هذه المسألة مما فيه كفاية.

(٤) أي: ليهلكوهم، وهو من الردي: الهلاك، والتردي التعرض للهلاك. انظر: أبو القاسم الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، د.ط، (لبنان: دار المعرفة، د.ت.ط)، ص١٩٤.

(٥) وأصل الكلمة من لبس الشيء وهو الستر ويتفرع منه المعاني. انظر: أبا القاسم، مصدر سابق، ص٤٤٨.

ظاهرية في الخير والشر، وإلا فمرجع الكل إلى الله، ومن هنا قول سيدي إبراهيم الدسوقي: (من نظر للخلق بعين الشريعة مقتهم، ومن نظر إليهم بعين الحقيقة عذرهم). [1]

وقال بعض العارفين:

الكل تقديره مولانا وتأسيسه ۞۞ فاشكر لمن قد وجب حمده وتقديسه

وقل لقلبك إذا زادت وساويسه ۞۞ إبليس لما طغى من مكان إبليسه

قوله: ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ أي اتركهم وافتراءهم.

قوله: ﴿وَقَالُواْ﴾ هذا نوع آخر من أنواع قبائحهم ، وقوله: ﴿هَذِهِ أَنْعَامٌ﴾ الخ الإشارة إلى ما جعلوه لآلهتهم. قوله: ﴿حِجْرٌ﴾[2] بمعنى محجور، كذبح بمعنى مذبوح أي ممنوعة. قوله: ﴿لاَّ يَطْعَمُهَا﴾ أي لا يأكلها، والضمير عائد على الأنعام والحرث. قوله: [وغيرهم] أي من الحال دون النساء. قوله: ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾ حال من فاعل قالوا. قوله: [كالسوائب والحوامي] أي والبحائر. قوله: [ونسبوا ذلك] اي المن التقسيم إلى الأقسام الثلاثة، بأن قالوا: قسم حجر أي ممنوع منه بالكلية، وقسم لا يركب وإن كان يجوز أخذ لبه وأولاده، وقسم لا يذكر اسم الله عليه عند الذبح، وإنما يذكر اسم الصنم، وقوله: ﴿افْتِرَاء﴾ معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله ونسبوا ذلك. قوله: ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ أي بسبب افترائهم.

قوله: ﴿وَقَالُواْ﴾ هذه إشارة لنوع آخر من أنواع قبائحهم. قوله: ﴿مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ﴾ أي نتاج الأنعام والسوائب والبحائر، فما ولد منها حيا فهو حلال للذكور خاصة، وما ولد منها ميتا فهو حنلال للذكور والإناث. قوله: ﴿خَالِصَةٌ﴾ خبر عن ما باعتبار معناها، وقوله: ﴿وَمُحَرَّمٌ﴾ خبر عنها باعتبار لفظها. قوله: [مع تأنيث الفعل] أي باعتبار معنى ما وهو الأجنة، وهذا على النصب، وأما على الرفع فباعتبار تأنيث الميتة، وقوله: [وتذكيره] أي باعتبار لفظ على قراءة النصب، وباعتبار أن تأنيث الميتة

---

(١) ولم يكن من قوله، بل إنما هو مثل إيطالي مشهور يضرب به المثل، وهذا من أصول الضلالة التي دخلت على المسلمين من باب التصوف المقابَلة بين الحقيقة والشريعة، وجعل الأمر الكوني القَدَريّ كالأمر الشرعي في كون كل منهما يجب الرضاء به والإذعان والاستسلام له.

(٢) قال القرطبي: أي حرام. انظر : الطبري، مصدر سابق، ج١٢ ص١١٤٠.

مجازي على قراءة الرفع، فالقراءات أربع وكلها سبعية،[1] وكان ناقصة في النصب، واسمها ضمير يعود على ما، وتامة في الرفع فاعلها ميتة. قوله: [فَهُمْ فِيهِ] أي ذكورهم وإناثهم يأكلون منه جميعا. قوله: ﴿وَصْفَهُمْ﴾ أي جزاء وصفهم، والمراد بوصفهم التحليل والتحريم الذي اخترعوه، فالباء في قوله: [بالتحليل والتحريم][2] لتصوير الوصف. قوله: ﴿إِنَّهُ حِكِيمٌ﴾ تعليل لمجازاته إياهم، أي فمن أجل حكمته وعلمه لا يترك جزاءهم.

قوله: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُواْ﴾ أي في الدنيا باعتبار السعي في نقص عددهم وإزالة ما أنعم الله به عليهم، وفي الآخرة باستحقاق العذاب الأليم. قوله: [بالتخفيف والتشديد] أي فهما قراءتان سبعيتان.[3] قوله: [جهلا] روى البخاري[4]عن ابن عباس قال: إذا أسرك أن تعرف جهل العرب فاقرأ ما

---

(١) قرأ الجمهور: ﴿وإن يكن﴾ بالتحتية مع نصب ميتة، وقرأ ابن كثير برفع ميتة، بإعمال كان تامة، وهنا أجري ضمير: [يكن] على التذكير: لأنه جائز في الخبر عن اسم الموصول المفرد اعتبار التذكير لتجرد لفظه عن علامة تأنيث، وقد يراعى المقصود منه فيجري الإخبار على اعتباره، وقد اجتمعا في قوله تعالى: ﴿ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك﴾ [سورة محمد، الآية: ١٦]. وقرأ ابن عامر بالفوقية على اتباع تأنيث ﴿خالصة﴾، أي إن تكن الأجنة، وقرأ [ميتة] بالنصب، وقرأه أبو بكر عن عاصم بالتأنيث والنصب. انظر: ابن عاشور، مصدر سابق، ج٨ ص١١٢، وابن عطة، مصدر سابق، ج٢ ص٣٥٢، وابن مجاهد، مصدر سابق، ص٢٧٠.

(٢) قلت: في هذا تحذير شديد على أمر التحليل والتحريم في جميع أديان السماوية الثابتة، ونجد أن الإسلام دائما يحدد السلطة التي تملك التحليل والتحريم إلى الخالق الواحد الأحد، فانتزعها كليا من أيدي الخلق، أيا كانت درجتهم في دين الله أو دنيا الناس، وجعلها خالصا في حق الله، فلا أحبار او رهبان، ولا ملوك أو سلاطين، يملكون سلطة خالصة أن يحرموا شيئا تحريما مؤبدا على عباد الله. ومن فعل ذلك منهم فقد تجاوز حده واعتدى على حق الربوبية في شريعة الله ، ومن رضي بهم على هذا واتبعهم فقد جعلهم شركاء لله ويعتبر اتباعه هذا شركا ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾ [سورة الشورى، الآية:٢١].

(٣) فقرأ ابن كثير وابن عامر [قتّلوا] مشددة التاء وقرأ نافع وعاصم وأبو عمرو وحمزة والكسائى [قتَلوا] خفيفة التاء. انظلر: ابن مجاهد، مصدر سابق، ص٢٧١.

(٤) أخرجه البخاري، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: "إِذَا سَرَّكَ أَنْ تَعْلَمَ جَهْلَ الْعَرَبِ فَاقْرَأْ مَا فَوْقَ الثَّلَاثِينَ وَمِائَةٍ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿قد خسر الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ إِلَى قَوْلِهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾. هذا هو اللفظ الذي عند البخاري لاغير، يختلف قليلا عن اللفظ الذي أورده المصنف. انظر: صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب قصة زمزم وجهل العرب، ج٣ ص ١٢٩٧ برقم٣٢٨٤.

فوق الثلاثين والمائة من الأنعام ﴿قَدْ خَسِرَ﴾ إلى قوله ﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ فيه إعلام بأن هؤلآء الذين فعلوا هذا الفعل، يموتون على الضلال، كأنه الله يقول لنبيه: لا تعلق آمالك بهداهم.

قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ﴾ هذا امتنان من الله إلى عباده وبيان أن كل نعمة منه. قوله: ﴿جَنَّاتٍ﴾ المراد بها جميع ما ينبت أعم من أن يكون بساتين، أو لا بدليل ما بعده من باب تسمية الكل باسم جزئه الأشرف، أو أطلق الخاص وأراد العام، فلا مفهوم لقول المفسر [بساتين]. قوله: [كالبطيخ] أي والعنب إذا لم يوضع على عريش. قوله: [كالنخيل] أي وغيره مما له ساق يرتفع به، كالجميز[1] والنبق[2] والعنب إذا وضع على عريش والحبوب، وقيل المعروشات المرتفعات على ساق، وغير المعروشات ما لا ساق له، عكس ما ذكر المفسر. قوله: ﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ﴾ قدر المفسر [أنشأ] إشارة إلى أنه معطوف على جنات، عطف خاص على عام، والنكتة عموم النفع بالنخل والزرع لإقامتهما بنية الآدمي، فهما يغنيان عن غيرهما، لا يغني عنهما، والمراد بالزرع جمع الحبوب التي يقتات بها. قوله: ﴿مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ﴾ فالمعنى إنشاء مقدرا في علمه سبحانه أن أكله مختلف، والأكل بالضم[3] المأكول، أي مأكول لكل منهما، مختلف في الصفة والطعم واللون والرائحة. قوله: [ثمره وحبه] لف ونشر مرتب. قوله: ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ﴾ معطوف أيضا على جنات، وخصهما لأنهما أشرف الثمار بعد النخل. قوله: ﴿مُتَشَابِهاً﴾[4] هو بمعنى المشتبه المتقدم، إلا أن القراءة سنة متبعة. قوله: [طعمهما] أي ولونهما وريحهما وجرمهما. قوله: ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ﴾ هذا أمر إباحة. قوله: [قبل النضج] أي استوائه ووجوب الزكاة فيه، فلا تتوقف إباحة الأكل على الوصول إلى حد وجوب الزكاة فيه، وهو النضج أو التهيؤ له، ولا يحسب عليه شيء للفقراء، أما بعد النضج فكل ما أكله حسبت عليه زكاته. قوله: [زكاته] هذا تفسير ابن عباس وأنس ابن

---

(١) الجميز : التِّينُ الذَّكَر يكون بالغَوْر ، وهو حُلْوٌ ، وهو الأصفر منه ، والأَسْوَدُ يُدمي الفمَ . هو أَلْوَانٌ مختلفةٌ ، وهو موجودٌ بالكَثْرةِ في أَرْضِ الشامِ ومِصر. انظر: الزَّبيدي، مصدر سابق، ج١٥ ص٧١.

(٢) النَّبْقُ هو دَقيقٌ يَخْرُجُ من لُبِّ جِذْعِ النّخْلة حُلْوٌ ، يُقَوّى بالدِّبْسِ ، ثم يُجعَلُ نبيذاً فيكون نِهايةً في الجَوْدَةِ، ويُقال لنَبيذِه الضَّرِيُّ. انظر: الزَّبيدي، مصدر سابق، ج٢٦ ص٤١١.

(٣) و﴿الأُكْل﴾ بضم الهمزة وسكون الكاف لنافع وابن كثير، وبضمهما قرأه الباقون: ﴿الأُكُل﴾ هو الشيء الذي يؤكل، أي مختلفا ما يؤكل منه. انظر: ابن مجاهد، مصدر سابق، ص٢٣٩.

(٤) كذا في الأصل ، وفي النسخ المطبوعة ﴿مُتَشَابِهٍ انظروا﴾ وهي قد سبق تفسيرها في السورة نفسها عند الآية برقم ٩٩.

مالك، واستشكل بأن السورة مكية، وفرض الزكاة كان المدينة في السنة الثالثة من الهجرة. وأجيب بأن الآية مدنية،[1] وقيل المراد بالحق إطعام من حضر، وترك ما سقط من الزرع والثمر للفقراء، وهو قول الحسن وعطاء ومجاهد، وعلى هذا القول فقيل الأمر للوجوب، ويكون منسوخا بآية الزكاة، وقيل للندب ويكون محكما. قوله: ﴿يَوْمَ حَصَادِهِ﴾[2] أي زمن تيسير الإخراج منه، وهو ظاهر فيما لا يتوقف على تصفية، كالعنب والزيتون والنخل، وأما ما يحتاج إلى تصفية كالحبوب فيقال إن يوم ظرف متسع، فيشمل مدة الحصاد والدراس، أو يقال إن يوم متعلق بمحذوف تقديره وآتو حقه الذي وجب يوم حصاده، وهو لا ينافي أن إخراج الحق بعد التصفية إن توقف عليها. قوله: [بالفتح والكسر] أي فهما قراءتان سبعيتان[3] بمعنى واحد. قوله: [من العشر] أي فيما سقي بالسيح، أو نصفه أي فيما سقي بآلة.

قوله: ﴿وَلاَ تُسْرِفُواْ﴾ أي تتجاوزوا الحد بإخراجه كله للفقراء أو بعد الإخراج من أصله، أو بإنفاقه في المعاصي، والأقرب الأول الذي اقتصر عليه المفسر، لأن سبب نزولها: أن ثابت بن قيس صرم خمسمائة نخلة يوم أحد ففرقها ولم يترك لأهله شيئا.[4] قوله: ﴿إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ أي يعاقبهم.

قوله: ﴿وَمِنَ الأَنْعَامِ﴾ معطوف على ﴿جَنَّاتٍ﴾[5]، وإليه يشير المفسر حيث قدر [أنشأ]، وفي الحقيقة قوله: ﴿وَمِنَ الأَنْعَامِ﴾ متعلق بمحذوف حال من ﴿حمولةً﴾، لأنه نعت نكرة تقدم عليها، وحمولة هو المعطوف على جنات. قوله: [صالحة للحمل عليها] مشى المفسر على أن المراد بالحمولة الصالح للحمل

---

(١) اختلف المفسرون في مقصود هذه الآية، إلى أقوال، منهم من يرى أن الزكاة المقصودة في الآية زكاة التطوع لا الفرض ومنهم من يرى أنها زكاة فرض، وسبب اختلافهم أن بعض العلماء يرون أنها فرضت في مدينة، وبينما الآخرون يرون أنها فرضت بمكة وفصلت مقاديرها في المدينة، والأقرب هو أن الزكاة فرضت في مكة وفصلت مقاديرها في مدينة. انظر: ابن عاشور، مصدر سابق، ج٨ ص١٢١.

ثم تبقى مسألة الزكاة في غير الأصناف الأربعة التي ذكرها النبي -ﷺ-، لأن الآية عممت ولم تخصص.

(٢) وفي حصاده قرأه نافع، وابن كثير، وحمزة، والكسائي، وأبو جعفر، وخلف بكسر الحاء. وقرأ أبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، ويعقوب بفتح الحاء. انظر: ابن مجاهد، مصدر سابق، ص٢٧٥.

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر [ومن المعَز] اثنين بفتح العين وقرأ عاصم ونافع وحمزة والكسائى [ومن المعْز] ساكنة العين. انظر: ابن مجاهد، مصدر سابق، ص٢٧١.

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره، ج١٢ ص١٧٤، والحديث معضل.

(٥) وفي النسخ المطبوعة بزيادة الواو [وجنات] زيادة خاطئة.

والفرش وما عداه، والأحسن تفسير الحمولة بالكبار، أعم من أن تكون إبلا أو بقرا أو غنما، والفرش بالصغار منها،(1) ويدل عليه قوله: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ وقيل الحمولة هي كل ما حمل عليه من إبل وغيرها، والفرش ماتخذ من الصوف والوبر والشعر.(2) قوله: [سميت] أي الإبل الصغار والغنم. قوله: ﴿كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ﴾ أي من جمع الثمار والأنعام والحرث. قوله: [في التحليل والتحريم] أي في الحرث والأنعام، بأن تحللوا شيئا وتحرموا آخر، كما يقول(3) المشركون. قوله: ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ تعليل لما قبله. قوله: [بين العداوة] أي ظاهرا لوجود عداوته لأبينا آدم من قبل، واتصالها لأبنائه من بعده، ولذلك قيل: إن المولود في حال ولادته ينخسه الشيطان، فيصرخ عند ذلك من شدة عداوته.

قوله: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ يطلق الزوج على الشيئين المتلازمين اللذين يحصل بينهما التناسل، وعلى أحدهما، وهو المراد هنا. قوله: [بدل من حمولة وفرشا] أي بدل مفصل من مجمل. قوله: ﴿مِّنَ الضَّأْنِ﴾ بدل من ثمانية أزواج على جواز الإبدال من البدل. قوله: ﴿اثْنَيْنِ﴾ أي وهما الكبش والنعجة. وقوله: ﴿وَمِنَ الْمَعْزِ﴾ أي التيس والمعز. قوله: [بالفتح والسكون] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [لمن حرم ذكور الأنعام] أي بعض ذكورها. وقوله: [وإناثها] أي بعض إناثها. قوله: ﴿آلذَّكَرَيْنِ﴾ بمد الهمزة الثانية مدا لازما قدر ثلاث ألفات أو تسهيلها، وهو منصوب بالعامل الذي بعده وهو ﴿حَرَّمَ﴾ قدم لأن مدخول الإستفهام له الصدارة. قوله: ﴿أَمِ الأُنثَيَيْنِ﴾ أم عاطفة على الذكرين، وكذلك أم الثانية عاطفة على [ما](4) الموصولة على ما قبلها، ومحلها نصب أيضا تقديره أم الذي اشتملت عليه، وأم في كل منهما متصلة مقابلة لهمزة الاستفهام. قوله: ﴿نَبِّؤُونِي بِعِلْمٍ﴾ أي أخبروني خبرا ملتبسا بعلم ناشىء عن إخبار

---

(١) اختلف قول المفسرين في كلمتي حمولة وفرش، قال مجاهد: المولة: الإبل الكبار التي يحمل عليها والفرش الصغار. انظر الطبري، مصدر سابق، ج١٢ ص١٧٨، والزجاج، مصدر سابق، ج٢ ٢٠٧. وقال الضحاك: الحمولة: الإبل والبقر، والفرش: الغنم. انظر: القرطبي، مصدر سابق، ج٨ ص١١٢، وأبا حيان الأندلسي، مصدر سابق،ج٤ ص٢٤٩. قلت: قول الضحاك أقرب وأوضح من تخصيص اللفظ بالإبل، وذلك لقوله تعالى: [ثمانية أزواج] وهو بدل من قوله تعالى: [حمولة وفرشا]. انظر: الزجاج، مصدر سابق،ج٢ ص٣٢٨.

(٢) هذا من قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، ونصه : المولة ما تركبون، والفرش ما تأكلون وتحلبون، شاة لا تحمل تأكلون من لحمها و تتخذون من صوفها لحافا وفراشا. انظر: ابن كثير، مصدر سابق، ج٦ ص١٩٢.

(٣) وفي النسخ المطبوعة [تقول] وهو خطأ.

(٤) سقط ما بين القوسين في النسخ المطبوعة.

من الله بأنه حرم ما ذكر[1] وهي جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه، قصد بها إلزام الحجة لهم. قوله: [عن كيفية تحريم ذلك] أي جهته وسببه. قوله: [فإن كان من قبل الذكورة الخ] أي فإن كان سبب التحريم الذكورة، لزمكم تحريم جميع الذكور، وإن كانت الأنوثة، لزمكم تحريم جميع الإناث، وإن كان ما اشتملت عليه الأرحام لزمكم تحريم الجميع ، فلأي شيء خصصتم التحريم ببعض الذكور والإناث، فمن أين التخصيص، أي التخصيص تحريم البحائر والسوائب بالإبل، دون بقية النعم من البقر والغنم.[2] قوله: [والاستفهام للإنكار] أي في المواضع الثلاثة.

قوله: ﴿أَمْ كُنتُمْ﴾ أم منقطعة، فلذا فسرها ببل والهمزة، فمدخولها جملة مستقلة، والمقصود بها التهكم بهم، حيث نسبهم إلى الحضور في وقت الإبصار. قوله: [حضورا] أي حاضرين ومشاهدين تحريم البعض وتحليل البعض. قوله: [لا] أي لم تكونوا حاضرين، ولم يدل دليل على تحريم البعض وتحليل البعض. قوله: [أي لا أحد] أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: ﴿لِيُضِلَّ النَّاسَ﴾ متعلق بافترى. وقوله: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ متعلق بمحذوف حال من فاعل افترى، أي افترى حال كونه ملتبسا بغير علم بل جاهلا. قوله: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ تعليل لما قبله، والمعنى لا يرشد الذين تعدوا حدود الله بالتحليل والتحريم إلى الصراط المستقيم لسابق الشقاوة لهم.

قوله: ﴿قُل لاَّ أَجِدُ﴾ لما ألزمهم الله الحجة بأن التحريم عند أنفسهم لا من عند الله، أخبرهم بما ثبت تحريمه عن الله، فهو نتيجة ما قبله وثمرته،[3] والمعنى قل يا محمد لكفار مكة لا أجد فيما أوحي إليَّ الخ.

---

(١) وفي النسخ المطبوعة [ذكره]، ولا يصح.

(٢) هذا من كلام الإمام فخر الرازي وهو أجمل ما قيل في مراد هذه الآية، فراجعه إن شئت. انظر: فخر الرازي، مصدر سابق، ج١٣ ص١٦٧. ثم ذكر الطبري مثله وعزاه لقتادة ومجاهد والسدي. انظر: ج١٢ ص١٨٤.

(٣) وعلى هذا النمط افتتح الباري جل وعلا في هذه الآية: ب[لا أجد] إشارة إلى رد حكيم منه سبحانه حيث بدأ ببيان ما حرم على المسلمين تناوله لأن الإسلام هو الدين الوحيد المقبول عند الله ومن دان بغرة فقد خسر، وهنا ذكر فخر الرازي قولا جميلا ما نصه: وافتتح الكلام المأمور بأن يقوله بقوله ب[لا أجد] إدماجا للرد على المشركين في خلال بيان ما حرم على المسلمين، وهذا الرد جار على طريقة كناية الإيماء بأن لم ينف تحريم ما ادعوا تحريمه صريحا ، ولكنه يقول لا أجده فيما أوحي إلي ويستفاد من ذلك أنه ليس تحريمه من الله في شرعه ، لأنه لا طريق إلى تحريم شيء مما يتناوله الناس إلا بإعلام من الله تعالى ، لأن الله هو الذي يحل ما شاء ويحرم ما شاء على وفق علمه وحكمته ، وذلك الإعلام لا يكون إلا بطريق الوحي أو ما يستنبط منه ، فإذا كان حكم غير موجود في الوحي

قوله: ﴿فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ﴾ ما اسم موصول، وأوحي صلته، والعائد محذوف، والتقدير في الذي أوحاه الله إلي وهو القرآن. قوله: [شيئا] ﴿مُحَرَّماً﴾ قدره المفسر إشارة إلى أن محرما صفة لموصوف محذوف. قوله: ﴿عَلَى طَاعِمٍ﴾ متعلق بمحرما. وقوله: ﴿يَطْعَمُهُ﴾ من باب لهم، ومعنى طاعم آكل، ويطعمه يأكله. قوله: ﴿إِلاَّ أَن يَكُونَ﴾ اسمها ضمير مستتر عائد على الشيء المحرم، و﴿مَيْتَةً﴾ بالنصب خبرها، فذكر باعتبار ما عاد عليه الضمير، وهذا على قراءة الياء، وأما على التاء فالتأنيث باعتبار خبر يكون وهو ميتة، مهاتان قراءتان نصب ميتة،[1] وأما رفعها ففيه قراءة واحدة بالفوقانية فتكون تامة وميتة فاعل، إذا علمت ذلك فقول المفسر: [وفي قراءة بالرفع مع التحتانية] سبق قلم، والصواب الفوقانية، وهذا الاستثناء يصح أن يكون متصلا باعتبار عموم الأحوال أو منقطعا، لأنه مستثنى من محرما وهو ذات، والمستثنى كونه ميتة وهو معنى، قيس من جنس المستثنى منه، والأقرب كونه متصلا. قوله: ﴿أَوْ دَماً﴾ بالنصب عطف على ميتة على قراءة النصب، وعلى المستثنى في قراءة الرفع. قوله: ﴿مَّسْفُوحاً﴾ من السفح وهو السيلان أو الصب، والدم المسفوح نجس من سائر الحيوانات، ولو من سمك وذباب، وعند أبي حنيفة لا دم للسمك أصلا، بدليل أنه إذا نجف صار أبيض.[2] قوله: [كالكبد الطحال] أي فإنهما طاهران، لما في الحديث "أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال".[3] قوله: ﴿فَإِنَّهُ﴾ [1]

ولا في فروعه فهو حكم غير حق ، فاستفيد بطلان تحريم ما زعموه بطريقة الإيماء ، وهي طريقة استدلالية لأن فيها نفي الشيء بنفي ملزومه. انتهى. انظر: فخر الرازي، مصدر سابق، ج٨ ص١٣٧.

(١) قرأ الجمهور: [وإن يكن] بالتحتية ونصب [ميتة]، وقرأ ابن كثير برفع [ميتة]، على أن كان تامة، وقد أجري ضمير: [يكن] على التذكير: لأنه جائز في الخبر عن اسم الموصول المفرد اعتبار التذكير. انظر: ابن عاشور، مصدر سابق، ج٨ ص١٤٠. وابن مجاهد، مصدر سابق، ص ٢٧٢.

(٢) ويحرم الدم عند المالكية سواء دم الآدمي غير الشهيد ودم الحيوان غير المائي، الذي انفصل منه حياً أو ميتاً، إذا كان مسفوحاً (جارياً) كثيراً. فيخرج دم الشهيد ما دام عليه، ويحرم ما تقطر منه، ودم السمك ودم الكبد والطحال والقلب، وما يبقى في عروق الحيوان بعد الذح ما لم يسل، ودم القمل والبرغوث والبق وإن كثر عند الحنفية، والدم المسفوح نجس ولو كان عند المالكية والشافعية من سمك وذباب وقراد. انظر: الشرح الكبير للدرير مع حاشية الدسوقي: ج١ ص٥٧، والزحيلي، مصدر سابق، ج١ ص١٢٦.

(٣) هذاالحديث اختلف العلماء في تصحيحه، قال ابن الملقن لما أورد الحديث: رَوَاهُ الشَّافِعِي وَأحمد وَالدَّارَقُطْنِيّ وَالْبَيْهَقِيّ من حَدِيث عبد الرَّحْمَن بن زيد بن أسلم عَن أَبِيه عَن ابْن عمر مَرْفُوعا به ولابن ماجه منه اللفظة الأولَى قَالَ أَحْمد هَذَا حَدِيث مُنكر قلت سَببه أَن عبد الرَّحْمَن هَذَا ضعفه الجمهور قال الدارقطني وَالبيهقي رُوي مَوقوفا على عبد الله بن عمر وَهو أصح قال البيهقي وهو في

أي لحم الخنزير،[٢] وخص اللحم بالذكر، وإن كان باقيه كذلك لاعتنائهم به أكثر من باقيه. قوله: [حرام] الأوضح أن يقول نجس، لأن التحريم علم من الاستثناء. قوله: [أَوْ فِسْقاً] عطف على ميتة، وهو على حذف مضاف، أي ذا فسق، أو جعل نفس الفسق مبالغة، على حد زيد عدل. وقوله: [لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ] صفة لفسقا. قوله: [أي ذبح على اسم غيره] أي قربانا كما يتقرب إلى الله، كان ذلك الغير صنما أو غيره. قوله: [فَمَنِ اضْطُرَّ] أي أصابته الضرورة. قوله: [مما ذكر] أي من الميتة وما بعدها. قوله: [غَيْرَ بَاغٍ] تقدم في سورة البقرة، أنه فسر لنا الباغي بالخارج على المسلمين، والعادي بقاطع الطريق، لأن مع كل مندوحة وهي التوبة، فإذا تاب كل جاز له الأكل، وتقدم الخلاف في المضطر، هل له أن يشبع ويتزود، وهو مشهور مذهب مالك، أو يقتصر على سد الرمق، وهو مشهور مذهب الشافعي. قوله: [فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ] تعليل لجواب الشرط المحذوف تقديره فلا إثم عليه. قوله: [ويلحق بما ذكر] كان

معنى المسند قلت لأن قول الصحَابِي أحل لنا كذا مرفوع عَلَى المختار عِند جُمهور الفقهاء والأصوليين وَأهل هذا الفن فَيصح الاستدلال بهذه الرواية وَروي هذا الحَدِيث أَيضا من طَرِيق عبد الله بن زيد بن أسلم مَرفوعا وجنح إِلَى تَصحيحه من هذه الطريق الشيخ تَقِي الدين فِي الإِمَام هذا كله مع قيام الإجماع على طهارة ميتهما.. انتهى.

قلت مجموع أقوالهم يوحي إلى أن الحديث صحيح لغيره، والله أعلم. انظر: ابن الملقن الشافعي المصري، أبو حفص عمر بن علي بن أحمد، **خلاصة البدر المنير في تخريج كتاب الشرح الكبير للرافعي**، ط١، (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٠هـ) ج١ ص١٢.

(١) وفي النسخ المطبوعة [فإنهم] وهو خطأ.

(٢) ذكر بعض العلماء حكما في تحريم الخنزير، قال ابن عاشور: وخباثة الخنزير علمها الله تعالى الذي خلقه، وتبين أخيرا أن لحمه يشتمل على ذرات حيوانية مضرة لآكله أثبتها علم الحيوان وعلم الطب . وقيل : أريد أنه نجس لأنه يأكل النجاسات وهذا لا يستقيم لأن بعض الدواب تأكل النجاسة وتسمى الجلالة وليست محرمة الأكلل في صحيح أقوال العلماء. انظر: ابن عاشور، مصدر سابق، ج٨ ص١٤٥.

ومن تلك الحكم التي ظهرت في الآونة الأخيرة ما ذكره بعض الباحثين من أطباء المسلمين أن الخنزير من بين سائر الحيوانات يُعَدّ أكبرَ مستودَع للجراثيم الضارة بجسم الإنسان، ومن الأمراض التي تنشأ عن أكل لحمه ما يلي:

١. الأمراض الطفيلية. ٢. الأمراض البكتيرية. ٣ . الأمراض الفيروسية. كالتهاب الدماغ، والتهاب عضلة القلب. ٤- الأمراض الجرثومية. مثل جرثوم "التوكسو بلازماجواندي" الذي يسبب الإصابة بالحمى والإنهاك البدنيّ، وتضخم الكبد والطحال، أو التهاب الرئتين وعضلات القلب، أو التهاب السحائيّ، بالإضافة إلى فقد السمع والبصر. ٥ . الأمراض الناشئة عن التركيب البيولوجيّ للحم الخنزير وشحمه. وذلك كزيادة نسبة حمض البوليك بالدم، وهذه الأضرار وغيرها دليل على أن الشارع الحكيم ما حرَّم تناول لحم الخنزير إلا لحكمة جليلة، هي الحفاظ على النفس، التي يُعَدُّ الحفاظ عليها أحَدَ الضروريات الخمس في الشريعة الغراء. انظر: إسلام أون لاين.نت – اسألوا أهل الذكر – الحكمة من تحريم لحم الخنزير) الويب www.islamonline.net

المناسب تقديمه على قوله: [كل ذي ناب] أي كالسبع والضبع والثعلب والهر والذئب،[1] وقوله: [ومخلب من الطير] كالصقر والنسر والوطواط، وهذا مذهب الإمام الشافعي، وأما عند مالك: فجميع الطيور يجوز أكلهاما عدا الوطواط فيكره أكله، وجميع السباع مكروهة ما عدا الكلب الأنسي والقرد، ففيهما قولان بالحرمة والكراهة، وأما الخيل والبغال والحمير الأنسية، فمشهور مذهب مالك أنها محرمة، ومشهور مذهب الشافعي إباحة الخيل دون البغال والحمير.

---

(١) لحديث الصحيح لغيره الذي أخرجه الترمذي من حديث جابر بن عبد الله قال: "حرم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يعني يوم خيبر لحوم الحمر الإنسية ولحوم البغال وكل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير"

قال الإمام الشوكاني –رحمه الله– (كل ذي ناب) الناب : السن الذي خلف الرباعية جمعه أنياب. قال ابن سينا :لا يجتمع في حيوان واحد ناب وقرن معا. وذو الناب من السباع كالأسد والذئب والنمر والفيل والقرد، وكل ما له ناب يتقوى به ويصطاد . قال في النهاية: وهو ما يفترس الحيوان ويأكل قسرا كالأسد والنمر والذئب ونحوها. انظر: الشوكاني، نيل الأوطار ، كتاب الأطعمة، ج٤ ص١٤٩.

قلت: لقد اختلف العلماء في تحديد جنس السباع المحرمة، ذهب الجمهور غير مالك إلى تحريم المتوحش من ذوات أنياب منه من السباع، مثل الأسد والذئب والضبع والنمر والفهد، والثعلب، والسنور البري، والسنجاب، والفنك، والسمور، والدب، والقرد والفيل، والدَّلَق (٢) وابن آوى [فوق الثعلب ودون الكلب طويل المخلب].وكل ذوي مخلب من الطير لأنها تأكل الجيف أي الميتات: كالبازي والباشق، والصقر، والشاهين والحدأة والبومة والنعَّاب [فرخ الغراب لكثرة نعبه] وغراب البين [وهو أكبر الغربان والأبقع] والرَّخَم [طير يشبه النسر في الخلقة] والنسر والعقاب، والخُطَّاف (هو عرفاً طائر أسود الظهر أبيض البطن، يأوي إلى البيوت في الربيع، وهو السنونو) والخُفَّاش (أي الوطواط، وهو طائر صغير لا ريش له، يشبه الفأرة، يطير بين المغرب والعشاء) وما أشبه ذلك.

ويحرم عند الشافعية أكل الببَّغاء والطاووس لخبث لحمهما، كما حرموا أكل الهدهد والصُّرَد [وهو طائر فوق العصفور يصيد العصافير] وعند الحنابلة في الهدهد والصرد: روايتان عن أحمد، إحداهما: أنهما حلال لأنهما ليسا من ذوات المخلب ولا يستخبثان، والثانية: تحريمهما لنهي النبي صلّى الله عليه وسلم عن قتل الهدهد والصُّرَد، والنملة والنحلة، وروي عن مالك القول بأن السباع ذوات الأربع مكروهة وهو الراجح لديه، وقيل: جميعها محرمة، وذهب أصحابه إلى التحريم. وأما الطير فهو حلال عند المالكية سواء ذو المخلب وغيره، عملاً بظاهر الآية: ﴿قل لا أجد فيما أوحي إلي محرماً على طاعم يطعمه﴾ [سورة الأنعام، الآية:١٤٥] فما عدا المذكور في هذه الآية حلال. ويحمل النهي المذكور في الحديث على الكراهية. انظر: البدائع، ٥/٣٩، وابن رشد، مصدر سابق،ج١ ص٤٥٣، القوانين الفقهية: ص ١٧٢، و محمد الخطيب الشربيني، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، ط١، (بيروت: دار المعرفة، ١٤١٨هـ–١٩٩٧م) ج٤ ص٣٠٠، و أبا إسحاق الشيرازي، إبراهيم بن علي بن يوسف، المهذب في فقه الإمام الشافعي، ط١، (دمشق: دار القلم، ١٤١٢هـ–١٩٩٢م) ج٢ ص٨٦٦–٨٧٠. وابن قدامة، مصدر سابق، ج٨ ص٥٨٧–٥٩٣، والزحيلي، مصدر سابق، ج٤ ص٣٢٨–٣٣٠.

قوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ﴾ الجار والمجرور متعلق بحرمنا، وهادوا صلة الذين سموا بذلك، لأنهم هادوا بمعنى رجعوا عن عبادة العجل. قوله: ﴿ كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾القراءة السبعة على ضم الظاء والفاء،[1] وقريء شذوذا بسكون الفاء وبكسر الظاء والفاء وبسكون الفاء، وبقي في الظفر لغة خامسة لم يقرأ بها: أظفور وجمع الأولى أظفار، والأخيرة أظافير قياسا، وأظافر سماعا. قوله: [كالإبل] أدخلت الكاف الأوز والبط. قوله: ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ﴾ متعلق بحرمنا. قوله: [الثروب] جمع ثرب كفلس، شحم رقيق يغشى الكرش والأمعاء، ولكن المراد بها هنا الشحم الذي على الكرش فقط، وإلا ناقض ما بعده. قوله: [وشحم الكلي] جمع كلوة أو كلية. قوله: ﴿إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ ما اسم موصول في محل نصب على الاستثناء أو نكرة موصولة وجملة ظهورهما صلة أو صفة، والعائد محذوف. قوله: ﴿أَوِ الْحَوَايَا﴾ معطوف على ظهورهما، وسميت بذلك لأنها محتوية بمعنى ماتفة كالحلقة. قوله: [الأمعاء] أي المصارين، والمعنى أن الشحم الذي تعلق بالظهور، أو احتوت عليه المصارين، أو اختلط بعظم كلحم الألية جائز لهم. قوله: [جمع حاوياء] أي كقاصعاء وقواصع، قوله: ﴿أو حاوية] أي كزاوية وزوايا، وقيل جمع حوية كهدية قوله: [وهو شحم الألية] بفتح الهمزة. قوله: [بما سبق في سورة النساء] أي في قوله:﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بَآيَاتِ اللّهِ﴾ [2] إلى أن قال ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ﴾[3]. قوله: [في إخبارنا ومواعيدنا] أي بأن سبب ذلك التحريم هو بغيهم، لا كما قالوا حرمها إسرائيل على نفسه فنحن مقتدون به، فقد كذبوا في ذلك، بل لم يطرأ التحريم إلا بعد موسى، ولم يكن ذلك محرما على أحد قبلهم، لا في شرع إبراهيم ولا غيره، وإنما حرم إسرائيل على نفسه بالخصوص الإبل من أجل شفائه من

---

(١) وفي ﴿ ظفر﴾ خمس لغات :

الأولى: ﴿ظُفُر﴾ بضم الظاء والفاء ، وهي قرءاة الجمهور.

الثانية: ﴿ظُفْر﴾ بسكون العين ، وهي تخفيف لمضمومها ، وبها قرأ الحسن في رواية وأبي بن كعب والأعرج .

الثالثة: ﴿ظِفِر﴾ بكسرا لظاء والفاء، ونسبها الواحدي قراءة لأبي السمال .

الرابعة: ﴿ظِفْر﴾ بكسر الظاء وسكون الفاء، وهي تخفيف لمكسورها ، ونسبها الناس للحسن أيضا قراءة

الخامسة: " أظفور " ولم يقرأ بها فيما علمنا. انظر:فخر الرازي، مصدر سابق، ج١٣ ص١٧٢، وابن عطية، مصدر سابق، ج٢ ص٤٢٠.

(٢) سورة النساء، الآية:١٥٥.

(٣) سورة النساء، الآية:١٦٠.

عرق النساء الذي كان به، وقد تقدم الرد عليهم أيضا في قوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [1] قوله: [حيث لم يعاجلكم بالعقوبة] أي فبإمهاله للكافر من سعة رحمته، فإذا تاب خلده في الرحمة. قوله: [وفيه تلطف الخ] دفع ذلك ما يقال: إن مقتضى الظاهر فقل ربكم ذو عقاب شديد، فأجاب: بأن تلطف بدعائهم إلى الإيمان ليطمع التائب ولا ييأس.

قوله: ﴿وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُهُ﴾ هذا من جملة المقول أيضا، والمعنى لا يرد عذابه عمن لم يتب ومات على الكفر،[2] فأطعمهم في الرحمة بالجملة الأولى، وبقي الإغترار بالجملة الثانية.

قوله: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ هذا إخبار من الله لنبيه بما يقع منهم في المستقبل، وقد وقع كما حكاه الله عنهم في سورة النحل بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ﴾[3] الخ، وإنما قالوه إظهارا لكونهم على الحق، لا اعتذارا لارتكاب هذه القبائح، مدعين أن المشيئة لازمة للرضا، فلا يشاء إلا ما يرضاه، وقد وقع الكفر بمشيئته فهو راض به،[4] فكيف تقول يا محمد إنا نعذب على شيء أراده الله منا ورضيه؟ وحاصل رد تلك الشبه، أن تقول لا يلزم من المشيئة الرضا، بل يشاء القبيح ولا يرضاه، ويشاء الحسن ويرضاه، فكل شيء بمشيئته تعالى.[5] قوله: [لَوْ شَاء] [6] أي عدم إشراكنا، فمفعول المشيئة محذوف، وهذه المقدمة صادقة، لكنهم توصلوا بها إلى مقدمة كاذبة قدرها المفسر بقوله: [فهو راض به] قوله: ﴿وَلاَ آبَاؤُنَا﴾ معطوف على الضمير في إشركنا، والفاصل موجود وهو لا النافية، وتقدير المفسر نحن بيان للضمير في إشركنا لا لصحة العطف، إذ يكفي أي فاصل، قال ابن مالك:

---

(١) سورة آل عمران، الآية:٩٣.

(٢) وهو صريح قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً﴾ [سورة النساء، الآية:٤٨]. ومن مات ولم يتب عن ذنب دون الكفر فأمره تحت مشيءة الله إن شاء عفا عنه وإلا عذبه ثم أدخل في الجنة.

(٣) سورة النحل، الآية:٣٥.

(٤) قلت: ولعل عقيدة المعتزلة مستمدة من قول هولآء الكفرة، وهو جنس من تضييق رحمة الله تعالى على العباد بغير برهان.

(٥) هذا ما اعتقد به أهل السنة والجماعة. انظر: الخميس، محمد بن عبد الرحمن، اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث، ط١، (مكة: : وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ) ص٦٢.

(٦) وفي النسخ المطبوعة [ولو شاء الله] زيدت الواو خطأ.

وإن على ضمير رفع متصل ❁❁ عطف فافصل بالضمير المنفصل[1]

أو فاصل ما. قوله: [فهو راض به] هذا هو نتيجة قولهم: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾. قوله: [قال تعالى] أي تسلية له عليه الصلاة والسلام. قوله: [كما كذب هؤلاء] أي مثل ما كذبوك ولم يصدقوك بما جئت به، كذب الأمم السابقة أنبياءهم. قوله: ﴿حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا﴾ غاية للتكذيب أي استمروا على التكذيب حتى ذاقوا الخ. قوله: ﴿مِّنْ عِلْمٍ﴾ من زائدة، وعلم مبتدأ مؤخر، وعند ظرف خبر مقدم، والمعنى هل عندكم من شيء تحتجون به على ما زعمتم من أن الله راض بأفعالكم فتظهروه لنا؟. قوله: [أي لا علم عندكم] أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي.

قوله: ﴿قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ جواب شرط مقدر، قدره المفسر بقوله: [إن لم يكن لكم حجة]. قوله: [التامة] أي وهي إرسال الرسل وإنزال الكتب، ومعنى التامة الكاملة التي لا يعتريها نقص ولا خفاء. قوله: [هدايتكم] قدره إشارة إلى أن مفعول شاء محذوف. قوله: ﴿لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي ولكنه لم يشأ ذلك فلم يحصل، ومحط التعليق على هداية الجميع، وأما هداية البعض فقد حصلت.

قوله: ﴿قُلْ هَلُمَّ﴾ فيها لغتان: لغة أهل الحجاز عدم إلحاقها شيئا من العلامات، فهي بلفظ واحد للمذكر والمؤنث والمثنى والمجموع والقرآن جاء عليها، وعلى ذلك فهي اسم فعل بمعنى احضروا، ولغة تميم وهي إلحاقها العلامات، فتقول هلموا وهلمي وهلما وهلمن، وعليها فهي فعل أمر، وهذا الأمر لمزيد التبكيت لهم، وإقامة الحجة عليهم. قوله: [فَإِن شَهِدُواْ] أي بعد مجيئهم وحضورهم. قوله: ﴿فَلاَ تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ أي لا تصدقهم ولا تمل لقولهم، وهذا خطاب له والمراد غيره لاستحالته عليه. قوله: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾ معطوف على قوله: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُواْ﴾. قوله: ﴿وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ الجملة حالية ومعنى يعدلون يسوون به غيره، والمعنى لاتتبع الذين يجمعون بين التكذيب بآيات الله، وبين الكفر بالآخرة، وبين الإشراك بالله في أهوائهم.

قوله: ﴿قل تعالوا﴾ لما أقام الله سبحانه وتعالى الحجة على الكفار، بأنه لا تحليل ولا تحريم إلا بما أحله الله أو حرمه كأنه سئل و قال: وما الذي حرمه وأحله؟ فقال سبحانه: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ﴾ الخ، وتعالوا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، وهو في الأصل موضوع لطلب ارتفاع من مكان سافل إلى

---

(١) انظر: ابن عقيل، مصدر سابق، باب عطف النسق، ج٣ ص٢٣٦.

مكان عال، ثم استعمل في الإقبال والحضور مطلقا، وآثرها إشارة إلى أنهم في أسفل الدركات، وهو يطلبهم للرفع والعلو من أخس الأوصاف إلى أكملها وأعلاها، كأنه قال أقبلوا إلى المعالي، لأن من سمع أحكام الله وقبلها بنصح، كان في أعلى المراتب. قوله: ﴿أَتْلُ﴾ جواب الأمر مجزوم بحذف الواو، والضمة دليل عليها، وقيل جواب الشرط محذوف تقديره إن تأتوا أتل، أي اقرأ ما حرم الله عليكم. قوله: ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ ما اسم موصول، وحرم صلته، والعائد محذوف، وربكم فاعل حرم، قوله: ﴿عَلَيْكُمْ﴾ تنازعه كل من أتل وحرم، أعمل الثاني، وأضمر في الأول وحذف لأنه فضلة. وحاصل ما ذكر في هاتين الآيتين عشرة أشياء: خمسة بصيغ النهي، وخمسة بصيغ الأمر، وقدم المنهي عنه لأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، ولأن المنهي عنه مأمور باجتنابه مطلقا، والمأمور به على حسب الاستطاعة لما في الحديث: "ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فاتوا منه ما استطعتم".[(١)] ووسط بينهما الأمر ببر الوالدين اعتناء بشأنه، لكونه أعظم الواجبات بعد التوحيد، وهذه العشرة لا تختلف باختلاف الأمم والأعصار، بل أجمع عليها جميع أهل الأديان، قال ابن عباس: هذه آيات محكمات، لم ينسخهن شيء في جميع الكتب ، وهن محرمات على بني آدم كلهم، وهن أم الكتاب، من عمل بهن دخل الجنة، ومن تركهن دخل النار.[(٢)] قوله: [أن] [مفسرة] أي وضابطها موجود، وهو أن يتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه، واستشكل بأن هذا يقتضي أن جميع ما يأتي محرم، مع أن بعضه مأمور بفعله على سبيل الوجوب. أجيب بأجوبة منها: أن التحريم في النهي عنه ظاهر وفي المأمور به باعتبار أضدادها، فالمعنى حرم فعلا وهي المنهيات، أو تركا وهي المأمورات، ومنها أن في الكلام حذف الواو مع ما عطفت،

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، برقم ٤٣٥٥، ج٥ ص٣٤١.

(٢) وذكر بعض المفسرين أن الأحكام التي تضمنتها هذه الجمل المتعاطفة في الآيات الثلاث المفتتحة بقوله : ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم﴾ إلى ثلاثة أقسام :

الأول : أحكام بها إصلاح الحالة الاجتماعية العامة بين الناس وهو ما افتتح بقوله : ﴿ألا تشركوا به شيئا﴾.

الثاني : ما به حفظ نظام تعامل الناس بعضهم مع بعض وهو المفتتح بقوله : ﴿ولا تقربوا مال اليتيم﴾.

الثالث : أصل كلي جامع لجميع الهدى وهو اتباع طريق الإسلام والتحرز من الخروج عنه إلى سبل الضلال وهو المفتتح بقوله : ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه﴾.

وقد ذيل كل قسم من هذه الأقسام بالوصاية به بقوله : ﴿ذلكم وصاكم به﴾ ثلاث مرات. انظر: ابن عاشور: مصدر سابق، ج٨ ص١٥٦، وابن عطية، مصدر سابق، ج٢ ص٣٦٢.

والتقدير ما حرم ربكم عليكم وما أمركم به، ثم فرع بعد ذلك على المذكور والمحذوف، والأقرب الأول. قوله: ﴿أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً﴾ أي لا في الأقوال، ولا في الأفعال، ولا في الاعتقادات.[١] قوله: ﴿إِحْسَاناً﴾ مفعول مطلق لفعل محذوف قدره المفسر بقوله: [أحسنوا] والمراد بوالدين الأب والأم وإن عليا. قوله: [بالوأد] تقدم أنه الدفن بالحياة.[٢] قوله: ﴿مِّنْ إمْلاَقٍ﴾ يطلق بمعنى الفقر والإفلاس والإفساد، والمراد هنا الأول. قوله: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ هذا في معنى التعليل للنهي المتقدم، والمعنى لا تقتلوا أولادكم من أجل حصول فقر، لأن رزقكم ورزقهم علينا لا على غيرنا، وقال هنا ﴿مِّنْ إمْلاَقٍ﴾، وقال في الإسراء ﴿خَشْيَةَ إِمْلاقٍ﴾ [٣] لأن ما هنا في الفقر الحاصل بالفعل، وما في الإسراء في الفقر المتوقع، فهو خطاب للأغنياء، وقدم هنا خطاب الآباء، وهناك ضمير الأولاد تفننا، وقيل قدم هنا خطاب الآباء تعجيلا لبشارة الآباء الفقراء بانهم في ضمان الله، وقدم هنا ضمير الأولاد، لتطمئن الآباء بضماب رزق الأولاد، فهذه الآية تفيد النهي للآباء عن قتل الأولاد، وإن كانوا متلبسين بالفقر، والأخرى عن قتلهم وإن كانوا موسرين، ولكن يخافون وقوع الفقر. قوله: ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ﴾ هذا أعم مما قبله، لأن من جملة الفواحش قتل الأولاد. قوله: [أي علانيتها] أي كالقتل والزنى والسرقة وجميع المعاصي الظاهرية، وقوله: [وسرها] أي كالرياء والعجب والكبر والحسد وجميع المعاصي القلبية. قوله: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ﴾ عطف خاص على عام، ونكتته الاستثناء بعدة. قوله: ﴿إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ في محل نصب على الحال، أو صفة لمصدر محذوف، والتقدير ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا ملتبسين بالحق، أو قتلا ملتبسا بالحق، وهو استثناء مفرغ، أي لا تقتلوها في حال من الأحوال، إلا في حال ملابستكم بالحق.[٤] قوله: [كالقود] أي

---

(١) الشرك لغة: مأخوذ من المشاركة وهو ماكان اثنين فصاعداً ،ومنه الشريك.

وشرعاً:فهو أن تجعل لله نداً.وهذا تعريف نبوي للشرك وفي الحديث "أكبر الكبائر أن تجعل لله نداً وهو خلقك" وقال تعالى: ﴿فلا تجعلوا لله أندادا﴾ وقال -ﷺ- لمن قال ما شاء الله وشئت ﴿قال أجعلتني لله ندا﴾.

(٢) وهو من الكبائر العظام التي ذكرها الله سبحانه وتعالى، ولعظم أمره وشناعة وصفه وقبح منزله اختص بالذكر من بين الوقائع التي تسأل عنها يوم القيامة وقال جل جلاله: ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ ۞ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾ [سورة التكوير، الآية:٨-٩]

(٣) سورة الإسراء، الآية:: ٣١.

(٤) وهي الأسباب المعروفة في الشريعة التي ورد في حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلاَّ بِإِحْدَى ثَلاَثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالْمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ الْجَمَاعَةَ" أخرجه البخاري، انظر: البخاري مع الفتح، كتاب الديات، باب قوله تعالى: [أن النفس بالنفس].ج١٢ ص٢٠٩.

القصاص، وقوله: [واحد الردة] أي لما في الحديث: "من بدل دينه فاقتلوه".[1] وقوله: [ورجم المحصن] أي بشروطه، وهو وما قبله المذكورة في الفروع. قوله: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ﴾ مبتدأ وخبر، وقوله: [المذكور] إشارة إلى أن اسم الإشارة عائد على ما تقدم من الأمور، قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ختم هذه الآية بذلك، لأنها اشتملت على خمسة أشياء عظام، والوصية فيها أبلغ منها في غيرها، لعموم نفعها في الدين والدنيا، فختمها بالعقل الذي هو مناط التكليف.

قوله: [أي بالخصلة التي] [هِيَ أَحْسَنُ] أشار بذلك إلى أنه نعت لمصدر محذوف، والمعنى لا تقربوا مال اليتيم في حالة من الحالات، إلا في الحالة التي هي أحسن لليتيم. قوله: ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ غاية لما يفهم من النهي، كأنه قال: احفظوه إلى بلوغ أشده، فسلموه لهم حينئذ. قوله: [بأن يحتلم] هذا تفسير لبلوغ الأشد، باعتبار أول زمانه، وسيأتي في الأحقاف[2] تفسيره باعتبار آخره وهو ثلاث وثلاثين سنة، لأن الأشد هو قوة الإنسان وشدته ومبدؤه البلوغ، وينتهي لثلاث وثلاثين سنة.[3] قوله: ﴿بِالْقِسْطِ﴾ متعلق بمحذوف إما حال من فاعل ﴿وَأَوْفُواْ﴾، أو من مفعوله أي أوفوهما حال كونكم مقسطين، أو حال كونهما تامين. قوله [وترك البخس] أي النقص في الكيل أو الوزن. قوله: [فلا مواخذة عليه] أي لا إثم، ولكنه يضمن ما أخطأ فيه، لأن العمد والخطأ في أموال الناس سواء.

قوله: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾ المراد بالقول ما يعم الفعل، وقوله: ﴿فَاعْدِلُواْ﴾ [بالصدق] أي لا تتركوه في القول ولا في الفعل، وإنما خص القول تنبيها بالأدنى على الأعلى. قوله: ﴿وَبِعَهْدِ اللّهِ﴾ إما مضاف لفاعله أي ما عهده إليكم، أو لمفعوله أي ما عاهدتم الله عليه. قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ختمها بذلك لأن هذه

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه من ؛يث أبي هريرة τ، انظر : صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب لا يعذب بعذاب الله، رقم٣٠١٦، ج٢ ص٣٦٢.

(٢) أي عند قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة الأحقاف، الآية:١٥].

(٣) اختلف المفسرون في تحديد سن بلوغ الرشد، وقال سعيد بن جبير أنها ثمان عشرة سنة، وقال السدي ثلاثون سنة، وقال عكرمة: خمس وعشرون سنة. انظر: تفسير ابن أبي حاتم الرازي، مصدر سابق، ج٤ ص١٤٢٠.

الأمور خفية غامضة، لا بد فيها من الإجتهاد والتذكر.[1] قوله: [والسكون] صوابه والتخفيف، إذ لم يقرأ بسكون الذال، فمن شدد قلب التاء ذالا وأدغمها في الأخرى، ومن خفف حذف إحدى التاءين. قوله: [بالفتح] أي مع التشديد أو التخفيف، وقوله: [والكسر] أي مع التشديد لا غير، فالقراءات[2] ثلاث وكلها سبعية. قوله: [على تقدير اللام] أي على كل من الوجهين، وحينئذ تكون الواو عاطفة من عطف العلة على المعلول، والتقدير كلفتم بهذا الذي وصاكم به من أول الربع إلى هنا، أو من أول السورة إلى هنا، لأن هذا صراطي. قوله: [استئنافا] أي واقعا في جواب سؤال مقدر، ومع ذلك فيها معنى التعليل، كأن قائلا قال: لأي شيء كلفنا بما تقدم؟ فقيل في الجواب: أن هذا صراطي مستقيما، ثم اعلم أنه على قراءة التشديد، فاسم الإشارة اسم أن وصراطي خبرها، وعلى قراءة التخفيف فاسمها ضمير الشأن، واسم الإشارة مبتدأ، وصراطي خبره، والجملة خبر إن، ومستقيما حال من صراطي على كل حال.

قوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا﴾ يصح أن يرجع اسم الإشارة إلى ما تقدم من أول الربع أو من أول السورة، قوله: ﴿صِرَاطِي مُسْتَقِيماً﴾ أي ديني لا اعوجاج فيه، فشبه الدين القويم بالصراط، بمعنى الطريق بجامع أن كلا يوصل للمقصود، واستعار اسم المشبه به للمشبه على طريق الإستعارة التصريحية الأصلية. قوله: ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ أي اسلكوه ولا تحودوا عنه فتقعوا في الهلاك، روى الدار قطني[3] عن ابن مسعود: خط لنا

---

(١) وذكر ابن عاشور حكمة أخري مفيدة في تذييل الله تعالى هذه الآية بقوله لعلكم تذكرون وقال: لأن هذه المطالب الأربعة عرف بين العرب أنها محامد ، فالأمر بها ، والتحريض عليها تذكير بما عرفوه في شأنها ولكنهم تناسوه بغلبة الهوى وغشاوة الشرك على قلوبهم. انظر: ابن عاشور، مصدر سابق، ج٨ ص١٧٠.

(٢) قرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم في رواية أبي بكر، وأبو جعفر، ويعقوب: [تذَّكرون] بتشديد الذال لإدغام التاء الثانية في الذال بعد قلبها، وقرأ حمزة، والكسائي، وعاصم في رواية حفص، وخلف بتخفيف الذال على حذف التاء الثانية تخفيفا. انظر: ابن مجاهد، مصدر سابق، ص٢٨٥.

(٣) أخرج هذا الحديث الحافظ أبو محمد الدارمي في سننه، باب كراهة أخذ الرأي من حديث عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه- ، انظر: الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، مسند الدارمي-سنن الدارمي- ط١، (الرياض: دار المغني، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) ج١ ص٢٨٤. وأخرجه ابن ماجه في سننه، وصححه الألباني وقال: (صحيح، وأخرجه البخاري ومسلم) انظر سنن ابن ماجه مع صحيح ابن ماجه لناصر الدين الألباني، ج٢ ص١٢١.

قلت: ولعل المصنف عزاه للدار قطني وهما لأن الحديث لم يخرجه الدار قطني في سننه.

رسول الله -ﷺ- يوما خطا ثم قال: هذا سبيل الله، ثم خط خطوطا عن يمينه وخطوطا عن شماله ثم قال: هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها، ثم قرأ هذه الآية، وفي رواية أنه خط خطا وخط خطين عن يمينه، وخط خطين عن شماله، ثم وضع يده في الخط الأوسط فقال: هذا سبيل الله ثم تلا هذه الآية. قوله: [الطرق المخالفة] أي الأديان المباينة له، فشبه الأديان الباطلة بالطرق المعوجة بجامع أن كلا يوصل صاحبه إلى المهالك،(1) واستعير اسم المشبه به للمشبه. قوله: ﴿فَتَفَرَّقَ﴾ بالنصب بأن في جواب النهي. قوله: ﴿ذَلِكُمْ﴾ أي ما مر من اتباع دينه وترك غيره من الأديان. قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي تمتثلون المأمورات، وتجتنبون المنهيات، وأتى بالتقوى هنا، لأن الصراط المستقيم جامع للتكاليف، وقد أمر باتباعه، ونهى عن طرق المعوجة، فناسب ذكر التقوى. قوله: [وثم لترتيب الأخبار] أي الترتيب في الذكر لا في الزمان، وهو جواب عما يقال إن إيتاء موسى الكتاب، كان قبل نزول القرآن، فكيف يعطف بثم المفيدة للترتيب والتراخي؟ وأجيب: أيضا بأن ثم لمجرد العطف كالواو، فلا ترتيب فيها ولا تراخي.

قوله:[تَمَاماً] مفعول لأجله، أي آتيناه الكتاب لأجل تمام النعمة الخ. قوله: [للنعمة] أي الدنيوية والأخروية. قوله: ﴿عَلَى الَّذِيَ أَحْسَنَ﴾ متعلق بتماما، ومعنى أحسن قام به الحسن وهو الصفات الجميلة، وقوله: [بالقيام به] سبب لكونه قام به الحسن، والمعنى تمام على المحسن منهم بسبب قيامه به، أي اتباعه له، وامتثاله مأموراته واجتنابه منهياته.(2) قوله: ﴿وَتَفْصِيلاً﴾ عطف على ﴿تَمَاماً﴾. قوله: [أي بني إسرائيل] أي المدلول عليهم بذكر موسى والكتاب. قوله: ﴿بِلِقَاء رَبِّهِمْ﴾ متعلق بيؤمنون، قدم عليه للفاصلة.

---

(١) قلت: إنما عبر بكونه سبيلا لأن السالكين اتخذوها سبيلا إلى الله والحقيقة أنها ليست بسبيل لانحرافها عن سبيل الله الموصل إلى رحمته عز وجل، ولذا فسر ابن عباس السبيل هنا بالضلالات كما أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم عنه قال: "ولا تتبعوا السبل" قال: الضلالات. انظر السيوطي في الدر. ج٧ ص٢٦٨.

(٢) وأفاد غيره بقوله: وجعل الرجاء للتقوى لأن هذه السبيل تحتوي على ترك المحرمات، وتزيد بما تحتوي عليه من فعل الصالحات، فإذا اتبعها السالك فقد صار من المتقين أي الذين اتصفوا بالتقوى بمعناها الشرعي كقوله تعالى : [هدى للمتقين] [سورة البقرة، الآية:٢]. انظر: ابن عاشور، مصدر سابق، ج٨ ص١٧٤-١٧٥.

قوله: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ﴾ مبتدأ وخبر، وجملة ﴿أَنزَلْنَاهُ﴾ نعت أول لكتاب، و﴿مُبَارَكٌ﴾ نعت ثان له، أي كثير الخبر والمنافع دينا ودنيا، والمعنى: هذا القرآن العظيم، كتاب أنزلناه من اللوح المحفوظ ليلة القدر إلى سماء الدنيا في بيت العزة، ثم نزل مفرقا على حسب الواقع، مبارك كثيرالخير والمنافع في الدنيا بالشفاء به، والأمن من الخسف والمسخ والضلال والآخرة، بتلقي السؤال عن صاحبه وشهادته له، وكونه ظلة على رأسه في حر الموقف، والرقى به إلى الدرجات العلا. قوله: [يا أهل مكة] قصر الخطاب عليهم لأنهم هم المعاندون في ذلك الوقت. قوله: [بالعمل بما فيه] بيان لأتباعه. قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي تصيبكم الرحمة في الدنيا والآخرة.

قوله: ﴿أَن تَقُولُواْ﴾ مفعول لأجله، والعامل محذوف قدره المفسر. بقوله: [أنزلناه]، ولا يصح أن يكون العامل أنزلناه المذكور، لأنه يلزم عليه الفصل بين العامل والمعمول بأجنبي، وهو لفظ مبارك، وقدر المفسر لا، لأن الإنزال علة لعدم القول لا للقول، وقال بعضهم: إن الكلام على حذف مضاف أي كراهة أن تقولوا وكل صحيح. قوله: ﴿إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ﴾ أي جنسه الصادق بالتوراة والإنجيل.[1] قوله: ﴿وَإِن﴾ [مخففة] أي من الثقيلة. قوله: [واسمها محذوف] الخفيه شيء، وذلك لأن إن المكسورة إذا خففت ودخلت على فعل ناسخ مثل كنا أهملت، فلا عمل لها، ووجب اقتران الخبر باللام، وذلك كما في هذه الآية. قوله: [قراءتهم] أي لكتبهم، والمعنى لا نفهم معانيها، لأنها بالعبرانية أو السريانية، ونحن عرب لا نفهم إلا اللغة العربية. قوله: ﴿لَغَافِلِينَ﴾ أي لا نعلمها، والمقصود قطع حجتهم وعذرهم بإنزال القرآن بلغتهم، والمعنى نزلنا القرآن بلغتهم، لئلا يقولوا يوم القيامة إن التوراة والإنجيل أنزلا على طائفتين من قبلنا بلغتهما فلم نفهم ما فيهما.

قوله: ﴿أَوْ تَقُولُواْ﴾ عطف على المنفي وهو قطع لعذرهم أيضا. قوله: ﴿لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾ أي إلى الحق والطريق المستقيم. قوله: ﴿فَقَدْ جَاءكُم بَيِّنَةٌ﴾ أي لا تعتذروا بذلك فقد جاءكم. قوله: [أي لا أحد] أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: [سُوءَ الْعَذَابِ] أي العذاب السيء بمعنى التشديد. قوله: [بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ] الباء سببية، وما مصدرية، أي بسبب إعراضهم وتكذيبهم بآيات الله.

---

(١) انظر الطبري، مصدر سابق، ج١٢ ص٢٣٨، والبغوي، مصدر سابق، ج٢ ص١٦٦.

قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ استفهام إنكاري بمعنى النفي، وهو مزيد تخويف وتحذير لمن بقي على الكفر. إن قلت: إن ظاهر الآية يقتضي أنهم مصدقون بهذه الأشياء حتى أثبت لهم انتظار أحدهما، أجيب بأن هذه الأشياء لما كانت محتمة، عوملوا معاملة المنتظر، ولم يعول على اعتقادهم، فالمعنى لا مفر لهم من ذلك. قوله: [ما ينتظر المكذبون] أي من أهل مكة وغيرهم. قوله: [بالتاء والياء] أي فهما قراءتان سبعيتان،(١) لأن جمع التكسير يجوز تأنيثه وتذكيره، تقول: قام الرجال، وقامت الرجال. قوله: ﴿الْمَلآئِكَةُ﴾ أي عزرائيل وأعوانه، أو ملآئكة العذاب، لما تقدم أن الكافر موكل بأخذ روحه سبع من ملائكة العذاب، قوله: [أي أمره] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، ودفع بذلك توهم حقيقة الإتيان، وهو الإنتقال من مكان إلى آخر، إذ هو مستحيل على الله.(٢) قوله: [بمعنى عذابه] أي المعجل لهم، إما بالسيف أو غيره. قوله: [الدالة على الساعة] أي على قربها، والعلامات الكبرى عشرون وهي : الدجال، والدابة، وخسف بالمشرق، وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، والدخان، وطلوع الشمس من مغربها، ويأجوج ومأجوج، ونزول عيسى، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر.(٣) قوله:

---

(١) قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر [تأتيهم الملئكة] بالتاء وقرأ حمزة والكسائى [يأتيهم بالياء]. انظر: ابن مجاهد، مصدر سابق، ص٢٧٩.

(٢) وكيف يستحيل وقد قال ذلك في غير موضع من القرآن، ولو كان مستحيلا لاستعمل عبارة غيرها، قال قال الشنقيطي رحمه الله: " ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة إتيان الله جل وعلا وملائكته يوم القيامة ، وذكر ذلك في موضع آخر ، وزاد فيه أن الملائكة يجيئون صفوفاً وهو قوله تعالى: ﴿وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾ [سورة الفجر، الآية:٢٢]، وذكره في موضع آخر، وزاد فيه أنه جل وعلا يأتي في ظلل من الغمام وهو قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأمُورُ﴾ [بسورة البقرة، الآية: ٢١٠] ، ومثل هذا من صفات الله تعالى التي وصف بها نفسه يُمَرُّ كما جاء ويؤمن بها ، ويعتقد أنه حق ، وأنه لا يشبه شيئاً من صفات المخلوقين ، فسبحان من أحاط بكل شيء علماً: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾ [سورة طه، الآية:١١٠]. انظر: الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، د.ط، (جدة: در عالم الفوائد) ج٢ ص٧٩.

وقال السعدي: ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ لفصل القضاء بين العباد، ومجازاة المحسنين والمسيئين، [أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ] الدالة على قرب الساعة ". انظر: السعدي، مصدر سابق، ص٢٨١.

(٣) كما جاء في حديث صحيح عند ابن ماجه وغيره من حديث حذيفة بن أسيد أبي سريحة قال اطلع رسول الله صلى الله عليه و سلم من غرفة ونحن نتذاكر الساعة فقال: "لا تقوم الساعة حتى تكون عشر آيات طلوع الشمس من مغربها، والدجال، والدخان، والدابة، ويأجوج ومأجوج، وخروج عيسى بن مريم عليه السلام، وثلاث خسوف وخسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة

﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ يوم معمول لينفع على الصحيح من أن ما بعد لا يعمل فيما قبلها. قوله: [وهو طلوع الشمس من مغربها] ورد[1] أن رسول الله -ﷺ- قال يوما: أتدرون أين تذهب هذه الشمس إذا غربت؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إنها تذهب إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة، فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي فارجعي من حيث جئت، فتصبح طالعة من مطلعها، وهكذا كل يوم، لإإذا أراد الله أن يطلعها من مغربها حبسها، فتقول يا رب إن مسيري بعيد، فيقول لها اطلعي من حيث غربت، فقال الناس: يا رسول الله هل لذلك من آية؟ فقال : آية تلك الليلة أن تطول قدر ثلاث ليال، فيستيقظ الذين يخشون ربهم، فيصلون ثم يقضوزن صلاتهم، والليل مكانه لم ينقض، ثم يأتون مضاجعهم فينامون، حتى إذا استيقظوا والليل مكانه خافوا أن يكون ذلك بين يدي أمر عظيم، فإذا أصبحوا أطال عليهم طلوع الشمس، فبينماهم ينتظرونها، إذا طلعت عليهم من قبل المغرب. قوله: [كما في حديث الصحيحين] أي وهي كما في البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -ﷺ-: " لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها"[2]

وروي أن أول الآيات ظهور الدجال،[3] ثم نزول عيسى، ثم خروج يأجوج ومأجوج، ثم خروج الدابة، ثم طلوع الشمس من مغربها، وهو أول الآيات العظام المؤذنة بتغيير أحوال العالم العلوي، وذلك أن الكفار

العرب، ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر، تبيت معهم إذا باتوا، وتقيل معهم إذا قالوا". انظر سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب الآيات، ج٢ ص١٣٤٧.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه، كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، برقم٢٥٠، ج١ ص١٣٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير - سورة الأنعام، باب قوله تعالى: ﴿ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ [سورة الأنعام، الآية:١٥٨]، حديث رقم٤٣٥٩، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل الله فيه الإيمان، حديث ٢٤٨ – (١٥٧) .

(٣) وهذه الرواية مخالفة ومرجوحة لمخالفتها مع ما صح في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا لم أنسه بعد، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها . . ." الحديث، انظر: مسلم في صحيحه، : كتاب الفتن وأشراط الساعة، ج٤ ص٢٢٦٠.

و قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : " الذي يترجح من مجموع الأخبار أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض ، وينتهي ذلك بموت عيسى ابن مريم ، وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة

يسلمون في زمن عيسى، فإذا قبض ومن معه من المسلمين، رجع أكثرهم إلى الكفر، فعند ذلك تطلع الشمس من مغربها.

قوله: ﴿لاَ يَنفَعُ نَفْساً﴾ أي كافرة أو مؤمنة عاصية، ويكون قوله: ﴿لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ﴾ راجعا للأولى، وقوله: ﴿أَوْ كَسَبَتْ﴾ راجيا للثانية، ويكون التقدير لا ينفع نفسا كافرة لم تكن آمنت من قبل إيمانها الآن، ولا ينفع نفسا مؤمنة توبتها من المعاصي،[١] فقوله: ﴿أَوْ كَسَبَتْ﴾ معطوف على ﴿لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ﴾، فحينئذ فيكون في الكلام حذف قد علمته. قوله: [الجملة صفة نفس] أي جملة لم تكن آمنت من قبل، وجاز الفصل بين الصفة والموصوف لأنه بالفاعل وهو ليس بأجنبي. قوله: [أو] [نفسا لم تكن] ﴿كَسَبَتْ﴾ أشار بذلك إلى أن المعطوف في الحقيقة محذوف هو معطوف على المنفي. قوله: [كما في الحديث] روى[٢] عن صفوان بن عسال المرادي قال : قال رسول الله -ﷺ-: "باب من قبل المغرب، مسيرة عرضه أربعون أو سبعون سنة، خلقه الله سبحانه يوم خلق السماوات والأرض مفتوحا للتوبة، لا يغلق حتى تطلع الشمس منه". وورد[٣] "أن من الأشراط العظام، طلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض ، وهذان أيهما سبق الآخر، فالآخر على أثره" . وورد" صبيحة تطلع الشمس من مغربها، يصير في هذه الأمة قردة وخنازير، وتطوى الدواوين، وتجف الأقلام، لا يزاد في حسنة، ولا ينقص

بتغير أحوال العالم العلوي ، وينتهي ذلك بقيام الساعة ، ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب ". انظر: ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، د.ط، (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ) ج١١ ص٣٥٣.

(١) ورجح أبو جعفر الطبري على أنها مشرك لا يؤمن بالله قال: "يوم يأتي بعض آيات ربك"، لا ينفع من كان قبل ذلك مشركًا بالله، أن يؤمن بعد مجيء تلك الآية. انظر: الطبري، مصدر سابق، ج١٢ ص٢٤٥.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ج٤ ص٢٤٠، والترمذي في سننه : كتاب الدعوات، ج٥ ص٥٤٦، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وأخرجه ابن ماجه في سننه : كتاب الفتن، ج٢ ص١٣٥٣، والطبراني في معجمه الكبير، ج٨ ص٦٧، وقال الألباني : حديث حسن . صحيح الجامع، ج٢ ص٤٤٣.

(٣) انظر: ابن ماجه في سننه : كتاب الفتن، ج٢ ص١٣٦١، والحاكم، مصدر سابق، ج٤ ص٤٣٦. وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

من سيئة، ولا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيرا". وورد[1] "لا تزال الشمس تجري من مطلعها إلى مغربها، حتى يأتي وقت الذي جعله الله غاية لتوبة عباده، فتستأذن الشمس من أين تطلع، ويستأذن القمر من أين يطلع، فلا يؤذن لهما، فيحبسان مقدار ثلاث ليال للشمس ، وليلتين للقمر، فلا يعرف مقدار حبسهما إلا قليل من الناس، وهم أهل الأوراد وحملة القرآن، فينادي بعضهم بعضا، فيجتمعون في مساجدهم بالتضرع والبكاء والصراخ بقية تلك الليلة، ثم يرسل الله جبريل إلى الشمس والقمر، فيقول إن الرب تعالى يأمركما أن ترجعا إلى مغاربكما فتطلعا منه لا ضوء لكما عندنا ولا نور، فتبكي الشمس والقمر من خوف يوم القيامة وخوف الموت، فترجع الشمس والقمر فيطلعان منم مغربهما، فبينما النس كذلك يتضرعون إلى الله، والغافلون في غفلاتهم، إذ نادى منادي : ألا إن باب التوبة قد أغلق، والشمس والقمر قد طلعا من مغاربهما فينظر الناس وإذا بهما أسودين كالعكمين، أي كالغرارتين العظيمتين، لا ضوء لهما ولا نور، فذلك قوله: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾[2] فيرتفعان مثل البعيرين المقرنين، ينازع كل منهما صاحبه استباقا، ويتصايح أهل الدنيا، وتذهل الأمهات أن أولادها، وتضع كل ذات حمل حملها، فأما الصالحون والأبرار، فإنهم ينفعهم بكاؤهم يومئذ، ويكتب عليهم حسرة، فإذا بلغت الشمس والقمر وسط السماء، جاءهمل جبريل فأخذ بقرونهما فردهما إلى المغرب، فيغربهما في باب التوبة ثم يرد المصارعين فيلتئم ما بينهما وتصيران كأنهما لم تكن فيهما صدع ولا خلل، فإذا أغلق باب التوبة، لم يقبل لعبد بعد ذلك توبة، ولا تنفعه حسنة يعملها بعد ذلك إلا ما كان قبل ذلك، فإنهم يجري لهم" . وورد:[3] " أن الدنيا تمكث بعد طلوع الشمس من مغربها مائة وعشرين سنة، يتمتع المؤمنون فيها أربعين سنة، لا يتمنون شيئا إلا أعطوه، ثم يعود فيهم الموت ويسرع، فلا يبقى مؤمن، ويبقى الكفار يتهارجون في الطرق كالبهائم، حتى ينكح الرجل المرأة في وسط الطريق،

---

(١) أخرجه الطبري في التاريخ' والحديث حسن لغيره. انظر: الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ) ج١ ص٣٧.

(٢) سورة القيامة، الآية:٩.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الفتن وأشراط الساعة، ج٤ ص٢٢٥، قلت : والذي أراه أن المصنف ذكر هنا كثيرا من بعض ألفاظ الحديث بالمعنى لا كما هي في نص الحديث.

فيكونون على مثل ذلك، حتى لا يولد لأحد من نكاح، ثم يعقم الله النساء ثلاثين سنة، ويكون كلهم أولاد زنى، شرار الناس عليهم تقوم الساعة".

قوله: ﴿قُلِ انتَظِرُواْ﴾ أمر تهديد على حد اعملوا ما شئتم.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾ الأقرب كما قال المفسر، أنها نزلت في اليهود والنصارى[١] لما ورد:[٢] قام فينا رسول الله -ﷺ- فقال: "ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين، اثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة وهي الجماعة". وفي رواية[٣] "من كان على ما أنا عليه وأصحابي". قوله: [فأخذوا بعضه] أي كما حكاه الله عنهم بقوله في سورة النساء ﴿وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾[٤]. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية[٥] أيضا. قوله: ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ أي لست مأمورا بقتالهم، وهذا ما مشى عليه المفسر من أنها منسوخة، وقيل إنها محكمة،[٦] والمعنى أنت بريء منهم ومن أفعالهم، لقطع نسبهم منك بكفرهم. قوله: [فيجازيهم به] أي بفعلهم. قوله: [وهذا] أي قوله: ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾.

---

(١) اختلف العلماء في قصد الآية هل المراد المشركون أو اليهود والنصارى أو الأمة المحمدية، وسبب اختلافهم راجع إلى اختلاف القراء في لفظ [فرقوادينهم] قرأ حمزة والكسائي [فارقوا]، وقرأ الباقون [فرَّقوا]، [انظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري ج٢ ص٢٠٠، وحجة القراءات لابن زنجلة ص ٢٧٨] ، ومعنى فارقوا من المفارقة وهي الترك وذلك لمن آمن ببعض وترك البعض فقد ترك الدين القيم ، أو فاعل بمعنى فعل من التفرق والتجزئة أي آمنوا ببعضه كما قال تعالى في نفس السورة، ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً﴾ [سورة الأنعام، الآية:٩١] فإن المشركين كانوا يدعون أنهم على دين إبراهيم وقد هجروا منه وزادوا فيه الكثير والكثير، وخالف هذا الرأي ابن جرير الطبري، وزاد مؤيدا ما ذهب إليه بعدما أورد الخلاف: وكل من ابتدع وجاء بما لم يأمر الله عز وجل به فقد فرق دينه. وروي أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ هم أهل البدع والشبهات، وأهل الضلالة من هذه الأمة. انظر: الطبري، في تفسيره، ج٧ ص١٤٩.

(٢) أخرجه الدارمي في سننه، ج٢ ص٣١٤ برقم٢٥١٨.

(٣) وهي عند الترمذي، انظر: الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، **الجامع الصحيح سنن الترمذي**، ط١، (بيروت : دار إحياء التراث العربي، د.ت.ط)، ج٥ ٢٦.

(٤) سورة النساء، الآية:١٥٠.

(٥) أي قرائتا القراء في قوله [فرقوا] كما سبق قريبا، انظر ابن مجاهد، مصدر سابق، ص٢٧٤.

(٦) انظر: السيوطي في الدر، ج٦ ص٢٩٤، وابن أبي حاتم، مصدر سابق، ج٥ ص١٤٣٠.

قوله: ﴿مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ﴾ أي يوم القيامة. قوله: ﴿فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ هذا إخبار بأقل المضاعفة، وإلا فقد جاء مضاعفة الحسنة بسبعين وسبعمائة وبغير حساب،[1] واعلم أن المضاغفة تابعة للإخلاص، فكل من عظم إخلاصه، كانت مضاعفة حسناته أكثر، ومن هنا قوله عيه الصلاة والسلام "الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضا من بعدي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه"[2]. وفسر الحسنة بلا إله إلا الله، وهوأحد تفسيرين، والآخر أن المراد بها كل ما أمر الله به، فيشمل الذكر والصلاة والصدقة، وغير ذلك من أنواع البر، وهو الأولى، لأنه أراد خصوص ما ينجي من الشرك، فذلك جزاؤه دخول الجنة، وإن أراد الذكر بها فلا مفهوم لها، لأن العبرة بعموم اللفظ، وأفرد في الحسنة والسيئة، لأنه لو جمع لربما توهم أن الجزاء إجمالي، بحيث يعطي في نظير حسناته كلها عشرة أمثالها، بل الجزاء لكل فرد من أفراد الحسنات والسيئات، لأن الحسنات تتفاوت، فربما جوزي على بعضها عشرا وعلى بعضها أكثر.

قوله: ﴿أَمْثَالِهَا﴾ جمع مثل إن قلت: إنه مذكر، فكان مقتضاه تأنيث العدد، قال ابن مالك:

ثلاثة بالتاء قل للعشرة ❁❁ في عد ما آحاده مذكرة

---

(١) وهو عند الصحيحين من حديث ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ-، فيما يروي عن ربه عز وجل، قال: "قال إن اللهَ كتب الحسناتِ وَالسيئاتِ، ثم بين ذَلك، فمن هَم بحسنة فلم يعملها كتبها اللهُ له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بِها فعملها كتبها اللهُ له عنده عشر حَسَنات، إلى سَبْعِمائَةِ ضِعف، إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة فلم يعملها، كتبها اللهُ له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بِها فعملها كتبها اللهُ له سيئة واحدة". انظر: صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب من هم بحسنة أو بسيئة. ج٤ ص١٨٩ برقم ٦١٢٦، وصحيح مسلم، كتاب المقدمة، باب إِذَا هَمَّ الْعَبْدُ بِحَسَنَةٍ كُتِبَتْ وَإِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ لَمْ تُكْتَبْ، ج١ ص٨٣ برقم٣٥٥.

(٢) قلت: أرى أن المصنف هنا خلط بين حديثين، الأول حديث عبد الله بن المغفل المزني قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: " اللَّهَ اللَّهَ فِي أَصْحَابِي، اللَّهَ اللَّهَ فِي أَصْحَابِي" والثاني من حديث أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه- قال : قال رسول الله -ﷺ-: " فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لو أنفق أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ". [انظر : سنن أبي داود، كتاب السنة، باب فِي النَّهْيِ عَنْ سَبِّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-، ج٤ ص٤٣٦ برقم ٤٦٦٠]، والأول عند الترمذي وصححه الألباني، وتمامه: " لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ ". [انظر: سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب فِيمَنْ سَبَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ -ﷺ-. ج١٤ ص١٧ برقم ٤٢٣٦].

في الضد جرد........الخ[1]

وأجيب بأنه جرد التاء مراعاة لإضافة مثل لضمير الحسنة، فكأنه اكتسب التأنيث من المضاف إليه، أو يقال إن أمثال صفة لموصوف محذوف تقديره عشر حسنات أمثالها، فجرد العدد من التاء مرعاة لمصوف المحذوف، وإلى هذا الثاني أشار المفسر بقوله: [أي جزاء عشر حسنات]. قوله: ﴿وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ﴾ أي الشرك على ما قال المفسر، حيث فسر الحسنة بلا إله إلا الله،[2] أو ما هو أعم وهو الأولى. قوله: ﴿فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا﴾ أي إن مات غير تائب وجوزي، وإلا فامره مفوض لربه، فإن شاء عذبه، وإن شاء عفا عنه،[3] وأما إن مات تائبا فلا سيئة له، لأنه من المحبوبين لله والمحبوب لا سيئة له، قال تعالى: قوله: ﴿إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾[4]، وقال عليه الصلاة والسلام: "التائب من الذنب كمن لا ذنب له"[5].

قوله: ﴿وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ أي العاملون بالحسنات والسيئات. قوله: [ينقصون من جزائهم] هذا بالنظر لجزاء الحسنات، أي ولا يزاد في سيئات أهل العقاب، فالظلم نقص المحسن والزيادة في المسيء، وتسميته ظلما تنزل منه سبحانه وتعالى، وإلا فالظلم التصرف في ملك الغير، ولا ملك لأحد منه تبارك وتعالى، وأما الزيادة في الحسنات فليس بظلم، بل هو تفضل منه وإحسان، واعلم: أن الحسنة تتفاوت، والسيئة كذلك، فليس من تصدق بدرهم كمن تصدق بدينار وهكذا، وليس من فعل صغيرة كمن فعل كبيرة وهكذا، فعشرة أمثال الحسنة من شكلها، ومثل السيئة من شكلها، واعلم أيضا: أن هذا الجزاء لمن فعل الحسنة والسيئة، وأما من هم بحسنة ولم يعملها، كتبت له حسنة واحدة، ومن هم بسيئة ولم يعملها، فإن تركها خوف الله كتبت حسنة، وإن تركها لا لذلك، لم تكتب سيئا، لما في الحديث: "قال الله تعالى: إذا تحدث عبدي بحسنة ولم يعملها، فأنا أكتبها له حسنة حتى يعملها، فإن عملها، فأنا أكتبها له بعشر

---

(١) انظر: ابن عقيل، مصدر سابق، ج٤ ص٦٧.

(٢) قلت: هو كما فسر أبو صالح، انظر: الطبري، مصدر سابق، ج١٢ ص٢٧٨.

(٣) وعليه مذهب أهل السنة والجماعة، انظر: : محمد بن عبد الرحمن الخميس، **اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث**، ط١، (الياض: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ١٤١٩هـ) ص٨٧.

(٤) سورة البقرة، الآية:٢٢٢.

(٥) أخرجه ابن ماجه، في سننه، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، ج٢ ص١٤٢٠.

حسنات، وإذا تحدث عبدي بسيئة ولم يعملها، فأنا أغفرها له حتى يعملها، فإن عملها فأنا أكتبها له بمثلها"[1].

قوله: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي﴾ إن حرف توكيد ونصب، والياء اسمها، وجملة هداني ربي خبرها، وهدى فعل ماض، والياء مفعول أول، و﴿إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ مفعول ثان، و﴿رَبِّي﴾ فاعل، والمعنى: قل يا محمد لكفار مكة، إنني أرشدني ربي ووصلني إلى دين مستقيم لا اعوجاج فيه. قوله: [ويبدل من محله] أي محل: إلى صراط مستقيم، وهو النصب، لأنه المفعول الثاني. قوله:﴿مُسْتَقِيما﴾ نعت لدينا، أي لا اعوجاج فيه. قوله: [مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ[2]] بدل [دِيناً] أي دينه وشريعته وما أوحي به إليه. قوله: [حَنِيفاً] حال من إبراهيم، أي مائلا عن الضلال إلى الإستقامة. قوله: [وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ] عطف حال على أخرى، وفيه تعريض بخروج جميع من خالف دين الإسلام عن إبراهيم.

قوله: [عبادتي] أشار بذلك إلى أن قوله: [وَنُسُكِي][3] عطف عام على خاص. قوله: [وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي] قرأ نافع بسكون ياء محياي وفتح ياء مماتي، والباقون بالعكس. قوله: [لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ] الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر إن، ولكن يقدر بالنسبة للعبادة خالصة، وبالنسبة للحياة والموت مخلوقة. قوله: [في ذلك] أي الصلاة والنسك والمحيا والممات. قوله: [وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ] أي المنقادين لله، واستشكل بأنه تقدمه الأنبياء وأممهم، وأجاب المفسر بأن الأولية بالنسبة لأمته[4]. وأجيب أيضا بأن الأولية بالنسبة لعالم الذر فهي حقيقة.

---

(١) متفق عليه. انظر: الحميدي، محمد بن فتوح، **الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم**، ط٢، (بيروت: دار ابن حزم ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م)، ج٣ ص١٦٢.

(٢) وقدر بعض المفسرين قولهم اتبع، أي اتبع ملة إبراهيم حنيفا. انظر: الطبري، مصدر سابق، ج١٢ ص٢٨١، والقرطبي، مصدر سابق، ج٨ ص١٥٢.

(٣) وخصص من ذلك أشرف العبادات الصلاة والنسك فقال: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وذلك لشرف هاتين العبادتين وفضلهما ، ودلالتهما على محبة الله تعالى ، وإخلاص الدين له ، والتقرب إليه بالقلب واللسان والجوارح ، وبالذبح الذي هو بذل ما تحبه النفس من المال ، لما هو أحب إليها وهو الله تعالى ، ومن أخلص في صلاته ونسكه ، استلزم ذلك إخلاصه لله في سائر أعماله. انظر: السعدي، مصدر سابق، ص ٢٨٢ بتصرف.

(٤) أي هو أول المسلمين من هذه الأمة، وبه يقول قتادة. انظر: الطبري، مصدر سابق، ج١٢ ص٢٨٣، والبغوي، مصدر سابق، ج٣ ص٢١١.

قوله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ﴾ نزلت لما قال الكفار: يا محمد ارجع إلى ديننا،[1] وغير منصوب بأبغي، و﴿رَبّاً﴾ تمييز، وقوله: [إلها] تفسير لربا. قوله: ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ الجملة حالية، والمعنى لا يليق أن أتخذ إلها غير الله، والحال أنه مالك كل شيء. قوله: ﴿وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا﴾ رد لقولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم، أي يكتب علينا ما عملتم من الخطايا. قوله: ﴿إِلاَّ عَلَيْهَا﴾ أي إلا في حال كونه مكتوبا عليها لا على غيرها. قوله: ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ﴾ أي ولا غير وازرة، وإنما قيد بالوازرة موافقة لسبب النزول، وهو أن الوليد بن المغيرة كان يقول للمؤمنين: اتبعوا سبيلي أحمل عليكم أوزاركم،[2] وهو وازر.

قوله: ﴿وِزْرَ أُخْرَى﴾ إن قلت: كيف هذا مع قوله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾[3]، وقوله ﷺ: "من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة"[4] ؟ أجيب بأن ما هنا محمول على من تسبب فيه، فعليه وزر المباشرة، ووزر التسبب، ووزر الفاعل لا يفارقه. قوله: ﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾ أي يخبركم ويعلكم. قوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ أي من الأديان والملل. قوله: [أي يخلف بعضكم بعضا فيها] أشار بذلك إلى أن إضافة خلائف للأرض على معنى في.

قوله: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ﴾ أي خالف بين أحوالكم، حيث جعل منكم الحسن والقبيح، والغني والفقير، والعالم والجاهل، والقوي والضعيف، ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ وليس عجزا عن مساواتكم، فإنه منزه عنه سبحانه. قوله: [ليختبركم] أي يعاملكم معاملة المختبر، وإلا فلا يخفى عليه شيء. قوله: [أي أعطاكم إياه] أي من الغنى والفقر، ليتبين الصابر والشاكر من غيرها. قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ إن قلت: إن الله حليم لا يعجل بالعقوبة على من عصاه، فكيف وصف بكونه سريع العقاب؟ أجيب: بأن كل آت قريب، أو المعنى سريع العقاب إذا جاء وقته، وأكد الجملة الثانية باللام، وفي الأعراف الجملتين، لأن الوعيد المتقدم هنا، أخف بالوعيد المتقدم هناك، فالوعيد هنا هو قوله: ﴿وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا﴾، وأما في الأعراف فهو قوله: ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ

---

(١) انظر: البغوي، مصدر سابق، ج٣ ص٢١٢.

(٢) انظر: أبا حيان، مصدر سابق، ج٤ ص٧٢٣.

(٣) سورة العنكبوت، الآية:١٣.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم ، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، برقم٤٧٣٦، ج١٦ ص٢٢٦.

بَئِيسٍ﴾[1]، وقوله: ﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾[2]، فالمقام هنا لغلبة الرحمة، فلذلك أكدت دون العقاب، وأما هناك فالمقام لهما، فلذاك تأكدا معا. قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ جعل خبر إن في هذه الآية من الصفات الذاتية الواردة على بناء المبالغة، وأكده باللام، وجعل خبر إن السابقة، صفة جارية على غير من هي له، للتنبيه على أنه تعالى غفور رحيم بالذات مبالغ فيهما، ومعاقب بالعرض، مسامح في العقوبة، ومعنى بالذات مغفرته ورحمته لا تتوقف على تأهل من العبد، ومعنى بالعرض أن عقابه لا يكون إلا بعد صدور ذنب فتأمل.

❁❁❁❁❁

---

(١) سورة الأعراف، الآية:١٦٥.

(٢) سورة البقرة، الآية:٦٥.

الفصل الثاني: سورة الأعراف

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأعراف مكية[1]

سميت بذلك لذكر أهل الأعراف فيها من باب تسمية الشيء بجزئه. قوله: [مكية] تقدم أن المكي ما نزل قبل الهجرة وإن بأرض المدينة.[2] قوله: [الثمان] أي ومنتهاها ﴿إنا لا نضيع أجر المصلحين﴾، وقوله: [أو الخمس][3] أي ومنتهاها ﴿وإنه لغفور رحيم﴾.[4] قوله: [الله أعلم بمراده بذلك] هذا أحد أقوال[5] تقدم جملة منها،

---

(١) سُميت هذه السورة بسورة الأعراف لورود ذكر اسم الأعراف فيها كما أشار إليه المصنف، والأعراف سور مضروب بين الجنة والنار يحول بين أهلهما، روى ابن جرير عن حذيفة أنه سئل عن أصحاب الأعراف فقال: هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فقعدت بهم سيئاتهم عن دخول الجنة وتخلفت بهم حسناتهم عن دخول النار فوقفوا هنالك على السور حتى يقضي الله بينهم. [انظر: الطبري، مصدر سابق، ج١٢ ص٤٥١].

سورة الأعراف مكية ماعدا الآيات التي تبدأ من ١٦٣ إلى ١٧٠ فمدنية وهي من سورة الطول، عدد آياتها ٢٠٦ آية، وهي السورة السابعة في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة ص. [انظر: الطبري، مصدر سابق، ج١٢ ص٢٩١، والقرطبي، مصدر سابق، ج٧ ص١٦٠، والخازن، مصدر سابق، ج٢ ص١٧٢، والبغوي، مصدر سابق، ج٣ ص٢١٣].

وأما محور مواضيعها: فهي أول سورة عرضت للتفصيل في قصص الأنبياء ومهمتها كمهمة السورة المكية، تقرير أصول الدعوة الإسلامية من توحيد الله جل وعلا وتقرير البعث والجزاء وتقرير الوحي والرسالة.

(٢) قلت: وهو المشهور: أن المكي ما نزل قبل هجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وإن كان نزوله بغير مكة والمدني ما نزل بعد هذه الهجرة وإن كان نزوله بمكة. انظر: الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط٣، (مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ت.ط)، ج١ ص٢١٩.

(٣) انظر: البغوي، مصدر سابق، ج٣ ص٢١٣.

(٤) أي أن السورة مكية كلها ماعدا ثمان آيات تبدأ من قوله تعالى: ﴿وسئلهم عن القرية...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إنا لا نضيع أجر المصلحين﴾، هذا على قول، والقول الآخر: أن السورة كلها مكية ماعدا خمس آيات، تبدأ من قوله تعالى: ﴿وسئلهم عن القرية﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وإنه لغفور رحيم﴾.

(٥) قلت: وقد ذكر العلماء فيه تسعة أقوال: الأولى: قيل: إنا الله أُفَضِّل، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، والثانية: أنه حرف هجاء من المصور، قاله السدي، والثالثة: أنه اسم السورة من أسماء القرآن، قاله قتادة، والرابعة: أنه اسم السورة مفتاح لها، قاله الحسن، والخامسة: أنه اختصار من كلام يفهمه النبي -ﷺ-، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً، والسادسة: هي حروف هجاء مقطعة نبه بها على إعجاز القرآن، والسابعة: هي من حساب الجمل المعدود استأثر الله بعلمه، ذكره البغوي في تفسيره، مصدر سابق، ج١ ص٥٩.

وقد ذكر هذا القول في الخازن[1] بقوله: هي حروف مقطعة استأثر الله بعلمها، وهي سره في كتابه العزيز. قوله: [هذا] ﴿كتاب﴾ قدره إشارة إلى أن كتاب خبر لمحذوف، واسم الإشارة عائد إلى القرآن بمعنى القدر الذي نزل منه، وجملة ﴿أنزل إليك﴾ نعت لكتاب قصد به تشريف النازل والمنزل عليه. قوله: ﴿فلا يكن في صدرك حرج منه﴾ لا ناهية، و﴿يكن﴾ مجزوم بها، و﴿في صدرك﴾ خبرها مقدم، و﴿حرج﴾ اسمها مؤخر، و﴿منه﴾ صفة لحرج، وهو نهي عن المسبب، وفي الحقيقة النهي عن أسباب الحرج، والمعنى: لا تتعاط أسبابا توجب الحرج.[2] قوله: [أن تبلغه] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، أي من تبليغه، ويصح أن الضمير عائد على المنزل أو الإنزال أو الإنذار. قوله: ﴿لتنذر﴾ من الإنذار،[3] وهو التخويف من عذاب الله بسبب مخالفته. قوله: [متعلق بأنزل] أي واللام للتعليل، فهو مفعول لأجله، وإنما جر باللام لفقد بعض الشروط، لأنه اختلف مع عامله في الزمان

والثامنة: هي حروف تحوي معاني كثيرة دل الله تعالى خلقه بها على مراده من كل ذلك، والتاسعة: هي حروف اسم الله الأعظم. [انظر: الطبري، مصدر سابق، ج١٢ ص٢٩١].

قلت: الذي أراه هو ما ذهب إليه الشعبي ، وسفيان الثوري ، وجماعة من المحدثين قالوا: بأنه سِرّ الله في القرآن، ولله في كل كتاب من كتبه سرّ، فهي من المتشابه الذي انفرد الله بعلمه، ولا ينبغي الخوض فيها، ولكن نؤمن بها، وتُمَرُّ كما جاءت، وروي هذا القول عن أبي بكر الصديق، وعليّ ابن أبي طالب، قال: وذكر أبو الليث السمرقندي عن عمر، وعثمان، وابن مسعود، أنهم قالوا: الحروف المقطعة من المكتوم الذي لايفسر، وقال أبو حاتم: لم نجد الحروف في القرآن إلا في أوائل السور، ولا ندري ما أراد الله عزّ وجل. انظر: الشوكاني، مصدر سابق، ج٣ ص١٣.

(١) انظر: الخازن ، مصدر سابق، ج١ ص١٢١.

(٢) واعلم أن للعلماء في الحرج المذكور هنا أقوالاً ثلاثة ، الأول أنه الضيق، قاله الحسن ، وهو أصله، كما في قول الشاعر:

ولو ردت المعروف عندي رددتها ۞۞ لحاجة لا العالي ولا المتحرج

ويكون معناه: فلا يضيق صدرك خوفاً ألا تقوم بحقه.

والثاني: أن الحرج هنا الشك، قال به ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، وقتادة، والسدي. قال الراجز:

آليت لولا حرج يعروني ۞۞ ما جئت أغزوك ولا تغزوني

ومعناه: فلا تشك فيما يلزمك فيه فإنما أنزل إليك لتنذر به .

والثالث: فلا يضيق صدرك بأن يكذبوك، وبه قال الفراء. انظر: الطبري، مصدر سابق، ج١٢ ص٢٩٥-٢٩٦، وابن عطية، مصدر سابق، ج٢ ص٣٧٢، وابن عادل الحنبلي، مصدر سابق، ج٧ ص٢٦١.

(٣) الإنْذارُ: الإبلاغُ. ولا يكون إلا في التخويف. والاسم النُذَرُ، ومنه قوله تعالى: ﴿فكيفَ كان عَذابي ونُذُرِ﴾ ، أي إنْذاري. انظر: الجوهري، في الصحاح، مادة "نذر" مصدر سابق، ج٢ ص٢٠٢.

والفاعل، لأن زمن الإنزال غير زمن الإنذار، فاعل الإنزال: الله تعالى، وفاعل الإنذار: النبي صلى الله عليه وسلم. قوله: ﴿وذكرى﴾ إما في محل نصب عطف على تنذر، أو محل نصب خبر لمحذوف تقديره هو ذكرى، أو في محل جر عطف على المصدر المنسبك من أن المقدرة بعد اللام والفعل، والتقدير أنزل للإنذار والتذكير. ولما كان النبي مكلفا بالتبليغ للكفار، وإن لم يتعظوا به، أسند الإنذار له، ولما كانت الموعظة والتذكر قائمة بالمؤمنين عند سماعه، أسندت لهم، فالواعظ للكفار من غيرهم، والواعظ للمسلمين من أنفسهم، وحيث كان القرآن منزلا لأنذار الكفار واتعاظ المؤمنين، فلا يحل إخراجه عما أنزل له، كأن يقرأه الشخص في الطرقات لطلب الدنيا أو التلذذ بالصوت الحسن كما يتلذذ بالغناء، فإن ذلك من الضلال المبين الموجب للعقوبة.

قوله: ﴿اتبعوا﴾ أمر لجميع المكلفين أو للكافرين.[١] قوله: ﴿من ربكم﴾ إما متعلق بأنزل أو بمحذوف حال من الموصول. قوله: ﴿من دونه﴾ إما متعلق بقوله: ﴿ولا تتبعوا﴾، والمعنى لا تعدلوا عنه إلى غيره من الشياطين أو الكهان، أو حال من ﴿أولياء﴾، لأنه نعت نكرة قدم عليها، والمعنى لا تتولوا من دونه أحدا من شياطين الإنس والجن، ليحملوكم على الأهواء والبدع. قوله: [بالتاء] أي مع تشديد الذال بعدها ، وقوله : [والياء] أي قبل التاء مع تخفيف الذال، وقوله: [وفيه إدغام التاء] راجع إلى القراءة الأولى، وقوله: [وفي قراءة بسكونها] صوابه نتخفيفها وفيه حذف إحدى التائين فالقراءات ثلاث،[٢] وكلها سبعية. قوله : [وما زائدة لتأييد القلة] أي وقليلا نعت مصدر محذوف، أي تذكرا قليلا أو نعت ظرف زمان محذوف، أي زمانا قليلا، والمصدر أو الظرف منصوب بالفعل بعده.

قوله: ﴿وكم﴾ [خبرية] أي بمعنى كثير، ولم ترد في القرآن إلا هكذا، ويجب لها الصدارة لكونها على صورة الإستفهامية.[٣] قوله: [مفعول] أي لفعل محذوف يفسره قوله: [أهلكنا][٤] أهلكناها من باب

---

(١) والأقرب أن الأمر للجميع وعليه جمهور المفسرين. انظر: ابن عطية، مصدر سابق، ج٢ ص٣٧٣.

(٢) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمر وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿قليلا ما تذَّكَّرون﴾ مشددة الذال والكاف، وقرأ حمزة والكسائى وعاصم فى رواية حفص ﴿قليلا ما تذَكَّرون﴾ خفيفة الذال مشددة الكاف، وقرأ ابن عامر ﴿قليلا ما يتذكرون﴾ بياء وتاء، وقد روى عنه بتاءين. انظر: ابن مجاهد، مصدر سابق، ص٢٧٨.

(٣) انظر: ابن عطية، مصدر سابق، ج٢ ص٣٧٣.

(٤) سقط ما بين القوسين في النسخ المطبوعة.

الإشتغال، والتقدير وكم من قرية أهلكناها، ويصح أن يكون كم مبتدأ، وجملة ﴿أهلكناها﴾ خبر و﴿من قرية﴾ تمييز لكم على كل حال. قوله: [أريد أهلها] أي فأطلق المحل، وأريد الحال فيه، فهو مجاز مرسل. قوله: [أردنا إهلاكها] جواب عما يقال إن الإهلاك مسبب عن البأس الذي هو العذاب، وظاهر الآية يقتضي أن العذاب مسبب عن الإهلاك، فأجاب بأن الكلام فيه حذف.[1] قوله: ﴿بياتا﴾ يحتمل أنه حال، والتقدير جاءها بأسنا حال كونه بياتا أي في البيات بمعنى الليل، أو ظرف وهو المتبادر من عبارة المفسر.

قوله: ﴿أو هم قائلون﴾ أو للتنويع، والجملة حالية معطوفة على ما قبلها، والواو مقدرة وإنما حذفت لدفع الثقل باجتماع حرفي عطف في الصورة، وقائلون من قال يقيل، كباع يبيع، فألفه منقلبة عن ياء، بخلاف قال من القول، فهي منقلبة عن واو. قوله: [والقيلولة استراحة نصف النهار] هذا قول ثان في تفسيرها فتحصل أن القيلولة فيها قولان: النوم وقت الظهر، أو الاستراحة في وسط النهار، وإن لم يكن معها نوم.[2] قوله: [أي مرة جاءها ليلا] الخ هذا تفسير مراد للآية، وقوله: [جاءها] أي جاء بعضها ليلا كقوم لوط، وقوله: [ومرة نهارا] أي كقوم شعيب.[3]

قوله: ﴿فما كان دعواهم﴾ أي استغاثتهم وتضرعهم،[4] أو المراد قولهم على سبيل التحسر والتندم. قوله: ﴿إذ جاءهم﴾ ظرف لقوله: ﴿دعواهم﴾. قوله: ﴿إلا أن قالوا﴾ أي إلا قولهم ﴿إنا كنا ظالمين﴾ والمعنى أنهم لم يقدروا على دفع العذاب عنهم، وإنكما ذلك تحسر وندامة طمعا في الخلاص.

---

(١) قلت : هذه إحدى التوجيهات التي وجه العلماء في تفسير هذه الآية في تقديم الله عز وجل الإهلاك على البأس، والمعلوم أن الهلاك بعد مجيء البأس وهناك توجيهات أخرى التي لها جدوى في ذكرها، وفي قوله: أحدها : معناه أهلكناها حكماً فجاءها بأسنا فعلاً. والثاني : أهلكناها بإرسال الملائكة إليها بالعذاب فجاءها بأسنا بوقوع العذاب لهم. والثالث: أهلكناها بخذلاننا لها عن الطاعة فجاءها بأسنا عقوبة على المعصية. والرابع: أن البأس والهلاك وقعا معاً في حال واحدة، لأن الهلاك كان بوقوع البأس فلم يفترقا، وليس دخول الفاء بينهما موجبة لافتراقهما بل قد تكون بمعنى الواو كما يقال أعطيت وأحسنت، فكان الإحسان بالعطاء ولم يكن بعد العطاء، قاله الفراء. انظر: بن عادل الحنبلي، مصدر سابق، ج٧ ص٢٦٠.

(٢) انظر: الطبر، مصدر سابق، ج١٢ ص٢٩٩ وما بعدها.

(٣) كذا فسرها أبو حيان. انظر: أباحيان، مصدر سابق، ج٤ ص٢٦٩.

(٤) قال الإمام البغوي: " ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ﴾ أي: قولهم ودعاؤهم وتضرعهم، والدعوى تكون بمعنى الادعاء وبمعنى الدعاء، قال سيبويه: تقول العرب اللهم أشركنا في صالح دعوى المسلمين أي في دعائهم" انتهى. انظر: البغوي، مصدر سابق، ج٣ ص٢١٤.

قوله: ﴿فلنسئلن﴾ اللام موطئه لقسم محذوف، والتقدير: والله لنسئلن، وهذا إشارة لعذابهم في الآخرة، إثر عذابهم في الدنيا، والمقصود من سؤال الأمم زيادة الإفتضاح لهم، ومن سؤال الرسل: رفع قدرهم، وزيادة شرفهم، وتبكيت الأمم حيث كذبوهم.

قوله: ﴿بعلم﴾ متعلق بمحذوف حال من فاعل نقصن، والتقدير فلنقصن عليهم حال كوننا مصحوبين بعلم، وهذا حيث سكتت الرسل عن الجواب، ﴿قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب﴾(١) قوله: ﴿وما كنا غآئبين﴾ توكيد لما قبله. قوله: [فيما عملوا] في بمعنى عن، أي عما عملوا.

قوله: ﴿والوزن﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿يومئذ﴾ خبره، و﴿الحق﴾ نعته، وهذا هو إعراب المفسر، ويصح أن يكون ﴿الحق﴾ خبر المبتدأ، و﴿يومئذ﴾ ظرف منصوب على الظرفية، وهذا الوزن بعد أخذ الصحف والحساب، ثم بعد الوزن يكون المرور على الصراط، وهو مختلف باختلاف أحوال العبادة، قوله: [للأعمال أو لصحائفها] هذا إشارة لقولين: فعلى الأول تصور أعمال الصالحة بصورة نيرة حسنة وتوضع في كفة الحسنات، وتصور الأعمال السيئة بصورة مظلمة قبيحة وتوضع في كفة السيئات، وبقي قول ثالث: وهي أن الوزن للذوات(٢) لما في الحديث: "إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة".(٣) قوله: [وكفتان] بكسر الكاف وفتحها في المثنى والمفرد والجمع ، كفف

---

(١) سورة المائدة، الآية:١٠٩.

(٢) واختلف من قال بهذا في الذي يوزن على ثلاثة أقاويل :

أحدها: أن الذي يوزن هوالحسنات والسيئات بوضع إحداهما في كفة والأخرى في كفة ، قاله الحسن والسدي .

والثاني: أن الذي يوزن صحائف الأعمال، فأما الحسنات والسيئات فهي أعمال، والوزن إنما يمكن في الأجسام، قاله عبد الله بن عمر.

والثالث: أن الذي يوزن هو الإنسان، قال عبيد بن عمير، قال يؤتى بالرجل العظيم الجثة فلا يزن جناح بعوضة.

انظر: الطبري، مصدر سابق، ج١٢ ص٣٣٠، والبغوي، مصدر سابق، ج٣ ص٢١٤.

(٣) الحديث متفق عليه، انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: ﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم﴾. الآية، برقم٤٤٥٢، ج٥ ص٢١٠. وصحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب، برقم ٢٧٨٥. ج٥ ص١٣.

قلت: والجمهور على أن صحائف الأعمال تُوزن بميزان له لسان وكفتان، ينظر إليه الخلائق، يمثل ذلك عدل الله للعباد وقطعًا للمعذرة، كما يسألهم عن أعمالهم، فتعترف بها ألسنتهم، وتشهد بها جوارحهم، ويؤيد ذلك ما رُوِي: "أن الرجل يُؤتى به إلى الميزان، فيُنشَر عليه تسعَةٌ وتِسعُونَ سِجلاًّ، كُلُّ سِجِلٍّ مَد البَصَرِ، فَتُخرَجُ لَهُ بطَاقة فِيهَا كَلِمةُ الشهَادِةِ، فَتُوضَعُ السِّجِلاَّتُ فِي كِفةٍ، والبطاقة في كفّة، فتثقُل

بالكسر لا غير. قوله: ﴿فمن ثقلت موازينه﴾ الخ، اعلم أن الناس في القيامة ثلاث فرق: متقون لا كبائر لهم، ومخلطون، وكفار، فأما المتقون فإن حسناتهم توضع في الكفة النيرة، وصغائرهم إن كانت في الكفة الأخرى، فلا يجعل الله لتلك الصغائر وزنا، وتكفر صغائرهم باجتنابهم الكبائر، ويؤمر بهم إلى الجنة، وينعم كل على حسب أعماله. وأما الكفار فإنهم يوضع كفرهم في الكفة المظلمة، ولا توجد لهم حسنة توضع في الكفة الأخرى فتبقى فارغة، فيأمر الله بهم إلى النار، وهذان الصنفان هما المذكوران في القرآن صراحة في آيات الوزن. وأما الذين خلطوا، فقد ثبت في السنة أن حسناتهم توضع في الكفة النيرة، وسيئاتهم في الكفة المظلمة، فإن كانت الحسنات أثقل ولو بأقل قليل أو ساوت أدخلوا الجنة،[1] وإن كانت السيئات أثقل ولو بأقل قليل أدخلوا النار إلا أن[2] يعفو الله، هذا إن كانت كبائرهم فيما بينهم وبين الله. وأما إن كانت عليهم تبعات، وكانت لهم حسنات كثيرة، فإنهم يؤخذ من حسناتهم فيرد على المظلوم، وإن لم يكن لهم حسنات أخذ من سيئات المظلوم، فيحمل على الظالم من أوزار من ظلمه، ثم يعذب إلا أن يرضى الله عنه خصماءه.[3]

قوله: [بالحسنات] أي بسبب ثقلها في الميزان، ورجحانها على السيئات. قوله: [بالسيئات] أي بسبب رجحانها على الحسنات.

البطاقةُ، وتَطِيشُ السِّجلاَّتُ" أخرجه أحمد في مسنده، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح، ج١١ ص٥٧٠. وأخرجه الحاكم في مستدركه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، ج١ص٧١٠. .

(١) قلت: وهذا النوع من الصنف الأخير، أي الذين تساوت حسناتهم وسيئاتهم، قال بعض العلماء فيهم: إن هذا النوع من الناس لا يوجدون، قال ابن عادل: فأمَّا القسمُ الثَّالثُ، وهُو الَّذين تكُونُ حَسنَاتُهُ وسيئاته متعادلة فإنه غير موجود. انظر ابن عادل الحنبلي، مصدر سابق، ج٣ ص١٤.

(٢) كذا في الأصل، وفي النسخ المطبوعة [أني] وأراه خطآ مطبعيا.

(٣) كما جاء في حديث المفلس الذي أخرجه ابن حبان في صحيحه وغيره من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– قال : قال رسول الله –ﷺ–: "أتدرون من المفلس؟" قالوا : المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع له فقال رسول الله –ﷺ–: "المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاته وصيامه وزكاته وقد شتم هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيقعد فيعطى هذا من حسناته و هذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يعطي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار" انظر: صحيح ابن حبان، ذكر الخبر المصرح بإيجاب النار على السارق والزاني، ج١٠ ص٢٥٩.

قوله: ﴿بما كانوا﴾ متعلق بخسروا، وما مصدرية، و﴿بئاياتنا﴾ متعلق بيظلمون قدم عليه للفاصلة، وقوله: [يجحدون] أشار بذلك إلى أنه ضمن الظلم معنى الجحد فعداه بالياء.[1]

قوله ﴿ولقد مكناكم﴾ الخ لما بين سبحانه وتعالى عاقبة من استمر على الكفر، ومن استمر على الإيمان، وذكر ما أفاض عليهم من النعم الموجبة للشكر. قوله: ﴿معايش﴾ [بالياء] أي بالتفاق السبعة، لأن الياء أصلية إذ هي جمع معيشة، وأصلها معيشة بسكون العين وكسر الياء أو ضمها، نقلت كسرة الياء إلى الساكن قبلها، وحيث كانت الياء في المفرد أصلية فإنها تبقى في الجمع، وقريء شذوذا[2] بالهمزة تخريجا على زيادة الياء وأصالة الميم، وأما إن كانت الياء في المفرد زائدة، فإنها تكون في الجمع همزة، كصحائف وصحيفة. قال ابن مالك:

والمد زيد ثالثا في الواحد ❊❊ همزا يرى في مثل كالقلائد [3]

قوله: [أسبابا تعيشون بها][4] أي تحيون فيها كالمأكل والمشرب وما به تكون الحياة. قوله: [لتأكيد القلة] أي زائدة لتأكيد القلة، والمعنى أن الشاكر قليل، قال تعالى: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾[5] قوله: ﴿ولقد خلقناكم﴾ الخ تذكير لنعمة عظيمة على آدم، سارية إلى ذريته موجبة لشكرها. قوله: [أي أباكم آدم] أي حين كان طينا غير مصور. قوله: [أي صورناه] أي حين كان بشرا بتخطيطه وشق حواسه، وإنما جعل المفسر الكلام على حذف مضاف لأجل أن يصح الترتيب بثم، وإنما ينسب الخلق والتصوير للمخاطبين إعطاء لمقام الإمتنان حقه، وتأكيدا لوجوب الشكر عليهم بالرمز، إلى أن لهم حظا من خلق أبيهم وتصويره، لأنهما من الأمور السارية في الذرية جميعا. قوله: [أو أنتم في ظهره] هكذا في نسخة بأو، وفي أخرى بالواو، فعلى الأول يكون جوابا ثانيا. والحاصل أن الناس اختلفوا في ﴿ثم﴾ في هذين الموضعين، فمنهم من لم يلتزم فيها ترتيبا، وجعلها بمنزلة الواو، وأبقى الآية على ظاهرها ، ومنهم

---

(١) انظر: أبا حيان، مصدر سابق، ج٤ ص٢٧١.

(٢) فهي قراءة عبد الرحمن الأعرج: ﴿مَعَائِشَ﴾ بالهمز. انظر: الطبري، مصدر سابق، ج١٢ ص٣١٦.

(٣) انظر: ابن عقيل، باب الإبدال، ج٤ ص٢١١.

(٤) انظر: الزجاج في معاني القرآن، ج٢ ص٣٥٣.

(٥) سورة سبأ، اللآية: ١٣.

من قال هي للتريث الزماني، وجعل الكلام على حذف مضاف في الخلق والتصوير.[1] قوله: [سجود تحية بالانحناء] أشار بذلك إلى أن المراد السجود اللغوي وهو الإنحناء، كسجود إخوة يوسف وأبويه له، وقد كان تحية للملوك في الأمم السابقة، وعليه فلا إشكال، وقال بعضهم: إن السجود شرعي بوضع جبهة على الأرض لله وآدم قبلة كالكعبة، ويحتمل على أن السجود على ظاهره لآدم، وقوله: إن السجود لغير الله كفر محله إن كان من هوى النفس لا بأمر الله، ونظير ذلك تعظيمنا مشاعر الحج فتأمل.[2] قوله: ﴿فسجدوا﴾ أي قبل دخول الجنة، وأول من سجد: جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم عزرائيل ثم الملائكة المقربون، واختلف في مدة السجود، فقيل مائة سنة، وقيل خمسمائة سنة، وقيل غير ذلك. قوله: [أبا الجن] هذا أحد قولين، والثاني هو أبو الشياطين، فرقة من الجن لم يؤمن منهم أحد. قوله: [كان بين الملآئكة] أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع، وأنه ليس من الملائكة،[3] قال في الكشاف: لما اتصف بصفات الملائكة جمع معهم في الآية واحتيج إلى استثنائه، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾،[4]

---

(١) قلت: والحاصل أن لهذه الآية أربع تأويلات،أي في قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ :

أحدها: ولقد خلقناكم في أصلاب الرجال ثم صورناكم في أرحام النساء ، قال به عكرمة .

والثاني: ولقد خلقناكم يعني آدم ثم صورناكم في ظهره ، قال به مجاهد .

والثالث: خلقناكم نطفاً في أصلاب الرجال وترائب النساء، ثم صورناكم عند اجتماع النطفتين في الأرحام ، وهو معنى قول الكلبي.

والرابع: خلقناكم في بطون أمهاتكم ، ثم صورناكم فيها بعد الخلق بشق السمع والبصر ، قال به معمر . انظر : الطبر، مصدر سابق، ج١٢ ص٣١٧-٣١٩، وأبا حيان، مصدر سابق، ج٤ ص، والقرطبي، مصدر سابق ، ج٧ ص١٦٨-١٦٩.

(٢) قلت: لا خلاف بين أهل العلم ممن ينتمي إلى أهل السنة والجماعة أن السجود بوضع الجبهة على الأرض مثل وضعه في الصلاة لغير الله لا يجوز، ويكفر الساجد إن قصد به تعظيما للمسجود له بلا شك، لأن هذا من باب صرف العبادة التي لا يجوز صرفها لغيره، وأما قول المصنف بأنه لا يكفر إلا إذا صدر منه السجود بهوى نفسه وقرنه لمشاعر الحج فباطل من وجهين: الوجه الأول: أن هذا قياس مع الفارق، إذ ما في مناسك الحج والعمرة مامور بها في الشرع، ولا يجوز أخذ شيء في العبادات إلا عند صاحب الشريعة. والوجه الثاني: مناسك الحج والعمرة معروفة واضحة، وليس في الحج ولا في العمرة شيء أمر بالسجود له، وأما الحجر الأسود فالمأمور فيه التقبيل، وليس فيه انحناء والتقبيل من العوامل التي يقوم به الإنسان للدين ولغير الدين. والله أعلم.

(٣) انظر: السيوطي، في لباب النقول في أسباب النزول، ص١٢٣.

(٤) سورة الكهف، الآية:٥٠.

وقال بعضهم إنه من الملائكة،[1] فالاستثناء متصل. وقوله تعالى: ﴿كان من الجن﴾ أي في الفعل، والمعول عليه الأول.

قوله: ﴿مامنعك﴾ ما استفهامية للتوبيخ في محل رفع بالابتداء، والجملة بعدها خبر، و﴿إن﴾ في محل نصب أو جر، لأنها على حذف حرف الجر و﴿إذ﴾ منصوب بتسجد، والتقدير أي شيء منعك من السجود حين أمرتك. قوله: [زائدة] أي لتأكيد معنى النفي في منعك، فهو كما في ﴿ص﴾ بحذفها وهو الأصل، لأن القرآن يفسر بعضها بعضا. قوله: ﴿خلقتني من نار﴾ هذه الجملة لا محل لها من الإعراب، لأنها كالتفسير والبيان لما قبلها من دعوى الخيرية.

فائدة: قال هنا ﴿ما منعك﴾ وفي سورة الحجر قال: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾[2] وفي سورة ص ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[3] الآية، اختلاف العبارات عند الحكاية، دل على أن اللعين قد أدرج في معصية واحدة ثلاث معاص: مخالفة الأمر، ومفارقة الجماعة، والاستكبار مع تحقير آدم، وشبهة الخيرية أن النار جسم لطيف نوراني، والطين جسم كثيف ظلماني، وما كان لطيفا نورانيا، خير مما كان كثيفا ظلمانيا، ولما كان ما احتج به على ربه باطلا، لكون الطين فيه منافع كثيرة وفوائدة جمة، ويتوقف عليه نظام العالم لاحتياجه إليه، ولما ينشأ عنه من النبات والماء اللذين هما غذاء العالم السفلي، والنار منافعها قليلة، ولا يتوقف عليها نظام العالم، لوجود كثير منه غير محتاج لها، ولا يسوى بها،[4]

---

(١) وهذا القول ضعيف جدا، وقد ردَّ عليه الإمام الشنقيطي رداً جميلاً. انظر: الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، ط٢، (بيروت: دار الفكر ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥ م) ج٣ ص٢٩٠.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٣٢.

(٣) سورة ص، الآية: ٧٥.

(٤) ذكر البغوي خمسة وجوه في تفضيل الطين على النار. انظر البغوي، مصدر سابق، ج٧ ص١٧١، وقال محمد بن جرير: ظن الخبيث أن النار خير من الطين ولم يعلم أن الفضل لمن جعل الله له الفضل، وقد فضل الله الطين على النار من وجوه منها:أن من جوهر الطين الرزانة والوقار والحلم والصبر وهو الداعي لآدم بعد السعادة التي سبقت له إلى التوبة والتواضع والتضرع فأورثه الاجتباء والتوبة والهداية، ومن جوهر النار الخفة والطيش والحدة والارتفاع وهو الداعي لإبليس بعد الشقاوة التي سبقت له إلى الاستكبار والإصرار، فأورثه اللعنة والشقاوة، ولأن الطين سبب جمع الأشياء والنار سبب تفرقها ولأن التراب سبب الحياة، فإن حياة الأشجار والنبات به، والنار سبب الهلاك، انتهى. انظر: الطبري، مصدر سابق، ج١٢ ص٣٢٧.

رد عليه المولى بأشنع رد،[1] وأجابه بجواب السائل المتعنت المتكبر.

قوله: ﴿فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها﴾ الآية. قوله: ﴿قال فاهبط منها﴾ الفاء لترتيب الأمر على ما ظهر من مخالفة اللعين. قوله: [أي من الجنة] أي وعليه فبقي في السماوات خارج الجنة. قوله: [وقيل من السماوات] أي فلم يبق له استقرار في العالم العلوي أصلاً. قوله: ﴿أن تتكبر فيها﴾ أي ولا في غيرها، ففي الكلام اكتفاء، لأن الكبر مذموم مطلقا. قوله: [الذليلين] تفسير للصاغرين من الصغار، وهو بالفتح الذُّلُّ والضيم.

قوله: ﴿قال أنظرني﴾ لما كره اللعين إذاقة الموت، طلب البقاء والخلود إلى يوم البعث، ومن المعلوم أن لا موت بعد، فقصد استمرار الحياة في الدنيا والآخرة، فأجاب الله لا على مراده، بل أمهله إلى النفخة الأولى،[2] ولا نجاة له من الموت ولا من العذاب. قوله: [أي وقت النفخة الأولى] أي لا وقت النفخة الثانية التي طلبها اللعين.

قوله: ﴿قال فبما أغويتني﴾[3] الخ غرضه بهذا أخذ ثأره منهم، لأنه لما طرد ومقت لسببهم، أحب أن ينتقم منهم أخذا بالثأر. قوله: [والباء للقسم] أي وما مصدرية، وما بعدها مسبوك بها، يشير له قول المفسر بإغوائك لي، ويصح أن تكون للسببية. قوله: [أي على الطريق الخ] أشار به إلى أن صراط منصوب على نزع الخافض.

---

(١) هذا لأنه قدم عقله على الأمر الذي هو بمثابة النص، وكل من فضل أو قدم العقل على النص أو الأمر الصادر من صاحب الشريعة فمعاله ما عال إليه هذا اللعين، ولذا يقول بعض العلماء بأنه هو أولُ من أسس بنيانَ التكبر ، واخترع القولَ بالحُسن والقُبح العقليَّين. انظر: أبا السعود في تفسيره، ج٢ ص٤٧٢.

(٢) وعلى هذا فسر أكثر العلماء أي المراد به وقت النفخة الأولى. انظر: الشنقيطي، مصدر سابق، ج٢ ص١١.

(٣) ففي قوله تعالى ﴿أغويتني﴾ اختلاف بين أهل العلم، منهم من قال معناه أضللتني، كابن عباس وابن زيد، ومنهم من قال: خيبتني من جنتك، ومنهم من قال: عذبتني، وبه قال الحسن، ومنهم من قال : أهلكتني بلعنك لي، والكل يتضمن معنى الآخر. انظر: الطبري، مصدر سابق، ج١٢ ص٣٣٢-٣٣٣.

قوله: ﴿من بين أيديهم ومن خلفهم﴾ أي من الجهات التي يعتاد الهجوم منها، وهي الجهات الأربع،[1] ولذلك لم يذكر الفوق والتحت، وأما الفوق فلكونه لما يمكنه أن يحول بين العبد ورحمة ربه، كما قال ابن عباس،[2] وأما التحت فلكبره لا يرضى أن يأتي من ذلك، ويكثر إتيانه من أمام وخلف، ويضعف في اليمين واليسار لحفظ الملائكة، وذكر بعضهم حكمة أخرى لعدم مجيئه من تحت، لكون الآتي من تحت إنما يريد الإزعاج، وهو يريد التأليف للغواية، والأول أقرب، وإنما عدى الفعل في الأولين بمن الإبتدائية، لأن شأن التوجه منهما بخلاف الأخيرين، فالآتي منهما كالمنحرف لليسار. قوله: ﴿ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾[3] يحتمل أنه من الوجدان بمعنى اللقاء فيتعدى لواحد، وشاكرين حال، ويحتمل أنه بمعنى العلم فيتعدى لاثنين.

قوله: ﴿قال اخرج منها مذءوما﴾ تأكيد لما تقدم، ومذؤوم بالهمزة من ذأمة يذأمه ذأما إذا عابه ومقته،[4] أي اخرج ممقوتا معابا عليك. قوله: [مبعدا عن الرحمة] أي لأن الدحر الطرد والإبعاد، يقال

---

(١) وقد ذكر عبد الله ابن عباس –رضي الله عنهما– ما يفعل اللعين إذا جاء من كل جهة وقال: قوله: ﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم﴾، يقول: أشككهم في آخرتهم، ﴿ومن خلفهم﴾، أرغبهم في دنياهم، ﴿وعن أيمانهم﴾، أشبِّه عليهم أمرَ دينهم، ﴿وعن شمائلهم﴾، أشَهِّي لهم المعاصي. انظر: الطبر، المرجع نفسه، ج١٢ ص٣٣٨.

(٢) انظر: الطبري، المرجع نفسه، ج١٢ ص٣٤١-٣٤٢.

(٣) قلت: وهذا من أحد عدوان الشيطان لآدم وأبناءه إلى يوم يرث الله الأرض ومن عليها، إذ عبر أنه يقعد لهم على الصراط الذي يسلكهم إلى جنات النعيم، لا حظ هنا، إنه لم يقل يتبعهم أو يجلس، بل يقعد والقعود متضمن اللزوم ولذا قال –ﷺ–: "إن الشيطان قعد لابن آدم بطرقه، فقعد له بطريق الإسلام، فقال: أتسلم وتذر دينك ودين آبائك؟". قال: "فعصاه وأسلم". قال: "وقعد له بطريق الهجرة فقال: أتهاجر وتدع أرضك وسماءك، وإنما مثل المهاجر كالفرس في الطِّوَل؟ فعصاه وهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد، وهو جهاد النفس والمال، فقال: تقاتل فتقتل، فتنكح المرأة ويقسم المال؟". قال: "فعصاه، فجاهد". قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فمن فعل ذلك منهم فمات، كان حقًّا على الله أن يدخله الجنة، أو قتل كان حقا على الله، عز وجل، أن يدخله الجنة، وإن غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة، أو وَقَصته دابة كان حقا على الله أن يدخله الجنة" انظر: مسند إمام أحمد، ج٣ ص٤٨٣.

(٤) قال صاحب المصباح: ذَامَ الشَّخْصُ الْمَتَاعَ ذَيْمًا مِنْ بَابِ بَاعَ ، وَذَامًا عَلَى الْقَلْبِ عَابَهُ فَالْمَتَاعُ مَذِيمٌ وَذَأَمَهُ يَذْأَمُهُ بِالْهَمْزِ مِنْ بَابِ نَفَعَ مِثْلُهُ فَهُوَ مَذْءُومٌ . انظر: المقري، في المصباح، مصدر سابق، ج٣ ص٣٢٩.

قلت: هذا هو الأصل، وأما المراد به هنا في الآية فقد اختلف العلماء على خمسة أقوال: أحدها: يعني مذموماً ، قاله ابن زيد، وقرأ الأعمش ﴿مذوماً﴾. والثاني: لئيماً، قاله الكلبي. والثالث: مقيتاً، قاله ابن عباس. والرابع: منفياً، قاله مجاهد. والخامس: أنه شدة

دحره يدحره دحرا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۞ دحورًا﴾[1] وهما حالان من فاعل أخرج. قوله: [واللام للابتداء] أي داخلة على المبتدأ، فمن اسم موصوف مبتدأ، و﴿تبعك﴾ صلته، و﴿منهم﴾ متعلق بتبعك، وقوله: ﴿لأملأن﴾ جواب قسم محذوف بعد، قوله: ﴿منهم﴾ والقسم وجوابه في محل رفع خبر المبتدأ. قوله: [أو موطئة للقسم] والتقدير والله لمن تبعك، ومن اسم شرط مبتدأ، ولأملأن جواب القسم المدلول عليه بلام التوطئة، وجواب الشرط محذوف لسد جواب القسم مسده. قوله: [وفيه تغليب الحاضر] أي وهو إبليس، وقوله: [على الغالب] أي وهو الناس. قوله: [وفي الجملة] أي وهي ﴿لأملأن﴾ وقوله: [معنى جزاء من] أي على كونها شرطية، وتقديره أعذبه.

قوله: ﴿وَيَا آدَمُ﴾ تقدير المفسر قال يفيد أنه معطوف على ﴿أَخْرَجَ﴾ مسلط عليه عامله، عطف قصة على قصة،[2] ويصح عطفه على قوله ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ﴾ فيكون مسلطا عليه، قلنا وربما كان هذا أقرب من حيث المناسبة، والأول أقرب من حيث قرب المعطوف من المعطوف عليه، وهذا القول يحتمل أنه واقع من الله مباشرة أو على لسان ملك. قوله: [تأكيد للضمير في اسكن] ﴿وَزَوْجُكَ﴾ جواب عما يقال لم أتى بالضمير المنفصل. قوله: [حواء] سميت بذلك لأنها خلقت من حي وهو آدم،[3] وذلك أن آدم لما أسكن الجنة، مشى فيها مستوحشا، فلما نام خلقت من ضلعه القصير من شقه الأيسر، ليسكن إليها ويأنس بها، فلما استيقظ ورآها مال إليها،[4] قالت له الملآئكة:

العيب وهو أسوأ حالاً من المذموم ، قاله الأخفش. انظر: الطبري، مصدر سابق، ج١٢ ص٣٤٣، وأبا عبيدة، في مجاز القران، ج١ ص٢١٢.

(١) سورة الصافات، الآية: ٨-٩.

(٢) أي عطف قصة خلق آدم وأمره الملائكة والإبليس للسجود له على قصة إخراج آدم مع زوجته حواء من الجنة.

(٣) ذكر السيوطي في الدر وأسند إلى ابن سعد وابن عساكر عن ابن عباس قال: إنما سميت حواء لأنها أم كل شيء حي. انظر: السيوطي، مصدر سابق، ج١ ص١٠١.

(٤) وهذا على قول من قال إن حواء خلقت بعدما أسكن آدم الجنة كما ذكر ابن كثير عن السدي قال: عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة، عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة: أخرج إبليس من الجنة، وأسكن آدم الجنة، فكان يمشي فيها وحشا ليس له زوج يسكن إليه، فنام نومة فاستيقظ، وعند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه، فسألها: ما أنت؟ قالت: امرأة. قال: ولم خلقت؟ قالت: لتسكن إلي. قالت له الملائكة -ينظرون ما بلغ من علمه-: ما اسمها يا آدم؟ قال: حواء. قالوا: ولم سميت

[مه][1] يا آدم حتى تؤدي مهرها، فقال: وما مهرها؟ فقالوا: ثلاث صلوات أو عشرون صلاة على النبي، صلى الله عليه وسلم.[2] إن قلت: إن شرط المهر أن يكون متمولا، وهذا ليس بمتمول. أجيب: بأن هذا الشرط في شرع محمد، ولم يكن في شرع آدم، وأيضا الآمر هو الله وهو يحكم لا معقب لحكمه، وأيضا من خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزوج بلا مهر أصلا، فلما كان هو الواسطة في ذلك، عد كأنه هو العاقد لهما، وإنما كان خصوص الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إشارة إلى أنه صلى الله عليه وسلم هو الواسطة العظمى في كل نعمة وصلت لكل أحد، حتى أبيه آدم، وأمر الله آدم بالسكون في الجنة، قيل قبل دخول الجنة، فتوجيه الخطاب لحواء باعتبار تعلق علم بها، فإنها لم تكن خلقت إذ ذاك، وقيل بعد الدخول وهو المعتمد، وعليه فيكون المراد من الأمر بالسكون الاستمرار. قوله: ﴿فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ أي في أي مكان، وفي الكلام حذف بعد من، والأصل فكلا من ثمارها حيث شئتما، وترك رغدا من [هنا][3] اكتفاء يذكره في البقرة، وأتى بالفاء هنا، وفي البقرة بالواو تفننا وإشارة إلى أن كلا من الحرفين بمعنى الآخر، وقيل إن الواو تفيد الجمع المطلق، والفاء تفيد الجمع على

حواء؟ قال: إنها خلقت من شيء حي. قال الله: ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [سورة البقرة، الآية:]. انظر: ابن كثير، مصدر سابق، ج١ ص٢٣٤.

(١) سقط ما بين القوسين في النسخ المطبوعة.

(٢) انظر: الطبري في تاريخه، مصدر سابق، ج١ ص٥٢، مع اختلاف في بعض اللفظ . وابن كثير، مصدر سابق، ج١ ص١٤٢، والشوكاني، مصدر سابق، ج١ ص٥٦. [دون جزء الأخير من قضية المهر].

قلت: وهذا الحديث لا يخلو من سمة الضعف، لأنه مُخالف لِمَا ثبت عنه عليه الصلاة والسلام من أن الله عزّ وجلّ لَمّا خَلَق آدم عطس، فَحَمِدِ الله، قال رسول الله -ﷺ-: لَمَّا خَلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس فحمد ربه بإذن الله له، فقال: الحمد لله، فقال له ربه: رَحِمك ربك يا آدم اذهب إلى أولئك الملأ وملأ منهم جلوس فقل السلام عليكم فقالوا سلام عليك ورحمة الله ثم رجع إلى ربه فقال هذه تحيتك وتحية ذريتك بينهم . انظر: سنن الترمذي، كتاب أبواب التفسير، بابٌ ٣٤٢٧، وقال الألباني: حسن صحيح، وأخرجه البيهقي، في السنن الكبرى، كتاب الشهادات، باب الإختيار في الأشهاد، برقم ٢٠٣٠٧، ج٧ ص٢٠١، واظر صحيح بن حبان، كتاب التاريخ، باب بدء الخلق، ج٩ ص٢٢٠.

(٣) كذا في الأصل وفي النسخ المطبوعة [هذا].

سبيل التعقيب، فالمفهوم من الفاء نوع داخل تحت المفهوم من الواو فلا منافاة، وما ذكره شيخ الإسلام من الجواب بعيد، كما تقدم لنا من البقرة فانظره.(١)

بقي شيء آخر وهو أنه وجه الخطاب أولا لآدم، وثانيها لهما، وحكمة ذلك أن حواء في السكنى تابعة لآدم، فوجه الخطاب في السكنى لآدم، وأما في الأكل من حيث شاءا، والنهي عن قربان الشجرة فقد اشتركا فيه، فلذا وجه الخطاب لهما معا. قوله: ﴿وَلاَ تَقْرَبَا﴾ يقال قريب الأمر أقربه من باب تعب، وفي لغة من باب قتل، قربانا بالكسر فعلته أو دانيته، وحينئذ يكون النهي عن القربان، أبلغ من النهي عن الأكل بالفعل. قوله: [وهي الحنطة] وقيل الكرم، وقيل التين، وقيل البلح، وقيل الأترج، والمشهور ما قاله المفسر.(٢) قوله: ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي لأنفسهما.(٣)

قوله: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ الوسوسة: الحديث الخفي الذي يلقيه الشيطان في قلب الإنسان على سبيل التكرار.(٤) إن قلت: إن الأنبياء معصومون من وسوسة الشيطان، وظاهر الآية يقتضي أن الشيطان وسوس لآدم. أجيب: بأنه لم يباشر آدم بالوسوسة، وإنما باشر حواء، وهي باشرت آدم بذلك، قال محمد بن قيس: ناداه ربه يا آدم لم أكلت منها وقد نهيتك؟ قال: أطعمتني حواء، قال لحواء: لم أطعمتميه؟ قالت: أمرتني الحية، قال للحية: لما أمرتيها؟ قالت: أمرني إبليس، قال الله: أما أنت يا حواء فلأدمينك كل شهر كما أدميت الشجرة، وأما أنت يا حية فأقطع رجليك فتمشين على وجهك

(١) وشيخ الإسلام الذي هو شيخ جمل استشكل هذه الآية مع نظيرها في سورة البقرة وقال إن السياق عبر هنا وأتى بالفاء وفي البقرة بالواو، وذكر برأيه بأن الحكمة في ذكر الواو في البقرة كان الأمر داخل الجنة فلا ترتيب بين السكنى والأكل وفي هذه الآية عبر بالفاء لأن الأمر كان خارجها فحسن الترتيب بين السكنى والأكل. انظر: الجمل في حاشيته، مصدر سابق، ج٢ ص١٤٠.

(٢) قلت: ولا أرى صحة ما ذكره المفسر، والذي أراه ما ذهب إليه ابن جدعان ومحمد ابن إسحاق وغيرهما بأن هذه الشجرة هي شجرة الخلد التي كانت تأكل منها الملائكة. انظر: الطبري، مصدر سابق، ج١٢ ص٣٤٩.

(٣) قال القاضي أبو محمد : وفي هذا الكلام حمل على فقهاء الشرع واستقصار لهم ، والصواب أن لا يظن بهم هذا الخلل وإنما التمسوا على نوازلهم تعليق حكم الحظر والإباحة من الشرع وهم مع ذلك لا يحمل عليهم أنهم يدفعون الحق في أن العقل لا يحسن ولا يقبح دون الشرع. انظر: ابن عطية، مصدر سابق، ج٢ ص٣٨٢.

(٤) وقال : الْوَسْوَاسُ بِالْفَتْحِ اسْمٌ مِنْ وَسْوَسَتْ إلَيْهِ نَفْسُهُ إذَا حَدَّثَتْهُ وَبِالْكَسْرِ مَصْدَرٌ وَوَسْوَس مُتَعَدٍّ بِإِلَى وقَوْله تَعَالَى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ اللَّامُ بِمَعْنَى إلَى فَإِنْ بُنِيَ لِلْمَفْعُولِ قِيلَ مُوَسْوَسٌ إلَيْهِ مِثْلُ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَالْوَسْوَاسُ بِالْفَتْحِ مَرَضٌ يَحْدُثُ مِنْ غَلَبَةِ السَّوْدَاءِ يَخْتَلِطُ مَعَهُ الذِّهْنُ وَيُقَالُ لِمَا يَخْطُرُ بِالْقَلْبِ مِنْ شَرٍّ وَلِمَا لَا خَيْرَ فِيهِ وَسْوَاسٌ . انظر: المقري في المصباح، ج١٠ ص٣٣٩.

وليشدخن رأسك كل من لقيك، وأما أنت يا إبليس فملعون.[1] إن قلت: كيف وسوس لهما وهو خارج الجنة؟ أجيب: بأن وسوسته وإن كانت خارجة الجنة، إلا أنها وصلت لهما بقوة جعلها الله له على ذلك، أو أنه تحيل على دخول الجنة بدخوله في جوف الحية ووسوس لهما، وقوله: ﴿الشَّيْطَانُ﴾[2] من شاط بمعنى احترق، أو من شطن بمعنى بعد. قوله: [إبليس] أي من أبلس[3] إبلاسا بمعنى يائس، لأنه آيس من رحمة الله، وقد تقدم في البقرة جملة أسمائه فانظرها. قوله: ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا﴾ هذا من جملة أغراضه في الوسوسة، فتكون اللام للتعليل، ويحتمل أنها للعاقبة، وأن غرضه في الوسوسة خصوص غضب الله عليهما وطردهما من الجنة. قوله: ﴿مَا وُورِيَ عَنْهُمَا﴾ أي غطى وستر عنهما، واختلف في ذلك اللباس، فقيل غطاء على الجسد من جنس الأظفار فنزع عنهما وبقيت الأظفار في اليدين والرجلين، تذكرة وزينة وانتفاعا، ولذلك قالوا إن النظر للأظفار في حال الضحك يقطعه، وقيل كان نورا، وقيل كان من ثياب الجنة.[4] قوله: [فوعل] أشار بذلك إلى أن الواو الثانية زائدة، وحينئذ فلا يجب قلب الأولى همزة،

---

(١) هذا الأثر أخرجه الطبري في تاريخه، ج١ ص٥٤، وفي تفسيره، ج١ ص٥٣١، قلت: وضعفه غير واحد م العلماء، وقال أبُوا مُسْلِمٍ الأصْفهانِيُّ : بَلْ كان آدمُ وإبليس في الجنَّةِ؛ لأنَّ هذه الجنَّةَ كانت بعض جنات الأرض ، والذي يقوله بعض النَّاس من "أنَّ إبليس دخل الجنَّة في جَوْف الحيَّةِ ودخلت الحيَّة في الجنَّةِ" فتلك القصة ركيكةٌ ومشهورةٌ . انظر: ابن عادل الحنبلي، في تفسيره، ج٧ ص٢٩٥.

(٢) قال في المصباح: شَطَنَتْ الدَّارُ شُطُونًا مِنْ بَابِ قَعَدَ بَعُدَتْ، وَالشَّطَنُ الْحَبْلُ وَالْجَمْعُ أَشْطَانٌ مِثْلُ: سَبَبٍ وَأَسْبَابٍ، وَفِي الشَّيْطَانِ قَوْلَانِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ مِنْ شَطَنَ إذَا بَعُدَ عَنْ الْحَقِّ أَوْ عَنْ رَحْمَةِ اللَّهِ فَتَكُونُ النُّونُ أَصْلِيَّةً وَوَزْنُهُ فَيْعَالٌ وَكُلُّ عَاتٍ مُتَمَرِّدٍ مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالدَّوَابِّ فَهُوَ شَيْطَانٌ وَوَصَفَ أَعْرَابِيٌّ فَرَسَهُ فَقَالَ كَأَنَّهُ شَيْطَانٌ فِي أَشْطَانٍ، وَالْقَوْلُ الثَّانِي أَنَّ الْيَاءَ أَصْلِيَّةٌ وَالنُّونَ زَائِدَةٌ عَكْسُ الْأَوَّلِ وَهُوَ مِنْ شَاطَ يَشِيطُ إذَا بَطَلَ أَوْ احْتَرَقَ فَوَزْنُهُ فَعْلَانٌ. انظر: المصباح، مصدر سابق، ج٥ ص١٢- ١٣.

(٣) قلت: إن أصل الكلمة من بلس وليس من أبلس والبلاس مِثْلُ: سَلَامٍ هُوَ الْمِسْحُ وَهُوَ فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ وَالْجَمْعُ بُلُسٌ بِضَمَّتَيْنِ مِثْلُ : عَنَاقٍ وَعُنُقٍ وَأَبْلَسَ الرَّجُلُ إبْلَاسًا سَكَتَ وَأَبْلَسَ أَيِسَ .

وَفِي التَّنْزِيلِ ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ وَإِبْلِيسُ أَعْجَمِيٌّ وَلِهَذَا لَا يَنْصَرِفُ لِلْعُجْمَةِ وَالْعَلَمِيَّةِ وَقِيلَ عَرَبِيٌّ مُشْتَقٌّ مِنْ الْإِبْلَاسِ وَهُوَ الْيَأْسُ وَرُدَّ بِأَنَّهُ لَوْ كَانَ عَرَبِيًّا لَانْصَرَفَ كَمَا يَنْصَرِفُ نَظَائِرُهُ نَحْوَ إجْفِيلٍ وَإِخْرِيطٍ، قاله المقري في المصباح. انظر: المقري في المصباح، ج١ ص٣٦٤.

(٤) ذكر المؤرخون هذه الأقوال في كتبهم، والراجح أن لباس آدم عليه السلام الظفر لما جاء في حديث صحيح الذي أخرجه الحاكم في مستدركه قال: أخبرني عبد الصمد بن علي البزار ببغداد ثنا أحمد بن محمد بن الحميد الجعفي ثنا عبد العزيز بن إبان ثنا سفيان الثوري عن عمرو بن قيس الملائي عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان لباس آدم و حواء الظفر فلما ذاقا الشجرة جعلا يخصفان عليهما من ورق الجنة قال: هو ورق التين" قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم

وإنما يجب لو كانت الثانية أصلية. قوله: ﴿مِن سَوْءَاتِهِمَا﴾ عورتهمتا سميت بذلك لأن كشفها يسيء صاحبها. قوله: ﴿وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا﴾ معطوف على وسوس بيان له. وقوله: ﴿[إلاَّ][1] أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ أى بفتح اللام أي لم ينهكما عن الأكل منها إلا كراهة أن تكونا من الملآئكة، أو تكونا من الخالدين في الجنة فالمعنى الذي ادعاه لهما، أن الأكل منها سبب لأن يكونا من الملآئكة وسبب للخلود فيها. قوله: [كراهة] أفاد المفسر أن الاستثناء مفرغ وهو مفعول من أجله، قدره البصريون ﴿إلاَّ﴾ [كراهة] ﴿أَن تَكُونَا﴾ الخ، وقدره الكوفيون أن لا تكونا، وتقدير البصريين أولى، لأن إضمار الاسم أحسن من إضمار الحرف.[2] قوله: [وقرىء بكسر اللام][3] أي شذوذا، ويؤيده قوله تعالى في موضع آخر ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾[4] فالملك بالضم يناسب الملك بالكسر. قوله: [أي وذلك] أي أحد الأمرين.

وقوله: [لازم] أي ناشىء [عن الأكل منها]، وقضية هذه الآية على قراءة الكسر، عدم اجتماع الأمرين، وقضية الآية الأخرى وهي ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾ اجتماعهما، وأجيب بأن أو بمعنى الواو، وحكمة ترغيبهما في الملكية، أن الملآئكة خصوا بالقرب من العرش، ولهم المنزلة عند الله.

قوله: ﴿وقاسمهما﴾ معطوف على ﴿فوسوس لهما الشيطان﴾ وإنما أقسم لهما لأجل تأكيد إضلاله، فهو أول من حلف كاذبا،[5] بل هو أول من عصى الله مطلقا. قوله: [أي أقسم لهما بالله] أي

يخرجاه، وقال الإمام الذهبي تعليقا قي التلخيص: صحيح. انظر: مستدرك الحاكم، كتاب التفسير، باب تفسير الأعراف، ج٢ ص٣٥٠. وانظر: ابن كثير ، في البداية والنهاية، مصدر سابق، ج١ ص٨٧.

(١) سقط ما بين معكوبتين في النسخ المطبوعة.

(٢) انظر: ابن عطية، مصدر سابق، ج٢ ص١٣.

(٣) قرأ جمهور الناس ﴿ملكين﴾ بفتح اللام وقرأ ابن عباس ويحيى بن أبي كثير والضحال ﴿مِلكين﴾ بكسر اللام. انظر: الطبري، مصدر سابق، ج١٢ ص٣٤٨.

(٤) سورة طه، الآية: ١٢٠.

(٥) والحلف لا يكون إلا بالله، ومن حلف بغير الله فقد أشرك، والإبليس اللعين كان يعرف ذلك، ولذا لم يقسم بغير الله، ولكنه حلف به وهو كاذب، وكل من حلف بالله وهو كاذب كان من حزبه، قال : وكان اللعين أول من حلف بالله كاذباً ، وظن آدم أن أحداً لا يحلف بالله كاذباً فاغترّ به فإن شأن المؤمن أن يعتقد بصدق من حلف بالله لتمكن عظمة اسم الله تعالى في قلبه وكان بعض

وقبلا منه القسم، فالمفاعلة باعتبار ذلك، وإلا فالواقع أنها ليست على بابها، لأن الحالف هو فقط. قوله: [في ذلك] أي ما ذكر من كونهما يلحقان بالملآئكة ويكونان من الخالدين.

قوله: ﴿فَدَلَّاهُمَا﴾ التدلي النزول من الأعلى إلى الأسفل.(١) قوله: [حطهما عن منزلهما] أي [الحسية]،(٢) لأن غرورة تسبب عنه نزولهما من الجنة إلى الأرض لا المعنوية، بل رتبتهما عند الله لم تنقص بل ازدادت. قوله: ﴿بِغُرُورٍ﴾ الباء سببية، والغرور تصوير الباطل بصورة الحق. قوله: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ﴾ من الذواق وهو تناول الشيء ليعرف طعمه، وفيه إشارة إلى أنهما لم يتناولا منها كثيرا، لأن شأن من ذاق الشيء أن يقتصر على ما قل منه. قوله: ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا﴾ أي سقط عنهما لباسهما فبدت إلخ. قوله: [ودبره] أي الآخر، وأما دبر نفسه فلا يظهر له، إلا إن التفت له وتعاناه.

قوله: [يسوء صاحبه] أي يوقعه في السوء. قوله: ﴿وَطَفِقَا﴾(٣) من باب طرب، أي شرعا وأخذا. قوله: ﴿يَخْصِفَانِ﴾ من خصف النعل خرزه والمراد يلزقان بعضه على بعض لأجل الستر. قوله: ﴿عَلَيْهِمَا﴾ أي القبل والدبر. قوله: ﴿مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ قيل ورق التين(٤) وقيل ورق الموز.(٥) قوله: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا﴾ يحتمل على لسان ملك أو مباشرة.(٦) قوله: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا﴾ إما تفسير للنداء فلا محل

العلماء. يقول : من خادعنا بالله خدعنا وفي الحديث : "المؤمن غرّ كريم والفاجر خبّ لئيم" [أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب ما ذكر في المكر والخديعة، ص١٥١]. انظر: حقي، إسماعيل بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، تفسير روح البيان، د.ط، (دار إحياء التراث العربى، د.ت.ط) ج٣ ص١١٠.

(١) قلت: وليس هذا هو المراد هنا، مع أن ما ذكره المصنف أحد المعنيين في اللغة لهذه الكلمة، والمعنى الآخر من الدالّ والدالَّة وهي الجُرْأة أي : فجرَّأهما كما قال الشاعر: أظن الحِلْمَ دَلَّ عليَّ قومي ❁❁ وقد يُسْتَجْهَلُ الرجلُ الحليم

وهذا المعنى هو أقرب ويكون معنى الآية إذاً: فحطهما بغرور من منزلة الطاعة إلى حال المعصية. انظر: ابن عطية، مصدر سابق، ج٢ ص٣٧٥-٣٧٦.

(٢) كذا في الأصل وفي النسخ المطبوعة [الحسنة] وهو خطأ.

(٣) وأصل كلمة طفق بمعنى جعل، ولذلك اختلف العلماء في توجيهه هنا إلى قولين: أحدهما: قاما يخصفان، قاله ابن بحر، والثاني: جعلا يخصفان، أي قطعان. انظر: الطبري: مصدر سابق، ج١٢ ص٣٥٠، والزبيدي في التاج، مادة "طفق".

(٤) اختار البغوي هذا القول. ا،ظر : البغوي ، مصدر سابق، ج٣ ص٢٢٠.

(٥) هذا على قول ابن عباس وقتادة. انظر: الطبري، المرجع نفسه، ج١٢ ص٣٥٤.

(٦) واختار الطبري الثاني أي أن المنادي هو الله عز وجل. انظر: الطبري، المرجع نفسه، ج١٢ ص٣٥٥.

له من الإعراب، أو مقول لقول محذوف، والتقدير قائلا ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا﴾ الخ، قوله: ﴿وَأَقُل لَّكُمَا﴾ أي كما في آية طه ﴿إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ ﴾[1] الآية. قوله: [بين العداوة] لكما[2] حيث امتنع من السجود له، ورضي بالطرد والبعد. قوله: [استفهام للتقرير][3] أي وهو حمل المخاطب على الإقرار، والمعنى أقر بذلك على حد ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[4].

قوله: ﴿قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ هذا إخبار من الله عن آدم وحواء باعترافهما وندمهما على ما وقع منهما، وإنما عاتبهما الله على ذلك، وإن كان ليس بمعصية حقيقة،[5] لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين، وليس ذلك بقادح في عصمة آدم، لأن المستحيال على الأنبياء تعمد المخالفة، وأما الخطأ في الاجتهاد والنسيان الرحماني فهو جائز عليهم، ونظير ذلك ما وقع في قصة ذي اليدين، حيث سلم رسول الله من ركعتين، فقال له ذي اليدين: أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله؟ فقال: كل ذلك لم يكن، فقال: بل بعض ذلك قد كان الحديث، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لم أنس ولكن أنسى لأسن"،[6] وحكمة الأكل من الشجرة ما ترتب على ذلك من وجود الخلق وعمارة الدنيا، فأنساه الله لأجل حصول تلك الحكمة البالغة،فمن نسب التعمد والتجر ؤ لآدم فقد كفر، كما أن من نفى عنه اسم العصيان فقد كفر المصادمة آية ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾[7] فالمخلص من ذلك أن يقال إن معصيته ليست كالمعاصي، وتقدم تحقيق هذا المقام في سورة البقرة فانظره. قوله: ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا﴾ شرط حذف جوابه اكتفاء بجواب القسم. قوله: [بما اشتملتا عليه من ذريتكما] أي فهذا هو وجه الجمع في الآية، وقيل إن الجمع باعتبار آدم وحواء والحية وإبليس.

---

(١) سورة طه، الآية: ١١٧.

(٢) قلت: بل ولأبناءهما، كما قال الله عز وجل في آية أخرى ﴿وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٦٨].

(٣) كذا في النسخ المطبوعة وفي الأصل [استفهام تقرير].

(٤) سورة الشرح، الآية: ١.

(٥) وفي كون ما فعل أبونا آدم من أكل الشجرة معصية أو غير معصية كلام عريض للعلماء، وأقول: إن

(٦) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب السهو، بَاب الْعَمَلِ فِي السَّهْوِ، برقم٢٢٥، ج٢ ص١٣٨.

(٧) سورة طه، الآية: ١٢١.

ويكون قوله: ﴿بعضكم لبعضٍ عدوٌّ﴾ باق على ظاهره لأن لإبليس والحية عدو لآدم وحواء. قوله: [مكان استقرار] أي وهو المكان الذي يعيش فيه الإنسان، والمكان الذي يدفن فيه.(1)

قوله: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾ أصله تحييون كترضيون، تحركت الياء الثانية وانفتح ما قبلها قلبت ألفا، ثم حذفت لالتقاء الساكنين. قوله: [بالبناء للفاعل الخ] أي في ﴿تُخْرَجُونَ﴾ وأما ﴿تَحْيَوْنَ﴾ و﴿تَمُوتُونَ﴾ فللفاعل لا غير.(2)

قوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ لما قدم قصة آدم وحواء وما أنعم عليهما، وفتنة الشيطان لهما خاطب أولاد آدم عموما بتذكير نعمه عليهم وحذرهم من اتباع الشيطان لأنهم عدو لأبيهم، والعداوة للآباء متصلة للأبناء.(3) قوله: ﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً﴾ أي أنزلنا أسبابه من السماء وهو المطر، فينشأ عنه النبات الذي يكون منه اللباس كالقطن والكتان، وتعيش به الحيوانات التي يكون منها الصوف والشعر والوبر والحرير. قوله: ﴿سَوْءَاتِكُمْ﴾(4) أي عوراتكم، أي فهو نعمة. قوله: ﴿وَرِيشاً﴾ معطوف على ﴿لِبَاساً﴾ وعبر عنه بالريش، لأن الريش زينة الطائر، كما أن اللباس زينة الآدميين، والمعنى أن الله تعالى منَّ على آدم بلباسين: لباسا يواري سوآتهم، ولباسا ريشا أي زينة، ويصح أن تكون معطوفا على ﴿يُوَارِي﴾

---

(١) وقد بين ذلك رب العالمين في سورة طه حيث قال: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [سورة طه، الآية: ٥٥].

(٢) قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو ﴿تُخرَجون﴾ بضم التاء وفتح الراء هنا، والتي في سورة الروم ﴿كذلك تُخرَجون ومن آياته﴾ [الآية: ١٩] وكذلك حيث تكرر إلا في سورة الروم ﴿إذا أنتم تَخرُجون﴾ [الآية: ٢٥] وفي سورة المعارج ﴿يوم يخرجون﴾ [الآية: ٤٣] فإن هذين بفتح التاء والياء وضم الراء، ولم يختلف القراء فيهما، وقرأ حمزة والكسائي في الأعراف ﴿ومنها تَخرُجون﴾ [الآية : ٢٥] بفتح التاء وضم الراء وفتح ابن عامر التاء في الأعراف وضمها في الباقي. انظر: ابن مجاهد، مصدر سابق ، ص٢٧٩.

(٣) قلت: وهذا وجيه في نظم الآية، وهناك توجيهان آخران، الأول: أنَّهُ تعالى لما بيَّنَ أنه أمر آدم وحواءَ بالهُبوطِ إلى الأرض ، وجعل الأرض لهما مُستَقراً بين بعده أنه تعالى أنزل كل ما يحتاجون إليه في الدنيا، ومن جملة ما يُحتاج إليه في الدِّين والدنيا اللِّباس، والثاني: أنَّهُ تعالى لما ذكر واقعة آدم في انكشاف العورةِ ، وأنه كان يخصف الورق على عَوْرَتيهما ، أتبعه بأن بينَ أنه خلق اللباسَ للخلق ، ليستروا به عَوْرَتَهُم ، ونبه بتكون الأشياء التي يَحْصُلُ منها اللِّبَاسُ ، فصار كأنه تعالى أنزل اللِّباسَ أي : أنزل أَسْبَابَهُ ، فعبَّر بالسَّبَبِ عن المسَبِّبِ . انظر: ابن عادل، مصدر سابق، ج٧ ص٣٠٧.

(٤) أي كناية عن فرجيهما كما جاء في البخاري. انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الأعراف، ج٤ ص٢٢٩.

فيكون وصف اللباس بشيئين: كونه يواري سوآتكم، وكونه زينة لكم، ويؤخذ من الآية أن لبس لباس الزينة غير مذموم، والمراد الزينة التي لم تخالف الشرع وهذا إن صح القصد بأن لم يقصد الفخر ولا العجب بها،[1] كما أن التقشف في اللباس غير مذموم إن كان خاليا من الأعراض الفاسدة، بأن لم يقصد به دعوى الولاية أو إظهار الفقر لأجل أن يتقصد عليه، وبالجملة فالمدار على حسن القصد تجمل بالثياب أو تخشن فيها،[2] وفي هذا المعنى قال بعضهم:

ليس التصوف لبس الصوف والخلق ❁❁ بل التصوف حسن الصمت والخلق

فالبس من اللبس ما تختار وقم ❁❁ جنح الظلام وأجر الدمع في الغسق

فرب لابس الديباج مشغله ❁❁ حب الذي خلق الانسان من علق

وكم فتى لابس للخيش تحسبه ❁❁ تاجى وذلك عند العارفين شقي

فإن ذلك لم يحجبه ملبسه ❁❁ وذا معه اللبس مأسور فلم يفق[3]

قوله: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ﴾ أي النشىء عنها أو الناشئة عنه. قوله: [العمل الصالح][4] أي المنجي من العذاب،

---

(١) إن قضية اللباس والثياب قضية مشهورة بوّب العلماء لها في كتبهم أبوابا يخصها، ويمكن أن نقول هنا إن اللباس إذا ستر العورة ولم يكن لباس شهرة ولا مشابها فيه لشعار دينٍ غيرِ الإسلام ولم يُقصد فيه التفاخر والتَبَخْتُر فهو جائز، فلا شك.

(٢) قلت : وللواحدي كلام جميل في هذه القضية يقول فيه عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [سورة الأحقاف، الآية:٢٠]: إن الصالحين يؤثرون التقشف والزهد في الدنيا رجاء أن يكون ثوابهم في الآخرة أكمل، لأن هذه الآية لا تدل على المنع من التمتع، لأن هذه الآية وردت في حق الكافر، وإنما وبخ الله الكافر، لأنه تمتع بالدنيا ولم يؤد شكر المنعم بطاعته، والإيمان به، وأما المؤمن فإنه يؤدي بإيمانه شكر المنعم، فلا يُبخ بتمتعه، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ التي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرزق﴾ [الأعراف : ٣٢] نعم لا يُنْكَر أنَّ الاحتراز عن التنعيم أولى؛ لأن النفس إذا اعتادت التنعيم صعب عليها الاحتراز والانقياد وحينئذ ربّما حمله الميْلُ إلى تلك الطيبات على فعل ما لا يَنْبَغِي. روى عمر، -رضي الله عنه-، قال: دخلت على رسول الله -ﷺ-، فإذا هو على زُمّالٍ حَصِيرٍ قد أثر الزّمّال بجنبه فقلت يا رسول الله: ادعه الله أن يُوسِّعَ على أمتك، فإنَّ فارساً والرومَ قد وسع عليهم وهم يعبدون غير الله فقال: "أولَئِكَ قوم قد عُجِّلَتْ لهم طيباتهم في الحياة الدنيا" [انظر الحديث: سنن البيهقي الكبرى، باب ما وجب عليه من تخيير النساء، برقم٩١٥٧، ج٥ ص٣٦٦]، انظر الواحدي، مصدر سابق، ج ٢٦ ص٢٣.

(٣) ولم أقف على قائلها.

(٤) هذا على قول عبد الله ابن عباس ، رضي الله عنهما. انظر: القرطبي، مصدر سابق ، ج٨ ص١٨٤.

لأن الانسان يكسى من عمله يوم القيامة.[1] قوله: [خبره جملة] ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ أي فاسم الاشارة مبتدأ ثان، وخير خبره، والجملة من المبتدإ الثاني، وخبره خبر الأول، واسم الإشارة عائد على قوله: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ﴾ وإنما كان خيرا لأنه يستر من فضائح الآخرة، وفي الحديث: "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، وإنما ينظر إلى أعمالكم وقلوبكم"[2] فإذا كان كذلك، فينبغي للانسان أن يشتغل بتحسين ظاهره بالأعمال الصالحة، وباطنه بالإخلاص، فإنه محل نظر الله منه،[3] ولذلك قال العارف البكري[4]: إلهي زين ظاهري بامتثال ما أمرتني به ونهيتني عنه، وزين سري بالإسرار وعن الأغيار فصنه.

---

(١) قلت: لعل المصنف يشير إلى الأحاديث التي فيها ذكر الكسوة لأصحاب القرآن وكسوة الكرامة وغيرها التي وردت في سنن الدارمي وغيره من حديث أبي صالح قال: سمعت أبا هريرة يقول: اقرؤوا القرآن فإنه نعم الشفيع يوم القيامة انه يقول يوم القيامة يا رب حله حلية الكرامة فيحلى حلية الكرامة يا رب اكسه كسوة الكرامة فيكسى كسوة الكرامة يا رب البسه تاج الكرامة يا رب أرض عنه فليس بعد رضاك شيء"، وهذا الحديث حسن لغيره. انظر: سنن الدارمي، كتاب فضائل القرآن، باب فضل القرآن، ج١ ص١٨٣، برقم٣٣١١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه. انظر: صحيح مسلم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَاب تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ وَخَذْلِهِ وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ وَعِرْضِهِ وَمَالِهِ، ج١ ص٢٨٣، برقم ٤٦٥١.

(٣) قلت، وهو محل النية والنية محلها القلب، ولا محل لها في اللسان في جميع الأعمال؛ ولهذا كان من نطق بالنية عند إرادة الصلاة، أو الصوم، أو الحج، أو الوضوء، أو غير ذلك من الأعمال كان مبتدعاً قائلاً في دين الله ما ليس منه؛ لأن النبي صلى الله عليه وسم كان يتوضأ ، ويصلي ويتصدق ، ويصوم ويحج، ولم يكن ينطق بالنية، فلم يكن يقول : اللهم إني نويت أن أتوضأ ، اللهم إني نويت أن أصلي، اللهم إني نويت أن أتصدق ،اللهم إني نويت أن أصوم، اللهم إني نويت أن أحج، لم يكن يقول هذا؛ وذلك لأن النية محلها القلب، والله عز وجل يعلم ما في القلب، ولا يخفي عليه شيء، كما قال الله تعالى في الآية التي ساقها المؤلف: ﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٢٩]، ويجب على الإنسان أن يخلص النية لله سبحانه وتعالى في جميع عباداته، وأن لا ينوى بعباداته إلا وجه الله والدار الآخرة. انظر: العثيمين، شرح رياض الصالحين، ج١ ص٣٦.

(٤) هو الإمام المسلك الخلوتي، مصطفى البكري بن كمال الدين بن علي بن كمال الدين بن عبد القادر محي الدين الصديقي الحنفي الدمشقي البكري، وهو شخصية محترمة عند العلماء المتصوفة جميعا والخلوتية خصوصا، كان يوصف عند المتصوف المتأخرين بأنه قطب الدين البنة، وهو الأستاذ الأعظم قدوة السالكين و شيخ الطريقة و الحقيقة، ومربي المريدين. ووصفه بعضهم بأنه بلغ إلى درجة الكشف، ولد بدمشق عام ١٠٩٩ هـ وسافر إلى بلاد كثيرة منها القسطنطينية وبلاد الروم والعراق وحلب والموصل وبلاد الشام ولبنان وبغداد والقدس ومصر والحجاز، وفي كل هذه البلاد انتشر عنه الطريق وعم الإرشاد ن توفي بمصر عام ١١٦٢هـ. انظر : الزركلي، في الأعلام، ج٧ ص٢٣٩.

قوله: ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ﴾ اسم الإشارة عائد على اللباس المنزل بأقسامه. قوله: [فيه التفات عن الخطاب] أي وكان مقتضى الظاهر لعلكم تذكرون، ونكتته دفع الثقل في الكلام.

قوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ لما ذكرهم نعمة اللباس، نبَّهَهُم على أن الشيطان حسود وعدو لهم، كما أنه عدوٌّ لأبيهم. قوله: ﴿لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ هو نهي له صورة، وفي الحقيقة نهي لنبي آدم عن الإصغاء لفتنته واتباعه، فليس المراد النهي عن تسلطه، إذ لا قدرة لمخلوق على منع ذلك، لأنه قضاء مبرم، بل المراد النهي عن الميل إليه، وإلى ذلك أشار المفسر بقوله: [أي لا تتبعوه فتفتنوا]. قوله: ﴿كَمَا أَخْرَجَ﴾ الكاف بمعنى مثل صفة لمصدر محذوف، وما مصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر، والتقدير فتنة إخراج أبويكم، والجامع بينهما زوال النعم في كل. قوله ﴿أَبَوَيْكُم﴾ أي آدم وحواء. قوله: [بفتنته] الباء سببية.

قوله:[حال] أي من ضمير الشيطان، وإسناد النزع إليه باعتبار كونه سببا فيه، والنزع أخذ الشيء بسرعة وقوة، ومنه قوله تعالى: ﴿تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾،[1] وفيه إشارة إلى أن من اتبع الشيطان، تزول نعمه بقوة وسرعة.[2] وأتى بالمضارع حكاية للحال الماضية استحضارا للصورة العجيبة.

قوله: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ﴾ تعليل للتحرز من الشيطان اللازم للنهي، كأنه قيل: فاحذروه لأنه يراكم الخ. قوله: ﴿وَقَبِيلُهُ﴾ معطوف على الضمير المتصل في ﴿يَرَاكُمْ﴾ وأتى بالضمير المنفصل، وإن كان قد حصل الفصل بالكاف زيادة في الفصاحة، والقبيل اسم لما اجتمع من شتات الخلق، ولذلك فسره بالجنود، والقبيلة الجماعة من أب واحد.[3] قوله: ﴿مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ﴾ ﴿مِنْ﴾ ابتدائية، و﴿حَيْثُ﴾ ظرف

---

(١) سورة القمر، الآية:٢٠.

(٢) كما في قوله عز وجل ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة، الآية:٢٦٨]، وقال السعدي رحه الله تعالى: وإياكم أن تتبعوا عدوكم الشيطان الذي يأمركم بالإمساك، ويخوفكم بالفقر والحاجة إذا أنفقتم، وليس هذا نصحا لكم، بل هذا غاية الغش، انتهى.[انظر : السعدي، مصدر سابق، ج١ ص١١٥]، قلت: وما دام الشيطان يعد بالفقر وهو كذاب لعين، ومن تمسك ولم ينفق فمعوله الفقر والتلف كما جاء في الحديث المتفق عليه من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-ﷺ-: " مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ اللَّهُمَّ: أَعْطِ ممسكا تلفا".[انظر: صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى الخ، ج٢ ص٥٢٢، برقم١٣٥٦، وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب المنفق والممسك، ج٣ ص٣٨٣، برقم ١٦٨٤].

(٣) والقَبِيلُ: الجماعةُ يكونون من الثلاثةِ فصاعداً من قَومٍ شتىَّ، وجمعُه: قُبُل، والقَبِيلةُ: بنو أبٍ واحدٍ. انظر: الزبيدي، في التاج، مصدر سابق، ج٤ ص١٤٣.

مكان التقدير إنه يراكم رؤية مبتدأه من مكان لا ترونهم فيه. قوله: [لِلَطَافَة أجسادهم] فأجسامهم كالهواء، نعلمه ونتحققه(١) ولا نراه للطافته وعدم تلونه، هذا وجه عدم رؤيتهم لنا فكثافة أجسادنا وتلوننا، وأما رؤية بعضهم لبعض فحاصله لقوة في أبصارهم.(٢) وهذا حيث كانوا بصورتهم الأصلية، وأما إذا تصوروا بغيرها فتراهم، لأن الله جعل لهم قدرة على التشكيل بالصور(٣) الجميلة أو الحسيسة، وتحكم عليهم الصورة كما في الأحاديث الصحيحة. فالآية ليست على عمومها والفرق بينهم وبين الملآئكة، أن الملآئكة لا يتشكلون إلا في الصورة الجميلة ولا تحكم عليهم بخلاف الجن وقد ورد أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم،(٤) وجعلت صدر بني آدم مساكن لهم، إلا من عصمه الله، كما قال تعالى: ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾(٥) فهم يرون بني آدم، وبنو آدم لا يرونهم. قال مجاهد: قال إبليس جعل لنا أربع نرى ولا نرى، ونخرج من تحت الثرى، ويعود شيخنا شابا.(٦) وقال مالك بن دينار: إن عدوا يراك ولا تراه لشديد المجاهدة، إلا من عصمه الله.(٧) قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءِ﴾ أي صيرناهم أعوانا لغير المؤمنين ومكناهم من إغوائهم. فتحرزوا منهم.

---

(١) أي تتم معرفتهم والتحقق بهم عن طريق الأحاديث التي وردت في شأنهم إضافة إلى الآيات التي تليت في حقهم.

(٢) وهذا رأي المعتزلة، وأما أهل السنة والجماعة قالوا : إنَّهُم يرون الإنْس لأن الله عز وجل خلق في عيونهم إدراكا، والإنس لا يرونهم، لأنَّهُ تعالى لم يخلق هذه الإدراك في عيون الإنس، وأما المعتزلة فتقول مثل ما قاله المصنف، قال الآلوسى ما والقضية مطلقة لا دائمة ، فلا تدل على ما ذهب إليه المعتزلة من أن الجن لا يرون ولا يظهرون للإنس أصلا ولا يتمثلون . ويشهد لما قلنا ما صح من رؤية النبى صلى الله عليه وسلم لأحدهم حين رام أن يشغله عن الصلاة فأمكنه الله منه ، وأراد أن يربطه فى سارية من سوارى المسجد ثم ذكر دعوة سليمان فى قوله: ﴿قَالَ رَبِّ اغفر لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّن بعدي﴾ فتركه. انظر: الآلوسى، مصدر سابق، ج٦ ص١٤٨.

(٣) كذا في الأصل، وفي النسخ المطبوعة [الصورة].

(٤) وقد ورد في صحيح البخاري من حديث عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ أَنَّ صَفِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَتَتْ النَّبِيَّ -ﷺ- وَهُوَ مُعْتَكِفٌ فَلَمَّا رَجَعَتْ مَشَى مَعَهَا فَأَبْصَرَهُ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فَلَمَّا أَبْصَرَهُ دَعَاهُ فَقَالَ: تَعَالَ هِيَ صَفِيَّةُ، وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ هَذِهِ صَفِيَّةُ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ. انظر: صحيح البخاري،كِتَاب الْأَدَبِ، باب التكبير والتسبيح عند التعجب ، برقم ١٩٣٠، ج٥ ص٢٢٩٥.

(٥) سورة الناس، الآية: ٥.

(٦) انظر: السيوطي، في الدر، ج٦ ص٣٥٥.

(٧) انظر: الكشاف، مصدر سابق، ج٢ ص٤٣٦، والبغوي، مصدر سابق، ج٣ ص٢٢٢.

قوله: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً﴾ هذه الآية نزلت في كفار مكة، كانوا يطوفون عراة رجالهم بالنهار، ونساؤهم بالليل، فكان أحدهم إذا قدم حاجا أو معتمرا يقول: لا ينبغي أن أطوف في ثوب قد عصيت فيه ربي، فيقول من يعير لي إزارا. فإن وجد وإلا طاف عريانا، وإذا فرض وطاف في ثياب نفسه، ألقاها إذا قضى طوافه وحرمها على نفسه.(١) قوله: ﴿قَالُواْ وَجَدْنَا﴾ الخ أي محتجين بهذين الأمرين: تقليد الآباء، والافتراء على الله.(٢) قوله: ﴿قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء﴾ أي رد لمقالتهم الثانية، وترك [رد](٣) الأولى لوضوح فسادها. قوله: ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ أي لأنكم لم تسمعوه مشافهة، ولم تأخذوه من الأنبياء الذين هم وسائط بين الله وخلقه. قوله: [استفهام إنكاري] أي وتوبيخ وفيه معنى النهي.

قوله: [معطوف على معنى القسط] دفع بذلك ما يقال إن قوله: ﴿أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ خبر. وقوله: ﴿وَأَقِيمُواْ﴾ إنشاء ولا يصح عطف الإنشاء على الخبر. فأجاب بجوابين: الأول أن أقيموا معطوف على المعنى، والتقدير قال أقسطوا وأقيموا. الثاني أن الكلام فيه حذف، والتقدير قل أمر ربي بالقسط فاقبلوا وأقيموا. قوله: [أي أخلصوا له سجودكم] أي صلاتكم، ففيه تسمية الكل باسم أشرف أجزائه، لأن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد.(٤) قوله: ﴿وَادْعُوهُ﴾ عطف عام. قوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ كلام مستأنف مسوق للرد على منكري البعث(٥) أي يعيدكم أحياء

---

(١) ذكره السيوطي وأسنده إلى ابن أبي حاتم. انظر: السيوطي في الدر، ج٨ ص٢٣١.

(٢) ولا زالت هذه هي الحجة للمعاندين المقلدة تقليد الأعمى قبل نزول القرآن وبعده إلى يومنا هذا.

(٣) سقط ما بين القوسين في النسخ المطبوعة.

(٤) وهذا جزء من الحديث الصحيح الذي أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. انظر: صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، ج٢ ص٤٩ برقم١١١١.

(٥) قلت: ولهذا الدليل اختلف المفسرون فيها إلى أربعة أقوال: القول الأول أن معنى الآية: كما بدأكم شقياً وسعيداً، كذلك تبعثون يوم القيامة، قال به ابن عباس –رضي الله عنهما–، والثاني: قالوا: كما بدأكم فآمن بعضكم وكفر بعضكم، كذلك تبعثون يوم القيامة، قال به أبو سفيان. والثالث: قالوا: كما خلقكم ولم تكونوا شيئاً، كذلك تعودون بعد الفناء أحياء. قال به الحسن، وابن زيد. والرابع: كما بدأكم لا تملكون شيئاً، كذلك تبعثون يوم القيامة. وبه يقول جمهور المفسرين واستدلوا بقوله –ﷺ–: "يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرلاً وَأَوَّلُ مَنْ يُكَسَى إِبْرَاهِيمُ عَلَيهِ السَّلاَمُ" ثم قرأ ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [سورة الأنبياء،

[أي] [1] بالأرواح والأجساد بعينها.

قوله: ﴿فَرِيقاً هَدَى﴾ فريقا معمول لهدى، وفريقا الثاني معمول لمقدر من قبيل الاشتغال موافق في المعنى، والتقدير وأضل فريقا حق عليهم الضلالة، أي ثبت في الأزل ضلالهم. قوله: ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا﴾ علة لقوله: ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ قوله: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ أي يظنون أنهم على هدى، والحال أنهم ليسوا كذلك.

قوله: ﴿يابني آدم﴾ إلخ سبب نزولها كما قال ابن عباس: أن العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة، الرجال بالنهار والنساء بالليل يقولون لا نطوف فى ثياب عصينا الله فيها وكانوا لا يأكلون فى ايام حجهم إلا قوتا ولا يأكلون لحما ولا دسما يعظمون بذلك حجهم، فهَمَّ المسلمون أن يفعلوا كفعلهم، [2] قوله: [ما يستر عورتكم] راعى فى هذا المحل سبب النزول، واصل الواجب وعموم اللفظ يفيد أن المطلوب فى الصلاة والطواف ومشاهد الخير جميل الثياب كما هو المندوب شرعا تأمل. [3] قوله ﴿عند

الآية: ١٠٤]. انظر: الطبري، ج١٢ ص١٢٣، والقرطبي، مصدر سابق، ج٧ ص١٨٧، والبغوي، مصدر سابق، ج٣ ص٢٢٢. وابن كثير، مصدر سابق، ج٣ ص٤٠٢-٤٠٤.

(١) سقط ما بين القوسين في النسخ المطبوعة.

(٢) هذه الآية الكريمة رد على المشركين فيما كانوا يعتمدونه من الطواف بالبيت عراة ، كما رواه مسلم والنسائي وابن جرير – واللفظ له – من حديث شعبة، عن سلمة بن كهيل، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كانوا يطوفون بالبيت عراة، الرجال والنساء: الرجال بالنهار، والنساء بالليل، وكانت المرأة تقول، اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله فقال الله تعالى: ﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾. انظر: الطبري، مصدر سابق، ج١٢ ص٣٨٩، وهذا الخبر، رواه مسلم في صحيحه، كتاب أبواب الصلاة، باب وجوب الصلاة في الثياب وقول الله تعالى: ﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾، ج١ ص١٣٩ برقم ٣٤٤، ورواه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، تفسير سورة الأعراف، برقم٣٢٤٦، ج ٢ ص٣١٩، من طريق أبي داود الطيالسي، عن شعبة، بنحوه، ولكن قال: (نزلت هذه الآية: قل من حرم زينة الله)، ثم قال الحاكم : (حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي.

(٣) والذي يظهر أن معنى الزينة في هذه الآية هو اللباس الساتر المسبغ للعورة ما لم يقصد به إسراف ولا مخيلة، وهو المطلوب للمصلي ارتداءه كما هو مبين في كتب الفقه، قال ابن عادل: والزينة لا تحصل إلا بالسّتر التام للعورات ، ولذلك صار التزين بأخذ الثياب في الجمع والأعياد سُنَّة، فوجب حمل الزينة على ستر العورة. انظر: ابن عادل، مصدر سابق، ج٧ ص٣٢٣.

كل مسجد﴾ المسجد فى الاصل موضع السجود، ثم أطلق وأريد منه نفس الصلاة والطواف،[1] من باب تسمية الحال باسم المحل، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالذي ينبغي للأمة التجمل بالثياب عند حضور مشاهد الخير مع القدرة،[2] قوله ﴿وكلوا واشربوا﴾ أي من الحلال فإنه راس التقوى. قوله ﴿ولا تسرفوا﴾ أي بأن تُحَرِّموا الحلال كما كانوا يفعلون من امتناعهم من اللحم والدسم، أو تُحلوا الحرام أو تتجاوزوا الحد فى الاكل والشرب، كالتعمق فى ذلك أو الإكثار المضر، لما فى الحديث "ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه"[3] لأن ما زاد على ثلث البطن لا يعود على الشخص إلا بالضرر،[4] لما في الحديث "أصل كل داء البردة" [5] وهي إدخال الطعام على الطعام فالمناسب ان لا يأكل حتى يجوع، وأن يقوم ونفسه تشتهي [الطعام][6]، فإن ملك النفس على الاسراف فى المباح، أكبر دليل على ملكها عن

---

(١) ولذلك قال الواحدي: ﴿عند كل مسجد﴾ للصلاة والطواف. انظر : الواحدي، مصدر سابق، ج١ ص٢١٨.

(٢) قلت: احتج بعض العلماء بهذه الآية وبما ورد في معناها من السنة، أنه يستحب التجمل عند الصلاة، ولا سيما يوم الجمعة ويوم العيد، وكذلك الطيب لأنه من الزينة، والسواك لأنه من تمام ذلك، ومن أفضل الثياب البياض، كما جاء في الحديث الذي أخرجه أحمد: في مسنده من حديث عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " البسوا من ثيابكم البياض، فإنها من خير ثيابكم، وكفنوا فيها موتاكم، وإن من خير أكحالكم الإثمد، فإنه يجلو البصر، وينبت الشعر". هذا حديث جيد الإسناد، رجاله على شرط مسلم، ورواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، من حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم، وقال الترمذي: حسن صحيح. انظر:[سنن أبي داود، كتاب الطب، باب في الأمر بالكحل، ج٤ ص٩ برقم ٣٨٨٠، وسنن ابن ماجه، كتاب الطب، باب الكحل والإثمد، ج٢ ص١١٥٦ برقم٣٤٩٥].

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه، انظر: الحاكم في المستدرك، كتاب الرقاق، برقم٧٩٤٥، من حديث المقدام بن معدي كرب الكندي رضى الله تعالى عنه. ج٤ ص٣٤١، وروى الترمذي في صحيحه، عَنْ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . يَقُولُ: مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِن بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ فَإِنْ كَانَ لا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ"، قَالَ أَبو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. انظر: صحيح الجامع للترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل، برقم ٢٤٨٦، ج

(٤) قلت: وهذه الجملة جزء من الحديث ولكنه أتاه بالمعنى، والله أعلم.

(٥) قال السخاوي: "لا يصح رفعه إلى النبي – ﷺ- بل هو من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب أو غيره" المقاصد الحسنة (١٠٣٥) ، وانظر : كشف الخفاء (٢٣٢٠).

(٦) سقط ما بين القوسين في النسخ المطبوعة.

الحرام.[1] قوله ﴿إنه لا يحب المسرفين﴾ أي يعاقبهم على ذلك ولا يرضى فعلهم. قوله [إنكارا عليهم] وتوبيخا لهم، وحيث كان إنكاريا فلا جواب له.

قوله: ﴿التي أخرج لعباده﴾ أي التي خلقها من النبات، كالقطن والكتان، ومن الحيوان كالحرير والصوف، ومن المعادن، كالدروع، وكلها جائزة للرجال والنساء، ماعدا الحرير الخالص للرجال فإنه يحرم عليهم إجماعا،[2] وأما ما اختلط بالحرير وغيره ففيه خلاف العلماء بالكراهة والحرمة والجواز،[3] والمعتمد

---

(١) قلت: إذ هو حلال له ولم يؤمر بتركه، فتركه وإتيانه له سواء وأما الحرام فهو منهي عنه إتيانه ومن ملك نفسه عن العفو فيما أبيح له سهل عليه ترك ما نهي عنه، فله أن يفعل ما يشاء مما أباح الله له على حدود قول النبي صلى الله عليه وسلم، سنن النسائي (٥/٧٩) وسنن ابن ماجة برقم (٣٦٠٥). وقال ابن عباس –رضي الله عنهما–: "كُلْ ما شِئْتَ، والبَسْ ما شئت، ما أخطأتك خصلتان: سرف ومخيلة". انظر: صحيح البخاري، كِتَاب اللِّبَاسِ، بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾، ج١٨ ص٨١.

(٢) وهو كما قال المصنف إنه يحرم على الرجال لبس الحرير والتختم بالذهب، ويحل للنساء اللبس والتختم مطلقاً والتحلي بالحلي من الذهب والفضة، كما ورد في أحاديث كثيرة منها: "الذهب والحرير حِلٌّ لإناث أمتي، حرام على ذكورها" [رواه ابن أبي شيبة عن زيد بن أرقم، وأخرجه الترمذي بلفظ آخر عن أبي موسى الأشعري، وقال: حديث حسن صحيح،] وحديث علي –رضي الله عنه– قال: "نهى رسول الله –ﷺ– عن التختم بالذهب" [رواه الجماعة إلا البخاري. وقال عنه الترمذي: حديث حسن صحيح]، وحديث عبد الله ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: إن رسول الله –ﷺ– رأى في يد رجل خاتماً من ذهب، فنزعه فطرحه، وقال: "يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده" ، وقال رسول الله – ﷺ –: "إنما يلبس الحرير في الدنيا من لا خلاق له في الآخرة" [رواه مسلم]. [ويرجع في هذه المسألة إلى كل من: تكملة الفتح: ج٨ ص٨٣، –٩٧، اللباب: ج٤ ص ١٥٧–١٥٨، وتبيين الحقائق: ج٦ ص١٤ ومابعدها، والدر المختار: ج٥ ص٢٥٥، وشرح الرسالة: ج٢ ص٣٧١ ومابعدها، والمنتقى على الموطأ: ج٧ ص٢٥٤، والمهذب: ج١ ص١١، وبجيرمي الخطيب: ج٢ ص٢٢٧–٢٣٠، ٢٩٥، ونيل الأوطار: ج٢ ص٨١–٨٣، والمغني: ج١ ص٥٨٨–٥٩١].

(٣) والحرير المخلوط بغيره إذا كان أكثر من بقية فهو حرام عند الشافعية وإن كان نصفه فما دونه من الحرير فليس بحرام . فهم يرون أن للأكثر حكم الكل. قال النووي: أما المختلط من حرير وغيره فلا يحرم إلا أن يكون الحرير أكثر وزنا. انظر: النووي، وعند المالكية في المختلط أقوال ثالثها الكراهة ، ومنهم من فرق بين الخز وبين المختلط بقطن ونحوه فأجاز الخز ومنع الآخر ، وهذا مبني على تفسير الخز، وقد ثبت لبس الخز عن جماعة من الصحابة وغيرهم ، قال أبو داود : لبسه عشرون نفسا من الصحابة وأكثر، وأورده ابن أبي شيبة عن جمع منهم وعن طائفة من التابعين بأسانيد جياد، وأعلى ما ورد في ذلك ما أخرجه أبو داود من طريق عبد الله بن سعد الدشتكي عن أبيه قال: "رأيت رجلا على بغلة وعليه عمامة خز سوداء وهو يقول: كسانيها رسول الله –ﷺ- [انظر سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب مَا جَاءَ فِي الْخَزِّ، ج٤ ص٨٠ برقم٤٠٤٠]. والأصح في تفسير الخز أنه ثياب سداها من حرير ولحمتها من غيره، وقيل: تنسج مخلوطة من حرير وصوف أو نحوه ، وقيل : أصله اسم دابة يقال لها الخز سمي الثوب المتخذ من وبره خزا لنعومته ثم أطلق

عدم الحرمة، قوله ﴿قل هي﴾ أي الزينة من الثياب التبع، وهذا جواب عما يقال: إن المشاهد أن الكافر يستمتع بالزينة والمستلذات أكثر من المسلم، فكيف يقال إنها ﴿للذين آمنوا فى الحيوة الدنيا﴾ فأجاب بما ذكر،[١] ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـٰذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[٢]، ولذا لا يعاقبون عليها لأن الله خلقها لهم بطريق الاصالة ليستعينوا بها على طاعاته ولذا إذا عدمت المؤمنون فى آخر الزمان تقوم القيامة، إذ لم يبق مستحق للنعم.[٣] قوله [خاصة بهم] أي لا يشاركهم فيها غيرهم. قوله [بالرفعي] أي خبر ثان. قوله [والنصب حال] أي من الضمير فى الخبر في المحذوف، والتقدير هي كائنة للذين ءامنوا فى الحيوة الدنيا حال كونها خالصة لهم يوم القيامة، وإنما كانت خالصة للمؤمنين يوم القيامة، لأن رحمة الله تنفرد بالمؤمنين وغضبه ينفرد بالكافرين، قال تعالى، ﴿وامتزوا اليوم أيها المجرمون﴾،[٤] قوله: ﴿كذلك نفصل الايت﴾ أي نُبَيِّنُها ونُوَضِّحُها فى غير هذا الموضع، مثل ذلك التفصيل والتوضيح فى هذا الموضع، قوله ﴿لقوم يعلمون﴾ أي إنه مستحق للعبادة. قوله [فإنهم المنتفعون بها] اي وغيرهم لا يعبأ به ولا يخاطب. قوله [كالزنى] أي والقتل وسلب الاموال وسائر الانواع

على ما يخلط بالحرير لنعومة الحرير ، وعلى هذا فلا يصح الاستدلال بلبسه على جواز لبس ما يخالطه الحرير ما لم يتحقق أن الخز الذي لبسه السلف كان من المخلوط بالحرير والله أعلم . وأجاز الحنفية والحنابلة لبس الخز ما لم يكن فيه شهرة ، وعند مالك الكراهة، وهذا كله في الخز. انظر: ابن حجر العسقلاني في الفتح، ج١٠ ص٢٩٥، وابن رشد، مصدر سابق، ج١ ص١١٦،

(١) يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: هي مخلوقة لمن آمن بالله وعبده في الحياة الدنيا، وإن شركهم فيها الكفار حسًا في الدنيا، فهي لهم خاصة يوم القيامة، لا يَشْرَكهم فيها أحد من الكفار، فإن الجنة محرّمة على الكافرين. انظر : ابن كثير، مصدر سابق، ج٣ ص٢١٠.

(٢) سورة البقرة، الآية:١٢٦.

(٣) كأن المصنف يشير إلى حديث عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه– الذي أخرجه مسلم في صحيحه " لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق " . انظر: صحيح مسلم، كتاب الفتن ، باب قرب الساعة ، برقم ٢٩٤٩، ج٤ ص٢٢٦٨.

قلت: وليس في الحديث ذكر أن القيامة لسبب عدم المؤمنين على الأرض، بل إنما لمجيء الأجل الذي حدده ربنا عز وجل لقيامه كما في غير آية من القرآن، والله أعلم.

(٤) سورة يس، الآية: ٥٩.

الفسق بالجارحة، قوله [أي جهرها وسرها] المراد بالجهر المعاصي الظاهرية، كالقتل وشرب الخمر، وسر المعاصي الباطنية القلبية كالعجب والكبر والرياء.

قوله: ﴿والإثم﴾ عطف عام على خاص، وما بعده عطف خاص على عام لمزيد الاعتناء بشأنه. قوله [هو الظلم] أي للناس، إما بالقتل، أو سلب الأموال، أو التكلم فى أعراضهم أو غير ذلك، قوله ﴿بغير الحق﴾ إيضاح لمعنى ﴿والبغي﴾ فهو صفة كاشفة. قوله ﴿ما لم ينزل به سلطنا﴾ ما نكرة بمعنى شئ، أي شيئا سواه تعالى. قوله: [حجة] أي دليلا، لأن دليل الوحدانية لله أبطل الشر لغيره. قوله [وغيره] أي كتحليل الحرام،(١) ويدخل فى ذلك المفتي بالكذب.(٢)

قوله: ﴿ولكل أمة أجل﴾ أي لكل فرد من أفراد الأمة.(٣) قوله [مدة] وقت معين. قوله [ساعة] أي شئيا قليلا من الزمن فالمراد بالساعة الساعة الزمانية، وقوله: ﴿لا يستأجرون﴾ جواب إذا، وقوله ﴿ولا يستقدمون﴾ مستأنف أو معطوف على الجملة الشرطية، ولا يصح عطفه على قوله: ﴿لا يستأجرون﴾ لأن المعطوف على جواب، وجواب إذا يشترط أن يكون مستقبلا، والاستقدام بالنسبة لمجئ الأجل ماض، فلا يصح ترتبه على الشرط.(٤)

---

(١) وأهل السنة والجماعة مجمعون سلفا وخلفا أن من أحل بما حرم الله ورسوله أو حرَّم ما أحل الله ورسوله وهو يعلم حلته وحرمته فقد كفر لأنه نزَّل نفسه منزلتهما في التحليل والتحريم. انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١٥ ص١٢١.

(٢) كما في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص- رضى الله عنهما- عن النبي -ﷺ- إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينزعه من صدور الرجال ولكن يقبض العلم بقبض العلماء فإذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا". [انظر: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، ج١ ص٥٠ برقم١٠٠، وصحيح مسلم، كتاب العلم، باب رَفْعِ الْعِلْمِ وَقَبْضِهِ وَظُهُورِ الْجَهْلِ وَالْفِتَنِ فِى آخِرِ الزَّمَانِ، ج٨ ص٦٠ برقم٦٩٧١].

(٣) وهذا التفسير على ما ذهب إليه الجمهور وبقي أقوال ثلاثة: قال ابن عباس وعطاء والحسن وجويبر: ولكل أمة كتاب فيما قضاه الله عليهم من سعادة أو شقاوة، من عذاب أو رحمة، وقال معاذ بن جبل: ولكلٍ نبي يدعوهم إلى طاعته وينهاهم عن معصيته، والقول الأخير ما ذهب إليه المتأخرون من المفسرين كالسعدي والشوكاني وغيرهما، قالوا: وقد أخرج اللّه بني آدم إلى الأرض، وأسكنهم فيها، وجعل لهم أجلا مسمى لا تتقدم أمة من الأمم على وقتها المسمى، ولا تتأخر، لا الأمم المجتمعة ولا أفرادها. انظر: البغوي، مصدر سابق، ج٣ ص٢٢٦، والسعدي، مصدر سابق، ج١ ص٢٨٧،

(٤) وفي الآية دليل على أنه لن يموت أحد إلا لأجَله وإذا جاء أجله لا يستأخر ولا يستقدم، ولم يخالف في ذلك إلا المعتزلة، وقالوا إن المقتول يموت لغير أجله لأنه لو لم يقتل لعاش إلى أجله، وهذا القول منهم واضح البطلان، قال الإمام القرطبي: وهذا غلط، لأن المقتول لم يمت من أجل قتل غيره له، بل من أجل ما فعله الله من إزهاق نفسه عند الضرب له. فإن قيل: فإن مات بأجله فلم تقتلون

قوله: ﴿يبني آدم﴾ هذا خطاب عام لكل لآدم عليه ولادة من أول الزمان لآخره، ولكن المقصود من كان في زمنه -ﷺ-، وفي هذه الآية دليل على عموم رسالته لأن الله خاطب من أجله عموم بني آدم. قوله: [في ما المزيدة] أي للتأكيد قوله: ﴿يأتينكم﴾ فعل الشرط مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة في محل جزم، وجملة ﴿فمن اتقى﴾ الى ﴿خلدون﴾ جواب الشرط، والرابط محذوف تقديره فمن اتقى منكم، و﴿مَنْ﴾ يحتمل أن تكون شرطية، واتقى فعل الشرط، وجملة ﴿فلا خوف عليهم﴾ جوابه، ويحتمل أنها موصولة، واتقى صلتها، وجملة ﴿فلا خوف عليهم﴾ خبرها، وقرن بالفاء في المبتدأ من معنى العموم. قوله ﴿منكم﴾ أي من جنسكم يا بني آدم، وإنما كان من جنسهم لأنه أقطع لعذرتهم وحجتهم.(١) قوله ﴿يقصون﴾(٢) أي يقرؤون ويتلون. قوله ﴿ءايتي﴾ أي القرآنية وغيرها. قوله ﴿فمن اتقى﴾ [الشرك] أشار بذلك إلى أن المراد بالتقوى هنا التقوى العامة، وهي اتقاء الشرك بالايمان لقرينة.(٣) قوله ﴿وأصلح﴾ وأعلى منها تقوى الخواص، وهي ترك المعاصي وأعلى منها ترك الاغيار وهي كل مشغل عن الله، ولهذه المرتبة أشار العارف(٤) بقوله:

ضاربه وتقتصون منه؟. قيل له: نقتله لتعديه وتصرفه فيما ليس له أن يتصرف فيه، لا لموته وخروج الروح إذ ليس ذلك من فعله. ولو ترك الناس والتعدي من غير قصاص لأدى ذلك إلى الفساد ودمار العباد. وهذا واضح. انظر: القرطبي، مصدر سابق، ج٧ ص٢٠٢.

(١) كما في الآية الأخرى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة إبراهيم، الآية:٤].

(٢) أصل كلمة قصَّ من قصص ثم أدغمت الصاد الأول في الثاني، قصص :القص تتبع الاثر، يقال قصصت أثره والقصص الاثر، قال): ﴿فارتد على آثارهما قصصا﴾ وقوله تعالى:﴿ وقالت لاخته قصيه﴾ ومنه قيل لما يبقى من الكلإ فيتتبع أثره قصيص، وقصصت ظفره، والقصص الاخبار المتتبعة. انظر: الأصفهان، في غريب القرآن، ج٤ ١٢١.

(٣) قال الألوسي: والمراد فمن اتقى منكم التكذيب وأصلح عمله فلا خوف الخ. وتوحيد الضمير وجمعه لمراعاة لفظ من ومعناه. انظر: الألوسي، مصدر سابق، ج٦ ص٣١٩.

(٤) وهو ابن الفارض :وهو شاعر متصوف، يلقب بسلطان العاشقين، في شعره فلسفة تتصل بما يسمى وحدة الوجود. واسمه أبو حفص عمر بن أبي الحسن علي بن مرشد بن علي الحموي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة، يقال إنه في الأصل ينتمي لقبيلة بني سعد بشبه الجزيرة العربية، لقبه شرف الدين بن الفارض، ولد في الرابع من ذي القعدة سنة ٥٥٧ من الهجرة الموافق ١٥ تشرين الأول/أكتوبر ١١٦٢، وتوفي سنة ٦٣٢ للهجرة ١٢٣٤. سمي بابن الفارض واشتهر به لأن والده كان يثبت فروض النساء على الرجال بين يدي الحكام فلقب بالفارض، ويستدل من الاسم والمهنة أن الوالد كان رجل فضل وعلم يتصدر مجالس الحكم

ولوح خطرت لي سواك إرادة ** على خاطري يوما حكمت بردي

قوله: ﴿وأصلح﴾ [عمله] أي بأن ترك المعاصي أو كل مشغل عن الله فهو صادق بتقوى الخواص وخواص الخواص،[1] وأحوال الاخرة ولو جاءتهم البشرى من الله، فالحزن دأب الصالحين فى الدنيا لزيادة درجاتهم. قوله ﴿فلم يؤمنوا بها﴾ أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، أي [تكبروا] عن الايمان بها. قوله ب [اي لا أحد] أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله [بنسبة الشريك] الباء سببية، والمعنى: لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذبا، بسبب نسبة الشريك لله، ككفار مكة حيث اشركوا مع الله الاصنام، والنصارى واليهود حيث نسبوا له الولد. قوله ﴿أو كذب بآيته﴾ وإن لم ينسب الشريك له، لأنه لا يلزم من التكذيب بالآيات نسبة الشريك له، وأما نسبة الشريك فليزم معها التكذيب بالآيات.[2]

قوله: ﴿أولئك ينالهم نصيبهم﴾[3] أي فى الدنيا قوله. قوله ﴿من الكتب﴾ من ابتدائية متعلقة بمحذوف حال من نصيبهم، وقوله: [مما كتب لهم] بيان للنصيب. قوله [من الرزق] أي على حسبه من

والعلم، يقال إن منصب قاضي القضاة عرض على الاب فرفض واعتزل وانقطع للعبادة في قاعة بالمسجد الأزهر حتى توفاه الله. وهذه الأبيات من ضمن أبياته المعروف بالتائيات المسماة بنظم السلوك، يقول فيها:

وعـــنْ مَذهَبي في الحبِّ ماليَ مذهب ❁❁ وإنْ مِلْتُ يوماً عـــنهُ فارَقـــتُ ملتي

ولـــوْ خطـــرَتْ لـــي ، في سِـــواكِ إرادة ❁❁ على خاطري ، سَهواً ، قضيتُ بردتي

لكِ الحُكمُ في أمْري ، فما شئتِ فاصنعي ❁❁ فلمْ تكُ ، إلاّ فيكِ لا عنكِ، رغبتي.

انظر: ابن خلكان في وفيات الأعيان، ج١ ص٣٨٣، و الذهبي، في ميزان الإعتدال، ج٢ ص٢٦٦، وابن حجر العسقلاني، في لسان الميزان، ج٤ ص٣١٧، والزركلي في الأعلام، ج٥ ص٥٥، ومبارك في الخطط التوفيقية، ج٥ ص٥٩، وابن العماد الحنبلي، في شذرات الذهب، ج٥ ص١٤٩-١٥٣.

(١) هذه مصطلحات يستعملها علماء العقيدة المتصوفة في كتبهم، ويعنون بها غالبا الأولياء المقربين إلى الله، وليس في قلوبهم غير الله.

(٢) وفي هذه الآية دلالة واضحة على أن الفاسق من أهل الصَّلاة لا يخلد في النار، لأنَّهُ تبارك وتعالى بين أن المكذبين بآيات اللّه والمستكبرين عن قبولها هم الذين يبقون مخلدين في النار.

(٣) ففي هذه الآية ﴿أُوْلَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ﴾ خمسة أقوال:

أحدها : : قول ابن عباس: (ينالهم ما قدر لهم من خير وشر)، انظر: الطبري، المرجع نفسه، ج١٢ ص٤١١، والبغوي، المرجه نفسه، ج٣ ص٢٢٧، والسيوطي في الدر المنثور، ج٦ ص٣٨٢.

سعة وضيق، وكونه من حلال أو حرام، وقوله: [والاجل] أي من قصر أو [من][1] طول، قوله: [وغير ذلك] أي كالعمل، وكما أن ذلك مكتوب فى اللوح المحفوظ، مكتوب فى صحف الملائكة وهو فى بطن أمه،[2] فتحصل أن ما قسم له فى الحياة الدنيا لا يغيره كفر ولا إسلام.[3] قوله ﴿حتى إذا جاءتهم﴾ حتى إما ابتدائية أو جارة. قوله [الملائكة] قيل إنهم عزرائيل وأعوانه، لقبض أرواحهم،[4] وقيل إنهم ملائكة العذاب،[5] وتقدم أنهم سبع موكلون بأخذ روح الكافر قبضها للعذاب. قوله [تبكيتا] أي توبيخا وتقريعا. قوله ﴿ما كنتم تدعون من دون الله﴾ أي الآلهة التى كنتم تعبدونها في الدنيا فتمنعكم الآن من

والثاني: قول مجاهد: (ينالهم ما وعدوا من خير وشر). انظر: الطبري المرجع نفسه، ج١٢ ص٤١٢، والخازن، مصدر سابق، ج٢ ص١٨٧، والسيوطي في الدر المنثور، ج٦ ص٣٨٢.

والثالث: قول سعيد ابن جبير، (ينالهم ما قضى لهم من الشقاوة والسعادة). انظر: الطبري، المرجع نفسه، ج١٢ ص٤٠٩، والبغوي، المرجع نفسه، ج٣ ص٢٢٧، والسيوطي، في الدر المنثور، ج٦ ص٣٨٢.

والقول الرابع: قول محمد ابن كعب القرظي، (أراد به الأجل والعمل والرزق). انظر: الطبري، المرجع نفسه، ج١٢ ص٤١٥، والبغوي، المرجع نفسه، ج٣ ص٢٢٧، والسيوطي، في الدر المنثور، ج٦ ص٣٨٢.

والقول الخامس : قول الطبري وغيره من المفسرين، (ينالهم من العذاب المذكور في الكتاب فإنه ذكر في الكتاب الفرق من الكفار مثل المنافقين واليهود والنصارى والمشركين) انظر : الطبري، المرجع نفسه، ج١٢ ص٤٠٨.

والذي أرى أن القول الأول والثلث والرابع كلها توحي إلى شيء واحد، وهو الصواب إن شاء الله لما في قول الله عز وجل: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ [سورة الأعراف، الآية:٣٧]، ثم الذي ينالهم من نصيب كان مقضيا عليهم في الدنيا إلى وقت وصول ملك الموت، وما ينالهم هو الخير والشر والأرزاق والأجل. انظر الطبري، المرجع نفسه، ج١٢ ص١٠٢.

(١) لم يكن ما بين القوسين في الأصل وزيد في النسخ المطبوعة.

(٢) كما جاء في صحيح البخاري من حديث عَبْدُ اللَّهِ قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ قَالَ: "إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ وَيُقَالُ لَهُ اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ" [انظر: صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب في ذكر الملآئكة، ج١٠ ص٤٨٥، رقم٣٢٠٧].

(٣) كما دل علي ذلك قول الله عز وجل: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾ [سورة فصلت، الآية:١٠].

(٤) انظر: الطبري، مصدر سابق، ج١٢ ص٤١٥، والبغوي، مصدر سابق، ج٣ ص٢٢٧.

(٥) انظر: وقيل إنها وفاة الحشر إلى النار يوم القيامة ، قاله الحسن . انظر: ابن عطية، مصدر سابق، ج٨ ص١٤٤.

العذاب. قوله [فلم نرهم] أي مع شدة احتياجنا إليهم فى هذا الوقت، قوله ﴿وشهدوا على أنفسهم﴾ كلام مستأتف إخبار من الله بإقرار على أنفسهم بالكفر، ولا تعارض بين هذا وبين قوله ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾[١]، لأن مواقف القيامة مختلفة.

قوله: ﴿قال ادخلوا فى أمم﴾ أي لهؤلاء الذين افتروا على الله الكذب وكذبوا بآياته. قوله ﴿فى أمم﴾ في بمعنى مع، أي ادخلوا مصاحبين لأمم وهو حال من فاعل ادخلوا، وتسمى حالا منتظرة لأنهم عند الدخول لم يكونوا مصاحبين للأمم، وقوله ﴿قد خلت﴾ صفة أولى لأمم، وقوله ﴿من قبلكم﴾ صفة ثانية، وقوله ﴿من الجن والانس﴾[٢] صفة ثالثة، وقوله: ﴿فى النار﴾ فى للظرفية فاندفع ما يقال يلزم عليه تعلق حرفي جر متحدي اللفظ، والمعنى بعامل واحد. قوله ﴿قد خلت﴾ أي سبقت ومضت قوله ﴿فى النار﴾ المراد بها العقاب بجميع طباقها. قوله ﴿لعنت أختها﴾ أي في الدين.[٣] قوله [التى قبلها] أي فى التلبس بذلك الدين فالنصارى تلعن النصارى، واليهود تلعن اليهود، والمجوس تلعن المجوس، وهكذا كل من اقتدى بغيره فى دين باطل.[٤] قوله ﴿ادَّاركوا﴾[٥] اصله تداركوا قلبت التاء دالا وأدغمت فى الدال وأتى بهمزة الوصل توصلا للنطق بالساكن. قوله ﴿أخراهم﴾ أي المتأخرون عنهم فى الزمن، فأخرى تأنيث آخر مقابل أول، لا تأنيث آخر الذي بمعنى غير. قوله [وهم الأتباع] أي كانوا فى زمنهم أو تأخروا بعدهم. قوله [أي لأجلهم] أشار بذلك إلى أن اللام في ﴿لأولاهم﴾ للتعليل وليست للتبليغ لأن الخطاب مع الله لا معهم. قوله [وهم المتبوعين] أي الرؤساء.[٦] قوله ﴿ضعف﴾ ضعف الشئ فى الأصل أقل ما يتحقق فيه مثل ذلك الشئ، والمراد هنا الزيادة إلى غير نهاية بدليل قول المفسر مضعفا.

---

(١) سورة الأنعام، الآية:٢٣.

(٢) وهذا دليل على أن الجن يموتون لا كما يقوله الحسن. انظر: السيوطي في الدر المنثور، ج٢ ص٢٢١.

(٣) قال الفراء: أختها في الدين لا في النسب. انظر: الفراء في معاني القرآن، ج١ ص٣٧٨.

(٤) انظر: السيوطي، في الدر المنثور، ج٦ ص٣٨٣.

(٥) انظر : الألوسي، مصدر سابق، ج٦ ص١٦٥.

(٦) وهم القادة المذكورون آنفا.

قوله ﴿لكل ضعف﴾ أما المتقدمون فلضلالهم وإضلالهم، وأما المتأخرون فلكفرهم وتقليدهم.(١) قوله [بالياء والتاء] أي فهما قراءتان سبعيتان،(٢) فعلى التاء لتكون خطابا للأخرى، أو للأحياء الذين فى الدنيا، وعلى الياء يكون إخبارا عن المتقدمين والمتأخرين. قوله [ما لكل فريق] أشار بذلك إلى أن مفعول ﴿يعلمون﴾ محذوف.

قوله: ﴿لأخراهم﴾ اللام هنا للتبليغ، لأن الخطاب معهم. قوله [لأنكم لم تكفروا بسببنا] أي بل كفرتم اختيارا، لا أنا حملناكم على الكفر وأكرهناكم، لأنه يمكن الجبر على الكفر لتعلقه بالقلب. قوله [قال تعالى لهم] هذه إحدى طريقتين، والاخرى أنه من كلام الرؤساء للأتباع.(٣) قوله ﴿بما كنتم تكسبون﴾ أي بسبب كسبكم من الكفر والمخالفة.

قوله: ﴿إن الذين كذبوا بئايتنا﴾ أي وماتوا على ذلك. قوله [فلم يؤمنوا بها] أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف، والتقدير تكبروا عن الايمان بها. قوله: ﴿لا تفتح﴾ بالبناء للمفعول إما بالتاء أو الياء التخفيف أو التشديد وكلها سبعية.(٤) قوله [إذا عرج بأرواحهم] ومثلها دعائهم وأعمالهم. قوله [إلى سجين] هو واد في جهنم أسفل الارض السابعة، تسجن به أرواح الكفار،(٥)

---

(١) قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ يعني أنه وإن كان للقادة ضعف العذاب ، لأن أحدهما بالكفر بالله عز وجل، والآخر بالإغواء الذي قام به بين عباد الله، فلكم أيها الأتباع ضعف العذاب، وهذا قول الجمهور ، و اعلم أن ضعف الشيء زيادة مثله عليه، وفيه وجه ثان وهو أن الضعف يكون من أسماء العذاب، وبه يقول مجاهد. انظر: الطبري، مصدر سابق، ج١٢ ص١٢٣، والسيوطي في الدر المنثور، ج٦ ص٢٠٣.

(٢) قرأ القراء السبعة غير عاصم ﴿ولكن لا تعلمون﴾ بالتاء ويحتمل ذلك أن يكون مخاطبة لمحمد وأمته، وقرأ عاصم وحده في رواية أبي بكر ﴿ولكن لا يعلمون﴾، وروى حفص عن عاصم مثل قراءة الجماعة، وهذه مخاطبة لأمة محمد وإخبار عن الأمة الأخيرة التي طلبت أن يشدد العذاب على أولاها، ويحتمل أن يكون خبراً عن الطائفتين حملاً على لفظة ﴿كل﴾، أي لا يعلم أحد منهم قدر ما أعد لهم من عذاب الله. انظر: ج٢ ص٣٩٩.

(٣) انظر: بن عادل الحنبلي، مصدر سابق، ج٧ ص٣٤٣.

(٤) قرأ ابن كثير وعاصم وابن عامر ﴿لا تُفَتَّح﴾ بضم التاء الأولى وتشديد الثانية، وقرأ أبو عمرو ﴿تُفْتَح﴾ بضم التاء وسكون الفاء وتخفيف الثانية ، وقرأ حمزة والكسائي ﴿يُفْتَح﴾ بالياء من أسفل وتخفيف التاء ، وقرأ أبو حيوة وأبو إبراهيم ﴿يفَتّح﴾ بالياء وفتح الفاء وشد التاء. انظر: ابن عطية، مصدر سابق، ج٢ ص٤٠٠، وابن مجاهد، مصدر سابق، ص٢٨٠.

(٥) وهذا قول مجاهد وقتادة. انظر: السيوطي، في الدر المنثور، ج٩ ص٤١١.

وقيل: هو كتاب جامع لأعمال الشياطين والكفرة،[١] وأما عليون فقيل: هو كتاب جامع لأعمال الخير من الملائكة ومؤمني الثقلين،[٢] وقيل: هو مكان في الجنة فى السماء السابعة تحت العرش.[٣] قوله [ويصعد بروحه الى السماء السابعة] أي وترى مقعدها فى الجنة وترجع مسرورة، فعند ذلك يرى البشر والنور على جسمها. قوله [كما ورد في الحديث] أي وهو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبض روح الكافر، ويخرج معها ريح كانتن جيفة وجدت على وجه الارض فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبثية؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح اسمائه التي يسمى بها في الدنيا، [حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا][٤] فيستفتحون فلا يفتح لهم، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ﴿تفتح لهم أبواب السماء﴾.[٥]

---

(١) انظر: البيضاوي، مصدر سابق، ج٤ ص٤٦٤.

(٢) انظر: الطبري، مصدر سابق، ج١٩ ص٦٢٦.

(٣) وبه يقول عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما. انظر: السيوطي، في الدر المنثور، ج٦ ص٢١٣.

(٤) سقط ما بين القوسين في النسخ المطبوعة وهو غير موجودة في نص الحديث الذي عند النسائي.

(٥) صحيح. انظرالطبري، المرجع نفسه، ج١٢ ص٤٢٤، وسنن النسائي، كتاب الجنائز، باب ما يلقى به المؤمن من الكرامة عند خروج نفسه، ج٤ ص٨، رقم١٨٣٣، وصحيح ابن حبان، باب المريض وما يتعلق به، ذكر الإخبار بأن الأرواح يعرف بعضها بعضا بعد موت أجسامها، ج٧ ص٢٨٤، رقم ٣٠١٤. واللفظ الذي عند النسائي: عن أبي هريرة أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال : إذا حضر المؤمن أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون اخرجي راضية مرضيا عنك إلى روح الله وريحان ورب غير غضبان فتخرج كأطيب ريح المسك حتى أنه ليناوله بعضهم بعضا حتى يأتون به باب السماء فيقولون ما أطيب هذه الريح التي جاءتكم من الأرض فيأتون به أرواح المؤمنين فلهم أشد فرحا به من أحدكم بغائبه يقدم عليه فيسألونه ماذا فعل فلان ماذا فعل فلان فيقولون دعوه فإنه كان في غم الدنيا فإذا قال أما أتاكم قالوا ذهب به إلى أمه الهاوية وان الكافر إذا احتضر أتته ملائكة العذاب بمسح فيقولون اخرجي ساخطة مسخوطا عليك إلى عذاب الله عز و جل فتخرج كأنتن ريح جيفة حتى يأتون به باب الأرض فيقولون ما أنتن هذه الريح حتى يأتون به أرواح الكفار . قال الشيخ الألباني : صحيح. [انظر: سنن النسائي، كتاب الجنائز، باب ما يلقى به المؤمن من الكرامة عند خروج نفسه، ج٤ ص٨ برقم١٨٣٣].

قوله: ﴿ولا يدخلون الجنة﴾ أي بعد الموت.[1] قوله ﴿حتى يلج الجمل﴾ الولوج الدخول بشدة،[2] والجمل الذكر من الابل وخص بذلك لأنه أعظم جسم عند العرب فجسم الجمل من أعظم الاجسام، وثقب الابرة من أضيق المنافذ، وهو تعليق جائز على مستحيل، والمعلق على المستحيل مستحيل، فاستفيد من ذلك أن دخول الكفار الجنة مستحيل. قوله ﴿في سم الخياط﴾ السم مثلث السين، لكن القراء السبعة على الفتح، وقرئ شذوذا[3] بالضم والكسر وجمعه سمام، وأما ما يقتل فهو مثلث أيضا، إلا أن جمعه سموم،[4] والخياط الالة التي يخاط بها، ويقال لها مخيط أيضا،[5] قوله ﴿وكذلك﴾ الجزاء أي المتقدم وهو عدم فتح أبواب السماء لهم، وعدم دخول الجنة. قوله ﴿نجزي المجرمين﴾ أي كما جزينا هؤلاء نجزي كل من اتصف بالإجرام من مبدأ الزمان إلى منتهاه.

(١) واعلم أن أبواب السماء تفتح لثلاث: الأعمال، والأدعية ، والأرواح، والكفار لا تفتح لهم هذه الأبواب لأي واحد من هذه الثلاثة قبل الموت أو بعده، إلا أنهم تتاح لهم الأسباب لفتح الباب وهو التوبة، إن تابوا وأصلحوا فإن الله غفور رحيم. انظر: الطبري، المرجع نفسه، ج١٢ ص٤٢١.

(٢) وفي المصباح: وَلَجَ الشَّيْءُ فِي غَيْرِهِ يَلِجُ مِنْ بَابِ وَعَدَ وُلُوجًا وَأَوْلَجْتُهُ إِيلَاجًا أَدْخَلْتُهُ، ولا يقال: ولج، إلا إذا كان الولوج الدخول في مضيق. انظر: المصباح، مادة ولج، والأصبهاني في غريب القرآن، ص٥٣٢.

(٣) هذه قراءة عبد الله، وقتادة، وأبُو رزين، وطلحةُ ﴿سُمِّ﴾ بضمِّ السِّين، وقرأ أبو عمران الجوني، وأبُو نَهيكٍ، والأصمعيُّ عن نافع ﴿سِمّ﴾ بالكسر. وقال ابن عاشور: والسم: الخرت الذي في الإبرة يدخل فيه خيط الخائط، وهو ثقب ضيق، وهو بفتح السين في الآية بلغة قريش وتضم السين في لغة أهل العالية. وهي ما بين نجد وبين حدود أرض مكة. انظر: ابن عاشور، المصدر السابق، ج٢ ص٤٠٠.

(٤) والسّم كل ثقب ضيق كخرق الابرة وثقب الانف والاذن وجمعه سموم، ومنه قوله تعالى: ﴿حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾ وقد سمه أي دخل فيه ومنه السامة للخاصة الذين يقال لهم الدخل الذين يتداخلون في بواطن الامر، والسم القاتل وهو مصدر في معنى الفاعل فإنه بلطف تأثيره يدخل بواطن البدن، والسموم الريح الحارة التى تؤثر تأثير السم قال تعالى: ﴿ووقانا عذاب السموم﴾ وقال﴿في سموم وحميم﴾.انظر: الأصبهاني، في غريب القرآن، ص٢٤١.

(٥) خيط :الخيط معروف وجمعه خيوط وقد خطت الثوب أخيطه خياطة، وخيطته تخييطا، ويقال: الخياط للابرة التى يخاط بها، كما في قوله تعالى: ﴿حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾ وفي قوله: ﴿حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٨٧]. انظر: الأصبهاني، ص١٦١.

قوله: ﴿لهم﴾ أي للذين كذبوا واستكبروا. قوله ﴿ومن فوقهم غواش﴾[1] الجار والمجرور خبر مقدم، وغواش مبتدأ مؤخر مرفوع بضمة مقدرة على الياء لالتقاء الساكنين، منع من ظهورها الثقل، والمعنى أن النار محيطة بهم من كل جانب، وقد ورد[2] أن سقف النار من نحاس، وأرضها من رصاص، وحيطانها من كبريت، وقودها الناس والحجارة. قوله [وتنويه عوض من الياء المحذوفة] هذا بناء على الصحيح من أن الإعلال مقدم على منع الصرف، فاصله غواش[3] بالتنوين، استثقلت الضمة على الياء فحذفت، فاجتمع ساكنان الياء والتنوين فحذفت لالتقائهما، ثم لوحظ أن الكلمة ممنوعة من الصرف فحذفت تنوين الصرف فخيف من رجوع الياء، فأتى بالتنوين عوضا عنها، وأما تصريفها على أن منع الصرف مقدم على الاعلال، فأصلها غواشي بترك التنوين استثقلت الضمة على الياء فحذفت ثم أتى بالتنوين عوضا عن الحركة التي هي [الضمة][4]، فالتقى ساكنان الياء والتنوين حذفت لالتقائهما. قوله ﴿كذلك﴾ أي مثل الجزاء المتقدم. قوله ﴿نجزي الظالمين﴾ عبر عنهم أولا بالمجرمين، وهنا بالظالمين إشارة إلى أنهم اتصفوا بالأمرين معا.[5]

قوله: ﴿والذين ءامنوا﴾ لما ذكر وعيد الكافرين، اتبعه بذكر وعد المؤمنين على حكم عادته سبحانه فى كتابه، واسم الموصول مبتدأ ﴿ءامنوا﴾ صلته ﴿وعملوا الصالحات﴾ معطوف عليه، قوله: ﴿ولا نكلف نفسا إلا وسعها﴾ اعتراض بين المبتدأ والخبر وهو قوله ﴿أولئك اصحاب الجنة﴾ وهذا ما

---

(١) قال الضحاك ﴿المهاد﴾ الفراش، و﴿الغواشي﴾ اللحف،انتهى. ومعنى الآية: لهم من جهنم مهاد من تحتهم فُرُش، ومن فوقهم منها لُحُف، وإنهم بين ذلك. انظر: الطبري، المرجع نفسه، ج١٢ ص٤٣٦.

(٢) ولم أقف على حديث واحد جاء بهذا الوصف بعد جهد كبير، ولكن الجزء الأخير من قوله فهو صحيح كما ثبت في نص القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة، الآية:٢٤]، وهو ثابت في أحاديث النبوية،

(٣) في الأصل غواشي بالياء وفي النسخ المطبوعة غواش بحذفها وهو الصحيح وفقا للمناسبة.

(٤) كذا في الأصل وفي النسخ المطبوعة [الكلمة] وهو خطأ.

(٥) قلت: وهاتان الآيتان تدلان على أن المجرمين الراسخين في صفتين، الإجرام والظلم ، هم الكافرون كما قال : ﴿والكافرون هم الظالمون﴾ والمؤمنون لا يكونون كذلك بأي حال من الأحوال، والله تعالى أعلم.

مشى عليه المفسر[1] تبعا لأكثر علماء المعاني[2] وقال بعضهم ﴿ولا نكلف نفسا إلا وسعها﴾ خبر، والرابط محذوف، أي لا نكلف منهم. قوله ﴿ولا نكلف نفسا إلا وسعها﴾ أي ما يسعها من الاعمال، وما يسهل عليها ودخل فى طوقها وقدرتها، وكل هذا تفضل منه سبحانه وتعالى. قوله [اعتراض] وحكمته تبكيت الكفار وتنبيههم على أن الجنة مع عظم قدرها يتوصل إليها بالعمل السهل؟ أجيب بأن المراد بالمكاره مخالفة شهوات النفس،[3] وهي فى طاقة العبد، فالمراد بالعمل السهل ما كان فى طاقة العبد كان فعلا أو تركا.[4]

---

(١) أي جلال الدين المحلي، ويقول الجمل: وإنما حسن وقوع هذا الكلام بين المبتدأ والخبر ، لأنه من جنس هذا الكلام ، لأنه – سبحانه – لما ذكر عملهم الصالح ، ذكر أن ذلك العلم من وسعهم وطاقتهم وغير خارج عن قدرتهم ، وفيه تنبيه للكفار على أن الجنة مع عظم قدرها ، يتوصل إليها بالعمل السهل من غير مشقة ولا صعوبة. انظر: الجمل، سليمان الجمل، **حاشية الجمل على تفسير الجلالين**، د.ط، (مصر: المطبعة العامرة، ١٣٠٣هـ) ج٢ ص١٤٩.

(٢) علم المعاني هو علم يعرف به أحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال وهو نوع من أنواع علوم البلاغة . انظر: الخطيب القزويني، أبو عبد الله محمد، ابن قاضي القضاة سعد الدين أبي محمد عبد الرحمن، ابن إمام الدين أبي حفص عمر، القزويني الشافعي، الإيضاح في علوم البلاغة، ط٣، (بيروت: دار الجيل، د.ت.ط)، دراسة وتحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، ج١ ص٥٣.

(٣) أي التي حفت النار بها كما أخبر بذلك المصطفى –ﷺ– في حديث صحيح متفق عليه من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– قال "حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره". [انظر صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب: حجبت النار بالشهوات، ج٥ ص٢٣٧٩ برقم ٦١٢٢ من حديث مالك عن أبي الزناد بهذا الإسناد، وصحيح مسلم من حديث ورقاء بن عمر عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: "حف الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات". انظر: صحيح مسلم، كتاب الجنة، وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٢٢، ج٨ ص١٤٢].

(٤) قال ابن عطية –رحمه الله–: هذه آية وعد مخبرة أن جميع المؤمنين هم أصحاب الجنة ولهم الخلد فيها، ثم اعترض أثناء القول بعقب الصفة ، التي شرطها في المؤمنين باعتراض يخفف الشرط ويرجى في رحمة الله ويعلم أن دينه يسر وهذه الآية نص في أن الشريعة لا يتقرر من تكاليفها شيء لا يطاق. انتهى، قلت: إن هذه المكابد والمعوقات التي تحول بين العبد والجنة إنما هي بمنزلة الاختبار والامتحان كما قال عز من قائل: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [سورة المؤمنون، الآية:١١٥]، وقال في آية أخرى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [سورة محمد، الآية:٣١]، والآيات فيها كثيرة، وعلى الذي يريد النجاة والتخلص من هذه البلايا أن يحول بين قلبه وشهواته المحرمة ويستعين بالله بأنه لا حول ولا قوة إلا به، والله أعلم. انظر: ابن عطية، مصدر سابق، ج٢ ص٤٠١.

قوله: ﴿ونزعنا ما فى صدورهم من غل﴾ أي خلقناهم فى الجنة مطهرين منه،[1] لا أنهم دخلوا الجنة بعد نزع، وحكمة نزع الغل[2] من صدور أهل الجنة، أن كل أحد منهم أعطي فوق أمانيه أضعافا مضاعفة.[3] قوله: [حقد كان بينهم فى الدنيا] الحقد هو ضيق الصدر من الغير، وهو أس الحسد، وهو معصية قلبية تجب التوبة منه، ومجاهدة النفس لتخلص منه، ومن هنا افترق كبار الصالحين من صغارهم.[4]

واعلم أن الناس ثلاثة أقسام: قسم خلُصت قلوبهم من الأمراض الباطنية، فهم في الدنيا كأهل الجنة فى الجنة، يحبون للناس ما يحبونه لأنفسهم، وهم الأنبياء ومن كان على قدمهم، وقسم لم تخلص قلوبهم، غير أنهم لم يرضوا لأنفسهم بذلك، يلومون أنفسهم على ما في قلوبهم، وهؤلاء المجاهدون لأنفسهم ولا

---

(١) قلت : وهذه العبارة لا تستقيم، حبذا لو قال المصنف: وخلقنا الجنة مطهرة من الغل والحقد وغيرهما من الأدناس، ويكون المعنى أنهم لايدخلون الجنة بهذا الغل حتى ينزع من قلوبهم، لأن الآية تتضمن إخباراً من الله عز وجل أنه ينقي قلوب ساكني الجنة من الغل والحقد، وذلك أن صاحب الغل متعذب به ولا عذاب في الجنة ، ويذكر في بعض المفسرين في هذا حديثا يقول فيه -ﷺ-: "الغل على باب الجنة كمبارك الإبل قد نزعه الله من قلوب المؤمنين".

(٢) والغل هو الحقد والإحنة والضغن، التي تحصل في النفس عند إدراك ما يسؤوها من عمل غيرها، وليس الحسد من الغل بل هو إحساس باطني آخر. انظر: ابن عاشور، في تفسيره ، مصدر سابق، ج٨ ص١٣١.

(٣) جاء في الصحيح البخاري من طريق قتادة عن أبي المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله -ﷺ-: "يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا"، [انظر: صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب القصاص يوم القيامة، رقم ٦١٧٠، ج١١ ص٣٩٥]، بين هذا الحديث أن الحكمة في نزع الغل من صدورهم أنه خبث ودنس ولا يصح الدخول بالدنس في مكان طاهر. قال ابن عاشور: ونزع الغل من قلوب أهل الجنة: هو إزالة ما كان في قلوبهم في الدنيا من الغل عند تلقي ما يسوء من الغير، بحيث ظهر الله نفوسهم في حياتها الثانية عن الانفعال بالخواطر الشرية التي منها الغل، فزال ما كان في قلوبهم من غل بعضهم من بعض في الدنيا، أي أزال ما كان حاصلا من غل وأزال طباع الغل التي في النفوس البشرية بحيث لا يخطر في نفوسهم. انظر: ابن عاشور في تفسيره، مصدر سابق، ج٨ ص١٣١.

(٤) وهذا القول يحتاج إلى مستند من القرآن أو الحديث، اللهم إلا إذا كان المصنف يقصد به الصحابة ومن عاش في عصرهم فقوله صحيح لأن الحديث الذي ورد في تفضيل كبارهم عن صغارهم ينتهي إلى مراتب أصناف الناس الثلاثة التي أشار إليها النبي -ﷺ- في قوله : "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته" [انظر: صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي -ﷺ-، رقم٣٤٥١، ج٣ ص١٣٣٥]، وأما غيرهم ممن جاء بعضهم لا يوجد دليل صحيح على تفضيلهم فأفضلهم أكثرهم إيمانا ولا يعرف ذلك أحد غير الله. والله أعلم.

يؤاخذون بذلك حينئذ، وقسم لم تخلص قلوبهم، وهم رضوان لأنفسهم بذلك، وهؤلاء فساق يجب عليهم مجاهدة نفوسهم فى تخليصها[1] من تلك الآفات.

قوله: [تحت قصورهم] أي بجانب جدارها، وليس المراد أنها تجري من تحت الجدار. قوله: ﴿الذي هدنا﴾ أي ارشدنا ووفقنا، قوله: [العمل الذي هذا جزاؤه] كذا في نسخة، وفى نسخة أخرى [لعمل هذا جزاؤه]، وفي آخر [لهذا العمل هذا جزاؤه]. قوله: ﴿وما كنا لنهتدي﴾ بالواو ودونها قراءتان سبعيتان[2] والجملة إما مستأنفة أو حالية على كل. قوله: [الدلالة ما قبله عليه] أي وهو قوله: ﴿وما كنا نهتدي﴾ والتقدير: ولولا هداية الله لنا موجودة ما اهتدينا.[3] قوله: ﴿لقد جاءت رسل ربنا الحق﴾ هذا إقسام من أهل الجنة شكرا لنعم الله وتحدثا بها، والمعنى أن ما اخبرونا به فى الدنيا من الثواب حق وصدق لمشاهدتنا له عيانا. قوله: ﴿ونودوا﴾ يحتمل أن المنادي هو الله ويحتمل أنه الملائكة.[4] قوله: [مخففة] أي واسمها ضمير الشأن وخبرها الجملة بعدها. قوله:[أو مفسرة] أي لأنه تقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه وهو قوله [ونودوا]، قوله: [فى المواضع الخمسة] أي من هنا إلى قوله: ﴿أفيضوا علينا من الماء﴾، قوله: ﴿تلكم الجنة﴾ اسم الاشارة مبتدأ، والجنة خبر، وقوله: ﴿أورثتموها﴾ حال من الجنة، أو الجنة

---

(١) كذا في الأصل وفي النسخ المطبوعة [تخليصهم].

(٢) قرأ الجمهور ﴿وما كنا نهتدي﴾ بالواو، وقرأ ابن عامر ﴿ما كنا نهتدي﴾ بغير الواو، وهي كذلك في مصاحف أهل الشام. انظر: ابن مجاهد ، مصدر سابق، ص٢٨٠.

(٣) قال العلماء: وفي هذه الآية دليل على أن الأمور تجري على قضاء الله وقدره حيث نسب الهداية إلى الله –عز وجل– كما في آية أخرى ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة القصص، الآية:٥٦]. دلّت هذه الآية على أنَّ المهتدِي من هداه الله، وإنْ لم يهده الله لم يَهْتَدِ. ثم نقول : مذهب المعتزلة أنّ كلّ ما فعله الله في حقّ الأنبياء، والأولياء من أنواع الهداية والإرشاد فقد فعله في حقّ جميع الكُفَّارِ والفسَّاقِ، وإنَّما حصل الامتيازُ بين المؤمن والكافر، والمحقّ والمبطل بسعي نفسه واختيار نفسه، فكان يجب عيله أنْ يحمد نفسه، لأنه هو الذي حصل لنفسه الإيمان، وهو الذي أوصل نَفْسَهُ إلى درجات الجنان، وخلَّصها من دركاتِ النِّيرانِ، فلمَّا لم يحمد نفسه أَلْبَتَّةَ إنَّما حمد الله – تعالى – فقط علمنا أن الهادي ليس إلا الله تعالى. انظر: ابن عادل في تفسيره، ج٧ ص٣٥٠.

(٤) انظر: الآلوسي، في تفسيره، مصدر سابق، ج٦ ص١٧٣.

نعت لاسم الاشارة وأورثتموها خبره. وأتى باسم الاشارة البعيدة إشارة لعظم رتبتها ومكانتها على حد ذلك الكتاب،[1]

قوله: ﴿أورثتموها﴾[2] أي من الكفار لأن الله خلق فى الجنة منازل للكفار بتقدير إيمانهم، فمن لم يؤمن منهم جعل منزله لأهل الجنة،[3] فكل واحد من أهل الجنة يأخذ منازل تسعمائة وتسعة وتسعين من أهل النار تضم لمنزله، فيجتمع له ألف منزل،[4] فلما كان الغالب منها ميراثا أطلق على جميعها اسم الميراث، وحكمة إطلاق اسم الإرث عليها، أن الكفار سماهم الله أمواتا، بقوله: ﴿أموات غير حياء﴾[5] المؤمنين أحياء، ومن المعلوم أن الحي يرث الميت.[6] قوله: ﴿بما كنتم تعلمون﴾ الباء سببية وما مصدرية،

---

(١) ووجه بعض العلماء وقالوا: أُشير إليها بإشارة البعيد، لأنَّهُم وُعِدُوا في الدُّنْيَا. انظر: ابن عادل، في تفسيره، مصدر سابق، ج٧ ص٣٥١.

(٢) وفي قوله تعالى: ﴿أورثتموها﴾ قراءتان سبعيتان ولم يذكرهما المصنف، وهما قراءة ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر ﴿أورثتموها﴾، وقراءة أبي عمر وحمزة والكسائي ﴿أورتموها﴾ بإدغام الثاء في التاء. انظر: ابن مجاهد، مصدر سابق، ص٢٨١.

(٣) قال السدي: ﴿ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون﴾، قال: ليس من كافر ولا مؤمن إلا وله في الجنة والنار منزل، فإذا دخل أهل الجنة الجنةَ، وأهل النار النارَ، ودخلوا منازلهم، رفعت الجنة لأهل النار فنظروا إلى منازلهم فيها، فقيل لهم:"هذه منازلكم لو عملتم بطاعة الله"، ثم يقال:"يا أهل الجنة، رِثُوهم بما كنتم تعملون"، فتُقْسم بين أهل الجنة منازلهم. انظر: الطبري، في تفسيره، مصدر سابق، ج١٢ ص٤٤٣، وأخرجه الواحدي في تفسيره، ج٢ ص٣٧٠. [أخرجاه موقوفا على السدي –رحمه الله–].

(٤) يريد المصنف بهذا الإشارة إلى ما أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه– قال: قال النبي –ﷺ–: "يقول الله –عز و جل– يوم القيامة: يا آدم، يقول: لبيك ربنا وسعديك، فينادى بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار. قال: يارب وما بعث النار؟ قال: من كل ألف – أراه قال – تسعمائة وتسعة وتسعين فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد". فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم. فقال النبي –ﷺ–: "من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم واحد ثم أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود وإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة". فكبرنا ثم قال: " ثلث أهل الجنة". فكبرنا ثم قال: "شطر أهل الجنة". فكبرنا، قال أبو أسامة عن الأعمش: ﴿ترى الناس سكارى وماهم بسكارى﴾ . وقالك "من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين". [انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الحج، رقم٤٤٧٤، ج٤ ص١٧٦٧].

(٥) سورة النحل، الآية:٢١.

(٦) هذا المعنى يكون مبنيا على قراءة من قرأ ﴿والذين يدعون﴾ فالياء على غيبة الكفار، ويجوز أن يراد بالأموات الكفار الذين ضميرهم في ﴿يدعون﴾، شبههم بالأموات غير الأحياء من حيث هم ضلال غير مهتدين، ويستقيم على هذا فيهم قوله: ﴿وما يشعرون أيان يبعثون﴾. انظر: ابن عطية، ج٨ ص١٨٧.

أي بسبب عملكم إن قلت ورد في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لن يدخل الجنة أحد بعمله، قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته".[1] أجيب بأن الاية محمولة على العمل المصحوب بالفضل والحديث محمول على العمل المصحوب بالفضل، والحديث محمول على العمل المجرد عنه.

قوله: ﴿ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار﴾ إن قلت: إذا كانت الجنة فى السماء والنار في الارض، فكيف يسمعون النداء؟ أجيب: بأن القيامة خارقة للعادة، فلا مانع من وصول النداء لهم، وهذا النداء من كل فرد من أفراد أهل الجنة لكل فرد من أفراد أهل النار، لأن مقابلة الجمع بالجمع تقتضي القسمة على الاحاد. قوله: ﴿ما وعد ربكم حقا﴾ تسمية وعدا مشاكلة،[2] وإلا فالإخبار بالشر إيعاد لا وعد، وقدر المفسر الكاف إشارة الى أن مفعول وعد محذوف. وقوله: [من العقاب] بينا لما. قوله: [نادى مناد] قيل هو إسرافيل،[3] وقيل غيره من الملائكة.[4] قوله: [أسمعهم] تفسير لقوله: ﴿بينهم﴾.

قوله: ﴿الذين يصدون﴾ نعت للظالمين، قوله: [معوجة] أي مائلة عن الحق، والمعنى أنهم يغيرون دين الله وطريقته التى شرع لعباده.[5] قوله: [حاجز][1] أي يمنع وصول كل منهما للآخر. قوله: [استوت حسناتهم وسيئاتهم][2] هذا قول من ثلاثة عشر قولا،

---

(١) صحيح، أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب البر والإحسان، باب ما جاء في الطاعات وثوابها، برقم٣٤٨، ج٢ ص٥. [قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين].

(٢) المشاكلة: هي ذكر الشيء بلفظ غيرة لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديراً، مثل ذكر الشيء بلفظ غيرة لوقوعه في صحبته، أو بلفظ مضاد للمصاحب له ، أو بلفظ مناسب له. انظر: بغية الأيضاح لتلخيص ا لمفتاح، ص١٩.

وقيل إنها: الإتيان باسم من الأسماء المشتركة في موضعيين ومفهومها مختلف. انظر: الصبغ البديعي في اللغة العربية، ص٢٨٥. وقيل: هي لون من اتحاد اللفظ واختلاف المعنى، يرتكز على انحراف دلالة أحد الدالين المتشاكلين. انظر: البديع في علم البديع، ص٢٣٩. وقلت: وكاستعمال الوعد في النعم والنقم كما في الآية. والله أعلم.

(٣) ذكره الواحدي. في أسباب النزول، ص١٧٠.

(٤) انظر: الطبري، في تفسيره، مصدر سابق. ج١٢ ص٤٤٧.

(٥) ويدخل تحت هذا كل من بدَّل شريعةَ الله أو سنةً من سنن نبي الله -ﷺ- كما جاء في حديث الشفاعة المتفق عليه، واللفظ للمسلم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- "تَرِدُ عَلَيَّ أُمَّتِي الْحَوْضَ وَأَنَا أَذُودُ النَّاسَ عَنْهُ كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ إِبِلَ الرَّجُلِ عَنْ إِبِلِهِ". قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَتَعْرِفُنَا؟ قَالَ: "نَعَمْ لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لأَحَدٍ غَيْرِكُمْ تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ وَلَيُصَدَّنَّ عَنِّي طَائِفَةٌ

وقيل: أولاد المشركين الذين ماتوا صغارا،(٣) وقيل أناس خرجوا للغزو فى سبيل الله من غير إذن ابائهم ثم قتلوا،(٤) وقيل ناس بروا آباءهم دون أمهاتهم وبالعكس،(٥) وقيل إنهم عدول القيامة يشهدون على الناس بأعمالهم

مِنْكُمْ فَلاَ يَصِلُونَ فَأَقُولُ يَا رَبِّ هَؤُلاَءِ مِنْ أَصْحَابِي فَيُجِيبُنِي مَلَكٌ فَيَقُولُ وَهَلْ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ". [انظر: صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب ما جاء في قول الله –تعالى-: ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾ [سورة الأنفال، الآية:٢٥]، وما كان النبي –ﷺ- يحذر من الفتن، رقم٦٦٤٢، ج٦ ص٢٥٨٧، وصحيح مسلم، كتاب الفائل، باب إِثْبَاتِ حَوْضِ نَبِيِّنَا –ﷺ- وَصِفَاتِهِ، رقم٦١١٤، ج٧ ص٦٦].

(١) قال ابن جرير: ﴿وبينهما حجاب﴾، وبين الجنة والنار حجاب، يقول: حاجز، وهو: السور الذي ذكره الله تعالى فقال: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾، [سورة الحديد، الآية: ١٣]. وهو "الأعراف" التي يقول الله فيها: ﴿وعلى الأعراف رجال﴾، كذلك. انظر: الطبري، في تفسيره، مصدر سابق، ج١٢ ص٤٤٩.

والأعراف: جمع عرف، وهو اسم لمكان مرتفع عن الأرض، ومنه عُرف الديك لارفاعه عما سواه من جسده. انظر: تفسير الطبري، مصدر سابق، ج١٢ ص٤٤٩.

(٢) قلت: لعل المصنف اقتصر على هذا القول لأن عليه أكثر أهل العلم، ولكونه أرجح لقوة دلالتهم. وإليه ذهب عبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، وحذيفة –رضي الله عنهم أجمعين-، قال ابن عباس –رضي الله عنهما-: الأعراف سور بين الجنة والنار وأصحاب الأعراف هم قوم استوت حسناتهم وسيئآتهم فهم بذلك المكان حتى إذا أراد الله تعالى أن يعافيهم انطلق بهم إلى نهر يقال له نهر الحياة حافتاه قصب الذهب مكلل باللؤلؤ ترابه المسك فألقوا فيه حتى تصلح ألوانهم وتبدو في نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها حتى إذا صلحت ألوانهم أتى بهم الرحمن تبارك وتعالى فقال تمنوا ما شئتم فيتمونون حتى إذا انقطعت أمنيتهم قال لهم لكم الذي تمنيتم ومثله سبعون ضعفاً فيدخلون الجنة ذكره ابن جرير في تفسيره. انظر: الفيروز آبادى، محمد بن يعقوب، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس – رضي الله عنهما –، ص١٦٧.

وقال حذيفة –رضي الله عنه-: لما سئل عن أصحاب الأعراف: هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة وتخلفت بهم حسناتهم عن النار فوقفوا هنالك على السور حتى يقضي الله –تعالى- فيهم. انظر: الخازن، في تفسيره، ج٢ ص١٩٢.

ويقول ابن مسعود –رضي الله عنه-: يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر بواحدة دخل الجنة من كانت سيئاته أكثر بواحدة دخل النار وإن الميزان يخف ويثقل بمثال حبة من خردل ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف فوقفوا على الأعراف فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا سلام عليكم وإذا نظروا إلى أهل النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فهنالك يقول الله تعالى: ﴿لم يدخلوها وهم يطمعون﴾ فكان الطمع دخولاً. انظر: السيوطي في الدر المنثور، مصدر سابق، ج٦ ص٣٩٩.

(٣) انظر: السيوطي، المصدر نفسه، ج٦ ص٣٩٩.

(٤) انظر: الطبري، في تفسيره، مصدر سابق، ج١٢ ص٤٥٢-٤٥٧.

(٥) انظر: الطبري، المصدر نفسه. ج١٢ ص٤٥٨.

وهو فى كل أمة.[1]

قوله: [كما فى الحديث] أي هو أن الله يحاسب الناس يوم القيامة، فمن كانت حسناته اكثر بواحدة دخل الجنة، ومن كانت سيئاته أكثر بواحدة دخل النار، ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف فوقفوا على الأعراف فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوهم ﴿سلم عليكم﴾ سلام عليكم وإذا نظروا إلى أهل النار قالوا: ﴿ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين﴾،[2] فهناك يقول الله –تعالى– ﴿لم يدخلوها وهم يطعمون﴾، فكأن الطمع دخولا. قوله: ﴿ونادَوْا﴾ أي أصحاب الأعراف. قوله: [قال تعالى] أشار بذلك إلى أن الوقف على قوله: ﴿عليكم﴾ وقوله: ﴿لم يدخلوها﴾ كلام مستأنف جواب عن سؤال مقدر، كأن قائلا قال: وما صنع بأهل الأعراف؟ فأجيب بأنهم لم يدخلوها. قوله: [إذ طلع عليهم ربك] أي أزال عنهم الحجب حتى رأوه وسمعوا كلامه. قوله: [فقال قوموا ادخلوا الجنة] أي فينطلق بهم إلى نهر الحياة، حافتاه قضب الذهب مكلل باللؤلؤ، ترابه المسك فيلفوا فيه، فتصلح ألوانهم وتبدو فى نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها، يسمون مساكين أهل الجنة.[3]

---

(١) انظر: الطبري، المصدر نفسه. ج١٢ ص٤٥٨، وابن كثير، في تفسيره، مصدر سابق، ج٣ ص٤١٨.

(٢) أتى المصنف الحديث بالمعنى و٣٩٧٥١– الحديث من مسند جابر بن عبد الله –رضي الله عنه– قال: عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله –ﷺ–: "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي. قلت: ما هذا يا جابر؟ قال: نعم يا محمد! إنه من زادت حسناته فذاك الذي يدخل الجنة بغير حساب، ومن استوت حسناته وسيئاته فذاك الذي يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة، وإنما شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن أوبق نفسه وأثقل ظهره.". [انظر: علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري، **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، ط٥، (مكة: مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م)، تحقيق: بكري حياني وصفوة السقا. ج١٤ ص٦٣١].

(٣) وهذا الحديث أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه قالْ: حدثنا وكيع عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن مجاهد عن عبد الله بن الحارث قال: أصحاب الاعراف ينتهي بهم إلى نهر يقال له (الحياة) حافتاه قصب ذهب، قال: أراه قال: مكلل باللؤلؤ فيغتسلون منه إغتسالة فتبدو في نحورهم شامة بيضاء، ثم يعودون فيغتسلون فكلما اغتسلو ازدادت بياضا، فيقال لهم: تمنوا ما شئتم، فيتمنون ما شاءوا فيقال: لكم ما تمنيتم وسبعون ضعفا، فهم مساكين أهل الجنة. والحديث موقوف حسب قول المحققين. [انظر: ابن أبي شيبة، **المصنف**، ط١، (الرياض: دار الرشد، ٢٠٠٤م–١٤٢٥هـ)، تحقيق: حمد بن عبد الله الجمعة ومحمد بن إبراهيم اللحيدان، رقم٣٥١٧٥، ج١٣ ص١٢٩].

قوله: ﴿وإذا صرفت أبصارهم﴾ عبر بالصرف دون النظر، إشارة إلى أن نظرهم إلى أهل النار غير مقصود[1] لأن رؤية العذاب وأهله تسيئ للناظرين بخلاف النظر لنعيم وأهله ففيه مسرة للناظرين، فلذا لم يعبر فى جانبه بالصرف بل قيل: ﴿ونادوا أصحاب الجنة أن أسلم عليكم﴾ قوله: ﴿تلقاء﴾[2] بالمد والقصر قراءتان سبعيتان، وهي ظرف مكان بمعنى جهة، ويستعمل مصدرا كالتبيان، ولم يجئ من المصادر على التفعال بالكسر غير التلقاء والتبيان والزلزال، وبعضهم ألحق التكرار بذلك.[3] قوله: [فى النار] أي لا ابتداء مع العصاة، ولا دوما مع الكفار، قوله: ﴿رجالا﴾ أي كانوا عظماء في الدنيا، كأبي جهل[4] والوليد بن المغيرة،[5] وعقبة بن ابي معيط،[6] وأضرابهم. قوله: ﴿بسيماهم﴾ أي علامتهم، وتقدم أنها سواد الواجه للكفار،[7] قوله: ﴿ما أغنى عنكم﴾ يحتمل أنَّ "ما" استفهامية، أي: أي شيء أغنى عنكم جمعكم، ويحتمل أنها نافية، أي لم يغن عنكم جمعكم ولا استكباركم شيئا من عذاب الله.[8] قوله: [المال] أشار بذلك إلى أن جمع مصدر مضاف لفاعله، ومفعوله محذوف قدره بقوله المال. قوله: [أي واستكباركم] سبك المصدر بما بعد كان جريا على قول من يقول: إنَّ "كان" تجردت عن معنى الحدث وصارت لمجرد الربط، ولو مشى على مقابلة المشهور لقال: وكونكم مستكبرين، وإنما حمل المفسر على

---

(١) وقال ابن عادل: إنما عبر بصرف الصبر لأنَّهُم لم يَلْتَفِتُوا إلى جهة النَّار إلا مجبورين على ذلك لا باختيارهم؛ لأن مكان الشرِّ محذور. انظر: ابن عادل، في تفسيره، مصدر سابق، ج٧ ص٣٥٩.

(٢) قال الوَاحِدِيُّ: " أي : جهة لقائهم.وهي في الأصل مصدر استعمل ظَرْفاً". انظر الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ص٣٩٥.

(٣) انظر: ابن عادل ، في تفسيره، مصدر سابق، ج٧ ص٣٥٩.

(٤) سبق ترجمته.

(٥) سبق ترجمته.

(٦) سبق ترجمته.

(٧) أي في الحديث المذكور عند الآية السابقة، وقال الواحدي في تفسيره: ﴿يعرفون كلاً بسيماهم﴾ يعرفون أهل الجنَّة ببياض الوجوه، وأهل النَّار بسوادها، وذلك لأنَّ موضعهم عالٍ مرتفع، فهم يرون الفريقين. انظر: الواحدي، في تفسيره الوجيز. ص٢٢٢.

(٨) انظر: الخازن، في تفسيره، مصدر سابق، ج٣ ص٣١.

ذلك الاختصار. قوله: [مشيرين] أي أهل الأعراف. قوله: [إلى ضعفاء المسلمين] أي الذين كانوا يعذبون في الدنيا، وكان المشركون يسخرون بهم، كصهيب[1] وبلال[2] وسلمان[3] وخباب[4] ونحوهم.

قوله: ﴿أهؤلاء﴾ استفهام تقرير وتوبيخ، قوله: ﴿أقسمتم﴾ أي باللات والعزى. قوله: ﴿لا ينالهم الله برحمة﴾ هذا هو المقسم عليه، ويؤخذ من الآية أن أهل الأعراف ناظرون لأهل الجنة، وأهل النار، وأهل النار ناظرون لأهل الأعراف وأهل الجنة، وهذا لمزيد الحسرة لهم، فهم يعذبون بالنار والتبكيت من

---

(١) هو صهيب بن سنان الربعي النمري ، كان أبوه عاملا لكسرى على الابلة ، فغارت الروم عليهم ، وأسرت صهيبا فنشأ فيهم ، ثم باعته إلى كلب فجاءت به إلى مكة ، فباعته من عبد الله بن جدعان فأعتقه ، وكان من السابقين إلى الاسلام الذين عذبوا في مكة ، وكناه الرسول أبا يحيى ، وكان في لسانه لكنة، روى أحاديث معدودة، خرجوا له في الكتب، وكان فاضلا وافر الحرمة، له عدة أولاد، ولما طعن عمر استنابه على الصلاة بالمسلمين إلى أن يتفق أهل الشورى على إمام. وكان موصوفا بالكرم، السماحة –رضي الله عنه.

أخرج البزار في مسنده قال: حدثنا يوسف بن عدي، حدثنا يوسف بن محمد بن يزيد بن صيفي، عن أبيه ، عن جده، عن أبي جده، عن صهيب –رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله –ﷺ–: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليحب صهيبا حب الوالدة لولدها" [انظر: البحر الذخار، مسند صهيب بن سنان، عن النبي –ﷺ–، رقم ١٨٥٥، ج٦ ص٣٥، وقال الذهبي: سنده واه]. توفي بالمدينة سنة ثمان أو وثلاثين، ودفن بها وكان ابن سبعين أو ثلاث وسبعين. [انظر: ابن الأثير، **أسد الغابة**، ص٥٢٦].

(٢) سبق ترجمته .

(٣) هو سلمان الفارسي أبو عبد الله ويعرف بسلمان الخير مولى رسول الله –ﷺ– وسئل عن نسبه فقال: أنا سلمان بن الإسلام. أصله من فارس من رامهرمز وقيل إنه من جي وهي مدينة أصفهان وكان اسمه قبل الإسلام ما به بن بوذخشان بن مورسلان بن بهوذان بن فيروز بن سهرك من ولد آب الملك، وكان ببلاد فارس مجوسيا سادن النار فأسلم. [انظر: أسد الغابة، ص٤٧٢]، وله قصة طويلة في إسلامه، فراجع إن شئت.

(٤) خباب: وهو خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم يكنى أبا عبد الله وقيل: أبو محمد وقيل: أبو يحيى، وهو عربي لحقه سباء في الجاهلية فبيع بمكة وقيل : هو حليف بني زهرة و قيل : هو مولى عتبة بن غزوان وقيل : مولى أم أنمار بنت سباع الخزاعية وهي من حلفاء بني زهرة فهو تميم النسب خزاعي الولاء زهري الحلف لأن مولاته أم أنمار كانت من حلفاء عوف بن عبد الحارث بن زهرة والد عبد الرحمن بن عوف، وهو من السابقين الأولين إلى الإسلام وممن يعذب في الله تعالى كان سادس ستة في الإسلام، وذكر في السير أن أول من أظهر إسلامه رسول الله –ﷺ– وأبو بكر وخباب وصهيب . وبلال وعمار وسمية أم عمار فأما رسول الله –ﷺ– فمنعه الله بعمه أبي طالب وأما أبو بكر فمنعه قومه وأما الآخرون فألبسوهم أدراع الحديد ثم صهروهم في الشمس فبلغ منهم الجهد ما شاء الله أن يبلغ من حر الحديد والشمس. [انظر: ابن حجر في للإصابة في تمييز الصحابة، وأسد الغابة وابن هشام في السير].

أهل الأعراف.(١) قوله: [قد قيل لهم] قدرة إشارة إلى أن قوله: ﴿ادخلو الجنة﴾ مقول لذلك القول المحذوف ليصح جعلها خبرا ثانيا لأن الجملة الطلبية لا يصح وقوعها خبرا إلا إذا أولت بخبر. قوله: [وقُرِئ أَدْخِلوا الخ] هاتان شاذتان على عادته، حيث يعبر عن الشاذي بقُرئ، وعن السبعي بوَفِي قِراءةٍ، وعلى هاتين القراءتين فلا يحتاج لتقدير القول، لأن الجملة خبرية،(٢) قوله: [جملة النفي] أي جنسها الصادق بالجملتين وهما ﴿لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون﴾ قوله: [حال] أي معمول لحال محذوفة، ففي كلامه تسمح، وهذا على القراءتين الشاذتين وأما القراءة السبعية فلا يحتاج لذلك.

قوله: ﴿ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة﴾ قال(٣) ابن عباس –رضي الله عنهما-: لما صار أصحابُ الأعراف إلى الجنة، طمع أهلُ النار فى الفَرَجِ عنْهم قالوا: يارب إن لنا قَراباتٍ من أهل الجنة، فائْذَنْ لنا حتى نراهم ونكلمهم، فيأذن لهم، فينظرون إلى قراباتهم في الجنة وما هم فيه من النعيم فيعرفونهم، وينظر أهل الجنة إلى قراباتهم من أهل النار فلم يعرفوهم لسواد وجوههم، فينادى أصحاب النار أصحاب الجنة بأسمائهم، فينادي الرجل أباه وأخاه فيقول: قد احترقتُ أفض عليَّ من الماء، فيقال لهم: أجيبوهم، فيقولون إن الله حرَّمَهُمَا على الكافرين.(٤)

---

(١) اختلف المفسرون في المشار إليه في هذه الآية إلى أقوال:

فقيل: هم أهل الأعرافِ ، والقائل بذلك ملك من الملائكة يأمره الله بهذا القَوْلِ، والمقول له هم أهْلُ النَّارِ .

وقيل: المشَارُ إليهم هم أهل الجنَّةِ، والقائل هم الملائكة ، والمقول لهم أهل النار .

وقيل: المشَارُ إليهم هم أهل الجنَّةِ، والقائل هم الملائكة، والمقول لهم هم أهل النار.

وذكر هذا الخلاف غلإمام الآلوسي ورجح قول الثاني، وإليه ذهب الطبري. [انظر: الطبري، مصدر سابق، ج١٢ ص والآلوسي في تفسيره ، مصدر سابق، ج٦ ص١٨١].

(٢) انظر: ابن عطة في تفسيره، مصدر سابق، ج٣ ص٤٥.

(٣) كذا في الأصل وفي النسخ المطبوعة [قاله] وهو خطأ.

(٤) انظر: القرطبي، في تفسيره، مصدر سابق، ج١٢ ص٤٧٣، والخازن، في تفسيره، مصدر سابق، ج٣ ص٣٦٣.

قوله: [من الطعام] أي الشامل للمشروب والمأكول وحينئذ فيضمن ﴿أفيضوا﴾ معنى ألقوا،[١] نظير علفتها تنبا وماء باردا، و ﴿أو﴾ بمعنى الواو بدليل قوله ﴿حرمها﴾ وإلا لو بقيت على بابها من التخيير لأعيد الضمير مفردا. قوله [منعها] أي فالتعبير بالتحريم مجاز لانقطاع التكليف بالموت. ويعلم من هذا أنه لا يتأثر أهل بعذاب أهل النار لتقطع الأسباب بينهم، ونزع الرحمة من قلوب أهل الجنة لا ستحقاقهم ما هم فيه من العذاب.

قوله: ﴿الذين اتخذوا﴾ هذا وصف للكافرين. قوله: ﴿لهوا ولعبا﴾ اللهو صرف الهم بما لا يحسن أن يصرف به، واللعب طلب الفرح بمالا أن يطلب به.[٢] قوله: ﴿وغرتهم الحيوة الدنيا﴾ أي شغلتهم بالطمع فى طول العمر وحسن العيش.[٣] قوله: ﴿فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ﴾ ليس من كلام أهل الجنة، وإنما هو قرب الرب جل جلاله، فالفاء واقعة فى جواب شرط مقدر تقديره: فإذا كان حال الكافرين فاليوم ننساهم. قوله: [نتركهم فى النار] أشار بذلك إلى أن النسيان مستعمل فى لازمه وهو الترك،[٤] لا حقيقته مستحيلة على الله، فالمعنى نعاملهم معاملة الناسي من عدم الاعتناء بهم وتركهم فى النار.

قوله: ﴿كَمَا نَسُواْ﴾ الكاف تعليلية وما مصدرية، أي لأجل نسيانهم. قوله [بتركهم العمل له] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، تقديره :كما نسوا لقاء يومهم هذا.[٥] قوله: [أي وكما جحدوا] أشار بذلك إلى أن ما معطوف على الأولى مسلط عليه كاف التعليل، والمعنى: نتركهم فى النار لتركهم العمل ولجحدهم آياتنا.

---

(١) قال الإمام الأصفهاني: أصل الكلمة من فَيض: فاض الماء إذا سال منصبا، كما في قوله –تعالى-: ﴿ترى أعينهم تفيض من الدمع﴾ وأفاض إناءه إذا ملاه حتى أساله وأفضته، قال ﴿أن أفيضوا علينا من الماء﴾ ومنه فاض صدره بالسر أي سال، ورجل فياض أي سخى ومنه استعير أفاضوا في الحديث إذا خاضوا فيه. انظر: الأصفهاني في غريب القرآن، ص٢٧٦.

(٢) وفسرهما قتادة وعبد الله بن الحارث بأنهما الأكل والشرب. انظر: زاد المسير ج٣ ص٢٠٩.

(٣) وقيل : الذين كانت همتهم الدنيا واشتغالهم بها فهم المذكورون في هذه الآية. انظر: الطبري، في تفسيره، المصدر السابق، ج١٢ ص٤٧٥، والرازي، في تفسيره، المصدر السابق، ج١٤ ص ٩٣، والخازن في تفسيره، المصدر السابق، ج٢ ص١٩٤.

(٤) انظر: الطبري، المرجع نفسه، ج١٢ ص٤٧٥، وأبا عبيدة في مجاز القرآن، ج١ ص٢١٥، و الراغب الأصفهاني في مفردات غريب القرآن ص١٦٨، والبغوي في تفسيره، المرجع نفسه، ج٣ ص٢٣٤.

(٥) انظر: الطبري في تفسيره، ج١٢ ص٤٧٦، والبغوي في تفسيره، ج٣ ص٢٣٤.

قوله: ﴿فصلناه﴾ القراءة السبعية بالصاد وقرئ شذوذا بالضاد المعجمة،[1] أي فضلناه على غيره من الكتب السماوية.[2]

قوله: [بالأخبار والوعد] أي وكذا بقية الأنواع التسعة التي جمعها بعضهم[3] فى قوله:

حلا ل حرام محكم متشابه ❁❁ بشير نذير قصة عظة مثل

قوله: [حال] أي من الفاعل، ويصح كونه حالا من المفعول، والمعنى فصلناه حال كونه مشتملا على علم. قوله: [حال من الهاء] أي أو من كتاب، وجاز ذلك لتخصيصه بالوصف.

قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ أي أهل مكة، قوله: [عاقبة ما فيه] أي فهذا هو المراد بتأويله بمعنى ما يؤول إليه وعيد القرآن لهم.[4] قوله: ﴿الَّذِينَ نَسُوهُ﴾ أي التأويل. قوله: ﴿قَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ أي تبيَّنَ صدقهم فيما جاؤوا به واعترفوا بذلك العذاب. قوله: ﴿فَيَشْفَعُواْ﴾ منصوب بأن مضمرة فى جواب الاستفهام فهو عطف اسم مؤول على اسم صريح. قوله: [أو هل نرد] أشار بذلك أن جملة ﴿نُرَدُّ﴾ معطوفة على التي قبلها، والاستفهام مسلط عليها. قوله: ﴿فنعمل﴾ منصوب بأن مضمرة في جواب الاستفهام الثاني والمعنى نطلب أحد أمرين: إما الشفاعة لنا فيما سبق منا، أو نرجع إلى الدنيا ونحسن العمل فيها. قوله: [من دعوى الشريك] أي من دعوى نفع الشريك لأنهم كانوا يَدَّعون أن الأصنام تنفعهم.

---

(١) وهي قراءة الجحدري وابن محيصن بالضَّادِ المعجمة أي : فضَّلْناه على غيره من الكتب السماوية. انظر: البناء، أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، ط٣، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦م / ١٤٢٧هـ)، ص٢٨٩.

(٢) انظر: ابن عطية، في تفسيره، المصدر السابق، ج٢ ص٤٠٨.

(٣) أي وكان من ضمن ما فُصِّل في الكتاب الأخبار والوعد.

(٤) وقال ابن عطية: والمراد هل ينتظر هؤلاء الكفار إلا مآل الحال في هذا الدين وما دعوا إليه وما صدروهم عنه وهم يعتقدون مآله جميلاً لهم، فأخبر الله عز وجل أن مآله يوم يأتي يقع معه ندمهم ، ويقولون تأسفاً على ما فاتهم من الإيمان لقد صدقت الرسل وجاءوا بالحق. انظر: ابن عطية في تفسيره، المصدر السابق، ج٢ ص٤٠٨.

قوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ ﴾ أي لا غيره، قوله: ﴿ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ أي أولها الأحد، وآخرها الجمعة،[1] كما ورد أنه ابتدأ الخلق فى يوم الأحد وأنه خلق الأرض فى يومين الأحد والاثنين، والسماوات فى يومين الخميس والجمعة، وأنه خلق الجبال والوحوش والأشجار والزروع في الثلاثاء والأربعاء،[2] وروي مسلم[3] والحاكم[4] عن ابن عباس: إن الله خلق الأرض يوم الأحد والاثنين، وخلق الجبال وما فيهن من منافع يوم الثلاثاء، وخلق يوم الأربعاء الصخر والماء والطين والعمران والخراب، وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقين منه، فخلق الله في أول ساعة هذه الثلاث ساعات الآجال، وفى الثانية ألقى الله الألفة على كل شئ مما ينتفع به الناس، وخلق فى الثالثة آدم وأسكنه الجنة وأمر إبليس بالسجود له، وأخرجه منها في آخر ساعة، واستشكل ذلك بأنه لم يكن ثم شمس، والجواب بأن المراد في قدرها لا يجدي نفعا إلا أن يقال: إن ذلك التقدير فى علم الله، بحيث لو كانت الأيام موجودة لكانت كذلك، ثم اعلم أن ما هنا من الأحاديث موافق لما يأتي

---

(١) قاله قتادة –رحمه الله تعالى–. انظر: الطبري في تفسيره، المصدر السابق، ج١٢ ص٤٨١، والخازن في تفسيره، المصدر السابق، ج٢ ص١٩٥، وابن كثير، في تفسيره، المصدر السابق، ج٣ ص٤٣١.

(٢) وهذا يوافق ما في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده حيث قال: حدثنا حجاج، حدثنا ابن جُرَيْج، أخبرني إسماعيل بن أُمَيَّة، عن أيوب بن خالد، عن عبد الله بن رافع –مولى أم سلمة –عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: أخذ رسول الله –ﷺ– بيدي فقال: "خلق الله التربة يوم السبت، وخلق الجبال فيها يوم الأحد، وخلق الشجر فيها يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق، في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل". [انظر: مسند أحمد، مسند أبي هريرة –رضي الله عنه–، ج١٨ ص٢٣].

اختلف أهل التفسير في المراد بالأيام في هذه الآية، هل هذه الأيام من أيام الدنيا ، أم من أيام الآخرة؟ قال ابن عباس –رضي الله عنهما–: هه من أيام الآخرة، واليوم مقداره ألف سنة، وبه قال الجمهور. وقال سعيد ابن جبير: كان الله قادرا على أن يخلق السموات والأرض وما بينهما فى لمحة ولحظة ، فخلقهن فى ستة أيام تعليما لخلقه التثبت والتأنى فى الأمور. انظر: الطبري في تفسيره، المصدر السابق، ج١٢ ص٤٧٨، وابن كثير في تفسيره، المصدر السابق، ج٦ ص٣٢٠.

(٣) انظر: مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب ابتداء الخلق، وخلق آدم عليه السلام، برقم٧٢٣١، ج٨ ص١٢٧.

(٤) انظر: مستدرك الحاكم، كتاب التفسير، باب تفسير سورة حم الدخان، برقم ٣٦٨٣، ج٢ ص٤٨٩.

فى سورة فصلت،[1] من أن خلق الأرض مقدم على السماء ولا تنافي بينه وبين ما يأتي في سورة النازعات في قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾[2] المقتضي تقديم السماء على الأرض، لأن الدحي غير الخلق، فإن الأرض خلقت أولا كرة، ثم بعد خلق السماء بسطت الأرض.[3]

قوله: [أي في قدرها] جواب عن سؤال مقدر أفاده المفسر، بقوله: [لأنه لم يكن ثم شمس]، قوله: [التثبت] أي التهمل فى الأمور وعدم العجلة.[4] قوله: [هو فى اللغة سرير الملك][5] أي وتسميته عرشا إنما هو بالنسبة لما عدا الراكب عليه لعلوه عليهم،[6] وأما المراد به هنا فهو الجسم النوراني المرتفع على كل الأجسام المحيط بكلها.[7]

---

(١) وهي قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۞ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ ۞ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۞ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۞﴾ [سورة فصلت، الآية:٩-١٢].

(٢) سورة النازعات، الآية: ٣٠.

(٣) وذكر العلماء أن دحو الأرض تمهيدها وبسط قشرتها، بحيث تصبح صالحة للسير عليها، وتكوين تربة تصلح للإنبات، والله أخرج من الأرض ماءها سواء مايتفجر من الينابيع، أو ماينزل من السماء فهو أصلا من مائها الذي تبخر ثم نزل في صورة مطر؛ وأخرج من الأرض مرعاها، وهو النبات الذي يأكله الناس والأنعام، وتعيش عليه الأحياء مباشرة أو بالواسطة، وقد اختلف العلماء في معنى (بعد) في قوله:﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [سورة النازعات، الآية:٣٠]، إلى قولين: أحدهما : بمعنى "مع" وتقدير الكلام : والأرض مع ذلك دحاها ، لأنها مخلوقة قبل السماء ، قاله ابن عباس ومجاهد، والقول الثاني : أن « بعد » مستعملة على حقيقتها لأنه خلق الأرض قبل السماء ثم دحاها بعد السماء ، قاله ابن عمر وعكرمةانظر: الطبري في تفسيره، المصدر السابق، ج٢٤ ص٢٠٧-٢٠٧، والآلوسى في تفسيره، المصدر السابق، ج٢٢ ص١٤٧، وابن كثير في تفسيره، المصدر السابق، ج٨ ص٣١٦.

(٤) انظر: قاموس المحيط مادة "ثبت".

(٥) انظر: الجوهري في الصحاح في اللغة، مادة "عرش" ص٤٥٨، والمعجم الوسيط مادة "عرش" ج١ ص٤٦٦.

(٦) أي فهذا المعنى في اللغة لا في الإصطلاح.

(٧) انظر: الآلوسي، نعمان بن محمود بن عبد الله، أبو البركات خير الدين، **جلاء العينين في محاكمة الأحمدين**، ط٢، (المدينة النبوية: مطبعة المدني، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م) ص٤٥٢، وقال ابن عطية الأندلسي: هو الجسم المخلوق الأعظم الذي السماوات السبع والأرضون فيه كالدنانير في الفلاة من الأرض. (ابن عطية في تفسيره، المصدر السابق، ج٤ ص٥٥٠، وانظر: أبا السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ط١، (الرياض: مكتبة الرياض الحديثية،

قوله: [استواء يليق به] هذه طريقة السلف[1] الذين يُفَوِّضون علمَ المتشابه لله –تعالى– وهذا نظير ما وقع لمالك بن أنس[2] أنه سأله رجل عن قوله –تعالى–: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾[3] فقال: الاستواء معلومٌ والكيف مجهولٌ، والإيمان به واجبٌ، والسؤال عنه بدعةٌ، أخرجوا عني هذا المبتدع.[4]

د.ت.ط)، ج٢ ص٣٤٩، والثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، ط١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، تحقيق: الشيخ علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ج٥ ص١٠٧.

(١) السلف هم العلماء العدول الوارثون عن رسول اللهالحقائق والمعارف والعقائد ويمكن أن يقال هم السادة الأخيار إلى نهاية المائة الثالثة من الهجرة النبوية الشريفة المباركة وانتهى إليه تقريبا دور تدوين الحديث الشريف والكلام على رجاله. انظر: ابن جماعة، محمد بن إبراهيم بن سعد الله، إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، ط١، (بيروت: دار السلام،١٩٩٠) تحقيق: وهبي سليمان غاوجي الألباني، ص٤٠.

(٢) هو شيخ الاسلام ، حجة الأمة، إمام دار الهجرة، هو أحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبعة، أبو عبد الله مالك ابن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن خثيل بن عمرو بن الحارث. ولد مالك –رضي الله عنه– على الأصح في سنة ثلاث وتسعين عام موت أنس خادم رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، ونشأ في صون ورفاهية وتجمل، وطلب العلم وهو حدث بعيد موت القاسم، وسالم.

روى مالك عن غير واحد من التابعين، وحدث عنه خلق من الأئمة، منهم: السفيانان، وشعبة، وابن المبارك، والأوزاعي، وابن مهدي، وابن جريج، والليث، والشافعي، والزهري شيخه، ويحي بن سعيد الأنصاري وهو شيخه، ويحي بن سعيد القطان، ويحي بن يحي الأندلسي، ويحي بن يحي النيسابوري. انظر: الشافعي، أبو عبد الله، محمد بن إدريس، جماع العلم، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ)، ص٢٤٢، و بن خياط، أبو عمر خليفة الليثي العصفري، تاريخ خليفة بن خياط، ط٢، (بيروت: دار القلم ، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٧هـ) ، تحقيق : د. أكرم ضياء العمري، ص١٣٣، المعارف لابن قتيبة: ٤٩٨ ص – ٤٩٩، وابن حزم، في أنساب العرب، المصدر السابق، ج١ ص٤٣٥– ٤٣٦، والذهبي في **السير**، المصدر السابق، ج٨ ص٤٨.

(٣) سورة طه، الآية: ٥.

(٤) رواه اللالكائي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور، **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، ط١، (الرياض: دار طيبة، ١٤٠٢هـ)، تحقيق : د. أحمد سعد حمدان، ج٣ ص٥٢٧، والبيهقي، أبو بكر، أحمد بن الحسين، **الأسماء والصفات**، ط١، (جدة: مكتبة السوادي، د.ت.ط) ج٢ ص ٣٠٥، وصححه الذهبي وشيخ الإسلام والحافظ ابن حجر . انظر : الذهبي، **مختصر العلو للعلي الغفار**، ط٢، (المكتب الإسلامي، ١٤١٢ هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ج٢ ص٣٠٦، وكلها بألفاظ متقاربة ومعنى متحد.

وأما طريقة الخلف[1] فيؤولون: الاستواء بالاستيلاء بمعنى الملك والتصرف فالاستواء يطلق حقيقة على الركوب[2] وهو مستحيل على الله وعلى الاستيلاء والتصرف وهو المراد،[3]

قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق ❁❁ من غير سيف ودم مهراق[4]

وقد أشار صاحب الجوهرة للطريقتين بقوله:

وكل نص أوهم التشبيها ❁❁ أوله أو فوض ورم تنزيها.[5]

(١) عرف بعضه العلماء بأن الخلف هم الطائفة الكثيرة الكبيرة من الأئمة والعلماء الثقات من الفقهاء والمحدثين وعلماء أصول الدين وغيرهم الذين جاءوا بعد المائة الثالثة فقالوا في آيات الصفات وأحاديثها بما يسمى تأويلا تفصيليا يعنون تفصيل ما أجمل السلف القول فيه من مثل مع تنزيه الله تعالى عن مشابهة الخلق فقالوا لعل المعنى المقصود هو كذا وكذا. انظر: : ابن جماعة، محمد بن إبراهيم بن سعد الله، **إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل**، ط١، (دار السلام، ١٩٩٠م)، تحقيق: وهبي سليمان غاوجي الألباني، ص٤٩.

(٢) انظر: الجوهري، إسماعيل بن حماد، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، ط٤، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ص٢٣٨٥.

(٣) هذا التفسير من التأويل الباطل لهذه الآية، لأنه يتضمن صرف الآية من حقيقتها، إذ أن السلف لم يفسر الآية كما فسروها، وكلهم فسروا الآية على حقيقتها وتركوا الخوض في الكيفية كما ذكر المصنف سابقا من إمام دار الهجرة –رحمه الله-. [انظر: الصفحة ٢٤١ من هذا البحث].

(٤) هذا البيت من قول الأخطل، نسبه إليه الزَّبيدي، في تاج العروس من جواهر القاموس، ج٣٨ ص٣٣١، والأخطل هو الشاعر النصراني، واسمه غياث بن غوث بن الصلت بن سيحان بن عمرو بن السيحان بن فدوكس بن عمرو بن مالك بن جشم.[انظر: السمعاني في الأنساب، ج٣ ص٣٥٦، و البري، محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التلمساني، **الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة**، ط١، (الرياض: مكتبة دار الرفاعي، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، ج١ ص ١١٩، والشيباني، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الجزري، **اللباب في تهذيب الأنساب**، ط١، (بيروت: دار صادر،١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م)، ج١ ص٤٣].

(٥) انظر : تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد، ص٥٤.

قوله: [مخففا ومشددا] أي فهما قراءتان سبعيتان،[1] وعليهما فالليل فاعل والنهار مفعول لفظا ومعنى، ووجب تقديم ما هو فاعل معنى معنى لئلا يلتبس، نحو أعطيت زيدا عمرا. قوله: [أي يغطي كلا منهما بالآخر][2] يشير إلى أن في الآية حذفا تقديره ويغشى النهار الليل، ويؤيده آية ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ﴾[3] ، قوله: ﴿يطلبه حثيثا﴾ أي ليس بينهما فاصل،[4] والحث والحض بمعنى واحد،[5] وهو الطلب بسرعة،[6] وحثيثا نعت مصدر محذوف، أي طلبا حثيثا، قوله: [بالنصب عطفا على السماوات] أي ونصب ﴿مسخرات﴾ على الحال من ﴿والشمس والقمر والنجوم﴾

قوله: [والرفع] فهما قراءتان سبعيتان.[7] قوله: [مذللات] أي مسيرات فحيث سيرها سارت وفى هذا رد على الفلاسفة القائلين بتأثير الكواكب فى العالم السفلي، فهي أسباب عادية توجد الأشياء عندها لا بها،[8] قوله: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ ألا للاستفتاح يؤتى بها مبدأ الكلام البليغ الذي يقصد به الرد على المنكر، وتصرف الحادث إنما هو بتصريف الله له، وليس لمخلوق استقلال بتصريف أبدا وإنما

---

(١) أي اختلفوا فى تشديد الشين وتخفيفها من قوله –تعالى-: ﴿يغشى اليل النهار﴾ فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر ﴿يغْشِي﴾ ساكنة الغين خفيفة الشين، وقرأ عاصم فى رواية أبى بكر وحمزة والكسائى ﴿يغَشِّي﴾ مفتوحة الغين مشددة الشين. انظر : ابن مجاهد، **كتاب السبعة في القراءات**، مصدر سابق، ص٢٨٢..

(٢) انظر : البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف**، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.ط.) ج٢ ص٢٧٧.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٥.

(٤) قال البيضاوي: يعقبه سريعاً كالطالب له لا يفصل بينهما شيء. البيضاوي، مصدر سابق، ج٢ ص٢٦٦.

(٥) ذكر بعضهم أن الحث يكون في السير والسوق، والحض يكون فبما عداهما نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [سورة الحاقة، الآية:٣٤]. انظر : أبا هلال العسكري، الفروق اللغوية، ط١، ٢٠٠٠م، ص١٧٥-١٧٦.

(٦) انظر: الجوهري، إسماعيل بن حماد، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، ط٤، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ج١ ص٢٧٨.

(٧) وقرأ ابن عامر وحده من السبعة و ﴿ الشمسُ والقمرُ والنجومُ مسخراتٌ ﴾ بالرفع في جميعها ، ونصب الباقون هذه الحروف كلها ، وقرأ أبان بن تغلب و ﴿ الشمسَ والقمرَ ﴾ بالنصب ، و ﴿ النجومُ مسخراتٌ ﴾ بالرفع . ينظر: ابن مجاهد، مصدر سابق، ص٢٨٢-٢٨٣.

(٨) قلت: هذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة بان لا تأثير للكواكب في شيء من مخلوقات الله، ولا يكون شيء إلا بإرادة الله عز وجل. انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٦ ص١٥.

العبيد مظاهر التصريف فمن أكرمه أُجرِى جلب الخير ودفع الضر على يديه، كمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء[١] ومن أهانه أجرى الشرور على يده. قوله: ﴿تبارك﴾ فعل ماض جامد لا يتصرف ومعناه تمجد وتنزه عن صفات الحدوث.

قوله: ﴿ادعوا ربكم﴾ أمر لجميع العباد بالتوجه فى الدعاء لله سبحانه وتعالى، فحيث علمتم أن الله هو المتصرف فى خلقه إيجادا وإعداما وإعطاء ومنعًا،[٢] فوجهوا إليه قلوبكم واسالوه بألسنتكم،[٣] قد ذكر الله سبحانه وتعالى الدعاء أربعة شروط: التضرع والخيفة والخوف والطمع، قوله: [حال] أي من الفاعل في [ادعوا] أي ادعوا حال كونكم متضرعين متذللين لأن الدعاء إذا كان مع التذلل كان للإجابة أقرب.[٤] قوله: [سرا] أي بإسماع نفسه، لأن الله تعبدنا بالدعاء كما تعبدنا بالقراءة فلا يكفى مرور الدعاء على قلبه، واعلم أن الأنسان إذا كان وحده، فالسر أفضل له إن كان ينشط فى ذلك [و][٥] إلا فالجهر أفضل له كالجماعة.[٦]

---

(١) المعجزة هي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة، يظهر على يد مدعي النبوة موافقاً لدعواه، وذكروا شروط للمعجزة لا بد من توفرها، منها: أن تكون المعجزة خارقة للعادة غير ما اعتاد عليه الناس من سنن الكون والظواهر الطبيعية، ومنها أن تكون المعجزة مقرونة بالتحدي للمكذبين أو الشاكين، ومنها أن تكون المعجزة سالمة عن المعارضة، فمتى أمكن أن يعارض هذا الأمر ويأتي بمثله، بطل أن تكون معجزة. انظر: محمد صديق حسن خان القنوجي و الإمام محمد بن عبد الوهاب، **قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر مع كتاب مسائل الجاهلية**، ط١، (المملكة العربية السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢١هـ) ص١٠٣.

(٢) كذا في النسخة الأصلية وفي النسخ المطبوعة [معنا].

(٣) قلت: وفي هذا تعليم لآداب الدعاء كما جاء في حديث أبي موسى الأشعري –رضي الله عنه– رضي الله عنه – قال : كنا مع النبي – ﷺ– فكنا إذا أشرفنا على واد هللنا وكبرنا ارتفعت أصواتنا فقال النبي –ﷺ–: "يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا إنه معكم إنه سميع قريب تبارك اسمه وتعالى جده" [انظر : صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير، ج٣ ص١٠٢٣].

(٤) انظر: ابن القيم في الضوء المنير قي التقسير، ج٣ ص١٧٥.

(٥) سقط ما بين القوسين في النسخ المطبوعة.

(٦) قلت: حفاظا لنفسه من الرياء، ولأنه لم يكن يدعوا صما ولا بكما، إنه الله عز وجل يسمع ويرى وأقرب إلى الجميع من حبل الوريد.

قوله: [بالتشدق] هو كثرة الكلام من غير حضور فى القلب،[1] فهو راجع لقوله: ﴿تضرعا﴾ وقوله: [وررفع الصوت] هو راجع لقوله: ﴿وخفية﴾.

قوله: [خوفا] الخوف غم يحصل من أمره مكروه فى المستقبل، قوله: ﴿وطمعا﴾ الطمع توقع أمر محبوب فى المستقبل، ومنه رجاء الإجابة، ففي الحديث "ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة"[2] وفى الحديث أيضًا "ما من عبد يرفع يديه ويقول يا رب إلا ويستحي الله أن يردهما صفرين"[3] فاستفيد من هذا أنه ينبغي للداعي الخوف والرجاء، فيجعلهما كجناحب الطائر، إن مال حدهما سقط. قوله: [المطيعين] أي ولو بالتوبة، فالمطلوب تقديم التوبة على الدعاء ليقع الدعاء من قلب طاهر، فيكون أقرب للإجابة، قوله: [وتذكير قريب] جواب عما يقال: [إن قريب] فى الأصل وصف في المعنى لرحمة وهي مؤنثة، فكان حقه التأنيث. فأجاب بأنه اكتسب التذكير من المضاف إليه، وهو لفظ الجلالة، أو يقال: [إن رحمت] مجازي التأنيث فيوصف بالمذكر، أو يقال: إن معنى الثواب وهو مذكر فوصفه بالمذكر من حيث المعنى.

قوله: ﴿وهو الذي يرسل الريح﴾ معطوف على قوله: ﴿إن ربكم الله﴾ الآية، والرياح جمع ريح وهي أربعة الصبا والدبور والجنوب والشمال، فالصبا تثير السحاب وهي من مطلع الشمس، والشمال تجمعه وهي من تحت القطب، والجنوب تدره وهي من جهة القبلة، والدبور تفرقه وهي من مغرب الشمس، وفى رواية الرياح الثمانية، أربعة عذاب: المعاصف والقاصف والصرصر والعقيم، وأربعة رحمة: الناشرات والمرسلات والنازعات والمبشرات.[4]

---

(١) وأصل (الشدق) جانب الفم مما تحت الخد وكانت العرب تمتدح رحابة الشدقين لدلالتها على جهارة الصوت، انظر: المعجم الوسيط، ج١ ص١٧٥.

(٢) انظر : سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب جَامِعِ الدَّعَوَاتِ عَنِ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم-. برقم ٣٤٧٩ ج٥ ص٥١٧، من حديث محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه" قال الشيخ الألباني – رحمه الله – : حسن.

(٣) قلت: ولم أقف على هذا الحديث بهذا اللفظ، ولكن أخرجه الترمذي بلفظ: " إن الله حيي كريم يستحيي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرا خائبين" وقال: هذا حديث حسن غريب، وقال الشيخ الألباني :صحيح. انظر: **سنن الترمذي**، كتاب الدعوات، باب فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم–،ج٥ ص٥٥٦.

(٤) نقله من الإمام الآلوسي، انظر: الآلوسي، محمود بن عبد الله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،ج٨ ص١٤٥.

قوله: [متفرقة] هذا التفسير لم يوافقه عليه أحد، بل بعض المفسرين قال: إن معنى نشرا متنشرة متسعة أو ناشرة للحساب،[1] قوله: [قدام المطر] فى الكلام استعمارة مكنية، حيث شبهت الرحمة بمعنى المطر بسلطان يقدم وله مبشرات وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشئ من لوازمه وهو قوله: ﴿بين يدي﴾ فإثباته تخييل. قوله: [تخفيفا] أي بحذف ضمة الشين، وهي سبعية أيضا كاللتين بعدها.[2] قوله: [بسكونها وفتح النون] أي وإفراد الريح. قوله: ﴿نشرا﴾ أي إما بمعنى اسم الفاعل أو اسم المفعول أي ناشرة للحساب أو منشورة، قوله: [ومفردا الأولى] أي ضم الشين ومثلها سكونها فمفرد الاثنين واحد. قوله: ﴿حتى إذا أقلت﴾ غاية لإرسال الرياح، قوله: ﴿سحابا﴾ هو ثمر شجرة فى الجنة،[3] قوله: [بالمطر] متعلق بثقالا والباء للسببية قوله: [عن الغيبة] أي إلى التكلم إذ كان مقتضى الظاهر فساقه. قوله: [لا نبات به] أي فموت الأرض كناية عن عدم النبات بها.

قوله: [بالبلد] أشار بذلك إلى أن الضمير في [به] عائد على البلد والباء بمعنى في. قوله: [بالماء] يشير إلى أن الضمير عائد على الماء، والباء سببية ويصح عوده على البلد، وتكون الباء بمعنى في، قوله: ﴿كذلك الإخراج﴾ أي فالتشبيه مطلق الإخراج من العدم فمن كان قادرا على إخراج الثمار من الأرض

---

(١) ذكره السمين الحلبي في **الدر المصون في علم الكتاب المكنون**، ط١، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م) ج٢ ص٢١٢.

(٢) فقرأ ابن كثير وهو الذى يرسل الريح واحدة نشرا مضمومة النون والشين، وقرأ أبو عمرو ونافع الريح جماعة نشرا مثقلة، وقرأ ابن عامر الريح جماعة نشرا مضمومة النون ساكنة الشين، وقرأ عاصم الريح جماعة بشرا بالباء خفيفة الشين منونة، وقرأ حمزة والكسائى الريح على التوحيد نشرا بفتح النون ساكنة الشين. ينظر: ابن مجاهد، مصدر سابق، ص٢٨٤.

(٣) قلت: لم أقف على أحد قال بهذا ، والذي قاله أكثر المفسرين هو أن السحاب جمع سحابة وهو الغيم فيه ماء أو لم يكن فيه ماء سمي سحاباً لانسحابه في الهواء. انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، مصدر سابق، ج١٢ ص٤٩٣، وابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق، ج٢ ص٤١٣.

سيما أرض الجبال التى شأنها عدم إنبات شئ من الثمار على إحياء الموتى من قبورهم رد على منكري البعث.[1]

قوله: ﴿والبلد﴾ أي الأرض، قوله: [حسنا] أخذه من قوله: ﴿لا يخرج إلا نكدا﴾ قوله: ﴿بإذن ربه﴾ أي بإرادته ولم يذكر ذلك فى المقابل وإن كان بإذنه أيضا تعليما لعباده الأدب، حيث أسند لنفسه خير دون الشر وإن كان منه أيضا لما ورد: "إن الله جميل يحب الجمال"[2]

ولقوله تعالى: ﴿ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ﴾،[3] ولم يقل وبيد[ك][4] الشر، فلا يجوز أن يقال سبحان من خلق القرد ولا سبحان من دبب الشوك. قوله: [هذا مَثَلٌ للمؤمن] أو لعلمه فمثل المؤمن كمثل الأرض الطيبة ومثل المواعظ والقرآن كمثل الماء، فكما أن الماء إذا نزل على الأرض الطيبة انبتت طيبا، كذلك المواعظ والقرآن إذا نزلت على قلب المؤمن أنبتت الطاعات والصفات الحميدة. قوله: ﴿إلا نكدا﴾ أي إلا نباتا نكدا عديم النفع، ونصب نكدا على الحال أو نعت مصدر محذوف أي إلا خروجا نكدا وهو من باب تعب.

قوله: ﴿لقد أرسلنا نوحا﴾ المقصود من ذكر تلك القصص تسلية النبي -ﷺ- وتركت الواو هنا، وذكرت فى سورة هود والمؤمنون، ولعدم تقدم ما يعطف عليه هنا بخلاف ما يأتي، ونوح اسمه عبد الغفار بن ملك بفتح الميم وسكونها ابن متوشلخ بن أخنوع، وهو إدريس،[5] بعث على رأس أربعين سنة على الصحيح، وقيل على رأس خمسين، وقيل مائتين وخمسين، وقيل مائة سنة، ومكث في قومه تسعمائة وخمسين، وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين، فجملة عمره ألف ومائتان وأربعون، بناء على الصحيح من أنه بعث على رأس الأربعين، وكان بحارا، وصنع السفينة فى عامين، ولقب بنوح لكثرة نوحه على نفسه، حيث دعا على قومه فهلكوا، وقيل لمراجعته ربه في شأن ولده كنعان، وقيل لأنه مر على كلب

---

(١) قلت: هذه الآية عظيمة الشأن وواضحة استدلال على وجود البعث، فإن اللّه تعالى كما أنه يحيي الأرض وينبتها نباتا حسنا بالمطر فإنه قادر على إعادة الموتى أحياء يوم القيامة، كإحياء الأرض بعد موتها، علما بأن الرياح حيث وقعت في القرآن فهي مقترنة بالرحمة، وأما الريح بمقترنة بالعذاب.

(٢) أخرجه مسلم صحيح، انظر صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تَحْرِيمِ الْكِبْرِ وَبَيَانِهِ، ج١ ص٦٥ برقم٢٧٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

(٤) سقط ما بين القوسين في النسخ المطبوعة.

(٥) انظر : تاريخ الطبري، ج١ ص١٧٩، وقصص الأنبياء ص٣٢، وتفسير القرطبي، ج٧ ص٢٣٣، والآلوسي، ج١٢ ص٤٣٥.

مجذوم فقال له: احسأ يا قبيح، فأوحى الله إليه أعبتني أم عبت الكلب.[1] وقدم قصة نوح لأن قومه أول من كفر واستحق العذاب. قوله [جواب قسم محذوف] إنما [أتى][2] بالقسم هنا للرد على المنكرين ومما يجب التأكيد فيه. قوله: ﴿إلى قومه﴾ القوم في الاصل: قبيلة الرجل وأقاربه الذين اجتمعوا معه في جد واحد، ويطلق مجازا على من عاشرهم الرجل وسكن عندهم، وإن لم يكونوا أقارب له.[3] قوله: ﴿اعبدوا الله﴾ أي وحده. قوله: ﴿مالكم من إله غيره﴾ استئناف مسوق لبيان وجه إفراده بالعبادة. قوله: [صفة لإله] أي مراعاة للفظه. قوله: [بدل من محله] أي لأن محله رفع بالإبتداء ومن زائدة. قوله: ﴿إني أخاف﴾ علة ثانية للأمر بالعبادة، والمعنى: اعبدوا الله لأنه ليس لكم إله غيره، ولأني أتحقق نزول عذاب الآخرة بكم إن خالفتم ذلك، إما عاجلا فى الدنيا أو آجلا فى الآخرة.

قوله: ﴿قال الملأ﴾ بالهمزة والقصر،[4] سموا بذلك لأنهم يملؤون المجالس بأجسامهم، والقلوب بهيتهم والعيون بأبهتهم.[5] قوله: ﴿من قومه﴾ لم يقل الذين كفروا مثل ما قيل فى قوم هود، لأن ذلك كان في مبدأ رسالته ولم يكن ثَمَّ مؤمن، هكذا قيل، والأحسن أن يقال: حذفه منه لعلمه مما يأتي في الآية الأخرى. قوله: ﴿فى ضلال مبين﴾ أي حيث عدل عن عبادة آلهتهم المجمعين عليها المذكورين فى سورة نوح فى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾[6] قوله: [هي أعم من الضلال] أي لأن الضلال هو الخروج عن الحق ولو بوجه. قوله: [فنفيها أبلغ] أي لأنها نكرة فى سياق النفي فتعم.

---

(١) انظر:

(٢) سقط ما بين القوسين في النسخ المطبوعة.

(٣) قال الزَّبيدي في تاج العروس من جواهر القاموس: قال ابن الاثير القوم في الاصل مصدر قام ثم غلب على الرجال دون النساء وسموا بذلك لانهم قوامون على النساء بالامور التي ليس للنساء أن يقمن بها. انظر : التاج، مصدر سابق، ج٢٣ ص١٤٣.

(٤) الملأ هم أشراف القوم، ووجوههم ورؤساؤهم. انظر: إصلاح المنطق، ص١٥٠، وتهذيب اللغة، ج١٥ ص٤٠٤، واللسان ج١ ص١٦٠، والقاموس، ج١ ٢٨، والفراء في معاني القرآن، ج١ ص٣٨٣، والطبري ج١٢ ص٤٩٩.

(٥) انظر:

(٦) سورة نوح، الآية:٢٣.

قوله: ﴿ولكني رسول﴾ قد وقع الإستدراك أحسن موقع، لكونه وقع بين ضدين نفي الضلالة المتوهم ثبوتها، وثبوت الرسالة المتوهم نفيها. قوله: [بالتخفيف والتشديد] أي فهما قراءتان سبعيتان.(١)

قوله: ﴿رسلت ربي﴾ الجمع باعتبار تعدد الأزمنة، والمراد بالرسالات المرسل بها التى هي الأحكام. قوله: ﴿وأنصح لكم﴾ النصح يتعدي بنفسه باللام، وهو إرادة للغير كما يريده لنفسه. قوله: ﴿وأعلم من الله مالا تعلمون﴾ أي من الأحكام التى تأتيه عن الله أو من العذاب الذي يحل بهم إن لم يؤمنوا. قوله: ﴿كذبتم﴾ أشار بذلك الى أن الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة على ذلك الحذف، قوله: ﴿موعظة﴾ أي تخوفكم من عذاب الله إن لم تؤمنوا.

قوله: ﴿لينذركم﴾ علة للمجئ، قوله: ﴿ولتتقوا﴾ مرتب على الإندار، وقوله: ﴿ولعلكم ترحمون﴾ مرتب على التقوى فهذا الترتيب فى أحسن البلاغة، وعبر فى جانب الرحمة بالترجي، إشارة الى أن الرحمة أمرها عزيز لا تنال بالعمل بل بفضل الله.(٢) قوله: [العذاب] قدره إشارة إلى أن مفعول ينذر محذوف. قوله: [ولتتقوا] ﴿الله ﴾ قدره إشارة الى أن مفعول تتقوا محذوف أيضا.

قوله: ﴿فكذبوه﴾ أي استمروا على تكذيبه.(٣) قوله: ﴿والذين معه﴾ قيل كانوا أربعين رجلا وأربعين امراة وقيل تسعة أولاده الثلاثة: سام وهو أبو العرب، وحام ابو السودان، ويافث وهو أبو الترك، وستة غيرهم.(٤) قوله: ﴿فى الفلك﴾ يطلق على المفرد والجمع والمذكر والمؤنث، ووزن المفرد قفل والجمع أسد. قوله: ﴿السفينة﴾ وكان طولها ثلاثمائة ذراع، وسمكها ثلاثين ذراعا [و](٥) عرضها خمسين وطباقتها ثلاث، السفلى للوحوش والدواب، والوسطى للإنس، والعليا للطيور، وركبها فى عاشر رجب، واستوت

---

(١) واختلفوا فى تشديد اللام وتخفيفها من قوله ﴿أبلغكم رسلت ربى﴾ فقرأ أبو عمرو وحده ﴿أبْلغكم﴾ ساكنة الباء فى كل القرآن، وفتح الباقون الباء وشددوا اللام فى كل القرآن. انظر: ابن مجاهد، مصدر سابق، ص٢٨٤.

(٢) قلت وفي هذا جاء الحديث في الصحيحين من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- أَنَّهُ قَالَ "لَنْ يُنْجِىَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ". قَالَ رَجُلٌ: وَلاَ إِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: "وَلاَ إِيَّاىَ إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِىَ اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ وَلَكِنْ سَدِّدُوا". [انظر: صحيح البخاري، كتاب المرضى، باب نهي تمني المريض الموت، ج٥ ص٢١٤٧ برقم٥٣٤٩، وصحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ بَلْ بِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، ج٨ ص١٣٩ برقم٧٢٨٩].

(٣) قال به الآلوسي، انظر: الآلوسي في تفسيره، مصدر سابق، ج٨ ص١٥٣.

(٤) انظر : الآلوسي ، مصدر سابق، ج٨ ص١٥٣.

(٥) سقط ما بين القوسين في النسخ المطبوعة.

على الجودي فى عاشر المحرم.(١) قوله: ﴿بأئتنا﴾ أي الدالة على التوحيد، وهي معزات نوح، قوله: ﴿عمين﴾ أصله عميين حذفت الياء الأولى تخفيفا وهو جمع عم يقال لأعمى البصيرة وأما عميتان فجمع أعمى يقال لأعمى البصر.

قوله: ﴿وإلى عاد﴾ جرت عادة الله في كتابه، أنه إذا كان للمرسل إليهم اسم ذكرهم به، وإلا عبر بقول قومه، وقدر المفسر [أرسلنا] إشارة إلى أن ﴿أخاهم﴾ معطوف على نوحا، والعامل فيه ﴿أرسلنا﴾ المتقدم والجار والمجرور معطوف على قوله إلى قومه، فتكون الواو عاطفة عطف قصة على قصة، وهكذا يقال فى باقي القصص. قوله: [الأولى] يحترز به عن عاد الثانية فإنها قوم صالح. قوله: ﴿أخاهم هودا﴾ سمي أخاهم لأنه من جنسهم واجتمع معهم فى جد، لأن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، فسميت قبيلة ساهم جدهم، وهو بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن إرم بن نوح، وقيل ابن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح، فعلى الاول قد اجتمع معهم فى عاد، وعلى الثاني لا، وإنما اجتمع معهم فى سام، وكان بين هود ونوح ثمانمائة سنة، وبين القبيلتين مائة سنة، وعاش أربعمائة وأربع وستين سنة،(٢) وعاد يجوز صرفه باعتبار كونه اسما للحي، ومنعه باعتبار اسما للقبيلة، وهذا من حييث العربية، وأما في القرآن فلم يقرأ بمنع الصرف. قوله: ﴿فقال يقوم﴾ أتى في قصة نوح بالفاء لأنه كان مسارعا فى دعوتهم إلى الله غير متوان كما حكى فى سورة نوح، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً﴾(٣) بخلاف هود. قوله: ﴿مالكم من إله غيره﴾ أي لأنه الخالق للعالم المتصرف فيه. قوله: ﴿أفلا تتقون﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أتركتم التفكر فى مصنوعات الله أفلا تتقون.

قوله: ﴿الذين كفروا﴾ صفة للملأ كاشفة، لأن هذه المقالة لا تقع من مؤمن، ولذا تركت من قصة نوح لعلمها مما هنا. قوله: ﴿إنا لنراك﴾ رأى هنا علمية، فمفعولها الاول الكاف، والثاني متعلق

---

(١) انظر: الآلوسي، مصدر سابق، ج٨ ص١٥٤.

(٢) انظر: قصص الأنبياء ص٤٩، وابن كثير، البداية والنهاية، مصدر سابق، ج١ ص١٦٠، و ابن المطهر، البدء والتاريخ، ج١ ص١٣٩.

(٣) سورة نوح:الآية:٥.

بالجار والمجرور، قوله: ﴿في سفاهة﴾ الحكمة في تعبير قوم هود بالسفاهة، وقوم نوح بالضلال، أن نوحا لما خوف قومه بالطوفان، وجعل يصنع الفلك، نسبوه للضلال، حيث أتعب نفسه فى عمل سفينة فى أرض لا ماء بها ولا طين، هود لما نهاهم عن عبادة الأصنام صمودا وصمدا وهبا ونسب من يعبدها للسفه خاطبوه بمثل ما خطبهم به.(١) قوله: ﴿ولكني رسول﴾ تقدم أن مثل هذا الاستدراك وقع أحسن موقع، لكنه وقع بين ضدين.

قوله: ﴿أبغلكم﴾ بالتخفيف والتشديد قراءتان سبعيتان.(٢) قوله: ﴿وأنا لكم ناصح﴾ الحكمة في تعبير هود بالجملة الاسمية، ونوح بالجملة الفعلية، أن هودا كان نصوحا مع التراخي، ومعلوم أن ذلك يدل عليه بالجملة الاسمية، ونوح مكررا للنصح، وذلك يدل عليه بالجملة الفعلية لأن الفعل للتجدد. قوله: [مأمون على الرسالة] أي فلا أزيد ولا أنقص.

قوله: ﴿أو عجبتم﴾ الهمزة داخلة على محذوف تقديره أكذبتموني وعجبتم. قوله: [وذكرى] أي موعظة تخوفكم من عذاب الله. قوله: ﴿إذ جعلكم خلفاء﴾ إذ ظرف مفعول لأذكروا أي اذكروا وقت جعلكم، والمقصود ذكر النعمة لا ذكر وقتها. قوله: ﴿بسطة﴾ بالسين والصاد قراءتان سبعيتان ومعناهما واحد. قوله: [قوة وطولا] أي ومالا، قوله: [مائة ذراع الخ] الذي قاله فى سورة الفجر،(٣) إن طويلهم كان أربعمائة ذراع بذراع نفسه، وفى رواية خمسمائة وقصيرهم ثلاثمائة ذراع، وكان رأس الواحد منهم قدر قبة العظيمة، وكانت عينه بعد موته تفرخ فيها الضباع،(٤) قوله: ﴿ءالاء الله﴾ جمع إلى بكسر الهمزة وضمها، كحمل وقفل أو بكسر ففتح كضلع أو بفتحتين، قوله: [تفوزون] أي برضا الله وزيادة النعم لأن شكر النعم مما يديمها ويزيدها.(٥)

---

(١) ذكره الآلوسي، في تفسيره، ج٨ ص١٦٠.

(٢) سبق عزوها في الآية السابقة.

(٣) وهي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۞ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ۞ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ۞﴾ [سورة الفجر، الآية:٦-٨.

(٤) ذكره الآلوسي في تفسيره، ج٣٠ ص١٢٣.

(٥) وهو وفق قول الله عز وجل، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [سورة إبراهيم، الآية:٧].

قوله: ﴿قالوا أجئتنا﴾ أي جوابا بالنصحة لهم. قوله: ﴿وجب﴾ أي حق وثبت والتعبير بالماضي إشارة إلى أنه واقع لا محالة. قوله: ﴿وغضب﴾ عطف على سبب مسبب. قوله: ﴿في أسماء﴾ أي مسميات. قوله: [أصناما] قدره إشارة إلى مفعول سميتوها الثاني. قوله: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾[١] وكانت باردة ذات صوت شديد لا مطر وكانت وقت مجيئها فى عجزر الشتاء وابتدأتهم صبيحة الأربعاء لثمان بقين من شوال، وسخرت عليهم سبع ليال وثمانية أيام، فأهلكت رجالهم ونساءهم، وأولادهم وأموالهم، بأن رفعت ذلك فى الجو فمزقته، وفى رواية بعث الله عزو جل الريح العقيم، فلما دنت منهم نظروا إلى الإبل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والارض، فلما رأوها بادروا إلى البيوت فدخلوها وأغلقوا الأبواب، فجاءت الريح فقلعت أبوابهم ودخلت عليهم فأهلكتهم فيها، ثم أخرجتهم من البيوت، فلما أهلكتهم أرسل الله عليهم طيرا أسود فنقلتهم إلى البحر فألقتهم فيه، وقيل إن الله تعالى أمر الريح فأمالت عليهم الرمال، فكانوا تحت الرمال سبع ليال وثمانية أيام يسمع لهم أنين تحت الرمل، ثم أمر الريح فكشف عنهم الرمل ثم احتملهم فرمت بهم في البحر.[٢]

قوله: ﴿والذين معه﴾ أي وكانوا شرذمة قليلة يكتمون إيمانهم، وسبب نجاتهم أنهم دخلوا فى خطيرة فصار يدخل عليهم من الريح ما يلتذون به، ثم بعد ذلك أتوا مكة مع هود، فعبدوا الله فيها حتى ماتوا.[٣] قوله: [أي أستأصلناهم] أي لم نبق منهم أحدا. قوله: [عطف على كذبوه] أي وفائدته وإن علم منه الإشارة إلى أن الله علم عدم إيمانهم، وأنهم لو بقوا ما آمنوا، أي فلا تحزن عليهم أيها السامع.

قوله: ﴿وإلى ثمود﴾ تقدم أنه معطوف على قوله: ﴿لقد أرسلنا نوحا﴾، عطف قصة على قصة، وثمود قبيلة سموا باسم جدهم ثمود بن عابر بن سام بن نوح،[٤] قوله: [بترك الصرف] أي للعلمية والتأنيث. ولو أريد به الحي لصرف. ﴿أخاهم﴾ أي في النسب لأنه ابن عبيد آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود المتقدم، وكان بين صالح وهو مائة سنة، وعاش صالح مائتين وثمانين سنة.

---

(١) سورة الذاريات، الآية:٤١.

(٢) سورة الاعرف، الآية: ٥٩.

(٣) انظر: بن كثير، للامام أبى الفداء إسماعيل، قصص الأنبياء، ط١، (دار الكتب الحديثة، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م،) ت: مصطفى عبد الواحد، ج١ ص١٢٠.

(٤) انظر: ابن كثير، مصدر سابق، ج١ ص١٤٥.

قوله: ﴿الصالحات﴾ بدل من أخاهم أو عطف بيان عليه. قوله: ﴿مالكم من إله غيره﴾ علة لقوله: ﴿اعبدوا الله﴾ قوله: ﴿قد جاءكم﴾ علة لمحذوف، والتقدير امتثلوا ما أمرتكم به، لأنه قد جاءتكم بينة على صدقي. قوله: ﴿هذه ناقة الله لكم آية﴾ كلام مستأنف بيان المعجزة، والإضافة للتشريف واسم الإشارة مبتدأ و ﴿ناقة الله﴾ خبر ومضاف إليه ﴿ولكم﴾ جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من ﴿ءاية﴾ لأنه نعت نكرة تقدم عليها أو خبر ثان و ﴿ءاية﴾ حال والعامل فيها محذوف تقديره أشير، وقد أشار له المفسر بقوله: [حال عاملها معنى الإشارة] وهذا القول وقع من صالح بعد نصحهم، كما قال تعالى في سورة هود: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[1]، قوله: [من صخرة عينوها] وكان يقال لها الكاثبة، وكان منفردة في ناحية الجبل، فقالوا أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة تكون على البخت،[2] وتكون عشراء جوفاء وبراء، وأي ذات جوف واسع ووبر وصوف، فدعا الله فتخضت الصخرة تمخض التنوج بولدها، فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء كما وصفوا، لا يعلم ما بين جنبيها إلا الله تعالى، فعند خروجها ولدت ولدا مثلها فى العظم، فمكث الناقة مع ولدها ترعى وتشرب إلى أن عقروها، قوله: ﴿فذروها تأكل﴾ مرتب على كونها آية من آيات الله، قوله: ﴿تأكل فى أرض الله﴾ أي وتشرب قوله: ﴿فيأخذكم﴾ بالنصب فى جواب النهي، والتعقيب ظاهر، لأنهم لم يلبثوا إلا ثلاثة أيام، رأوا فيها أمارات العذاب، كما يأتي فى سورة هود، قوله: ﴿عذاب أليم﴾ أي مؤلم.

قوله: ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء﴾ تذكير لهم بنعم الله التى أنعم عليهم قوله: ﴿في الأرض﴾ قدره إشارة إلى أن في الآية الحذف من الأول لدلالة الثاني عليه. قوله: ﴿وبوأكم فى الأرض﴾ أي أرض الحجر بكسر الحاء مكان بين الحجاز والشام.[3] قوله: ﴿تتخذون﴾ أي تعملون وتصنعون، واتخذ يصح

---

(١) سورة هود، الآية: ٦١.

(٢) كذا في الأصل وفي النسخ المطبوعة [البخث] والبخت: الجدُّ مُعَرَّبٌ وبالضم: الإبِلُ الخُراسانِيَّةُ كالبُخْتِيَّةِ. انظر: الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ص١٨٨.

(٣) الحِجْرُ: اسمُ دارِ ثَمُودَ بوادِي القُرَى بين المدينةِ والشَّامِ وكانت مَساكِنِ ثَمودَ وهي بُيوتٌ مَنحوتَةٌ في الجِبَال مِثْل المغَاوِر وكلُّ جَبَلٍ مُنْقَطِعٌ عن الآخَرِ يُطَاف حولَهَا وقد نُقِرَ فيها بيوتٌ تَقِلُّ وَتَكْثُرُ على قدْر الجِبَالِ التي تُنقَرُ فيها وهي بُيوتٌ في غايةٍ الحسْنِ فيها بيوتٌ وطَبَقَاتٌ مُحْكَمَةُ الصَّنْعَةِ وفي وَسَطها البِئْرُ التي كانت تَرِدُهَا النّاقَةُ. انظر: الزَّبيدي، في تاج العروس من جواهر القاموس، مصدر سابق، ج٢ ص٢٥٠.

أن يكون متعديا لواحد، فمن سهولها متعلق باتخذ، أو لاثنين فمن سهولة متعلق بمحذوف مفعول به ثان. قوله: ﴿من سهولها﴾ جمع سهل وهو المكان المتسع الذي لا جبل به،[1] ومن بمعنى في، أي تصنعون فى الأرض السهلة القصور، ويصح أن تكون من الابتداء، أي تتخذون من السهول، أي الأراضي اللينة القصور، أي طوبها وطينها، والأقرب الأول، سميت القصورة لقصر أيدي الفقراء عن تحصيلها، قوله: ﴿وتنحتون الجبال بيوتا﴾ يصح أن يكون المعنى على إسقاط الخالص أي من ﴿الجبال﴾ و ﴿بيوتا﴾ مفعول ﴿وتنحتون﴾ ويصح أن يكون ﴿الجبال﴾ مفعولا به، ﴿بيوتا﴾ حال مقدرة كما قال المفسر، لأن الجبال لا تصير إلا بعد نحتها، وهو إن كان جامدا، إلا أنه مؤول بالمشتق أي مساكن. قوله: ﴿مفسدين﴾ حال ومؤكدة لعاملها، لأن العثو هو الفساد.[2] قوله: [بدل مما قبله بإعادة الجار] أي بدل كل من كل إن كان الضمير في ﴿منهم﴾ عائدا على القوم، ويكون جميع المستضعفين آمنوا، وبدل بعض من كل، إن كل الضمير عائدا على المستضعفين، ويكون المستضعفين آمنوا، والله أعلم بحقيقة الحال، قوله: ﴿أتعلمون﴾ مفعول قول المستكبرين. قوله: ﴿قالوا﴾ [نعم] قدره المفسر إشارة إلى أن هذا حق الجواب، وإنما عدلوا عنه مسارعة إلى تحقيق الحق وإظهار إيمانهم، وتنبيها على أن رسالته واضح لا تخفى، فلا ينبغي السؤال عنها فهذا الجواب تبكيت لهم.

قوله: ﴿قال الذين استكبروا﴾ إظهار فى محل الإضمار تبكيتا لهم. قوله: ﴿إنا بالذي ءامنتم﴾ لم يقولوا إنا بما أرسل به، إظهارا لمخالفتهم إياهم تعنتا وعنادا. قوله: ﴿وكانت الناقة لها يوم فى الماء﴾ أي فإذا كان يومها وضعت رأسها فى البئر، فما ترفعه حتى تشرب جميع ما فيها ثم تتبجبج[3] فيحلبون ما شاؤوا حتى يملؤوا أوانيهم فيشربون ويدخرون.

قوله: ﴿فعقروا الناقة﴾ أي فى يوم الأربعاء، فقال لهم صالح، تصبحون غدا وجوهكم مصفرة ثم تصبحوا في يوم الجمعة وجوهكم محمرة، ثم تصبحوا يوم السبت وجوهكم مسودة، فأصبحوا يوم الخميس

---

(١) قلت: وأصل السهل ضد الحزن وجمعه سهول. انظر: أبا القاسم، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، ط١، (بيروت:دار المعرفة، د.ت.ط)، ت: محمد سيد كيلاني، ص٢٤٥.

(٢) ويقال العيث أيضا وهو أشد الفساد. انظر: الطبري، مصدر سابق، ج٢ ص١٣٢، و أب القاسم، غريب القرآن، مصدر سابق، ص٥٠، والقرطبي، مصدر سابق، ج١ ص٤٢١.

(٣) يقال :تبجبج لحمه ، أي كثر واسترخى وتورم في استرخاء. انظر: المعجم الوسيط، ج١ ص٣٨.

قد اصفرت وجوههم، فأيقنوا العذاب، ثم احمرت في يوم الجمعة فازداد خوفهم، ثم اسودت يوم السبت فتجهزوا للهلاك، فأصبحوا يوم الأحد وقت الضحى، فكفنوا أنفسهم تحنطوا كما يفعل بالميت وألقوا بأنفسهم إلى الارض، فلما اشتد الضحى، أتتهم صيحة عظيمة من السماء فيها صوت كل صاعقة، وصوت في ذلك الوقت كل شئ له صوت ما فى الأرض ثم تزلزلت بهم الأرض حتى هلكوا جميعا، وأما ولد الناقة فقيل إنه فر هاربا، فانفتحت له الصخرة التى خرجت منها أمه فدخلها وانطبقت عليه، قال بعض المفسرين: إنه الدابة التى تخرج قرب القيامة، وقيل إنهم أدركوه وذبحوه.(١) قوله: [عقرها قدار] أي ابن سالف وكان رجلا أحمر أزرق العينين قصيرا، وكان ابن زانية، ولم يكن لسالف، وهو أشقى الأولين كما ورد في الحديث.(٢) قوله: [بأن قتلها بالسيف] أي فالمراد بالعقر النحر، ففيه إطلاق السبب على المسبب، لأن العقر ضرب قوائم أو الناقة لتقع فتنحر، ﴿وقالوا ياصالح﴾ أي على سبيل آلهتكم والإستهزاء. قوله: ﴿بما تعدنا﴾ [به] قدره إشارة إلى أن العائد محذوف، وكان الأولى أن يقدر ضمير نصب، بأن يقول تعدناه لئلا يلزم حذف العائد المجرور بالحرف من غير اتحاذ متعلقتها.

قوله: ﴿فأخذتهم الرجفة﴾ أي بعد مضي ثلاثة أيام، والتعقيب ظاهر، لأن الثلاثة أيام مقدمات الهلاك. قوله: [والصيحة من السماء] إشار بذلك إلى أن في الآية اكتفاء، لأن عذابهم كان بهما معا. قوله: ﴿فى دارهم﴾ أي أرضهم، فالمراد بهم الجنس.

قوله: ﴿فتولى عنهم﴾ أي بعد أن هلكوا وماتوا توبيخا، كما خاطب النبي صلى الله عليه وسلم الكفار من قتلى بدر حين ألقوا في القليب، فقال عمر: يارسول الله كيف تكلم أقواما قد جيفوا؟ فقال

---

(١) انظر: ابن إسحاق، ج١ ص٩٥.

(٢) يشير إلى ما أخرجه الصحيحين من حديث هشام عن أبيه أنه أخبره عبد الله بن زمعة أنه سمع النبي صلى الله عليه و سلم يخطب وذكر الناقة والذي عقر فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : ﴿إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ [سورة الشمس، الآية:١٢] انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه مثل أبي زمعة) [انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة ﴿والشمس ضحاها﴾ ج١٦ ص٣٦٠، برقم٧٣٧٠، وصحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النَّارُ يَدْخُلُهَا الْجَبَّارُونَ وَالْجَنَّةُ يَدْخُلُهَا الضُّعَفَاءُ، ج١٨ ص٢١٩، برقم٤٩٤٢].

-صلى الله عليه وسلم- ما أنت بأسمع لما أقول منهم ولكن لا يجيبون،[1] وقيل: خاطبهم قبل موتهم وقت ظهور العلامات فيهم عليه يكون فى الآية تقديم وتأخير تقديره ﴿فتولى عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين﴾، ﴿فأخذتهم الرجفة فاصبحوا في ديارهم جاثمين﴾.

قوله: ﴿وَ﴾ [اذكر] خطاب لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقدره ولم يقدر أرسلنا،[2] مع أنه يكون موافقا لما قبله وما بعده، لأنه يوهم أن وقت الإرسال لقومه ما ذكر، مع أنه ليس كذلك بل أمرهم أولا بالتوحيد، ثم بيَّن لهم فروع شريعته، ولوط بن هاران أخي إبراهيم الخليل عليهما السلام، وكان إبراهيم ولوط ببابل بالعراق فهاجرا إلى الشام فنزل إبراهيم بأرض فلسطين، ونزل لوط بالأردن وهي قرية بالشام، فأرسله الله إلى أهل سذوم، بالذال المعجمة على وزن رسول، وهي بلد بمحص،[3] قوله: ﴿أتأتون الفاحشة﴾ استفهام توبيخ وتقريع لأنها من أعظم الفواحش، ولذا كان حدها عند أبي حنيفة الرمي من شاهق جبل، وعند مالك الرجم مطلقا فاعلا أو مفعولا أو لم يحصنا،[4] قوله: ﴿ما سبقكم﴾ الخ تأكيد للإنكار عليهم، لأن مباشرة القبح قبيحة، واختراعه أقبح. قوله: [الانس والجن] أي وجميع البهائم، بل هذه الفعلة لم توجد فى أمة إلا في قوم لوط وفساق هذه الأمة المحمدية، وكان قوم لوط يتباهون بالضراط في المجالس أيضا، كما قال تعالى: ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ ﴾،[5] وهو فاحشة عظيمة أيضا. قوله: [بتحقيق الهمزتين] حاصل ما أفاده المفسر، أن القراءات أربع: تحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية من غير إدخال ألف بين الهمزتين أو بإدخالها، ولكن الحق أن إدخال الألف بين الهمزتين المحققتين غير سبعية، وإنما هي لهشام، وبقي قراءة سبعية أيضا وهي بهمزة واحدة على الخبر المستأنف

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، انظر: صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، ج١ ص٤١٥، برقم ١٣٠٤.

(٢) انظر: الطبري، مصدر سابق، ج١٢ ص٥٤٧.

(٣) انظر: ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج١ ص٢١.

(٤) انظر: أبا بكر محمود بن أحمد الحنبلي، البناية في شرح الهداية، ط١، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) ج٦ ص٢٣٧.

(٥) سورة العنكبوت، الآية:٢٩.

بيان لتلك الفاحشة وهي لنافع وحفص عن عاصم، فتحصل أن القراءات خمس، أربع سبعية وواحدة غير سبعية.[1]

قوله: ﴿شهوة﴾ أي وجل الشهوة. قوله: ﴿من دون النساء﴾ إما حال من ﴿الرجال﴾ من الواو فى تأتون وحكمة التوبيخ على هذا الفعل القبيح أن الله تعالى خلق الإنسان وركب فيه شهوة النكاح لبقاء النسل وعمران الدنيا، وجعل النساء محلا للشهوة والنسل، فإذا تركهن الإنسان فقد عدل عما أحل له وتجاوز الحد، لوضعه الشئ فى غير محله، لأن الإدبار ليست محلا للولادة هي المقصورة بالذات.

قوله: ﴿وما كان جواب قومه﴾ القراءة على نصب جواب خبرا لكان، واسمها أن وما دخلت عليه، وقرأ الحسن بالرفع اسم كان، وأن ما دخلت عليه خبرها، وما مشى عليه الجماعة أفصح عربية، لأن الإعراف وقع اسما، والواو هنا للتعقيب لحولها محل الفاء فى النمل والعنكبوت، لأن جوابهم لم يتأخر عن نصيحته والحصر نسبي، والمراد أنه لم يقع منهم جواب عن نصح وموعظة، فلا ينافي أنهم زادوا فى الجواب من الكلام القبيح. قوله: ﴿إنهم أناس يتطهرون﴾ قالوا ذلك استهزاء.

قوله: ﴿فأنجينه وأهله﴾ أي ابنته، لأنه لم ينج من العذاب إلا وهو وابنتاه لإيمانهما به، فخرج لوط من أرضه وطوى الله له الأرض فى وقته حتى نجا ووصل إلى إبراهيم، وسيأتي تمام القصة في سورة هود وإنما ذكرت هنا اختصارا. قوله: [الباقين فى العذاب] أي لأن الغبر من باب قعد يستعمل بمعنى البقاء فى الزمان المستقبل، وبمعنى المكث فى الزمان الماضي، والمراد الأول.[2]

قوله: ﴿وأمطرنا﴾ يقال غالبا في الرحمة مطر، وفى العذاب أمطر، وعلى كل هو متعد ينصب المفعول. قوله: [هو حجازة السجيل] وكانت معجونة بالكبريت والنار، وهلكوا أيضا بالخسف، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾[3]، ورد أن جبريل رفع مدائنهم إلى السماء، وكانت خمسة وأسقطها مقلوبة إلى الأرض وأمطر عليهم الحجارة متتابعة فى النزول عليها، اسم كل من يرمى بها،

---

(١) انظر: السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ط١، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م)، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج٣ ص ٢٩، و الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، **البرهان في علوم القرآن**، ط١، (بيروت: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م)، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج١ ص٣٩٥.

(٢) انظر: الأصفهاني في غريب القرآن، ص٣٥٧.

(٣) سورة هود، الآية: ٢٨.

وقيل إن الحجارة لمن كان مسافرا منهم، والخسف لمن كان في المدائن. قوله: ﴿فانظر﴾ لكل سامع يتأتى منه النظر والتأمل، ليحصل الاعتبار بما وقع لهؤلاء القوم.

قوله: ﴿وإلى مدين﴾ معطوف على قوله: ﴿لقد أرسلنا نوحا﴾ عطف قصة على قصة، ولذا قدر المفسر ومدين اسم قبيلة شعيب، واسم لقريته أيضا، بينها وبين ثمانية مراحل، سميت باسم أبيهم مدين بن إبراهيم الخليل عليه السلام، وشعيب بن ميكائيل بن بشجر بن مدين بن إبراهيم الخليل، فشعيب أخوهم فى النسب، وليس من الانبياء بني إسرائيل، وقوله: ﴿شعيبا﴾ بدل من أخاهم، أو عطف بين عليه، وأرسل شعيب أيضا إلى أصحاب الايكة، وهي شجر متلف بعضه ببعض بالقرب من مدين، قال تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾[1]، قوله: [معجزة] تذكر تلك المعجزة فى القرآن، وقيل المراد بها نفسه، بمعنى أن أوصافه لا يمكن معارضتها، وقيل المراد بها. قوله: ﴿فأوفوا الكيل والميزان﴾ الخ، بمعنى ما يترتب عليها من العز للمطيع، والذل والعقاب للمخالف. قوله: ﴿فأوفوا الكيل والميزان﴾ أي وكانت عادتهم نقص الكيل والميزان. قوله: ﴿ولا تبخسوا أشياءهم﴾ هذا لام لقوله: ﴿فأوفوا الكيل والميزان﴾ لأن الشخص إذا لم يوف الكيل والميزان لغيره فقد نقصه من الثمن، وكذلك إذا استوفى الكيل والميزان لنفسه، فقد نقص الغير من الثمن. قوله: ﴿بعد إصلحها﴾ ورد أنه قبل بعث شعيب لهم، كانوا يفعلون المعاصي، ويستحلون المحارم، ويسفكون الدماء، فلما بعث شعيب أصلح الله به الارض، وهكذا كل نبي بعث إلى قومه.[2] قوله: [مريدي الإيمان] جواب عما يقال إنهم يكونوا مؤمنين إذ ذاك. قوله: [فبادروا إليه] جواب الشرط، وما قبله دليل الجواب.

قوله: [بكل صراط] أي محسوس بدليل ما بعده. قوله: [تخافون الناس] قدره إشارة إلى أن مفعول ﴿توعدون﴾ محذوف. قوله: [بأخذ ثيابهم] ورد أنهم كانوا يجلسون على الطريق ويقولون لمن يريد شعيبا: إنه كذاب ارجع لا يفتنك عن دينك فإن آمنت به قتلناك. قوله: ﴿لمن آمن﴾ هذا مفعول ﴿وتصدون﴾ قوله: [تطلبون الطريق] أي العبر عنه بالسبيل، وهو الطريق المعنوي الذي هو الدين، والمعنى تعدلوا عن الصراط المستقيم إلى الاعوجاج.

---

(١) سورة الشعراء، الآية:١٧٦.

(٢) انظر: ابن كثير، السيرة النبوية، مصدر سابق، ج١ ص٢٤٣.

قوله: ﴿واذكرو إذ كنتم﴾ ﴿إذ﴾ ظرف معمول لقوله: ﴿واذكروا﴾ أي اذكروا وقت كونكم قليلا الخ، والمراد اذكروا تلك النعمة العظيمة. قوله: ﴿قليلا﴾ أي فى العدو والعدد والضعف، قوله: [فكثرهم] أي فزاد عددكم من فرعون، نزل عند شعيب فطمأنه وأمن روعه، قال تعالى حكاية عن شعيب: ﴿قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[1] قوله: ﴿عقبة المفسدين﴾ أي وأقربهم إليكم قوم لوط فانظروا ما نزل بهم.

قوله: ﴿وطائفة لم يؤمنوا﴾ فى الكلام الحذف من الثاني لدلالة الأول عليه، والتقدير وطائفة لم يؤمنوا بالذي أرسلت به، قوله: ﴿فاصبروا﴾ يجوز أن يكون الضمير للمؤمنين بالصبر ليحصل لهم الظفر والغلبة، والكافرين بالصبر لسوء عاقبة أمرهم، وهو نظير قوله تعالى: ﴿ فَتَرَبَّصُواْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾[2]، قوله: [وبينكم] لا حاجة له، لأن الضمير عائد على شعيب وعليهم، والمعنى حتى يقضى الله بين المؤمنين والكفار. قوله: ﴿وهو خير الحاكمين﴾ التعبير باسم التفضيل باعتبار أنه الحاكم حقيقة، وغيره حاكم مجازا ومن كان له الحكم بالإصالة والحقيقة خير ممن كان له الحكم مجازا.

قوله: ﴿قال الملأ﴾ أي جوابا لما قاله لهم. قوله: ﴿يشعيب﴾ إنما وسطوا اسمه بين المعطوف والمعطوف عليه، زيادة فى القباحة والشناعة منهم. قوله: [وغلبوا فى الخطاب الجمع على الواحد الخ] جواب عما يقال: إن شعيبا لم يسبق له الدخول فى ملتهم، وإنما حمل المفسر على هذا الجواب تفسيره العود بالرجوع، وقال بعضهم إن عاد تأتي بمعنى صار، وعلى هذا فلا إشكال ولا جواب. قوله [وعلى نحوه] أي التغليب.

قوله: [نعود فيها] أشار بذلك إلى أن الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة ذلك المحذوف. قوله ﴿أولو كنا كرهين﴾ الهمزة لإنكار الوقوع، وكلمة ﴿لو﴾ فى مثل هذا المقام، ليست لبيان انتفاء شئ في الزمن الماضي لانتفاء غيره، بل هي لمجرد الربط والمبالغة فى انتقاء العود، والمعنى لا تطمعوا فى عودتنا مختارين ولا مكرهين فتأمل.

---

(١) سورة القصص، الآية:٢٥.

(٢) سورة التوبة، الآية:٥٢.

قوله: ﴿إن عدنا ملتكم﴾ شرط حذف جوابه لدلالة قوله قد افترينا عليه. قوله: ﴿وما يكون لنا﴾ أي لا يصح ولا يليق أن نعود فيها فى حال من الأحوال، إلا في حال مشيئة الله لنا، قوله: ﴿إلا أن يشاء الله ربنا﴾ يصح أن يكون متصلا، والمستثنى منه عموم الأحوال أو منقطعا، وهذا الإستثناء محض رجوع إلى الله وتفويض الأمر إليه، وقد جازاهم الله بأن كفاهم شر أعدائهم، وأخذهم أخذ عزيز مقتدر. قوله: [اي وسع علمه] أشار بذلك إلى أن ﴿علما﴾ تمييز محول عن الفاعل. قوله: ﴿وبين قومنا﴾ أي الكفار، وإنما أعرض عن مكالمتهم ورجع الله متضرعا لما ظهره له من شدة عنادهم وتعتنهم في كفرهم.

قوله: ﴿وقال الملأ الذين كفروا﴾ الخ إنما قال بعضهم لبعض هذه المقالة، خوفا على بعضهم من الميل لشعيب، حيث توعدوه بما تقدم، فلم يبال بهم، قوله: ﴿إنكم إذا لسخرون﴾ أي في الدنيا بفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف وجملة: ﴿إنكم إذا لخسرون﴾ جواب القسم، وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه.(١)

قوله: ﴿فأخذهم الرجفة﴾ ذكر هنا وفي العنكبوت الرجفة،(٢) وذكر فى سورة هود ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ ﴾(٣) أي صيحة جبريل عليهم من السماء، وجمع بينهما بأن الرجفة فى المبدأ والصيحة فى الأثناء فتأمل، وأما أهل الأيكة فأهلكوا بالظلة، كما سيأتي فى سورة الشعراء.(٤)

قوله: ﴿كأن لم يغنوا فيها﴾ أي كان لم يلبثوا فى ديارهم أصلا لأنهم استؤصلوا بالمرة. قوله: [وغيره] وهو ضمير الفصل.

قوله: ﴿وقال يقوم﴾ ما تقدم من كون القول بعد هلاكهم أو قبله فى قصة صالح يجري هنا. قوله: ﴿فكيف آسى﴾ أصله أأسى بهمزتين قلبت الثانية ألفا. قوله: ﴿وما أرسلنا فى قرية من نبي﴾ جملة مستأنفة قصد بها التعميم بعد ذكر بعض الأمم بالخصوص وإنما حص ما تقدم بالذكر لمزيد تعنتهم وكفرهم.

---

(١) انظر: جمال الدين عبد الله الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ط٢، (بيروت: دار الفكر، د.ت.ط) ت: يوسف الشيخ محمد البقاعي، ج٣ ص٢٩٧.

(٢) وهي قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [سورة العنكبوت، الآية:٣٧].

(٣) سورة هود، الآية: ٦٧.

(٤) وهي قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة الشعراء، الآية:١٨٩].

قوله: ﴿فكذبوه﴾ قدره إشارة إلى أن الكلام فيه حذف لأن قوله: ﴿إلا أخذنا أهلها﴾ لا يترتب على الإرسال وإنما يترتب على التكذيب، قوله: ﴿لعلهم يضرعون﴾ أصله يتضرعون قلبت التاء ضادا وأدغمت فى الضاد، وإنما قرئ بالفك فى الأنعام(١) لأجل مناسبة الماضي فى قوله تضرعوا بخلاف ما هنا، فجي به على الاصل.

قوله: ﴿ثم بدلنا﴾ أي استدراجا لهم، قوله: ﴿العذاب﴾ أي الفقر والمرض، قوله: [الغنى والصحة] لف ونشرب مرتب، قوله: [فكونوا للنعمة] أي تكذيبا لأنبيائهم، قوله: [وهذه عادة الدهر] هذا من جملة مقولهم، قوله: [فكونوا على ما أنتم عليه] هذا من جملة قول بعضهم لبعض. قوله: ﴿فأخذناهم بغتة﴾ مرتب على قوله: ﴿وقالوا قد مس آباءهم﴾ الخ، قوله: ﴿وهم لا يشعرون﴾ أي لعدم تقدم أسبابه لهم، وهذه الآية بمعنى آية الأنعام، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾(٢) .

قوله: ﴿ولو أن أهل القرى﴾ جمع قرية والمراد جميع القرى المتقدم ذكرهم وغيرهم. قوله: [ورسلهم] أي أهل القرى وفى نسخة [ورسله] أي الله قوله: ﴿واتقوا﴾ عطف على ﴿آمنوا﴾ على عطف عام على خاص، لأن التقوى امتثال المأمورات ومن جملتها الإيمان، قوله: ﴿بالتخفيف والتشديد﴾ أي فهما قراءتان سبعيتان،(٣) قوله ﴿بركات﴾ جمع بركة وهي زيادة الخير فى الشئ.

قوله: ﴿ولكن كذبوا﴾ أي لم يؤمنوا ولم يتقوا. قوله: ﴿بما كانوا يكسبون﴾ أي بسبب كسبهم من الكفر والمعاصي.

قوله: ﴿أفأمن﴾ الهمزة مقدمة من تأخير والفاء عاطفة على قوله: ﴿فأخذناهم بغتة﴾ وما بينهما اعتراض وهذه طريقة الجمهور،(٤) وعند الزمخشري أن الهمزة داخلة على محذوف وما بعدها معطوف على

---

(١) يعني بذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية:٤٢].

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٤٤.

(٣) انظر : ابن مجاهد، مصدر سابق، ص١٦٤.

(٤) انظر: ابن عطية، مصدر سابق، ج٣ ص١٤٢.

ذلك المحذوف ولكنه فى هذا الموضع وافق الجمهور فى كشافه.[1] قوله: ﴿بياتا﴾ حال من ﴿بأسنا﴾ وجملة ﴿وهم نائمون﴾ حال من ضمير ﴿تأتيهم﴾، قوله: ﴿وهم يلعبون﴾ أي يشتغلون بما لا يعنيهم.

قوله: ﴿مكر الله﴾ المكر فى الأصل: الخديعة والحيلة، وذلك مستحيل على الله، وحينئذ فالمراد بالمكر أن يفعل بهم فعل الماكر، بأن يستدرجهم بالنعم أولا ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر.[2]

قوله: ﴿للذين يرثون﴾ أي وهم كل قوم جاؤوا بعد هلاك من قلهم كعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين والأمة المحمدية، فإن كل فرقة من هؤلاء تبين لها الإصابة بذنوبهم حيث شاء الله ذلك. قوله: [فاعل] أي المصدر الماخوذ منها ومن جواب لو هو فاعل والتقدير أو لم يتبين بالعذاب لو شئنا الإصابة، قوله: ﴿لو نشاء﴾ أي إصابتهم فمفعول نشاء محذوف.

قوله: [فى المواضع الأربعة] أي وأولها ﴿أو أمن اهل القرية﴾ وآخرها ﴿أولم يهد﴾ فاثنان بالفاء واثنان بالواو. قوله: [الداخلة] الهمزة، قوله: [عليهما] أي الفاء والواو، قوله: [فى الموضع الأول] أي من موضعي الواو، قوله: ﴿ونطبع﴾ قدر المفسر [نحن] إشارة إلى أنه مستأنف منقطع عما قبله.

قوله: ﴿تلك القرى نقص﴾ اسم الإشارة مبتدأ، و ﴿القرى﴾ بدل أو عطف بيان و﴿نقص﴾ خبره، قوله: [التى من ذكرها] أي وهي قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب، قوله: ﴿من أنبائها﴾ أي بعض أخبارها وما وقع لها، قوله: ﴿ليؤمنوا﴾ اللام زائدة لتوكيد النفي. قوله: [عند مجيئهم] أي الرسل. قوله: [قبل مجيئهم] أي بالمعجزات بعد إرسالهم للخلق، قوله: [أي للناس] أشار بذلك إلى أن هذه الجملة غير مرتبطة بما قبلها، ويصح أن الضمير على الاسم فيكون بينهما ارتباط.

قوله: ﴿وإن وجدنا﴾ أي علمنا فأكثر مفعول أول وفاسقين مفعول ثان، واللام فارقة والمراد ليظر متعلقى عملنا للخلق على حد لنعلم أي الحزبين. قوله: ﴿لفاسقين﴾ أي خارجين عن طاعتنا بترك الوفاء بالعهد. قوله: [أي الرسل المذكورين] أي وهم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب.

---

(١) انظر : الزمخشري، في تفسيره، مصدر سابق، ج٢ ص٢٦١.

(٢) قلت: وإلى هذا ذهب أهل السنة والجماعة، لأن أمر أسماء الله تعالى وصفاته أمر توقيفي، ولا يجوز لأحد أيا كان أن يسميه – عز وجل– أو يصفه إلا بما سمى به نفسه أو وصفه بها نفسه ثم بما سماه به رسوله أو وصف بها. انظر: الواسطي، أحمد بن إبراهيم، النصيحة في صفات الرب جل وعلا، ط٢، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩٤هـ)، ت: زهير الشاويش ، ص٢٣.

قوله: ﴿موسى﴾ وعاش مائة وعشرين سنة، وبينه بين يوسف أربعمائة سنة، وبين موسى وإبراهيم سبعمائة سنة،[1] قوله: ﴿التسع﴾ أي وهي العصا واليد البيضاء والسنون المجدبة والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس، وكلها مذكورة فى هذه السورة إلا الطمس ففي سورة يونس، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾،[2] قوله: ﴿إلى فرعون﴾ هذا لقبه واسمه الوليد بن مصعب بن الريان، ففرعون فى الاصل علم شخص ثم صار لقبا لكل من ملك مصر فى الجاهلية، وعاش من العمر ستمائة وعشرين سنة، ومدة ملكه أربعمائة سنة، لم ير مكروها قط، وكنيته أبو مرة، وقيل أبو العباس، وهو فرعون الثاني، وفرعون الأول أخوه، واسمه قابوس بن مصعب ملك العمالقة وفرعون،[3] إبراهيم النمرود، وفرعون هذه الأمة أبو جهل.[4] قوله: ﴿فظلموا بها﴾ ضمن ظلموا معنى كفروا فعداه بالباء ويصح أن تكون الباء سببية، والمفعول محذوف تقديره ظلموا أنفسهم بسببها، أي بسبب تكذيبهم بها، قولهك ﴿كيف كان عاقبة المفسدين﴾ كيف اسم استفهام خبر كان مقدم عليها وعاقبة اسمها وإنما قدم لأن الاستفهام له الصدارة.

قوله: ﴿وقال موسى﴾ تفصيل لما أجمل أولا، لأن التفصيل بعد الإجمال أوقع فى النفس وهذا القول وما بعده، إنما وقع بعد كلام طويل حكاه الله فى سورة الشعراء بقوله تعالى: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾، الايات،[5] وقوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ الايات،[6] وفى طه أيضا: قوله: [فكذبه] قدره إشارة إلى أن جملة ﴿حقيق﴾ مرتبة على محذوف.

---

(١) انظر: الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ)، ج١ ص١٢٠.

(٢) سورة يونس، الآية:٨٨.

(٣) انظر: الطبري في تفسيره، مصدر سابق، ج٢ ص٢٣.

(٤) أخرج الإمام أحمد في مسنده من حديثعبد الله بْنِ مَسْعُودٍ –رضي الله عنه– قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ –ﷺ– يَوْمَ بَدْرٍ فَقُلْتُ: قَتَلْتُ أَبَا جَهْلٍ. قَالَ: "آللَّهِ الَّذِى لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ". قَالَ: قُلْتُ آللَّهِ الَّذِى لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ. فَرَدَّدَهَا ثَلاَثاً قَالَ: "اللَّهُ أَكْبَرُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى صَدَقَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ انْطَلِقْ فَأَرِنِيهِ". فَانْطَلَقْنَا فَإِذَا بِهِ فَقَالَ: "هَذَا فِرْعَوْنُ هَذِهِ الأُمَّةِ". [انظر: مسند أحمد، ج٩ ص٣٦٢، برقم٤٣٣٥].

(٥) سورة الشعراء، الآية:١٦.

(٦) سورة الشعراء، الآية:٢٣.

قوله: ﴿حقيق﴾ خبر محذوف قدره المفسر بقوله: [أنا] قوله: [أي بان] أشار بذلك إلى أن ﴿على﴾ بمعنى الباء. قوله: ﴿إلا الحق﴾ مقول القول، وهو مفرد فى معنى الجملة، ويصح أن يكون صفة لمصدر محذوف مفعول مطلق تقديره إلا القول الحق. قوله [وفى قراءة] أي وهي سبعية أيضا،(١) قوله: [مبتدأ] أي وسوغ الإبتداء به العمل فى الجار والمجرور، فإن على متعلق بحقيق. قوله: ﴿فأرسل معي﴾ [إلى الشام] وسبب سكناهم بمصر مع أن أصلهم من الشام، أن الأسباط أولاد يعقوب جاؤوا مصر لأخيهم يوسف فمكثوا وتناسلوا فى مصر، فلما ظهر فرعون استعبدهم واستعملهم فى الأعمال الشاقة فأحب موسى أن يخلصهم من ذلك الأسر. قوله: [استعبدهم] أي جعلهم عبيدا بسبب استخدامه إياهم.

قوله: ﴿إن كنت من الصادقين﴾ شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه. قوله: ﴿ثعبان مبين﴾ الثعبان ذكر الحيات وصفت هنا بكونها ثعبانا وفى آية أخرى ﴿كأنها جآن﴾(٢)، والجان الحية الصغيرة ووجه الجمع أنها كانت فى العظم كالثعبان العظيم، وفى خفة الحركة كالحية الصغيرة ورد أنه لما ألقى العصا، صارت حية عظيمة صفراء شقراء، فاتحة فمها، بين لحييها ثمانون ذراعا وارتفعت من الأرض قدر ميل وقامت على ذنبها واضعة لحيها الأسفل فى الأرض والأعلى على سور القصر، وتوجهت نحو فرعون لتأخذه فوثب هاربا وأحدث أي تغوط فى ثيابه بحضرة قومه فى ذلك اليوم أربعمائة يوما مرة واستمر معه هذا المرض، وهو الإسهال إلى أن غرق مع كونه لا يتغوط إلا في كل أربعين يوما مرة، وقيل إنها ادخلت قبه القصر بين انيابها، وحملت على الناس فانهزموا، ومات منهم خمسة وعشرون ألفا، ودخل فرعون البيت وصاح: يا موسى انشدك بالذي أرسلك أن تاخذها، وأنا أؤمن بربك وأرسل معك بني إسرائيل فأمسكها بيده فعادت كما كانت.(٣)

---

(١) أي اختلفوا فى تشديد الياء وتخفيفها من قوله: ﴿حقيق على أن لا أقول﴾ فشدد نافع الياء وحده فى على ونصبها وخفف الباقون وأرسلوا الياء. انظر: ابن مجاهد، مصدر سابق، ص٢٨٦.

(٢) سورة القصص، الآية:٣١.

(٣) انظر: الخازن، في تفسيره مصدر سابق، ج٢ ص ٢٣١.

قوله: ﴿ونزع يده﴾ أي اليمنى قوله: ﴿ذات شعاع﴾ أي نور يغلب على ضوء شمس. قوله: [من الأدمة] أي السمرة. قوله: [وفى الشعراء أنه] أي هذا القول قوله ﴿فكأنهم قالوه معه﴾ هذا بيان لوجه الجمع بين ما هنا وبين ما يأتى فى الشعراء.

قوله: ﴿فماذا تأمرون﴾ يصح أن يكون من كلام فرعون ويكون معناه تشيرون ويصح أن يكون من كلام الملأ له، والجمع للتعظيم على عادة خطاب الملوك، والأول أقرب.

قوله: ﴿أرجه﴾ فيه ست قراءات سبعية ثلاثة مع الهمزة، وهي كسر الهاء من غير إشباع وضمها مع الإشباع وعدمه، وثلاث من غير همز، وهي إسكان الهاء وكسرها باشباع وبدونه.[١]

قوله: ﴿وارسل فى المدائن﴾ أي مدائن صعيد مصر، وكان رؤساء السحرة بأقصى صعيد مصر.

قوله: [وفى قراءة سحار] أي بالإمالة وتركها فتكون القراءات ثلاثا وكلها سبعية.[٢] قوله: [فجمعوا] أي وكانوا اثنين وسبعين، وقيل اثنى عشر ألفا، وقيل خمسة عشر ألفا وقيل سبعين ألفا، وقيل ثمانين ألفا، وقيل بضعا وثمانين ألفا. قوله: [بتحقيق الهمزتين الخ] كلامه يفيد أن هنا قراءتين فقط مع أنها أربع فكان عليه أن يقول: وإدخال ألف بينهما وتركه، وبقيت خامسة وهي إن بهمزة واحدة.

قوله: ﴿قال نعم﴾ أي لكم الأجر. قوله: ﴿وإنكم لمن المقربين﴾ أي فى المنزلة عندي، بحيث تكونون أول من يدخل عندي وآخر من يخرج.

قوله: ﴿قالوا يموسى﴾ الخ إما أن يكون ذلك تأدبا من السحرة مع موسى وقد جوزوا عليه بالإيمان والنجاة من النار، وإما أن يكون ذلك على عادة أهل الصنائع أو عدم مبالاة بموسى لاعتمادهم على غلبتهم. قوله: ﴿إما أن تلقى﴾ الخ، أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مفعول لمحذوف تقدير

---

(١) وقرأ ابن كثير ﴿أرجئهو﴾ بواو بعد الهاء المضمومة وبالهمز قبل الهاء، وقرأ أبو عمرو ﴿أرجئه﴾ بالهمز، دون واو بعدها وقرأ نافع وحده في رواية قالون: ﴿أرجهِ﴾ بكسر الهاء، ويحتمل أن يكون المعنى: أخره فسهل الهمزة، ويحتمل من الرجا بمعنى أطعمه ورجه قاله المبرد، وقرأ ورش عن نافع: ﴿أرجهِي﴾ بياء بعد كسرة الهاء، وقرأ ابن عامر: ﴿أرجئهِ﴾ بكسر الهاء وبهمزة قبلها، قال الفارسي وهذا غلط وقرأ عاصم والكسائي ﴿أرجهُ﴾ بضم الهاء دون همز، وروى أبان عن عاصم: ﴿أرجهْ﴾ بسكون الهاء وهي لغة تقف على هاء الكناية إذا تحرك ما قبلها. انظر: أبا شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، **إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع**، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.ط) ص١٠٦.

(٢) انظر: ابن مجاهد، مصدر سابق، ص٢٠٨.

اختر إما لقاءك، قوله: [امر للإذن] جواب عما يقال: كيف أمرهم بالسحر وأقرهم عليه فأجاب بأن ذلك للتوصل إلى إظهار الحق، قوله: [عن حقيقة إدراكها] أي عن إدراك حقيقتها.

قوله: ﴿بسحر عظيم﴾ أي عند السحر، وفى باب السحر، وإن كان حقيرا فى نفسه وذلك أنهم حبالا غلاظا واخشابا طوالا، وطلوا تلك الحبال بالزئبق، وجعلوا داخل تلك الأخشاب الزئبق أيضا، فلما أثر فيها حر الشمس تحركت والتوى بعضها على بعض حتى تخيل للناس أنها حيات وكانت سعة الأرض ميلا فى ميل، وكانت الواقعة فى إسكندرية فلما ألقى موسى عصاه، بلغ ذنبها، وراء البحر، ثم فتحت فاها ثمانين ذراعا، فكانت تبتلع حبالهم وعصيهم واحدا واحدا، حتى ابتلعت الكل وقصدت القوم الذين حضروا ذلك المجتمع، ففزعوا ووقع الزحام فمات منهم خمسة وعشرون ألفا، ثم أخذها موسى فصارت فى يده عصا كما كانت، فلما رأى السحرة ذلك عرفوا أنه من السماء وليس بسحر فخروا الله ساجدين وقالوا: لو كان ما صنع موسى سحرا لبقيت حبالنا وعصينا، وكانت حمل ثلاثمائة بعير، فعدمت بقدرة الله تعالى.

قوله: ﴿وأوحينا إلى موسى﴾ أي بعد أن ألقى السحرة حبالهم وعصيهم، أوحى الله موسى على لسان جبريل حيث قال كما فى سورة طه: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى﴾[1]، قوله: ﴿تلقف﴾ أي تأخذ وتبتلع بسرعة. قوله: ﴿فى الأصل﴾ أي وأصلها تتلقف حذفت إحدى التاءين تخفيفا وهذه قراءة الجمهور، وفى قراءة بإدغام فى التاء وفى قراءة تلقف من لقف كعلم فتكون القراءاة ثلاثا وكلها سبعية.[2] قوله: ﴿ما يأفكون﴾ أي يكذبون فالإفك الكذب. قوله: [بتمويههم] أي تزيينهم الباطل بصورة الحق. قوله: ﴿وبطل ما كانوا يعملون﴾ أي ظهر بطلانه.

قوله: ﴿هنالك﴾ أي فى ذلك المكان وهو اسكندرية قوله: ﴿وانقلبوا صاغرين﴾ أي فرعون وقومه غير السحرة فإنهم لم يصبهم صغار بل أصابهم العز الأبدي بإيمانهم بالله وحده. قوله: ﴿الساجدين﴾ حال من السحرة.

---

(١) سورة طه، الاية:٦٨.

(٢) انظر: ابن مجاهد، مصدر سابق، ص٢٧٩.

وقوله: ﴿قالوا ءامنا﴾ فى موضع الحال من الضمير فى ساجدين والتقدير قائلين فى حال سجودهم ﴿ءامنا﴾ الخ.

قوله: ﴿رب موسى وهارون﴾ بدل من رب العالمين، أو عطف بيان أو نعت جئ به، لدفع إيهام فرعون الناس أنه رب العالمين، حيث قال للسحرة: إياي تعنون فدفعوا ذلك بقولهم: ﴿رب موسى وهارون﴾ وقوله: [بتحقيق الهمزتين] أي همزة الإستفهام الزائدة فى الفعل، قوله: [وإبدال الثانية] أي فى الفعل وإن كانت ثالثة فهي فاء الكلمة فوي قراءة سبعية أيضا بحذف همزة الاستفهام، وفى قراءة الأولى وتسهيل الثانية، وإبدال الثالثة ألفا وفى قراءة بقلب الأولى واوا فى الوصل، وتسهيل الثانية، وإبدال الثالثة ألفا، وفى قراءة بقلب الأولى واوا فى الوصل وتسهيل الثانية، وقلب الثالثة ألفا، فالقراءات أربعة وكلها سبعية.[1]

قوله: ﴿قبل أن ءاذن لكم﴾ أصله أأذن أبدلت الثانية ألفا على القاعدة المشهورة والمعنى أحصل منكم الإيمان قبل حصول الإذن مني؟ لا يليق منكم ذلك، والفعل مضارع منصوب بأن. قوله: ﴿إن هذا لمكر﴾ أي حيلة وخديعة. قوله: ﴿مكرتموه﴾ أي تواطأتم عليه قبل مجيئتكم إلينا وقصد بذلك اللعين، تثبيت القبط بهاتين الشبهتين اللتين ألقاهما عليهم وهما قوله: ﴿إن هذا لمكر﴾ وقوله: ﴿لتخرجوا منها أهلها﴾ قوله: ﴿ما ينالكم مني﴾ قدرة إشارة إلى أن مفعول ﴿تعلمون﴾ محذوف قوله: ﴿لأقطعن أيديكم﴾ هذا بيان لوعيده الذي توعدهم به، وهل فعل ما توعدهم به أو لا؟ خلاف، بل بعضهم إنه لا يفعل بدليل قوله تعالى: ﴿ أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾[2]، قوله: ﴿من خلاف﴾ الجار والمجرور فى محل نصب على الحال أي مختلفة. قوله: [بأي وجه كان] أي كان بقتلك أولا، وفى آية طه: ﴿ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[3].

قوله: ﴿وما تنقم منا﴾ أي تكره فقوله: ﴿إلا أن ءامنا﴾ أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول به لتنقم، والمعنى وما تكره منا إلا إيماننا، ويصح أن يكون المعنى وما تعذبنا بشى من الأشياء إلا

---

(١) انظر : أبا شامة، **إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع**، مصدر سابق، ص١١٢.

(٢) سورة القصص، الآية:٣٥.

(٣) سورة طه، الآية:٧٢.

لأجل إيماننا فيكون مفعولا لأجله. قوله: ﴿لما جاءتنا﴾ أي وحين أتتنا من عنده، قوله: [عند فعل ما توعده بنا] أي وما توعدنا به وهو القطع من خلاف والتصليب، ففي العبارة قلب، قوله: [نرجع كفارا] علة لقوله: ﴿ربنا أفرغ علينا صبرا﴾. قوله: ﴿وتوفنا من المسلمين﴾ أي ثابتين على الدين الحق غير مغيرين ولا مبدلين.

قوله: ﴿وقال الملأ﴾ أي المصريون على الكفر، فإنه حين آمنت به السحرة آمن من بني إسرائيل ستمائة ألف، قوله: ﴿ويذرك﴾ معطوف على ﴿ليفسدوا﴾ والمعنى أتترك موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض وليترك وآلهتك، والإستفهام إنكاري والمعنى لا يليق ذلك. قوله: ﴿وآلهتك﴾ بالجمع فى قراءة الجمهور، لأنه جعل آلهة يعبدها قومه، وجعل نفسه هو الاله الأعلى، قال تعالى: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى ۞ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾[1]. وقرئ شذوذا وآلهتك بتاء التأنيث لأنه يعبد الشمس.[2] قوله: [أصناما صغارا] أي على صورة الكواكب. قوله [بالتشديد والتخفيف] أي فهما قراءتان سبعيتان.[3] قوله: [المولودين] أي الصغار. قوله: ﴿ونستحي نسارهم﴾ أي للخدمة. قوله: [من قبل] أي قبل مولد موسى.

قوله: ﴿قال موسى لقومه﴾ أي تسلية لهم. ﴿استعينوا بالله﴾ أي أطلبوا الإعانة منه سبحانه. قوله: ﴿يورثها﴾ الجملة حالية من لفظ الجلالة، وقوله: ﴿من يشاء﴾ مفعول ثان، والمفعول الأول الهاء. قوله: ﴿للمتقين﴾ الله، قدره إشارة إلى أن مفعول المتقين محذوف

قوله: ﴿قالوا أوذينا﴾ أي بالقتل للأولاد واستبقاء النساء للخدمة، قوله: ﴿من قبل أن تأتيتنا﴾ أي بالرسالة وكان فرعون يستعملهم فى الأعمال الشآقة نصف النهار فلما بعث موسى وجرى بينهم ما جرى استعملهم جميع النهار وأعاد القتل فيهم، قوله: ﴿كيف تعملون﴾ فيها أي من الإصلاح والإفساد.

---

(١) سورة النازعات، الآية: ٢٤-٢٣.

(٢) قرأ الأعمش ﴿وقد تركك وآلهتك﴾، وقرأ السبعة وجمهور من العلماء ﴿وآلهتك﴾ على الجمع. انظر: ابن مجاهد، مصدر سابق، ص٢٣٤.

(٣) انظر: ابن مجاهد، المرجع نفسه، ص٢٣٤.

قوله: ﴿ولقد﴾ اللام موطئة لقسم محذوف تقديره: والله لقد أخذنا أي ابتلينا وهذا شروع فى تفصيل مبادي هلاك فرعون وقومه لتكذيبهم بالآيات البينات، قوله: ﴿بالسنين﴾ جمع سنة ومن المعلوم أنه يجري مثل جمع المذكر السالم فى إعرابه أو رفعا، وبالياء نصبا وجرا، وتحذف نونه للإضافة ففي الحديث: "اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف"[1] ويقل إعرابه كحين قوله: [بالحط] أي احتباس المطر، قوله: [ونقص من الثمرات] أي إتلافها بالآفات.

قوله: ﴿فإذا جاءتهم الحسنة﴾ أشار بذلك إلى أنهم باقون في غيبهم وضلالهم، لم يتعظوا ولم يزدجروا عما هم عليه. قوله: [أي نستحقها] أي بحولنا وقوتنا. قوله: ﴿يطيروا﴾ اصله يتطروا، أدغمت التاء فى الطاء، والتطير فى الأصل، أن يفرق الشئ بين القوم ويطير لكل واحد ما يخصه، فيشمل النصيب الحسن والسيئ ثم غلب على الحظ والنصيب السيئ والحكمة فى التعبير فى جانب الحسنة بإذا المفيدة للتحقيق وتعريفها فى جانب السيئة بأن المفيدة للشك وتنكرها الإشارة إلى أن رحمة الله تغلب غضبه، وأنها صادرة منه سبحانه وتعالى، وإن لم يتأهل لها العبد بخلاف السيئة فصدورها منها نادر ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعوا. قوله: [ألا إنما طائرهم] ألا أداة ستفتاح يؤتى بها اعتناء بما بعدها للرد عليهم. قوله: [شؤمهم] أي عذابهم الذي تشاءموا به. قوله: ﴿عند الله﴾ أي لا عند موسى فليس له مدخل فى إيجاد ذلك، قوله: ﴿ياتيهم به﴾ أي جزاء لأعمالهم السيئة.

قوله: ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ يفيد أن الأقل يعلم أن فرعون كاذب وموسى صادق، وإنما كفرهم محض عناد.

قوله: ﴿وقالوا﴾ أي فرعون وقومه. قوله ﴿مهما تأتنا به﴾ إلخ... مهما اسم شرط جازم وتأت فعل الشرط مجزوم بحذف الياء والكسرة دليل عليها ونا مفعول، [قوله:و][2] ﴿من آية﴾ بيان لهما، وبها متعلق بتأت وضميرها راجع لهما، ﴿لتسحرنا﴾ متعلق بتأتنا ﴿بها﴾ متعلق ﴿لتسحرنا﴾ وقوله: ﴿فما﴾

---

(١) متفق عليه، انظر: صحيح البخاري، كتاب الإستسقاء، باب دعاء النبي صلى الله عليه و سلم "اجعلها عليهم سنين كسنين يوسف" ج١ ص٣٤١ برقم٩٦١، وصحيح مسلم، كتاب المساجد، باب اسْتِحْبَابِ الْقُنُوتِ فِى جَمِيعِ الصَّلاَةِ إِذَا نَزَلَتْ بِالْمُسْلِمِينَ نَازِلَةٌ، ج٢ ص١٣٥ برقم١٥٧٤.

(٢) سقط ما بين القوسين في النسخ المطبوعة.

الفاء واقعة فى جنوب الشرط وما نافية، و ﴿نحن﴾ مبتدأ ﴿يؤمنون﴾ خبر مرفوع بواو مقدرة منع من ظهورها اشتغال المحل بالفاء التى جلبها حرف الجر الزائد والجملة فى محل جزم جواب الشرط. قوله: [فدعا عليهم] قال سعيد بن خبير: لما آمنت السحرة ورجع فرعون مغلوبا، آب هو وقومه إلى الإقامة على الكفر والتمادي على الشر، فتابع الله عليهم الآيات فأخذهم الله أولا بالسنين وهو القحط ونقص الثمرات، وأراهم قبل ذلك من المعجزات اليد والعصا فلم يؤمنوا، فدعا موسى وقال: "يارب إن عبدك فرعون علا فى الأرض وبغى وعتا، وإن قومه نقضوا العهد بعقوبة تجعلها عليهم نقمة ولقومي عظة ولمن بعدهم وعبرة" ففعل الله بهم ما سيذكر.(١)

قوله: ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان﴾ أي ماء من السماء، والحال أن بيوت القبط مشتبكة ببيوت بنى إسرائيل فامتلأت بيوت القبط، حتى قاموا فى الماء إلى تراقيهم، ومن جلس منه غرق، ولم يدخل من ذلك الماء في بيوت بني إسرائيل شئ، وركب ذلك الماء على أرضهم فلم يقدروا على الحرث، ودام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت، فاستغاثوا بموسى، فأزال الله عنهم المطر، وأرسل الريح فجفف الأرض، وخرج من النبات ما لم ير مثله قط، فقالوا هذا الذي جزعنا منه خير لنا لكنا نشعر، فلا والله لا نؤمن بك ولا نرسل معك بني إسرائيل فأقاموا شهرا فى عافية. قوله: [إلى حلوق الجالسين] فى كلام غيره إلى حلوق القائمين، ومن جلس غرق كما علمت. قوله: ﴿والجراد﴾ أي واستمر من السبت إلى السبت، يأكل زروعهم وثمارهم وأوراق أشجارهم، وابتلى الجراد بالجوع فكانت لا تشبع ولم تصب بني إسرائيل فعظم الأمر عليهم فضجوا من ذلك [و](٢) ﴿قَالُواْ يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾(٣) فأشار موسى بعصاه نحو المشرق والمغرب، فرجعت الجراد من حيث جاءت، فأقاموا شهرا فى عافية إلى أعمالهم الخبيثة. قوله: ﴿والقمل﴾ مشى المفسر على أنه السوس أو نوع من القراد، وقيل أنه القمل المعروف بدليل قراءة الحسن والقمل بفتح القاف وسكون الميم، وقيل هو البراغيث فأكل ما أبقاه الجراد، وكان يدخل بين ثوب أحدهم

---

(١) انظر: الطبري، مصدر سابق، ج١٣ ص٥٦.

(٢) سقط ما بين القوسين في النسخ المطبوعة.

(٣) سورة الأعراف، الآية:١٣٤.

وجلده فيمصه، وكان أحدهم يأكل الطعام فيمتلى قملا فاستمر ذلك سبعة أيام من السبت إلى السبت، فضجوا واستغاثو فرفع عنهم، ثم أقاموا شهرا فى عافية ثم رجعوا لخبث ما كانوا عليه،[1] قوله: ﴿والضفادع﴾ جمع ضفدع كدرهم وزبرج. قوله: [فملأت بيوتهم وطعامهم] أي وكان الواحد منهم يجلس فى الضفادع إلى رقبته ويهم أن يتكلم فيث الضفدع فى فيه، وكان يملأ قدورهم ويطفئ نيرانهم، وكان أحدهم يضطجع فيركبه الضفدع فيكون عليه ركاما حتى لا يستطيع أن ينقلب إلى شقة الأخر، ورد أن الضفادع كانت برية، فلما أرسلها الله سمعت وأطاعت، فجعلت تلقى نفسها فى القدور وهي تغلي، وفى التنانير وهي تفوز فأثابها الله بحسن طاعتها برد الماء، فصارت من حينها تسكن الماء، ثم ضجوا وشكوا لموسى وقالوا رحمنا هذه المرة، فما بقي إلا أن نتوب ولا نعود بعد ما أقامت عليهم سبعة أيام، من السبت إلى السبت، فدعا الله موسى فكشف الله عنهم ذلك، واستمروا فى عافية ثم عادوا. قوله: ﴿الدم﴾ أي وكان أحمر خالصا فصارت ميامهم كلها دما فما يستقون من بئر ولا نهر إلا وجدوه دما فأجهدهم العطش جدا، حتى أن القبطية تأتي للمرأة من بينى فتقول استقيني من مائك، فتصب لها من قربتها فيعود فى الإناء دما، حتى كانت القبطية تقول للإسرائلية إجعليه فى فيك ثم مجيه فى في، فتأخذه فى فيها ماء، وإذا مجته فى فيها صار دما، واعترى فرعون العطش، حتى إنه ليضطر إلى مضع الأحجار الرطبة فإذا مضغها صار دما، فمكثوا على ذلك سبعة أيام من السبت إلى السبت، فشكوا لموسى ذلك فكشف عنهم. قوله: [آيات] حال من الخمسة المذكورة. قوله: ﴿مفصلت﴾ أي مفرقات فكانت كل واحد تمكث سبعة أيام وبين كل واحدة أخرى شهرا.

قوله: ﴿ولما وقع عليهم الرجز﴾ هذا موزع على الخمسة فكانوا كلما ضجوا قالوا هذه المقالة. قوله: [من كشف العذاب] بيان هذا.

قوله: ﴿فلما كشفنا﴾ أي فى كل واحدة من الخمس. قوله: ﴿إلى أجل هم بلغوه﴾ أي وهو وقت إغراقهم.

قوله: ﴿فانتقمنا منهم﴾ أي أردنا الإنتقام منهم لأن الإنتقام هو الإغراق فلا يحسن دخول الفاء بينهما.

---

(١) انظر: الطبري، مصدر سابق، ج١٣ ص٥٥-٥٧، والآلوسي، مصدر سابق، ج٩ ص٣٣.

قوله: ﴿مشارق الأرض ومغاربها﴾ أي نواحيها وجميع جهاتها. قوله: [صفة للأرض] أنه يلزم عليه الفصل بين الصفة والموصوف بالمعطوف وهو أجنبي، والأولى أن يكون صفة للمشارق والمغارب. قوله: [وهو الشام] الحامل له على هذا التفسير قوله تعالى: ﴿التى باركنا فيها﴾ وهذا الوصف لا يعين هذا المعنى، بل يمكن الأرض بأرض مصر كما هو السياق، وقد بارك الله فيها بالنيل وغيره ويؤيده قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾[1]. إلى أن قال ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ﴾[2]، وكذلك آية الشعراء[3] وقد اختار ما قلناه جملة من المفسرين وقال بعضهم المراد بمشارق الأرض الشام، ومغاربها مصر فإنهم ورثوا العمالقة في الشام، وورثوا الفراعنة، فى مصر.[4]

قوله: ﴿كلمت﴾ ترسم هذه التاء المجرورة لا غير وما عداها فى القرآن بالهاء على الأصل، قوله: ﴿بما صبروا﴾ أي بسبب صبرهم. قوله: ﴿ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه﴾ أي وأهلكنا [وخربنا][5] الذي كان يصنعه فرعون وقومه. قوله: ﴿وما كانوا يعرشون﴾ هذا آخر قصة فرعون وقومه. قوله: [بكسر الراء وضمها] قراءتان سبعيتان.[6] قوله: [من النبيان] أي كصرح هامان وغيره من جميع ما أسَّسُوه بأرض مصر.

قوله: ﴿وجاوزنا﴾ شروع في قصة بني إسرائيل وما وقع من كفر النعمة والقبائح والمقصود من ذلك تسلية النبي -ﷺ- وتخويف أمته من يفعلوا مثل فعلهم. قوله: [عبرنا] العبر هو الإنتفال من جانب لآخر لانتقالهم من الجانب الشرقي للغربي. قوله: [بضم الكاف وكسرها] أي من نصر وضرب وهما

---

(١) سورة الدخان، الآية:٢٥.

(٢) سورة الدخان، الآية:٢٨.

(٣) وهي قوله تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [سورة الشعراء، الآية:٥٧-٥٩].

(٤) انظر: الطبر، مصدر سابق، ج١٣ ص٧٦.

(٥) كذا في الأصل، وفي النسخ المطبوعة [وخرجنا].

(٦) أي اختلفوا فى ضم الراء وكسرها من قوله تعالى: ﴿يعرشون﴾، فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحمزة والكسائى وحفص عن عاصم ﴿يعرِشون﴾ بكسر الراء، وقرأ عاصم فى رواية أبي بكر وابن عامر بضم الراء. انظر: ابن مجاهد، مصدر سابق، ص٢٩٢.

قرءاتان سبعيتان،[1] قوله: ﴿على أصنام لهم﴾ قيل هي حجارة على صورة البقر، وقيل بقر حقيقة وكان هؤلاء القوم العاكفون من الكنعانيين الذين أمر موسى بقتالهم بعد ذلك. قوله: ﴿قالوا يموسى﴾ القائل بعضهم لا جميعهم. قوله: ﴿اجعل لنا إلها﴾ قيل أنهم مرتدون بهذه المقالة لقصدهم بذلك عبادة الصنم حقيقة، وقيل ليسوا مرتدين، بل هم جاهلون جهلا مركبا، لاعتقادهم أن عبادة الصنم بقصد التقرب إلى الله تعالى لا تضرهم فى الدين، وعلى كل هذه المقالة فى شرعنا ردة، والجار والمجرور ومفعول ثان، والهاء مفعول أول. قوله: ﴿كما لهم آلهة﴾ صفة لإلها وما اسم موصول ولهم صلتها وآلهة بدل الضمير المستتر في لهم، والتقدير اجعل إلها لنا كالذي استقر لهم الذي هو آلهة.

قوله: ﴿إن هؤلاء متبر ما هم فيه﴾ جملة مستأنفة قصد بما توبيخهم وزجرهم. قوله: ﴿ما هم فيه﴾ أي من الدين الباطل وهو عبادة الأصنام.

قوله: ﴿قال أغير الله﴾ الاستفهام للإنكار والتوبيخ. قوله: ﴿أبغي لكم﴾ أي أطلب واقصد لكم. قوله: [واصله أبغي لكم] أي فحذف الجار فاتصل الضمير. قوله: ﴿وهو فضلكم﴾ الجملة حالية من لفظ الجلالة. قوله: [في زمانكم] أي بإنجائكم وإغراق عدوكم وإنزال المن والسلوى عليكم، وليس تفضيلهم على جميع العالمين فإن أمة محمد -ﷺ- أفضل من جميع الأمم.

قوله: ﴿وإذ أنجيناكم﴾ هذا من كلام موسى، فإسناد الإنجاه إليه مجاز، لكونه على يده وسببا فيه حيث بعصاه البحر فانفلق: قوله: [وفي قراءة أنجاكم] أي وهي ظاهرة فإن الفاعل ضمير عائد على الله وهما قراءتان سبعيتان.[2] قوله: ﴿يسومونكم﴾ من السوم وهو الإذاقة. قوله: ﴿يقتلون أبنائكم﴾ قدر المفسر [هم] إشارة إلى أن يقتلوا بيان ليسومونكم. قوله: ﴿ويستحيون نساءكم﴾ أي لخدمتهم. قوله: [الانجاء أو العذاب] أشار بذلك إلى اسم الإشارة يصح عوده على العذاب ومعنى كونه بلاء أنه يختبرهم هل يشكرون فيؤجروا، أو يكفرون فيعاقبوا وعوده على العذاب ظاهر، فالابتلاء كما يكون فى الشر

---

(١) أي الكاف في ﴿يعكفون﴾، قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وأبو عمرو بضم الكاف ﴿يعكُفون﴾، وقرأ عبد الوارث عن أبى عمرو وحمزة والكسائى ﴿يعكِفون﴾ بكسر الكاف. انظر: ابن مجاهد، المصدر نفسه، ص٢٩٣.

(٢) قرأ ابن عامر وحده ﴿وإذا أنجاكم﴾ ليس قبل الألف نون، وقرأ الباقون ﴿وإذ أنجينكم﴾، انظر: ابن مجاهد، مصدر سابق، ص٢٩٣.

يكون فى الخير، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[1]، فالشكر على النعمة موجب لزيادتها كما أن الصبر على البلايا، موجب لرضا الله، قال الله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۞ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾،[2] قوله: [بألف ودونها] أي فهما قراءتان سبعيتان[3] فعلى الألف من المواعدة، وهي مفاعلة من الجانبين فمن الله الأمر ومن العبد القبول، وعلى حذف الألف فالوعد من الله لا غير وهو ظاهر.

قوله: ﴿ثلاثين ليلة﴾ إنما عبر بالليالي دون الأيام مع أن الصيام فى الايام لأن موسى كان صائما تلك المدة ليلا ونهارا مواصلا وحرمة الوصال على غير الانبياء فعبر الليالي بني إسرائيل إذا أهلك الله تعالى عدوهم فرعون، أن يأتيهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون، فلما أهلك الله فرعون، سأل موسى ربه أن ينزل عليه الكتاب الذي وعد به بني إسرائيل، فأمره أن يصوم ثلاثين يوما فصامها، فلما تمت أنكر خلوف فمه، فاستاك بعود خرنوب، وقيل أكل ورق الشجر، فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك، فامره الله ان يصوم عشر ذي الحجة، فكان فتنة بني إسرائيل فى تلك العشر.[4] قوله: [أنكر خلوف فمه] أي كره فمه من أثر الصوم، وهو بضم الخاء واللام معنا الرائحة أي من ميقات. قوله: ﴿وقال موسى﴾ الواو لا تقتضى تربيا ولا تعقيبا لأن تلك الوصية كان من قبل ذهابه وصيامه، قوله: ﴿واصلح﴾ [امرهم] أي أمر بني إسرائيل ولا تغفل عنهم.

قوله: ﴿ولما جاء موسى لميقتنا﴾ قال أهل التفسير: لما جاء موسى لميقات ربه، تطهر طهر ثوبه وصام، ثم أتى طور سينا، فأنزل الله ظلة غشيت الجبل على أربع فراسخ من كل ناحية وطرد عنه الشيطان وهو أم الأرض، ونحى عنه المكلفين، وكشط له السماء فرأى الملائكة قياما فى الهواء، ورأى العرش بارزا وأدناه ربه حتى سمع صريف الأقلام على الألواح وكلمه جبريل معه فلم يسمع ذلك الكلام، فاستحلى موسى كلام ربه، فاشتاق إلى رؤيته، فقال ﴿رب أربي﴾ الخ. قوله: [أي للوقت] أي وكان يوم

---

(١) سورة الأنبياء، الآية:٣٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٦.

(٣) انظر: ابن مجاهد،مصدر سابق، ص٢٩٤.

(٤) ذكره البيضاوي، انظر: البيضاوي في تفسيره، ج٢ ص٥٦.

الخميس يوم عرفة فكلمه الله فيه وأعطاه التوراة صبيحة يوم الجمعة يوم النحر. قوله: ﴿وكلمه ربه﴾ أي أزال الحجاب عنه، حتى سمع كلامه بجميع أجزائه من جميع جهاته، لا أن الله أنشأ له الكلام، لأن الله سبحانه وتعالى دائما متكلم يستحيل عليه السكوت والافة ولم يصل لما معنى ما فهمه موسى من تلك المكالمة. قوله ﴿قال رب أرني﴾ لما سمع الكلام هام واشتاق إلى رؤية الذات، فسأل الله أن يزيل عنه حجاب البصر، كما أزال الله عنه حجاب السمع،[1] إذ لا فرق بين الحاستين فقد سأل جائزا لأن كل من جاز سماع كلامه جازت رؤية ذاته. قوله: [نفسك] قدره إشارة إلى أن مفعول أرني محذوف. قوله: ﴿أنظر إليك﴾ جواب الشرط، ولا يقال إن الشرط قد اتحد مع الجواب، لأن المعنى هيِّئْني لرؤيتك ومكِّنِّي منها، فإن تفعل بي ذلك أَنظُر إليك. قوله: ﴿لن تربي﴾ أي طاقة لك على رؤيتي في الدنيا وهذا لا يقتضى أنها مستحيلة عقلا، وإلا عقلت على جائز وهو استقرار الجبل. قوله: ﴿ولكن انظر إلى الجبل﴾ هذا من تنزلات الحق لموسى وتسلية له على ما فاته من الرؤية، وهذا الجبل كان أعظم الجبال واسمه زبير.[2] قوله: [الذي هو أقوى منك] أي فحجبه عن الرؤية رحمة به، لعدم طاقة الجبل على ذلك فضلا عن موسى. قوله: [أي ظهر من نوره] أي نور جلال عرشه، وفى رواية أمر الله ملائكة السماوات السبع بحمل عرشه، فلما بدا نور عرشه، انصدع الجبل من عظمة الرب سبحانه وتعالى. قوله: [نصف أنملة الخنصر] وفى رواية قدر قدر منخر الثور، وفي رواية قدر سم الخياط، وفي رواية قدر الدرهم. قوله: [القصر والمد] أي فهما قراءتان سبعيتان.[3] قوله: [مستويا بالأرض] أي بعد أن كان عاليا مرتفعا، وقبل تفرق ستة أجبل فوقع ثلاثة بالمدينة وهي أحد ورقان ورضوى، وثلاثة بمكة، ثبير وثور وحراء. قوله: ﴿وخر موسى صعقا﴾ أي سقط مغشيا عليه ذاهبا عن حواسه ولذا لا يصعق عند النفخة. قوله: ﴿فلما

---

(١) ذكره البيضاوي، انظر: المصر السابق، ج٢ ص٥٦-٥٨.

(٢) انظر : قصص الأنبياء، مصدر سابق، ص٥٩.

(٣) واختلف في "دكاء" [الآية: ١٤٣] هنا و[الكهف الآية: ٩٨] فحمزة والكسائي وخلف بالمد والهمز من غير تنوين فيهما، بوزن حمراء من قولهم ناقة دكاء أي: منبسطة السنام غير مرتفعة أي: أرضا مستوية، وقرأ عاصم كذلك في الكهف فقط، وافقهم فيهما الأعمش، والباقون بالتنوين بلا مد ولا همز. انظر: الدمياطي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ط٣، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ)، ص٢٨٩.

أفاق﴾ أي برد حواسه، قوله: [من سؤال ما لم أؤمر به] أي وليس المراد طلب الرؤية معصية، وإنما هو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين. قوله: [فى زماني] دفع بذلك ما يقال: إن قبله من المؤمنين كثيرا من الأنبياء والأمم، وفى القصة أن موسى عليه السلام، كان بعد ما رجع من المكالمة، لا يستطيع أحد أن ينظر إليه لما غشي وجهه من النور، ولم يزل على وجهه برقع حتى مات، وقالت له زوجته أنا لم أرك منذ كلمك ربك، فكشف لها عن وجهه، فأخذها مثل شعاع الشمس، فوضعت يدها على وجهها وخرجت ساجدة وقالت، ادع الله أن يجعلني زوجتك في الجنة قال ذلك لك إن لم تتزوجي بعدي فإن المرأة لآخر أزواجها، ورد أيضا أنه مكث زمنا طويلا كلما سمع كلام الناس تقايا.

قوله: ﴿قال يموسى﴾ هذا تسلية على ما قاله من الرؤية. قوله: [أهل زمانك] دفع بذلك ما يقال: إن من جملة الناس محمد -ﷺ- وإبراهيم الخليل-ﷺ-، فيقتضي أنه مختار عليهما، فأجاب بأن المراد بالناس أهل زمانه أنبياء أو غيرهم، ولذلك كانت أنبياء بني إسرائيل يتعبدون بالتوراة.

قوله: [بالجمع] أي باعتبار تعدد الأحكام الموحي. قوله: [والإفراد] أي مرادا بها المعنى المصدري أي إرسالي وهما قراءتان سبعيتان، قوله: ﴿وبكلمي﴾ اسم مصدر بمعنى التكليم أي تكليمي إياك مباشرة بلا واسطة ويصح أن يراد بالكلام التوراة كما يقال للقرآن كلام الله يقال التوراة أيضا كلام الله، لأنها أفضل كتاب أنزل من السماء بعد القرآن قوله: [لأنعمي] جمع نعمة ويجمع أيضا على نعم.

قوله: ﴿وكتبنا له فى الألواح﴾ أي وكان طول اللوح منها اثنى عشر ذراعا، وقيل عشرة على طول موسى، والكاتب لها هو الله بلا واسطة. قوله: [من سدر الجنة] أي خشبها المسمى بالسدر، والشاقق لها هو الله بلا واسطة. قوله: [أو زمرد] وقيل من ياقوتة حمراء. قوله: [سبعة أو عشرة] وقيل تسعة، وقيل اثنان، ويكون المراد بالجمع ما فوق الواحدة، قال الربيع بن أنس[1]: نزلت التوراة وهي وقر سبعين بعيرا

---

(١) الربيع بن أنس بن زياد البكري، الخراساني، المروزي. بصري، سمع أنس بن مالك وأبا العالية الرياحي وأكثر عنه، والحسن البصري، وسمع عنه: سليمان التيمي، والأعمش، والحسين بن واقد، وأبو جعفر الرازي، وعبد العزيز بن مسلم، وابن المبارك وآخرون. وكان عالم مرو في زمانه، وقد روى الليث عن عبيد الله بن زحر عنه. ولقيه سفيان الثوري. قال أبو حاتم: صدوق، وقال ابن أبي داود: سجن بمرو ثلاثين سنة . قيل : إنه سجنه أبو مسلم تسعة أعوام، وتحيل ابن المبارك حتى دخل إليه فسمع منه. يقال: توفي سنة تسع وثلاثين ومائة حديثه في السنن الأربعة .

يقرأ الجزء منها فى سنة، ولم يحفظها إلا أربعة موسى ويوشع بن نون وعزيز عليهم السلام،[1] وقال الحسن[2]: هذه الاية فى التوراة بألف آية. وقوله: [بدل] أي قوله: ﴿موعظة وتفصيلا﴾ بدل من محل قوله: ﴿من كل شئ﴾ وهو النصب، وقوله: ﴿لكل شئ﴾ متعلق بتفصيلا. قوله: [قبله قلنا مقدرا] أشار بدلك إلى أن هذا المحذوف معطوف على ﴿وكتبنا﴾قوله: [بجد واجتهاد] أي لا بتراخ وكسل، فإن العلم لا يأتي للمجد المشتاق، كان كسبيا أو وهبيا فلا بد لمتعاطي العلم من الكد والتعب ومخالفة النفس، قال بعضهم:

بقدر الكد تكسب المعالي ❁❁ ومن طلب العلا سهر الليالي

تروم العز ثم تنام ليلا ❁❁ يغوص البحر من طلب اللآلي[3]

وقال بعض العارفين:

فجد بالروح والدنيا خليلي ❁❁ كذا الأوطان كي تدرك سناه[4]

فجد الخطاب لموسى، والمراد غيره، لأنه هو آخذ لها بقوة واجتهاد، قوله: ﴿بأحسنها﴾ أي بالأحوط منها، لأن فيها عزائم ورخصا، وفاضلا ومفضولا، وجائزا ومندوبا، فأْمُر قومك يأخذوا بأحوطها بأن يتبعوا العزائم، ويتركوا الرخص، وذلك كالقود والعفو والانتصار والصبر فالأخذ بالعفو أحسن من القود، والصبر أحسن من الإنتصار، أو يقال إن اسم التفضيل ليس على بابه بحسنها، والإضافة بيانية، والمعنى يعملون بجميع ما فيها، قوله: ﴿سأوريكم﴾ الخطاب لموسى ومن تبعه، فالكاف مفعول أول، و﴿ادَّاركوا﴾ مفعول ثان، والمعنى أملككم إياها، بديل قراءة من قرأ سأروثكم بالثاء المثلثة. قوله: [وهي مصر] هذا هو الأقرب، وقيل المراد بدار الفاسقين، ديار عاد، وثمود، وقوم لوط، وقوم نوح.[5]

---

(١) انظر : البحر المحيط، مصدر سابق، ج٤ ص٣٨٦، وابن كثير في تفسيره، مصدر سابق، ج٣ ص٤٧١، وأبي السعود، في تفسيره مصدر سابق، ج٣ ص٢٨٠.

(٢) سبق ترجمته في الفصل الأول.

(٣) نسبت الأبيات في كتاب ابن جني إلى الشاعر المتنبي. انظر: ابن جني، **المنصف لابن جني، شرح كتاب التصريف لأبي عثمان** ، ط١، (بيروت: دار إحياء التراث، ١٣٧٣هـ) ج ٢ ص٣٤٧.

(٤) ولم أقف على قائله بعد بذل جهد كبير.

(٥) انظر: السيوطي في تفسيره الدر المنثور، مصدر سابق، ج٦ ص٦١٣.

قوله [ليعتبروا بهم] أي ففي الآية إشارة إلى أنهم إن خالفوا بهم كما فعل بفرعون وقومه، وهكذا كل ظالم فاجر، ولو من المسلمين، إذا بغى واعتدى وتكبر وتجبر، يمهل مدة ثم تصير دياره بلاقع، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ويؤيده قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾[1].

قوله ﴿ساصرف عن ءايتي﴾ اي أقسي قلوبهم وأطمسها عن فهم آياتي فلا يتفكرون ولا يتدبرون. قوله: ﴿بغير الحق﴾ حال من ﴿الذين يتكبرون﴾ أي حال كونهم متلبسين بالدين الغير الحق. قوله: ﴿وإن يروا كل ءاية لا يؤمنون بها﴾ أي لوجود الطبع على قلوبهم وفي الآية إشارة إلى أن المتكبر المتعرض، لا يستفيد نورا ولا خيرا من الذي اعترض وتكبر عليه. قوله: ﴿بأنهم كذبوا﴾ أي بسبب تكذيبهم. قوله: [تقدم مثله] أي فى قوله: ﴿ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ﴾

قوله: ﴿والذين كذبوا﴾ مبتدأ، وجملة ﴿حبطت أعملهم﴾ خبره. قوله: [لعدم شرطه] أي الثواب وهو الإيمان، فالإيمان شرط فى الثواب لأنه مقدار من الجزاء يعطى للمؤمنين فى مقابلة أعمالهم الحسنة، فأعمال الكفار الحسنة، لا تتوقف على نية يجازون عليها فى الدنيا أو يخفف عنهم من العذاب غير الكفر، لكنه لا يقال له ثواب كذا قرر الأشياخ. قوله: ﴿هل يجزون﴾ استفهام إنكاري بمعنى النفي، ولذا أشار له المفسر بقوله [ما].

قوله: ﴿واتخذ قوم موسى﴾ عطف على قصة، والواو لا تقتضى ترتيبا ولا تعقيبا، لأن عبادتهم العجل كانت زمن المكاملة فى مدة العشرة الأيام الزائدة فوق الثلاثين. قوله: ﴿من حليهم﴾ جمع حلي بفتح فسكون، وأصله حلوى، اجتمعت الواو والياء وسبقت أحدهما بالسكون، قبلت الواو ياء وأدغمت فى الياء، وقبلت ضمة اللام كسرة لتصح الياء. قوله: [الذي استعاروه من قوم فرعون] أي قبل غرقهم. قوله: [فبقي عندهم] أي ملكا لبني إسرائيل، كما ملكوا غيرهم من أموال وديارهم، ولذا أضافه الله لهم، وأما قول المفسر [استعاروه] فهو باعتبار ما كان. قوله: ﴿عجلا﴾ وهذا العجل قد حرقه موسى -عليه

(١) سورة الأحقاف، الآية:٢٥.

السلام- ونسفه فى البحر، كما قصه الله تعالى فى سورة طه.[١] قوله: [صاغه لهم منه السامري] واسمه موسى،[٢] كان ابن زنى، وضعته أمه فى حبل فأرسل الله إليه جبريل فصار يرضعه من إصبعه فكان يعرفه إذا نزل إلى الأرض، فلما نزل جبريل يوم غرق فرعون، وكان راكبا فرسا، فكان كل شئ وطئته بحافرها يخضر ويثمر، ففطن موسى السامري لذلك، وعلم أن هذا التراب له أثر فأخذ شيئا منه وادخره، فلما توجه موسى للمناجاة، صنع لهم العجل ووضع التراب في فيه فصار له خوار، فقال: هذا إلهكم وإله موسى فنسي كما في سورة طه وكان موسى السامري منافقا، وانظر الى من رباه جبريل حيث كان منافقا، والى من رباه فرعون حيث كان مرسلا، فإن هذا دليل على أن السعادة والشقاوة بيد الله، فقد قال بعضهم:

إذا المرء لم يخلق سعيدا من الأزل ۞۞ فقد خاب من ربى وخاب المؤمل

فموسى الذي رباه جبريل كـافر ۞۞ وموسى الذي رباه فرعون مرسـل[٣]

قوله: [بدل] أي من ﴿عجلا﴾ أو عطف بيان. [لحما ودما] تفسيرا لجسدا. قوله: ﴿له خوار﴾ هذه قراءة العامة، وقرئ شذوذا له جؤار بجيم بهمزة، وهو الصوت الشديد، قوله: [فإن أثره الحياة] أي بتأثير الله له، قوله: ﴿ألم يروا﴾ استفهام توبيخ وتقريع. قوله: ﴿اتخذوه﴾ كرره لمزيد التشنيع عليهم. قوله: ﴿وكانوا ظالمين﴾ أي أنفسهم أشد الظلم، حيث عبدوا غير الله.

قوله: ﴿ولما سقط في أيديهم﴾ فعل مبني للمجهول، والجار والمجرور نائب فاعل، وقرئ شذوذا للفاعل، فالفاعل ضمير يعود على الندم، وقرئ شذوذا ﴿سُقط﴾ بضم الهمزة،[٤] والضمير عائد على الندم، والأصل على القراءة السبعية سقطت أفواههم على أيديهم، ففي بمعنى على، وذلك من شدة

---

(١) وهي قوله تعالى: ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَّنْ تُخْلَفَهُ وَانظر إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفاً﴾ [سورة طه، الآية:٩٧].

(٢) ذكره السيوطي في الإتقان، انظر السيوطي، الإتقان، مصدر سابق، ج٢ ص٣٩٠.

(٣) انظر: الآلوسي في الروح، ج٩ ص٩٤. قلت: ولم يذكر أحد قائل هذه الأبيات ولعلها لشاعر مجهول.

(٤) قرأ جمهور الناس بكسر القاف وضم السين ﴿سُقِطَ في أيديهم﴾ وقرأت فرقة ﴿سَقَطَ﴾ بفتح السين والقاف حكاه الزّجاج، وقرأ ابن أبي عبلة ﴿أسْقط﴾ وهي لغة حكاها الطبري بالهمزة المضمومة وسين ساكنة. انظر: الطبري، مصدر سابق، ج١٣ ص١١٧، والسيوطي في الإتقان، ج٢ ص٣٩٣.

الندم، فإن العادة أن الإنسان إذا ندم على شئ عض بفمه على يده، فسقوط الفم على اليد لازم للندم، فاطلق اللازم، وأريد الملزوم على سبيل الكناية، ولم تعرف هذه الكناية في لغة العرب إلا في القرآن. قوله: ﴿ورأوا﴾ الجملة حالية قوله:: [وذلك] أي الندم، قوله: [بعد رجوع موسى] أي وإنما قدم يتصل ما قالوه بما فعلوه، قوله: ﴿لئن لم يرحمنا ربنا﴾ الخ فيها قراءتان سبعيتان بالياء والتاء، فعلى قراءة الياء يكون ربنا مرفوعا على الفاعلية وعلى قراءة التاء يكون منصوبا على النداء.[1]

قوله: ﴿ولما رجع موسى﴾ أي من المناجاة. قوله: ﴿غضبان﴾ أي لما فعلوه من عبادة العجل وقد أخبره بذلك المولى حيث قال له كما في طه: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ﴾ الاية [2]. قوله: ﴿أسفا﴾ حال وكذا ﴿غضبان﴾ فتكون حالا متداخلة. قوله: ﴿بئسما خلفتموني﴾ بفعل ماض لإنشاء الذم، وما تمييز وقيل فاعل، وجملة ﴿خلفتموني﴾ صفة لما، والمخصوص بالذم محذوف قدره المفسر بقوله [خلافتكم هذه]، والمعنى بئس خلافة خلفتمونيها خلافتكم هذه. قوله: ﴿من بعدي﴾ متعلق بخلفتموني. قوله: ﴿أعجلتم أمر ربكم﴾ أي ترتكتموه غير تام تضمين عجل معنى سبق، أو المعنى أعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الأربعين، وقدرتم موتي وغيرتم بعدي، كما غيرت الأمم بعد أنبيائهم، قوله: ﴿وألقى الألواح﴾ أي وكان حاملا لها. قوله: [فتكسرت] هذا أحد الأقوال، وقيل إنه تكسر البعض وبقي البعض وقيل المراد بإلقائها وضعها ليتفرغ لمكالمة أخيه فلما فرغ أخذها بعينها ولم يذهب منها شئ كما حققه وزاده علي البيضاوي.[3] قوله: [أي بشعره بيمينه] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: ﴿يجره إليه﴾ حال من فاعل ﴿فيأخذكم﴾. قوله: [بكسر الميم وفتحها] أي فهما قراءتان سبعيتان،[4] فأما قراءة الفتح فعند المصريين مبني على الفتح لتركبه تركيب

---

(١) قرأها حمزة والكسائي ﴿ترحمنا ربنا وتغفر لنا﴾ بالتاء فيهما ونصب الباء من ﴿ربنا﴾ والباقون بالياء ورفع الباء. انظر: أباعمرو الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمرو، التيسير في القراءات السبع، ط٢، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) ص٨٢.

(٢) سورة طه، الآية: ٨٥.

(٣) انظر: البيضاوي، مصدر سابق، ج٢ ص٦١.

(٤) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحفص عن عاصم ﴿ابن أمَّ﴾ بفتح الميم، وقرأ ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر وحمزة والكسائي ﴿ابن أمِّ﴾ بكسر الميم. انظر: ابن مجاهد، مصدر سابق، ص٢٩٦.

خمسة عشر، وعند الكوفيين ﴿يبني﴾ منادي منصوب بفتحة ظاهرة، وهو مضاف لأم، مجرور بكسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المنقلبة ألفا المحذوفة للتخفيف، وبقيت الفتحة لتدل عليها، وأما على قراءة الكسرن فعند المصريين هو منادي لياء المتكلم المحذوفة تخفيفا فهو كسر بناء، وعند الكوفيين كسرة إعراب وحذفت الياء اكتفاء بالكسرة. قوله: [وذكرها أعطف] جواب عما يقال إن هارون شقيق موسى، فلم اقتصر فى خطابه على الأم. وكان هارون كثير الحلم محببا في بني إسرائيل وهو أكبر من موسى بثلاث سنين. قوله: ﴿وكادوا يقتلونني﴾ أي بذلت وسعي في نصيحتهم حتى قهروني وقاربوا قتلي. ﴿فلا تشمت بي الأعداء﴾ الشماتة فرح العدو بما ينال الشخص من المكروه.

قوله: ﴿قال رب اغفرلي﴾ أي لما تبين له عذر أخيه، جمعه فى الدعاء استعطافا وإرضاء له.

قوله: ﴿إن الذين اتخذوا العجل﴾ أي وكانوا ستمائة ألف وثمانية الاف، وبقي اثنا عشر ألفا لم يعبدوه لأن جملة من عبر البحر مع موسى ستمائة ألف وعشرون ألفا. قوله: [إلها] قدره إشارة إلى أن مفعول اتخذوا محذوف. قوله: ﴿سينالهم﴾ الاستقبال بالنسبة لخطاب موسى به، وأما بالنسبة لنزوله على نبينا فهو ماض. قوله: [رجعوا عنها] أي عن السيئات التى منها عبادة العجل.

قوله: ﴿ولما سكت عن موسى الغضب﴾ أي بمراجعة هارون له، حيث الان له الكلام واعتذر له، وفى الكلام استعارة بالكناية حيث شبه الغضب بأمير قام على موسى، فأمره بإلقاء الألواح والأخذ برأس أخيه، وطوى ذكر المشبه به، ورمز له بشئ من لوازمه وهو السكوت، فإثباته تخييل وفى السكوت استعارة تبعية، حيث شبه السكون بالسكوت واستعير اسم المشبه به للمشبه، واشتق من السكوت سكت بمعنى سكن، على طريق الاستعارة التصريحية التبعية، وما وقع من موسى عليه السلام من الغضب ليس ناشئا عن سوء خلق وعدم حلم وإنما هو غضب لانتهاك حرمات الله ولا ينافي الحلم، قال بعضهم.

إذا قيل حلم قل فللحلم موضع ❁❁ وحلم الفتى فى غير موضعه جهل[1]

وما قيل إن موسى لما كان قليل الحلم، أمره الله بالإنة الكلام لفرعون حيث قال له: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً﴾،[1] ومحمد عليه السلام لما كان كامل الحلم [أمره][2] الله بالإغلاظ على الكفار حيث قال:

---

(١) ذكره الشنقيطي في تفسيره ونسبه إلى أبي الطيب المتنبي، انظر: الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، ط٢، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥م) ج١ ص٤١٦.

﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾،[3] فهو باطل لا أصل له، وإنما الذي يقال إن كلا كامل فى الحلم، وكلا إما مأمور بالإنة أو لا، فإذا تقرر الدين وثبت وأمروا بالجهاد، أُمروا بالإغلاظ، هذا هو الحق، ومن نفى عن أحد منهم الحلم فقد كفر. قوله: ﴿وفى نسختها﴾ أي كتابتها وتسميتها نسخة، باعتبار كتابتها من اللوح المحفوظ وهذا على ماقاله، زاده من أن الألواح لم تنكسر، وأما على ما قاله ابن عباس من أنها تكسرت، فصام موسى أربعين يوما فردت عليه فى لوحين فمعنى. قوله: ﴿وفى نسختها﴾ أي ما نسخ من الألواح التى كسرت فى ألواح آخر، فتسميتها نسخة ظاهر لأن نسخ الشئ نقله. قوله: ﴿للذين هم لربهم يرهبون﴾ أي وأما لغيرهم فليس فيه هدى ورحم، وإنما هو وبال وخسران، فهي نظير مع المؤمن والمنافق، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾.[4] قوله: [وأدخل اللام على المفعول لتقدمه] أي فضعف عن العمل فقوي باللام والمعنى الذين هم يحافظون ربهم، أي يخافون عقابه.

قوله: [أي من قومه] أشار بذلك إلى أنَّ قوله: ﴿من قومه﴾ مفعول ثان مقدم منصوب بنزع الخافض والمفعول الأول. قوله: ﴿سبعين رجلا﴾ أي من شيوخهم، روي أنه لم يجد إلا ستين شيخا، فأوحى الله إليه أن يختار من الشباب عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا، فأمرهم موسى عليه السلام أن يصوموا ويتطهروا ثيابهم، ثم خرج بهم إلى الميقات وهو طور سينا، فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عامود من الغمام حتى أحاط بالجبل ودخل موسى فيه، وقال للقوم: ادنوا، فدنوا حتى دخلوا فى الغمام ووقعوا سجدا، وسمعوا الله وهو يكلم موسى، يأمره ونيهاه، فلما انكشف الغمام أقبلوا على موسى وقالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾[5]، وهي المرادة بالرجفة هنا وماتوا يوما وليلة، وسبب أخذ الصاعقة لهم سؤالهم الرؤية، وهذا قول غير ابن عباس،[6] وقال ابن عباس إن السبعين الذين

---

(١) سورة طه، الآية:٤٤.

(٢) سقط ما بين قوسين في النسخ المطبوعة.

(٣) سورة التوبة، الآية:٧٣.

(٤) سورة التوبة، الآية:١٢٤-١٢٥.

(٥) سورة البقرة، الآية:٥٥.

(٦) انظر : الطبري، مصدر سابق، ج٢ ص٨٢-٨٨.

سألوا الرؤية، غير السبعين الذين ذهبوا للشفاعة، فالاولى أخذتهم الصاعقة بسبب سؤالهم الرؤية والثانية أخذتهم الرجفة بسبب معاشرتهم لمن عبدوا العجل وسكوتهم عليه،[1] وإلى هذا القول يشير المفسر بقوله: [قال وهم غير الذين سألوا الرؤية] الخ قوله: [لم يزايلوا] أي لم يفارقوا قومهم. قوله: [وهم غير الذين سألوا الرؤية] أي لأنهم لم يكونوا فى ذلك المعياد، بل كانوا مع موسى حين أخذ التوراة، فلما سمعوا كلام الله لموسى أقبلوا عليه وقالوا: أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة. قوله: ﴿لو شئت أهلكتهم﴾ مفعول المشيئة محذوف تقديره إهلاكهم، قوله: [استفهام استعطاف] أي طلب العفو والرحمة من الله. قوله: [ابتلاؤك] أي اختبارك لتبين المطيع من المعاصي. قوله: ﴿وأنت خير الغافرين﴾ اسم التفضيل ليس على بابه أو على بابه باعتبار أن الغفر ينسب لغيره تعالى لكونه سببا، وهو الغافر الحقيقي.

قوله: ﴿واكتب﴾ أي حقق وأثبت وهذا من جملة دعاء موسى، فأوله ﴿أنت ولينا﴾، وآخره ﴿إنا هدنا إليك﴾ وحينئذ فلا ينبغي جعل. قوله: ﴿واكتب لنا﴾ أول الربع. قوله: ﴿في هذه الدنيا حسنة﴾ أي ما تحمد عاقبته كالعافية والإيمان والمعرفة. وقوله: ﴿وفى الاخرة﴾ [حسنة] أي وهي الجنة، وما احتوت عليه من اللقاء والمشاهدة. قوله: ﴿إنا هدنا إليك﴾ استئناف مسوق لتعليل الدعاء أي لأننا ﴿هدايا إليك﴾ أي رجعنا من هاد يهود، إذا رجع، ولذلك سميت اليهود ذلك وكان اسم مدح قبل نسخ شريعتهم، وبعد ذلك صار ذما. قوله: ﴿قال عذابي﴾ جواب من الله لموسى. قوله: ﴿أصيب به من أشاء﴾ أي في الدنيا، كقتل الذين عبدوا العجل أنفسهم وفي الآخرة بالنار لمن كفر. قوله: ﴿ورحمتي وسعت كل شئ﴾ ورد[2] أنه لما نزلت هذه الآية فرح إبليس وقال: قد دخلت فى رحمة الله، فلما نزل: ﴿فسأكتبها﴾ الخ أيس من ذلك وفرحت اليهود وقالوا: نحن من المتقين الذين يؤتون الزكاة المؤمنين، فأخرجهم الله منها وأثبتها لهذه الأمة. قوله: ﴿الذين يتبعون الرسول﴾ الخ. قوله: ﴿فى الدنيا﴾ أي فما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص إلا وهو متقلب فى الرحمة. قوله: ﴿فسأكتبها﴾ أي أثبتها. قوله: ﴿للذين يتقون﴾ أي يمتثلون الأوامر ويجتنبون النواهي. قوله: ﴿ويؤتون الزكوة﴾ خصها بالذكر لمشقتها على النفوس من حيث إن المال محبوب.

---

(١) انظر: السيوطي، في الدر ، مصدر سابق، ج١ ص٣٧١-٣٧٣.

(٢) انظر: ابن أبي حاتم، مصدر سابق،ج٥ ص١٥٧٩ برقم٩٠٥٠. وأخرجه السيوطي في الدر، ج٦ ص٦٠٦.

قوله: ﴿الذين يتبعون الرسول﴾ أي بالايمان به بعد بعثته، والعمل بشريعته، ورد أن الله قال لموسى: أجعل لك الأرض مسجدا تصلون حيث أدركتكم الصلاة، وأجعكلم تقرؤون التوراة عن ظهر قلب، يحفظها الرجل والمرأة والحر والعبد، والصغير والكبير، فقال موسى ذلك لقومه فقالوا لا نريد أن نصلي إلا في الكنائس، ولا نستطيع أن نقرأ التوراة عن ظهر قلب، ولا نقرؤها إلا نظرا، قال: ﴿فسأكتبها﴾ إلى قوله ﴿هم المفلحون﴾ فجعل هذه الأمور لهذه الامة. قوله: ﴿الأمي﴾ أي الذي لا يقرأ ولا يكتب، نسب إما للأم لأنه باق على حالته التي ولد عليها، أو لأم القرى وهي مكة لكونه ولد بها قوله: [باسمه وصفته] أي من كونه محمدا ولد بمكة، وهاجر إلى المدينة يقبل الهدية، ويرد الصدقة، وهكذا من أوصافه وأخلاقه العظيمة، قال الخميس فى تاريخه: إن محمدا مذكور فى التوراة باللغة السريانية بلفظ المنحمنا، بضم الميم وسكون النون وفتح الحاء وكسر الميم الثانية وبعدها نون مشددة بعدها الف، ومعناه محمد، وذكر الحسن عن كعب الأحبار، أن اسم النبي -ﷺ- عند أهل الجنة عبد الكريم، وعند أهل النار عبد الجبار، وعند أهل العرش عبد المجيد، وعند سائر الملائكة عبد الحميد، وعند الانبياء عبد الوهاب، وعند الشياطين عبد القاهر، وعبد الجن عبد الرحيم، وفى الجبال عبد الخالق، وفي البر عبد القادر، وفي البحر عبد المهيمن، وعند الهوام عبد الغياث، وعند الوحوش عبد الرزاق، وفى التوراة موذموذ، وفى الانجيل طاب طاب وفى الصحف عاقب وفى الزبور فاروق، وعند الله ومحمد -ﷺ- اهـ (1) بحروفه.

قوله: ﴿يأمرهم بالمعروف﴾ الخ هذا وما بعده إلى ﴿المفلحون﴾ من جملة المكتوبة فى التوراة والإنجيل. قوله: [مما حرم في شرعهم] أي وهي لحوم الإبل وشحم الغنم والمعز والبقر. قوله: [من الميتة ونحوها] أي كالدم ولحم الخنزير. قوله: [كقتل النفس] أي وتعيين القصاص في القتل، وتحريم أخذ الدية، وترك العمل يوم السبت، وكون صلاتهم لا تجوز إلا فى الكنائس، ونحو ذلك من الأمور الشاقة التي كلفوا بها، وتسميتها أغلالا مجاز، لأن التحريم يمنع من الفعل، كما أن الأغلال تمنع منه. قوله: ﴿وقروه﴾ أي عظموه. قوله: ﴿ونصروه﴾ أي أيدوه. قوله: ﴿الذي أنزل معه﴾ أي مقارنا لزمانه ومصحوبا به. قولهك [أي القرآن] تفسير للنور سمي القرآن بذلك. لأنه ظاهر فى نفسه مظهر لغيره، يهدي من الضلال

---

(١) انظر: الخميس: حسين بن محمد بن الحسن، تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، (دون مطبعة ولا تاريخها) ج١ ص٢٤.

المعنوي، كما أن النور يهدي من الضلال الحسي. قولهك ﴿فاولئك هم المفلحون﴾ أي الموصوفون بهذه الصفات، فائزون ظافرون بالنجاة من الأهوال دنيا وأخرى.

قوله: ﴿قل يايها الناس﴾ أتى بهذه الآية دفعا لما يتوهم أن الفوز مخصوص بمن تبعه من أهل الكتابيين، فأفاد هنا أن الفوز ليس قاصرا عليهم، بل كل من تبعه حصل له الفوز، كان من أهل الكتابيين أو لا، و﴿الناس﴾ اسم جنس واحدة إنسان. قوله: ﴿جميعا﴾ حال من ضمير ﴿إليكم﴾.

قوله: ﴿الذي له ملك السموات﴾ يصح رفع ﴿الذين﴾ ونصبه على أنه نعت مقطوع، وجزه على أنه نعت متصل، وقوله: ﴿ملك السموات والأرض﴾ صلة الموصول لا محل له من الإعراب، وقوله: ﴿لا إله إلا الله﴾ بيان للصلة. وقوله: ﴿يحي ويميت﴾ بيان لقوله: ﴿لا إله إلا هو﴾ فكل واحدة من هذه الجمل كالدليل لما قبلها، ولا محل لكل من الإعراب لأن الصلة لا محل لها فكذا مبنيها. قوله: ﴿فئامنوا بالله﴾ تفريع على ماتقدم أي فحيث علمتم أن محمدا مرسل لجميع الناس، وأن الله له ملك السماوات والأرض لا إله إلا الله هو يحي ويميت وجب عليكم الإيمان بالله ورسوله، وفيه التفات من المتكلم للغيبة ونكتته التوطئة للاتصاف، بقوله: ﴿النبي الأمي﴾ الخ قوله: ﴿الذي يؤمن بالله وكلمته﴾ أي لأنه مرسل لنفسه. قوله ﴿لعلكم تهتدون﴾ أي تفلحون، والترجي فى القرآن بمنزلة التحقيق، فهو بمعنى قوله فيما سبق. قوله: ﴿فأولئك هم المفلحون﴾. قوله: ﴿ترشدون﴾ من باب تعب ونصر.

قوله: ﴿ومن قوم موسى أمة﴾ استئناف مسوق لدفع توهم أن قوم موسى لم يحصل لهم هدى، بل استمروا على ضلالهم فدفع ذلك بأن بعضهم آمن بالنبي -ﷺ- وهم شرذمة قليلة كعبد الله بن سلام وأضرابه.

وقوله: ﴿وقطعنهم﴾ الهاء مفعوله، ﴿اثنتي عشرة﴾ حال، ﴿أسباطا﴾ بدل كما قال المفسر وتمييز العدد محذوف تقديره فرقة، ويصح أن قطع بمعنى صير، فالهاء مفعول أول، و ﴿اثنتي عشرة﴾ مفعول ثان، ﴿أسباطا﴾ بدل وسبب تفرقهم كذلك، أن أولاد يعقوب كانوا كذلك فكل سبط ينتمى لواحد منهم، والأسباط جمع سبط، وهو ولد الولد، مرادف للحفيد، هكذا في كتب اللغة،[1] وتفرقة بعض

---

(١) والسبط بالكسر ولد الولد كأنه امتداد الفروع. انظر: المناوي، محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، ط١، (بيروت: دار الفكر المعاصر ، ١٤١٠هـ)، تحقيق : د. محمد رضوان الداية، ص٣٩٦.

العلماء بين السبط والحفيد، بأن السبط ولد البنت، والحفيد ولد الولد اصطلاح.[1] قوله: [أي قبائل] أي كالقبائل فى التفرق والتعدد. قوله: [بدل مما قبله] أي فهو بدل من البدل. قوله: ﴿وأوحينا الى موسى﴾ أي حيث أمر بقتال الجبارين هو ومن معه من بني إسرائيل نقب عليهم اثني عشر نقيبا، وأرسلهم يأتون له بأخبار الجبارين فاطلعوا على أوصاف مهمولة، فرجعوا وأخبروا موسى عليه السلام، فأمرهم بالكتم عن قومهم، فخانوا إلا اثنين منهم، يوشع وكالب فجبنوا، فحرم الله عليهم دخول القرية أربعين سنة يتيهون فى الأرض، فلما طالت عليهم المدة فى التيه عطشوا، فطلبوا منه السقيا، فدعا الله موسى، فأمره بضرب الحجر بعصاه، وهذا الحجر هو الذي فر بثوبه حين اتهموه بالأدرة خفيف مربع كرأس الرجل. قوله: ﴿فانبجست﴾ أي انفجرت. قوله: ﴿مشربهم﴾ أي عينهم الخاصة بهم. قوله: ﴿وظللنا عليهم الغمام﴾ أي السحاب، يسير بسيرهم، ويضيئ لهم بالليل يسيرون بضوئه. قوله: [الترنجبين] هو شئ حلو، ينزل عليهم مثل الثلج، من الفجر إلى طلوع الشمس، فيأخذ كل إنسان صاعا، قوله [والطير السماني] أي فكانت ريح الجنوب تسوقه إليهم فيأخذ كل منهم ما يكفيه. قوله: ﴿ما رزقناكم﴾ وهو المن والسلوى. قوله: ﴿وما ظلمونا﴾ أي لم يصل لنا منهم ظلم بفعلهم، فإن ذلك مستحيل.

قوله: ﴿و﴾ [اذكر] خطاب للنبي -ﷺ-. قوله: ﴿إذ قيل لهم﴾ أي بعد خروجهم من التيه. قوله: [بيت المقدس] وقيل أريحاء، وقد ذكر القولين فى البقرة، فعلى الأول يكون القائل الله على لسان موسى وهم فى التيه، وعلى الثاني يكون على لسان يوشع، وهو المعتد كما تقدم في البقرة. قوله: ﴿وقولوا حطة﴾ قدر المفسر [أمرنا] إشارة إلى أن حطة خبر لمحذوف، ومعني: أمرنا حطة أي طلبنا حطة الذنوب ومغفرتها. قوله: [سجود انحناء] أي فالمراد السجود اللغوي، بأن يكونوا على هيئة الراكعين.

---

(١) وقال أبو هلال العسكري: الفرق بين السبط والولد: أن أكثر ما يستعمل السبط في ولد البنت ومنه قيل للحسن والحسين رضي الله عنهما سبطا رسول الله -ﷺ-، وقد يقال للولد سبط إلا أنه يفيد خلاف ما يفيده لأن قولنا سبط يفيد أنه يمتد ويطول. انظر: أبا هلال العسكري، الفروق اللغوية، ط١، (العراق: مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤١٢هـ) ص٢٧١.

قوله: [بالنون والتاء] أي فهما قراءتان سبعيتان، ولكن على النون يقرأ: خطايا وخطيئات، وعلى التاء يقرأ: خطيئاتكم وخطيئتكم بالجمع والإفراد، فالقراءات أربع.[1]

قوله: ﴿قولا غير الذي قيل لهم﴾ أي ما أمروا به. قوله: [فقالوا حبة الخ] يحتمل أنه مجرد هذيان قصدوا به إغاظة موسى، ويحتمل أن يكون له معنى صحيح، كأنهم قالوا مطلوبنا حبة، يعني قمح في زكائب من شعر، وقد تقدم بسطه في البقرة. قوله: [على أستاههم] جمع سته وهو الدبر. قوله: ﴿عذابا﴾ أي وهو الطاعون، ومات منهم في وقت واحد سبعون ألفا. قوله ﴿بما كانوا يظلمون﴾ أي بسبب ظلمهم، وقد غايرت هذه القصة ما في البقرة عشرة أوجه تقدمت مفصلة، فراجعه إن شئت.

قوله: ﴿وسئلهم﴾ أي اليهود الذين في المدينة، وسبب نزولها أن رسول الله -ﷺ- كان يوبخ اليهود على كفرهم ويقول لهم أنتم قد تبعتم أصولكم فى الكفر بأنبيائهم، فكانوا يقولون إن أصولنا لم تقع مخالفة ولا كفر بأنبيائهم، وكانوا يعرفون ما وقع لهذه القرية ويخفونه، ويعتقدون أنه لا علم لأحد غيرهم به، فنزلت الآية،[2] فقصها رسول الله عليهم فبهتوا. إن قلت: إن السورة مكية، وهذا خطاب لأهل المدينة، فالجواب أنها مكية ماعدا تلك الآيات الثمانية التى أولها ﴿وسئلهم﴾ الخ فإنها مدينة كما تقدم. قوله: [توبيخا] أي تقريعا وتبكيتا. قوله: ﴿عن القرية﴾ أي أهلها. وقوله: [مجاورة لبحر القلزم] أي عند العقبة وسبب نهيهم عن الصوم يوم السبت، أن الله أمرهم على لسان داود، أن يتخذوا يوم الجمعة عيدا ينقطعون فيه لعبادة الله، فكرهوا ذلك واختاروا السبت، ومعناه فى اللغة القطع، فهو إشارة إلى أنهم منقطعون عن كل خير، فلما شددوا امتحنهم الله بأن حرم عليم صيد السمك يوم السبت، وأحله لهم باقي الأسبوع، فكانوا يوم السبت يجدون السمك متراكما، وباقي الجمعة لم يجدوا منه شيئا، ثم إن إبليس عملهم أن يصنعوا جداول البحر يوم السبت، فإذا جاء العصر وملئت الجداول بالسمك

---

(١) قرأ نافع وابن عامر ﴿تغفر لكم﴾ بالتاء مضمومة وفتح الفاء والباقون بالنون مفتوحة وكسر الفاء ابو عمرو ﴿خطاياكم﴾ على لفظ قضاياكم من غير همز وابن عامر ﴿خطيئتكم﴾ بالهمز ورفع التاء من غير ألف على التوحيد ونافع كذلك إلا أنه على الجمع والباقون كذلك إلا أنهم يكسرون التاء. انظر: أبا عمرو الداني، مصدر سابق، ص٨٣.

(٢) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم،ط٢، (دار طيبة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، بتحقيق : سامي بن محمد سلامة، ج٣ ص٤٩٣.

سدوا عليه وأخذوه يوم الأحد فاقترقت القرية ثلاث فرق، وكانوا سبعين ألفا، ففرقة اصطادوا، وفرقة نهتهم وضربوا بينهم وبينهم سورا، وفرقة لم تصد ولم تنه، فبعد أيام قلائل، مسخ من اصطاد قردة وخنازير، مكثوا ثلاثة أيام وماتوا، وأنجى الله الفرقة الناهية، والفرقة الثالثة وقع فيها خلاف بالإنجاء والإهلاك، والصحيح نجاتهم.(١) قوله: ﴿حيتانهم﴾ جمع حوت، وأصل حيتان حوتان، وقعت الواو ساكنة بعد كسرة قبلت ياء. قوله: ﴿شرعا﴾ حال من فاعل ﴿تأتيهم﴾ أي قريبة من الساحل، قوله: ﴿ويوم لا يسبتون﴾ أي لا يكون يوم سبت، والمعنى حيتانهم يوم السبت ظاهرة وغير يوم السبت لا تأتيهم، ولما كانت العبارة موهمة، قال المفسر أي سائر الأيام، أي باقيها. قوله: [ابتلاء من الله] علة لقوله: ﴿تأتيهم﴾ وقوله: ﴿لا تأتيهم﴾. قوله: ﴿كذلك﴾ أي الابتلاء المتقدم. قوله: ﴿بما كانوا يفسقون﴾ أي يتجاوزون الحد. قوله: [ثلث صادوا معهم] المناسب حذف قوله معهم. قوله: [عطف على إذ قبله] أي وهو ﴿إذ يعدون﴾. قوله: ﴿لم تعظون قوما﴾ إنما قصدوا بذلك اللوم على الناهين، حيث وعظوهم فلم يقبلوا منهم. قوله: ﴿أو معذبهم عذابا شديدا﴾ أو مانعة خلو تجوز الجمع، والمعنى مهلكهم فى الدنيا، ومعذبهم فى الآخرة. قوله: ﴿قالوا معذرة﴾ قدر المفسر موعظتنا، إشارة إلى أن ﴿معذرة﴾ خبر لمحذوف، وفى قراءة النصب على المفعول من أجله، أي وعظناهم لأجل المعذرة. قوله: [لئلا ننسب إلى تقصير] أشار بذلك إلى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب عليهم، ولذا ورد أنه مجمع عليه فى جميع الشرائع. قوله: ﴿ولعلهم يتقون﴾ إشارة إلى أنهم ظانون إفادة الموعظة، وهو عطف على المعنى إذ التقدير موعظتنا للإعتذار ﴿ولعلهم يتقون﴾ .

قوله: ﴿فلما نسوا ما ذكروا به﴾ فى الكلام حذف دل عليه. قوله: ﴿قوله أنجينا الذين ينهون﴾ الخ، والتقدير فلما ذكر من تذكر ونسي من نسي أنجينا الخ قوله: ﴿بئس﴾ فعيل من بؤس إذا اشتد، وقرء بئيس على وزن ضغيم، وبئس بكسر الباء وسكون الهمزة أو قبلها ياء وبيس بفتح الباء وتشديد الياء مكسورة، وبيس بفتح الباء وسكون الياء وبائس على وزن فاعل، هكذا فى البيضاوي، وليست كلها سبعية.(٢)

---

(١) انظر : الآلوسي، مصدر سابق، ج٩ ص١١٨.

(٢) انظر: البيضاوي، مصدر سابق، ج٢ ص٦٨-٦٩.

قوله: ﴿كونوا﴾ أمر تكوين لاقول، فهو كناية عن سرعة التصبير، إذ لا يكلف الشخص إلا بما يقدر عليه، وكونهم قردة ليس في طاقتهم. قوله: [فكانوها] أي ﴿قردة﴾ وقيل: إن شبابهم مسخوا قردة، وشيوخهم خنازير: إن الذين مسخوا خنازير، هم أصحاب المائدة. قوله: [وهذا] أي قوله: ﴿فلما عتوا﴾ تفصيل لما قبله، وهو قوله: ﴿وأخذنا الذين ظلموا﴾ الخ. قوله: [لأنها كرهت ما فعلوه] أي فهي داخلة تحت قوله﴿أنجينا الذين ينهون عن السوء﴾ فهي وإن لم تنه صريحا لكنها نهت ضمنا.

قوله: [إنه رجع إليه] أي إلى قول عكرمة. ﴿وإذ تأذن﴾ إذ ظرف لمحذوف تقديره ذكر وقت إذ تأذن. قوله: [أعلم] مفعول محذوف، والتقدير أعلم ربك أسلافهم، قوله: ﴿ليبعثن﴾ أي ليسلطن عليهم. قوله: ﴿من يسومهم﴾ أي يذيقهم. قوله: [بختنصر] علم مركب تركيبا مزجيا كبعلبك فإعرابه على الجزء الثاني، والأول ملازم للفتح، وهو غير منصرف للعلمية، والتركيب المزجي، وبخت معناه فى الأصل ابن، ونصر اسم صنم، سمي بذلك لأنه وجد وهو صغير مطروحا عند ذلك الصنم. قوله: [وسباهم] أي نسائهم وصغارهم. قوله: [وضرب عليهم الجزية] أي عن لم يقاتل منهم. قوله: [فضربها عليهم] أي لا تزال كذلك إلى نزول عيسى، فلا يقبل إلا الإسم. قوله: ﴿إن ربك لسريع العقاب﴾ أي إذا اتعلقت إرادته به، وإلا فهو واسع الحلم.

قوله: ﴿وقطعنهم﴾ أي بني إسرائيل الكائنين قبل زمن النبي -ﷺ-. قوله: [ومنهم دون ذلك] قدر المفسر [ناس] إشارة إلى أن ﴿دون﴾ نعت لمنعوت محذوف وهو كثير إذا كان التفصيل بمن، كقولهم: منا ظعن ومنا أقام، أي منا فريق ظعن، ومنا فريق أقام. قوله: ﴿وبلونهم بالحسنات لعلهم يرجعون﴾ أي اختبرناهم بالعطايا: كالنعم والعافية، والبلايا: كالنقم والأسقام والشدائد، ﴿لعلهم يرجعون﴾ عما هم عليه من الكفر والمعاصي إلى طاعة ربهم، فلم يرجعوا.

قوله: ﴿فخلف من بعدهم خلف﴾ بسكون اللام للشر، وبفتحها للخير، يقال خلف سوء وخلف صالح، وهذه صفة من كان في زمن النبي -ﷺ- إثر بيان صفات أسلافهم. قوله: [التوراة] أشار بذلك إلى أن أل في الكتاب للعهد. قوله: ﴿عن آبائهم﴾ أي أسلافهم سواء كانوا صلحاء أو لا. قوله: ﴿عرض هذا الأدنى﴾ سمي عرضا لتعرض للزوال، ففي الكلام استعارة تصريحية، حيث شبه متاع الدنيا بالعرض الذي لا يقوم بنفسه بجامع الزوال فى كل، واستعير اسم المشبه به للمشبه. قوله: ﴿ويقولون﴾

أي زيادة على طمعهم فى الدنيا. قوله: ﴿سيغفرلنا﴾ أي لأناء أبناء الله وأحباؤه، وشأن الحبيب أن لا يعذب حبيبه، قوله: [مصرون عليه] أي لم يقلعوا عنه، فقد طمعوا فى المغفرة مع فقد شروطها، إذ من أكبر شروطها الندم والإقلاع. قوله: ﴿ميثق الكتاب﴾ أي التوراة، والمعنى أخذ عليهم الميثاق فى التوراة، أنهم لا يكذبون على الله، ولا يقولون إلا الحق، قوله ﴿إلا الحق﴾ صفة لموصوف محذوف مفعول مطلق لقوله. قوله: ﴿أن لا يقولوا﴾ والتقدير أن لا يقولوا على الله إلا القول الحق. قوله: ﴿فلم كذبوا عليه﴾ أي الله. قوله: ﴿أفلا تعقلون﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير أتركوا التدبر والتفكر فلا تعقلون. قوله: [بالياء والتاء] أي فهما قراءتان سبعيتان، فعلى الياء يكون إخبارا عنهم، وعلى التاء يكون خطابا لهم. قوله: [بالتشديد] أي يمسكون غيرهم بالكتاب ويدلونه على طريق الهدى.

قوله: [والتخفيف] أي يمسكون ﴿بالكتاب﴾ بمعنى يهتدون فى أنفسهم. قوله: [منهم] أي من بني إسرائيل. قوله: ﴿وأقاموا الصلاة﴾ خصها بالذكر لأنها أعظم أركان الدين بعد التوحيد. قوله: [وفيه وضع الظاهر موضع المضمر] أشار بذلك إلى أن الرابط هو لفظ ﴿المصلحين﴾ لقيامه مقام الضمير على حد قول الشاعر:

﴿سعاد التي أضناك حب سعادا﴾[1]

ونكتة ذلك إلى شرفهم والاعتناء بهم.

قوله: ﴿وإذ نتقنا﴾ إذ ظرف معمول لمحذوف، قدره المفسر بقوله اذكر، والمقصود من ذلك الرد على اليهود والتقبيح عليهم، حيث قالوا: إن بني إسرائيل لم تصدر عنهم مخالفة الله. قوله: ﴿الجبل﴾ قيل هو الطور، وقيل هو جبل من جبال فلسطين، وقيل من جبال بيت المقدس، وفي آية النساء التصريح بالطور، وسبب رفع الجبل فوقهم، أن موسى لما جاءهم بالتوراة وقرأها عليهم، فلما سمعوا ما فيها من

---

(١) عجزه: ﴿ وإعراضها عنك استمر وزادا ﴾ والبيت من الطويل، وهو بلا نسبة في شرح الأشموني، مصدر سابق، ج١ ص٦٧، وشرح التصريح، مصدر سابق، ج١ ص١٤٠، و الجَوجَري، محمد بن عبد المنعم بن محمد القاهري الشافعي، **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب**، ط١، (المملكة العربية السعودية: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة،١٤٢٣هـ - ٢٠٠٤م)،ج١ ص٣٠٥.

التغليظ، أبوا أن يقبلوا ذلك، فأمر الله الجبل فانقلع من أصله حتى قام على رؤوسهم مقدار عسكرهم، وكان فرسخا فى فرسخ، وكان ارتفاعه على قدر قامتهم محاذيا لرؤوسهم كالسقيفة، فلما نظروا إلى الجبل فوق رؤوسهم خروا سجدا، فسجد كل واحد على خده وحاجبه الأيسر وجعل ينظر بعينه اليمنى الى الجبل خوف أن يسقط عليه، ولذلك لا تسجد اليهود إلا على شق وجوههم الأيسر.(١) قوله: ﴿فقوهم﴾ الإحتجاج بذلك مع إشهادهم على أنفسهم بالتوحيد والتذكير به على لسان صاحب المعجزة قائم مقام ذكره فى النفوس، إما حال منتظرة أو ظرف لنتقناه. قوله: ﴿كأنه ظلة﴾ حال من الجبل. قوله: ﴿وظنوا﴾ الجملة حالية من الجبل، والتقدير ورفعناه فوقهم، والحال أنه مظنون وقوعه عليهم، ومعنى الظن اليقين كما قال المفسر. قوله: ﴿وقلنا﴾ قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿اتخذوا﴾ معمول لمحذوف، وهو معطوف على ﴿نتقنا﴾ قوله: ﴿لعلكم تتقون﴾ أي تتصفون بالتقوى، وهي امتثال المأمورات، واجتناب المنهيات، أو تجعلوا بينكم وبين النار وقاية تحفظكم منها.

قوله: ﴿وإذ أخذ ربك﴾ عطف على قوله: ﴿وإذ نتقنا﴾ عطف قصة على قصة، وقدر المفسر اذكر إشارة إلى أن إذ ظرف معمول لمحذوف، والحكمة فى تخصيص بني إسرائيل بهذه القصة، الزيادة فى إقامة الحجة عليهم، حيث أعلمهم الله بأن أعلم نبيه بمبدأ العالم، فضلا عن وقائعهم. قوله: [بدل اشتمال] أي من. قوله: ﴿يبني آدم﴾ والأوضح أنه بدل بعض من كل، لأن الظهور بعض بني آدم كضربت زيدا يده. قوله: [بأن أخرج بعضهم من صلب بعض] أي فأخرج أولاد آدم لصلبه من ظهره، ثم أخرج من ظهر أولاده لصلبه أولادهم، وهكذا على حسب الظهور الجسماني إلى يوم القيامة وميز المسلم من الكافر، بأن جعل ذر المسلم أبيض، وذر الكافر أسود.[٢] روي أنهم لما اجتمعوا قال لهم:

---

(١) نقله من الآلوسي، انظر: الآلوسي، مصدر سابق، ج٨ ص٣٢١.

(٢) أخرجه الطبري عن السدي بلفظ "قال: أخرج الله آدم من الجنة، ولم يهبط من السماء، ثم مسح صفحة ظهره اليمنى، فأخرج منه ذريته كهيئة الذرِّ، أبيض، مثل اللؤلؤ، فقال لهم: ادخلوا الجنة برحمتي! ومسح صفحة ظهره اليسرى، فأخرج منه كهيئة الذر سودًا، فقال: ادخلوا النار ولا أبالي! فذلك حين يقول: "أصحاب اليمين وأصحاب الشمال"، ثم أخذ منهم الميثاق، فقال: ﴿ألست بربكم قالوا بلى﴾، فأطاعه طائفة طائعين، وطائفة كارهين على وجه التقية.

وأورده الخازن في تفسيره عن مقاتل قال: مسح صفحة ظهر آدم اليمنى ، فأخرج منها ذرية بيضاء كهيئة الذر يتحركون ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منها ذرية سوداء كهيئة الذر يتحركون فقال يا آدم هؤلاء ذريتك ثم قال لهم ألست بربكم قالوا بلى فقال للبيض

اعلموا أنه لا إله غيري، وأنا ربكم لا رب لكم غيري، فلا تشركوا بي شيئا، فإني سأنتقم ممن أشرك بي ولم يؤمن، وإني مرسل إليكم مرسلا يذكرونكم عهدي وميثاقي، ومنزل عليكم كتابا، فتكلموا جميعا وقالوا: شهدنا أنك ربنا لارب لنا غيرك، فأخذ بذلك ميثقهم، ثم كتب الله آجالهم، وأرزقهم ومصائبهم، فنظر إليهم آدم عليه السلام، فرأى منهم الغني والفقير، وحسن الصورة ودون ذلك، فقال: رب هلا سويت بينهم؟ فقال: إني أحب أن أشكر، فلما قررهم بتوحيده، وأشهده بعضهم على بعض، أعادهم إلى صلبه، فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من أخذ منه الميثاق. قوله: [كالذر] قيل هو صغار النمار، وقيل هو الهباء الذي يطير في الشمس، وقيل غير ذلك. قوله: [بنعمان] مكان بجنب عرفة. قوله: [وركب فيهم عقلا] أي وسمعا وروحا.[1] قوله: ﴿وأشهدهم على أنفسهم﴾ أي قررهم، فإن الشهادة على النفس معناها الإقرار. قوله: [بلى] هي جواب للنفي، ولكنها تفيد إثباته، كان مجردا أو مقرونا بالاستفهام التقريري كما هنا، ولذا قال ابن عباس-رضي الله عتهما-: لو قالوا نعم لكفروا لأن نعم لتقرير ما قبلها مثبتا أو منفيا، فكأنهم بأنه ليس بربهم،[2]

هؤلاء في الجنة برحمتي وهم أصحاب اليمين وقال للسود هؤلاء في النار ولا أبالي وهم أصحاب الشمال ثم أعادهم جميعاً في صلب آدم فأهل القبور محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق جميعاً . انظر: الطبري، مصدر سابق، ج١٣ ص٢٢٢، والخازن مصدر سابق، ج٢ ص٣١٣.

قلت: هذا الحديث صحيح لغيره بلفظ "خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ، وَكَانُوا قَبْضَتَيْنِ، فَقَالَ لِمَنْ فِي يَمِينِهِ: ادخلوا الْجَنَّةَ بِسَلامٍ، وَقَالَ لِمَنْ فِي الأُخْرَى: ادْخُلُوا النارَ وَلا أُبَالِي، فَذَهَبَتْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ " وهو عند بلأزدي في جامعه، انظر: الأزدي، معمر بن راشد، الجامع، ط٢، (بيروت: المكتب الإسلامي، د.ت.ط) ج٢ ص١٢٤،

(١) قلت: لقد تؤولت المعتزلة هذه الآية فقالوا إنما أراد بها الأخذ من ظهور بني آدم على الترتيب الذي مضت به السنة من لدنآدم إلى فناء الدنيا، أي أن المقصود بالآية هو التمثيل والتخييل، لا على ما يدل عليه ظاهر اللفظ من إخراجهم حقيقة وإقرارهم بذلك لفظا. انظر الكشاف ج٢ ص١٧٦، والبحر المحيط، ج٤ ص٤٢٠.

(٢) وتعقب ابن عادل الدمشقي على هذا المنقول عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قائلا: وفيه نظرٌ – إن صحَّ عنه – وذلك أن هذا النفي صار مُقرَّراً ، فكيف يكفرون بتصديق التقرير؟ وإنَّما المانعُ من جهةِ اللغة، وهو أنَّ النفيَ مطلقاً إذا قُصدَ إيجابه أجيب بـ ﴿بَلَى﴾ وإن كان مقرراً بسبب دخول الاستفهام عليه ، وإنَّما كان ذلك تغليباً لجانب اللفظ ، ولا يجوز مراعاةُ جانب المعنى إلاَّ في شعر ، ثم قال: فأجاب قوله أَلَيْسَ بـ ﴿نَعَمْ﴾ ، مراعاةً للمعنى، لأنه إيجاب. قوله شَهِدْنضا هذا من كلامِ اللَّهِ تعالى ، وقيل : من كلام الملائكة ، لأنهم لما قالوا بَلَى ، قال الله للملائكة : اشهدوا فقال : شهدنا ، وعلى هذا القول يحسن الوقف على قوله: ﴿قالوا بَلَى﴾ لأن كلامَ الذرية قد انقطع ههنا. انظر: ابن عادل الدمشقي، أبو حفص عمر بن علي الحنبلي، **اللباب في علوم الكتاب**، ط١،

وإلى ذلك أشار العارف الأجهوري[1] رضي الله عنه بقوله:

بلى جواب النفي لكنه ❁❁ يصير إثباتا كذا قرروا

نعم لتقرير الذي قبلها ❁❁ إثباتا أو نفيا كذا حرروا

قوله: ﴿شهدنا﴾ يحتمل أن يكون من كلام الملائكة الذين استشهدهم الله على ذلك، فيكون الوقف على قوله: ﴿بلى﴾ ويحتمل أن يكون من كلام الذرية ويكون المعنى أقررنا بذلك، وحيئنذ فلا يصح الوقف على ﴿بلى﴾.

قوله: [فى الموضعين] أي قوله: ﴿أن يقولوا﴾ أو ﴿يقولوا﴾ والمناسب تأخير قوله: [في الموضعين] فعلى الياء يكون إخبارا عنهم، وعلى التاء يكون خطابا لهم. قوله: ﴿فاقتدينا بهم﴾ أي فهم مؤاخذون بذلك ونحن معذورون. قوله: [المعنى لا يمكنهم] أي معني الجملتين. قوله: [مع إشهادهم على أنفسهم] أي إقرارهم عليها.

قوله: [على لسان صاحب المعجزة] أي وهم المرسلون وهو جواب عما يقال إن هذا العهد لا يذكره أحد اليوم. قوله: ﴿ولعلم يرجعون﴾ عطف على ما قدره المفسر.

فائدة حسنة: ذكر القطب الشعراني[2] فى رسالة سماها القواعد الكشيفة فى الصفات الإلهية،[3] قد ذكر العلماء فى قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم﴾ الآية: اثني عشر سؤالا، ونحن

(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م)، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ج٩ ص٣٨٣.

(١) هو علي بن زين العابدين محمد بن أبي محمد زين الدين عبد الرحمن بن علي أبو الإرشاد نور الدين الأجهوري بضم الهمزة وسكون الجيم وضم الهاء نسبة إلى أجهور الورد قرية بريف مصر المالكي، تعلم وتوفي بالقاهرة. من كتبه "إرشاد الرحمن لاسباب" والنزول والنسخ والمتشابه من القرآن" و"كتاب الكوكبين النيرين في حل ألفاظ الجلالين " و "حاشية على تفسير الجلالين، و"شرح مختصر السنوسي" في المنطق، و"حاشية على شرح البيقونية" في مصطلح الحديث، وغير ذلك. انظر: الزركلي، الأعلام، مصدر سابق، ج٤ ص ٢٣٨.

(٢) هو عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي، نسبة إلى محمد ابن الحنفية، الشعراني، أبو محمد: من علماء المتصوفين. ولد في قلقشندة (بمصر) ونشأ بساقية أبي شعرة (من قرى المنوفية) وإليها نسبته: إلى الشعراني، ويقال الشعراوي، وتوفي في القاهرة. انظر: الزركلي في الإعلام، مصدر سابق، ج٤ ص١٨٠.

(٣) هكذا سماه الصاوي، ولكن الاسم الذي على الكتاب هو " القواعد الكشفية لمعاني الصفات الإلهية"

نوردها عليك مع الجواب عنها بما فتح الله به، الاول: أين موضع أخذ الله تعالى هذا العهد؟ والجواب: أن الله أخذ ذلك عليهم ببطن نعمان، وهو واد بجنب عرفة، قاله ابن عباس وغيره، وقال بعضهم: أخذه بسرنديب من أرض الهند، وهو الموضع الذي هبط آدم فيه من الجنة، وقال الكلبي كان اخذ العهد بين مكة والطائف، وقال الإمام علي بن أبي طالب كان أخذ العهد فى الجنة وكل هذه الأمور محتملة، ولا يضرنا الجهل بالمكان بعد صحة الاعتقاد بأخذ العهد. الثاني: كيف استخرجهم من ظهر؟ والجواب: ورد في الصحيح أنه تعالى مسح ظهر آدم، وأخرج ذريته منه كلهم كهيئة الذر، ثم اختلف الناس، هل شق ظهره واستخرجهم منه؟ أو استخرجهم من بعض ثقوب رأسه، وكلا الوجهين بعيد، والأقرب كما قيل، أنه استخرجهم من مسام شعر ظهره، إذ تحت كل شعرة ثقبة دقيقة يقال لها سم، مثل سم الخياط فى النفوذ لا فى السعة، فتخرج الذرة الضعيفة منها، كما يخرج الصئبان من العرق السائل، وهذا غير بعيد في العقل، فيجب اعتقاد إخراجها من ظهر آدم كما شاء الله، ولا يجوز اعتقاد أنه تعالى مسح ظهر آدم على وجه المماسة، إذ لا اتصال بين الحادث والقديم.

الثالث: كيف أجابوه تعالى: بلى، هل كانوا أحياء عقلاء، أم أجابوه بلسان الحال؟ والجواب أنهم أجابوه بالنطق وهم أحياء عقلاء، إذ لا يستحيل فى العقل، أن الله يعطيهم الحياة والعقل والنطق مع صغرهم، فإن بحار قدرته تعالى واسعة، وغاية وسعنا فى كل مسألة أن تثبت الجواز، ونكل علم كيفيتها الى الله تعالى. الرابع: فإذا قال الجميع: بلى، فلم قبل قوما ورد آخرين؟ الجواب كما قال الحكيم الترميذي: أن الله تعالى تجلي للكفار بالهيبة فقالوا، بل، مخافة، فلم يك ينفعهم إيمانهم، فكان إيمانهم كإيمان المنافقين، وتجلى للمؤمنين بالرحمة، فقالوا: بلى، معطيعين مختارين، فنفعهم إيمانهم. الخامس: إذا سبق لنا عهد وميثاق مثل هذا، فلأ شئ لا نذكره اليوم؟ والجواب: أنا لم نتذكر هذا العهد، لأن تلك البينة قد انقضت وتغيرت أحوالها، بمرور الزمان عليها فى أصلاب الآباء وأرحام الأمهات، ثم استحال تصويرها فى الأطوار الواردة عليها، من العلقة والمضغة واللحم والعظم، وهذا كله مما يوجب النسيان، وكان علي كرم الله وجهه يقول: إني لأذكر العهد الذي عهد إلي ربي. وكان سهل التستري يقول: إني لأعرف تلامذتي من ذلك اليوم، ولم أزل أربيهم في الأصلاب حتى وصلوا إلي، السادس: هل كانت تلك الذرات مصورة بصورة الإنسان أم لا؟ والجواب: لم يبلغنا في ذلك دليل، إلا أن الأقرب للعقول، عدم

الاحتياج إلى كونها بصورة الانسان، إذ السمع والنطق لا يفتقران إلى الصورة، بل يقتضيان محلا حيا لا غير. السابع: متى تعلقت الأرواح بالذرات التى هي الذرية، هل قبل خروجها من ظهره، أم بعد خروجها منه؟ والجواب: قال بعضهم إن الظاهر أنه تعالى استخرجهم أحياء، لأنه سماهم ذرية، والذرية هم الأحياء لقوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾[1]، فيحتمل أن الله تعالى أدخل الأرواح وهم في ظلمات ظهر أبيهم، ثم أدخلها مرة أخرى وهم في ظلمات بطون أمهاتهم، ثم أدخلهما مرة ثالثة وهم في ظلمات بطون الأرض، هكذا جرت سنة الله فسمى ذلك خلقا، الثامن: ما الحكمة فى أخذ الميثاق منهم؟ الجواب: أن الحكمة فى ذلك إقامة الحجة على من لم يوف بذلك. التاسع: هل أعادهم إلى ظهر آدم أحياء، أم استرد أرواحهم ثم أعادهم إليه أمواتا؟ والجواب: أن الظاهر أنه لما درهم إلى ظهره، قبض أرواحهم، قياسا على ما يفعله بهم إذا ردهم إذا ردهم إلى الأرض بعد الموت، فإنه يقبض أرواحهم ويعيدهم فيها. العاشر: أين رجعت الأرواح بعد رد الذرات الى ظهره؟ والجواب، أن هذه المسألة غامضة، لا يتطرق إليها العقلي عندي بأكثر من أن يقال: رجعت لما كانت عليه قبل حلولها في الذرات، فمن رأى فى ذلك شيئا فليلحقه بهذا الموضوع. الحادي عشر: قوله ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم﴾[2]، والناس يقولون: إن الذرية أخذت من ظهر آدم؟ والجواب: أنه تعالى من ظهر آدم بنيه لصلبه ثم أخرج بني بنيه من ظهور بنيه، فاستغنى عن ذكر إخراج بني آدم من آدم بقوله من بني آدم، إذ من المعلوم أن بني بنيه لا يخرجون إلا من نبيه، ومثال ذلك، من أودع فى صدفة، ثم أودع الصدفة فى خرقة ثم أود الخرفة مع الجوهرة فى حقة، ثم أودع الحقة في درج، ثم أود الدرج فى صندوق، فأخرج منه تلك الأشياء بعضها من بعض، ثم أخرج الجميع من الصندوق، فهذا لا تناقض فيه. الثاني عشر: في أي مكان أودع كتاب العهد والميثاق؟ والجواب: قد جاء فى الحديث، أنه مودع فى باطن الحجر الأسود، وأن للحجر الأسود عينين وفما ولسانا، فإن قال قائل: هذا غير متصور فى العقل، فالجواب: أن كل ما عسر على العقل تصوره يكفينا فيه الإيمان به، ورد معناه إلى الله تعالى مخلصا.

---

(١) سورة يس، الآية:٤١.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

قوله: ﴿واتل عليهم﴾ عطف على ﴿واسألهم﴾ عطف قصة على قصة. قوله: ﴿آيتنا﴾ أي وهي علوم الكتب القديمة، ومعرفة الاسم الأعظم، فكان يدعو به حيث شآء فيحصل بعينه، وكان يرى العرش وهو جالس مكانه، وكان فى مجلسه اثنا عشر ألف محبرة للمتعلمين الذين يكتبون عنه، وحاصل قصته على ما ذكره ابن عباس وغيره، أن موسى عليه السلام، لما قصد قتال الجبارين، ونزل أرض الكنعانيين من أرض الشام، أتى بعلم إليه وكان عنده الاسم الأعظم، فقالوا: إن موسى رجل حديد ومعه جند كثير، وإنه جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويخليها لبني إسرائيل، وأنت رجل مجاب الدعوة، فاخرج فادع الله أن يردهم عنا، فقال: ويلكم نبي الله ومعه الملائكة والمؤمنون، فكيف أدعو عليهم وأنا أعلم من الله مالا تعلمون، وإني إن فعلت ذهبت دنياي وآخرتي، فراجعوه وألحوا عليه، فقال: حتى أؤامر ربي، وكان لا يدعو حتى ينظر ما يؤمر به فى المنام، فآمر به فى الدعاء عليهم، فقيل له فى المنام: لا تدع عليهم، فقال لقومه: إنى قد آمرت ربي، وإني نهيت أن أدعو عليهم، فأهدوا إليه هدية فقبلها، وراجعوه فقال: حتى أؤامر ربي، فآمر فلم يؤمر بشئ، فقال: قد آمرت ربي فلم يأمرني بشئ، فقالوا له: ولو كره ربك أن تدعو لنهاك كما نهاك فى المرة الأولى، فلم يزالوا يتضرعون إليه حتى فتنوه فافتتن، فركب أتانا له متوجها إلى جبل يطلعه على عسكر بني إسرائيل يقال له حسبان، فلما سار على أتانه غير بعيد ربضت، فنزل عنها وضربها، فقامت فركبها، فلم تسر به كثيرا حتى ربضت فضربها، وهكذا مرارا، فأذن الله تعالى لها فى الكلام فأنطلقها له، فكلمته حجة عليه فقالت: ويحك يا بعلم أين تذهب؟ أما ترى الملائكة أمامي تردني عن وجهي، ويحك تذهب إلى نبي الله والمؤمنين فتدعوا عليهم، فلم ينزجر، فخلى الله سبيل الأتان، فانطقلت حتى أشرف على جبل حسبان، فجعل يدعو عليهم، فلم يدع بشرع إلى صرف به لسان إلى قومه، ولا يدعو بخير لقومه إلا صرف الله به لسان إلى بني إسرائيل، فقال له قومه، يا بعلم أتدري ما تصنع؟ إنما تدعو لهم وتدعو علينا، فقال: هذا مالا أملكه، هذا شئ قد غلب عليه، فاندلع لسانه وفوقع على صدره، فقال لهم: الآن قد ذهب مني الدنيا والآخرة، ولم يبق إلا المكر والخديعة، فسأمركم لكم واحتال، احملوا النساء وزينوهن وأعطوهن السلع، ثم أرسلوهن إلى عسكر بني إسرائيل يبعنها فيه، ومروهن أن لا تمنع إمرأة نفسها من رجل روادها، فإنه إن زنى رجل بواحدة كفيتموهم، ففعلوا، فلما دخل النساء العسكر، مرت إمرأة من الكنعانيين على رجل من عظماء بني إسرائيل، وكان رأس سبط شمعون بن

يعقوب، فقام إلى المرأة وأخذ بيدها حين أعجبه جمالها، ثم أقبل بها حتى وقف على موسى وقال: إني أظنك أن تقول هذه حرام عليك، قال: أجل هي حرام عليك لا تقربها، قال: فوالله لا نعطيك، ثم دخل بها قبته فوقع عليها فأرسل الله عليهم الطاعون فى الوقت فهلك منهم سبعون ألفا فى ساعة من النهار.[1]

قوله: [من علماء بني إسرائيل] أي بل قيل بنبوته والحق خلافه، لأن الأنبياء معصومون من كل ما يغضب الله تعالى. قولهك [وأهدي إليه شئ] أي في نظير الدعاء عليهم، وتسمى تلك الهدية رشوة وهي محرمة فى شرعنا، والذي ألجأه المنصب. قوله: [واندلع لسانه] أي تدلى. قوله: [فأتبعه الشيطان] هذا مبالغة في ذمه، حيث كان عالما عظيما، ثم صار من أتباعه.

قوله: ﴿ولو شئنا لرفعناه﴾ مفعول المشيئة محذوف تقديره رفعته. قوله: ﴿بها﴾ أي بسبب تلك الآيات. قوله: ﴿ولكنه أخلد﴾ أي مال واطمأن. قوله: ﴿كمثل الكلب﴾ أي الذي هو أخس الحيوانات. قوله: ﴿إن تحمل عليه﴾ أي تشدد عليه وتجهده يلهث أي يخرج لسانه. قوله: ﴿أو تتركه﴾ أي من غير تشدد عليه. قوله: [وليس غيره من الحيوانات كذلك] أي بل غيره يلهث في حال التعب فقط. قوله: [ما بعدها] أي وهو الإنسلاخ، قوله: [من الميل الخ] بيان لما قبلها. قوله: ﴿ذلك مثل

---

(١) انظر: البغوي، في تفسيره، مصدر سابق، ج٣ ص٢٥٨، والرازي، في تفسيره، مصدر سابق، والخازن، في تفسيره، مصدر سابق، ج٣ ص١٢٦، وغرائب الفرآن، مصدر سابق، ج٩ ص٨٣، والتفسير المنير، ج١ ص٣٠٥.

قلت: الظاهر المعروف الذي دل عليه القرآن أن عقاب الله عز وجل لليهود بالوقوع في التيه كان بسبب عصيانهم موسى عليه السلام في أمرهم له للدخول في الأرض المقدسة كما في قول الباري جل وعلا: ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ۞ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ۞ قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ۞ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ۞﴾ [سورة المائدة، الآية: ٢١-٢٦]. ولذا تجد أن السدي أمال إلى أن هذه القصة وقعت بعد وفاة موسى عليه السلام، وبنو إسرائيل مع يوشع بن نون عليه السلام، (تنظر القصة في تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج٣ ص٥٠٩) وكلا القصتين من الإسرائيليات، ولم يأت بها خبر صحيح وكونها مخالفة لما حكاه القرآن في شأن التيه. انظر في الرد على قصة بلغم تفسير الخازن، ج٢ ص٢٥٧، والثعالبي، ج٢ ص٧٧، وتفسير المنار، ج٢ ص٢٥٧.

القوم﴾ أي اليهود الذين أوتوا التوراة، وفيها صفات النبي -ﷺ- وأخلاقه وشمائله فغيروا وبدلوا. قوله: ﴿فاقصص القصص﴾ أي الذي أوحي إليك، ليعلموا أنك علمته من الوحي فيؤمنون. قوله: [على اليهود] لا مفهوم له، بل المراد اقصص القصص على أمتك ليتعظوا بذلك.

قوله: ﴿ساء مثلا القوم﴾ ساء فعل ماض لإنشاء الذم، و﴿مثلا﴾ تمييز ﴿القوم﴾ فاعل على حذف مضاف تقديره مثل القوم، والمخصوص بالذم محذوف تقديره مثهم.

قوله: ﴿من يهد الله﴾ هذا رجوع للحقيقة وتسلية له -ﷺ-. قوله: ﴿فهو المهتدي﴾ بإثبات الياء وصلا، ووقفا باتفاق القراء هنا.

قوله: ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا﴾ أي بحكم القبضة اللإلهية حين قبض قبضة، وقال: هذه للجنة ولا أبالي، وقبض قبضة وقال: هذه للنار ولا أبالي، وقوله: ﴿كثيرا﴾ يؤخذ منه أن أهل النار أكثر من أهل الجنة، وهو كذلك، لما تقدم من أن من كل ألف واحدا للجنة، والباقي للنار. قوله: ﴿الحق﴾ قدره هو، ونظيره في: ﴿يبصرون﴾ و ﴿يسمعون﴾ إشارة إلى أن مفعول كل محذوف. قوله: ﴿بل هم أضل﴾ إضراب انتقالي، ونكتة الإضراب أن الأنعام لا تدري العواقب، والعقلاء تعرفها، فقدومهم على المضار مع عملهم بعواقبها، أضل من قدوم الأنعام على مضارها. قوله: ﴿أولئك هم الغافلون﴾ أي قلبا وسمعا وبصرا، وهذه علاقة أهل النار المخلدين فيها.

قوله: ﴿ولله الأسماء الحسنى﴾ ذكرت فى أربعة مواضع من القرآن: هنا، وفي آخر الإسراء[1] وفى أول طه،[2] وفى آخر الحشر،[3] قوله: [الوارد بها الحديث] أي وقد ورد بطرق مختلفة منها قوله -ﷺ- "إن لله تسعة وتسعين اسما، مائة غير واحد، إنه وتر يحب الوتر وما من عبد يدعو بها إلا وجبت له

---

(١) وهي قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيّاً مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً﴾ [سورة الإسراء، الآية:١١٠].

(٢) وهي قوله تعالى ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى﴾ [سورة طه، الآية:٨].

(٣) وهي قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة الحشر، الآية:٢٤].

الجنة"[1] ومنها "إن لله تسعة وتسعين اسما، من أحصاها دخل الجنة"[2] ومنها "إن لله عز وجل تسعة وتسعين اسما، مائة غير واحد، إن الله وتر يحب الوتر، من حفظها دخل الجنة"[3]، ومنها "إن لله مائة اسم غير اسم، من دعا بها استجاب الله له"[4] وكلها مذكورة فى الجامع الصغير عن علي وعن أبي هريرة، والأسماء جمع اسم، وهو اللفظ الدال على المسمى، إما على الذات فقط، أو على الذات والصفات، والأخبار بأنها تسع وتسعون ليس حصرا، وإنما ذلك إخبار عن دخول الجنة بإحصائها أو استجابة الدعاء بها، وإلا فأسماء الله كثيرة، قال بعضهم: إن لله ألف اسم، وقال بعضهم: إن أسماءه على عدد أنبيائه، فكل نبي يستمد من اسم، ونبينا يستمد من الجميع. قوله: ﴿والحسنى مؤنث الأحسن﴾ أي ككبرى وصغرى، مؤنث الأكبر والأصغر، وإنما كانت حسنى، لأن الدال يشرف بشرف مدلوله. قوله: [سموه] ﴿بها﴾ أي وقت دعائكم وندائكم وأذكاركم. قوله: ﴿وذروا﴾ أمر للمكلفين. قوله: [من ألحد ولحد] أي رباعيا وثلاثيا، وهما قراءتان سبعيتان.[5] قوله: [يميلون عن الحق] تفسير لكل من القراءتين، ومنه لحد الميت لأنه يمال بحفره إلى جنب القبر، بخلاف الضريح، فإنه الحفر فى الوسط. قوله: [حيث اشتقوا] أي اقتطعوا، وهذا الإلحاد كفر، ويطلق الإلحاد على التسمية بها لم يرد، وهو بهذا المعنى حرام، لأن اسماءه توقيفية، فيجوز أن يقال يا جواد، ولا يجوز أن يقال يا سخي، ويقال يا عالم دون عاقل، وحكيم دون طبيب، وهكذا. قوله: [جزاء] ﴿ما كانوا يعملون﴾ أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، وقدر ليصح الكلام، إذ لا معنى لكونهم يجزون الذي كانوا يعملون من الإلحاد، بل المراد جزاؤه. قوله: [وهذا قبل الأمر بالقتال] اسم الإشارة راجع لقوله: ﴿وذروا الذين يلحدون فى أسمائه﴾ فهذه الآية منسوخة بآية القتال.

---

(١) متفق عليه، واللفظ لمسلم، انظر صحيح البخاري، كتاب الشروط باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار والشروط التي يتعارفها الناس بينهم وإذا قال مائة إلا واحدة أو ثنتين، ج٢ ص٩٨١ برقم ٢٥٨٥، وصحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَفَضْلِ مَنْ أَحْصَاهَا، ج٨ ص٦٣ برقم ٦٩٨٦.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب مَا جَاءَ فِي عَقْدِ التَّسْبِيحِ بِالْيَدِ، ج٥ ص٥٣٢ برقم ٣٥٠٨.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ج٢٢ ص٢٨٧ برقم ١٠٧٥٦.

(٤) ذكره السيوطي في

(٥) قرأ حمزة ﴿يلحدون﴾ بفتح الياء والحاء والباقون بضم الياء وكسر الحاء. انظر: أبا عمرو الداني، مصدر سابق، ص٨٣.

قوله: ﴿وممن خلقنا﴾ الجار والمجرور خبر مقدم، و﴿أمة﴾ مبتدأ مؤخر. قوله: ﴿بالحق﴾ الباء للملابسة أي يهدون الناس ويرشدونهم ملتبسين بالحق. قوله: ﴿وبه يعدلون﴾ أي بالحق يجعلون الأمور متعادلة مستوية لا إفراط فيها ولا تفريط. قوله: [كما فى الحديث] أي وهو قوله -ﷺ- "لا تزال طائفة من أمتي على الحق إلى أن يأتي أمر الله"(١) وعن معاوية قال وهو يخطب: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول "لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك"(٢) وهذه الطائفة لا تختص بزمان دون زمان، ولا مكان دون مكان، بل هم فى كل مكان وفى كل زمان، فالإسلام دائما يعلو ولا يعلى عليه، وإن كثر الفساق وأهل الشر، فلا عبرة بهم، ولا صولة لهم، وفى هذا بشارة لهذه الأمة المحمدية، بأن الإسلام فى علو وشرف، وأهله كذلك إلى قرب يوم القيامة، حتى تموت حملة القرآن والعلماء، وينزع القرآن من المصاحف، وتأتي الريح اللينة فيموت كل من كان فيه مثقال ذرة من الإيمان ولا يكون هذا الأمر، إلا بعد وفاة عيسى عليه السلام.

قوله: ﴿والذين كذبوا بآيتنا﴾ مبتدأ خبره الجملة الإستقيالية بعده. قوله: ﴿سنستدرجهم﴾ الإستدراج هو الإستصعاد درجة فدرجة، أو الإستنزال درجة بعد درجة. قوله: ﴿نأخذهم قليلا قليلا﴾ أي نمدهم بالعطايا شيئا فشيئا، وهم مقيمون على المعاصي، حتى ينتهي بهم الأمر إلى الهلاك، فهم يظنون أنهم فى نعم، وهم في نقم، ولذا قيل: إذا رأيت الله أنعم على عبده وهو مقيم على معصيته، فاعلم أنه مستدرج له.

قوله: ﴿إن كيدي متين﴾ الكيد في الأصل المكر والخديعة، وذلك مستحيل على الله، بل المراد الإستدراج وكان شديدا، لأن ظاهره إحسان وباطنه خذلان.

قوله: ﴿أولم يتفكروا﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير أعموا ولم يتفكروا قوله: ﴿ما بصاحبكم من جنة﴾ سبب نزولها ما روي أنه -ﷺ- صعد على الصفا

---

(١) متفق عليه، انظر صحيح البخاري، كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي - ﷺ -: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق" . وهم أهل العلم، ج٦ ص ٢٦٦٦، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قَوْلِهِ - ﷺ - "لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِى ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ" ج٦ ص٥٢ برقم ٥٠٥٩.

(٢) أخرجه مسلم، انظر صحيح مسلم، مقدمة الصحيح، باب قَوْلِهِ -ﷺ- "لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِى ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ"، ج٦ ص٥٣ برقم ٥٠٦٤.

فدعاهم فخذا فخذا، يابني فلان، يحذرهم بأس الله، فقال بعضهم: إن صاحبكم لمجنون بات يهوت إلى الصباح، ومعنى يهوت يصوت، وإنما نسبوه إلى الجنون لمخالفته لهم فى الأموال والأفعال، فإنه كان موحدا مقبلا على الله بكليته، معرضا عن الدنيا وشهواتها، وهم ليسوا كذلك.

قوله: [ملك السموات والأرض] إنما فسر الملكوت بالملك، لأن الملكوت ما غاب عنا، كالملائكة والعرش والكرسي، والمأمور بالنظر فيه عالم الملك وهو ما ظهر لنا. قوله: [وما خلق الله] قدر فسر في إشارة إلى أنه معطوف على ﴿ملكوت السموات والأرض﴾. قوله: ﴿وأن عسى﴾ قدر المفسر في إشارة إلى أن الجملة في محل جر عطفا على ما قبلها، و ﴿أن﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، وجملة ﴿عسى أن يكون قد اقترب أجلهم﴾ خبرها. قوله: ﴿فبأي حديث﴾ الخ متعلق بيؤمنون، وهو استفهام تعجبي، والمعنى إذا لم يؤمنوا بهذا القرآن الذي هم أعظم المعجزات، فبأي آية ومعجزة يؤمنون بها.

قوله: ﴿من يضلل الله﴾ تذبيل لما قبله، خارج مخرج المثل. قوله: [بالياء والنون] أي مع الرفع، وبالياء لا غير مع الجزم، فالقراءات ثلاث وكلها سبعية، فعلى النون يكون التفاتا من الغيبة للتكلم لأن الاسم الظاهر من قبيل الغيبة. قوله: [على محل ما بعد ألفاء] أي وهو الجزم، لأن جملة ﴿فلا هادي له﴾ جواب الشرط في محل جزم.

قوله: ﴿يسئلونك﴾ الضمير عائد على أهل مكة كما قال المفسر، لأن السورة مكية إلا ما تقدم من الثمان آيات، وهذا استثناف مسوق لبيان تعنتهم فى كفرهم، لأنه -ﷺ- كان يخوفهم من الساعة وأهوالها. قوله: [القيامة] سميت ساعة إما لسرعة مجيئها، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾[1]، أو لسرعة حسابها، لأن الخلق جميع يحاسبون في قدر نصف يوم من نهار، أو لأنها ساعة عند الله لخفتها، وإن كانت فى نفسها طويلة، لأن الأزمان عنده مستوية، ولها أسماء كثيرة، منها القيامة لقيام الناس لرب العالمين فيها. والقارعة[2] لأنها تقرع القلوب بأحوالها، والحاقة[3] لأنها ثابتة، والخافضة

---

(١) سورة النحل، الآية:٧٧.

(٢) وهو المذكور في قول الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ [سورة الحاقة، الآية:٤].

(٣) وهو المذكور في قول الله تعالى :﴿الْحَاقَّةُ﴾ [سورة الحاقة، الآية:١].

والرافعة[1] لأنها تخفض أقواما وترفع آخرين، والطامة[2] لأنه لا يمكن ردها، والصامة[3] لأنها تصم الآذان، والزلزلة[4] الأرض والقلوب، ويوم الفرقة لتفرقهم في الجنة والنار،[5] واليوم الموعود[6] لأن الله وعد فيه أقواما بالجنة، وأوعد أقواما بالنار، ويوم العرض[7] الناس على ربهم، ويوم المفر لقول الإنسان الكافر يومئذ أين المفر، واليوم العسير[8] لشدة الحساب فيه، وزحمة الناس بعضهم على بعض، حتى يكون على القدم ألف قدم، وفي رواية سبعون ألف قدم على قدم، وتدنو الشمس من الرؤوس حتى يكون بينها وبين الرؤوس قدر المرود، إلى غير ذلك من أسمائها. قوله: ﴿أيان مرساها﴾ فى الكلام استعمارة بالكناية، حيث شبه الساعة بسفينة فى البحر، وطوى ذكر المشبه، ورمز له بشئ من لوازمه وهو الإساء فذكره تخييل، وهذه الجملة من المبتدأ والخبر، بدل من الجار والمجرور قبله، والمعنى يسألونك عن وقت مجئ الساعة وهو في محل نصب، لأن الجار والمجرور فى محل نصب مفعول ليسألونك. قوله: [متى تكون] أشار بذلك إلى أن الكلام فيه حذف مضاف، والتقدير إنما علم وقتها عند الله. قوله: [على أهلهما] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، و﴿في﴾ بمعنى على، ويصح أن تبقي الآية على ظاهرها لأنه يطيقها شئ من السماوات لطيها ولا الأرض لتبدلها، فهي شاقة مفزعة لكل ما سوى الله. قوله: ﴿لا تأتيكم إلا بغتة﴾ أي على حين غفلة والحكمة فى إخفائها ليتأهب لها كل أحد، كما أخفيت ساعة الإجابة يوم الجمعة ليعتنى باليوم كله، وليلة القدر فى سائر الليالي، ليعتنى بجميع الليالي، والرجل الصالح فى جميع الخلق ليعتقد الجميع، والصلاة والوسطى في جميع الصلوات للمحافظة على الجميع. قوله: ﴿كأنك خفي عنها﴾ عن بمعنى الباء، والمعنى كأنك عالم بها ومتيقن لها. قوله: [تأكيد] اي لما قبله لبيان

---

(١) وهو المذكور في قول الله تعالى :﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ [سورة الواقعة، الآية:٣].

(٢) وهو المذكور في قول الله تعالى :﴿فَإِذَا جَاءتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ [سورة النازعات، الآية:٣٤].

(٣) ولم أقف على نص ينص عليه.

(٤) وهو المذكور في قول الله تعالى :﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [سورة الزلزلة، الآية:١].

(٥) وهو المذكور في قول الله تعالى :﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ [سورة الروم، الآية:١٤].

(٦) وهو المذكور في قول الله تعالى :﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ [سورة البروج، الآية:٢].

(٧) وهو المذكور في قول الله تعالى :﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [سورة الحاقة، الآية:١٨].

(٨) وهو المذكور في قول الله تعالى :﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْماً عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيراً﴾ [سورة الفرقان، الآية:٢٦].

أنها من الأمر المكتوم الذي استأثر الله بعلمه، فلم يطلع عليه أحد إلا من ارتضاه من الرسل، والذي يجب الإيمان به، أن رسول الله لم ينتقل من الدنيا حتى أعلمه الله بجميع المغيبات التى تحصل في الدنيا والآخرة، فهو يعلمها كما هي عين يقين، لما ورد "رفعت لي الدنيا فأنا أنظر فيها كما أنظر إلى كفي هذه"[١] وورد أنه اطلع على الجنة وما فيها، والنار وما فيها، وغير ذلك مما تواترت به الأخبار، ولكن أمر بكتمان البعض.[٢]

قوله: ﴿لنفسي﴾ معمول لا أملك. قوله: ﴿إلا ما شاء الله﴾ أي تمليكه لي فأنا أملكه. قوله: ﴿ولو كنت أعلم الغيب﴾ الخ إن قلت: إن هذا يشكل مع ما تقدم لنا، أنه اطلع على جميع مغيبات الدنيا والآخرة، والجواب: أنه قال ذلك تواضعا أو أن اعلمه بالغيب كلا، علم من حيث إنه لا قدرة له على تغيير ما قدر الله وقوعه، فيكون المعنى حينئذ، لو كان لي علم حقيقي بأن أقدر على ما أريد وقوعه لا ستكثرت الخ، إن قلت: إن دعاءه مستجاب لا يرد. أجيب: بأنه لا يشاء إلا ما يشاؤه الله، فلو اتطلع على أن هذا الشئ مثلا لا يكون كذا لا يوفق للدعاء له، إذ لا يشفع ولا يدعو إلا بما فيه إذن من الله، واطلاع منه على أنه يحصل ما دعا به، وهو سر قوله تعالى: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾،[٣] وفي ذلك المعنى قال العارف:

وخصك بالهدى في كل أمر ۞۞ فلست تشاء إلا ما يشاء[٤]

---

(١) ضعيف الإسناد، ذكره البرهان فوري، علي بن حسام الدين المتقي الهندي، **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، ط٥، (المدينة المنورة: مؤسسة الرسالة ١٤٠١هـ/١٩٨١م) بتحقيق: بكري حياني وصفوة السقا، ج١١ ص٣٧٨ برقم ٣١٨٠٨.

(٢) قلت: هذا فيه غموض ، كيف يؤمر بالكتمان ببعض الأشياء في الدين وقد أمر بتبليغ ما أنزل إليه، كما قال تعالى: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل، الآية:٤٤]، سلك المؤلف مسلك طريقتهم، إذ يحتالون بهذا المسلك ليثبتوا أنه -ﷺ- جاز له كتمان بعض الأشياء لبعض الأولياء وتأخير بيانه حتى ينتقل إلى رحمة الله، كما قالوا في حق بعض مشايخهم بأن النبي كتم شيئا تلقاه من جبريل عليه السلام ولم يبين حتى مات، و رأى الشيخ بعد وفاته - ﷺ - النبي يقظة لا مناما أخبره به، وهذا فيه فساد كبير.

(٣) سورة البقرة، الآية:٢٥٥.

(٤) ولم أقف على المنقول منه.

وللخواص من أمته حظ من هذا المقام، ولذا قال العارف أبو الحسن الشاذلي،[1] إذا أراد الله أمرا، أمسك ألسنة أوليائه عن الدعاء سترا عليهم، لئلا يدعوا فلا يستجاب لهم فيفتضحوا. قوله: ﴿للكافرين﴾ أشار بذلك إلى أن في الآية اكتفاء. قوله: ﴿لقوم يؤمنون﴾خصوا بذلك لأنهم المنتفعون ذلك.

قوله: ﴿هو الذي خلقكم﴾ الخطاب لأهل مكة المعارضين المعاندين. قوله: ﴿من نفس واحدة﴾ أي لا المالك المتصرف، وهذا أعظم دليل على انفراده بالوحدانية. قوله: [أي آدم] أي وهو مخلوق من الماء والطين، والماء والطين موجودان من عدم، فآل الأمر إلى أن آدم وأولاده موجودان من عدم. قوله: ﴿وجعل منها زوجها﴾ أي من الضلع الأيسر، فنبتت منه كما تنبت النخلة من النواة. قوله: [حواء] تقدم أنها سميت حواء لأنها خلقت من حي وهو آدم. قوله: ﴿ليسكن إليها﴾ هذا هو حكمة كون حواء من الآدم، فالحكمة فى كونها منه، كونه يسكن إليها ويألفها لأنها جزء منه. قوله: [ويألفها] عطف تفسير. قوله: ﴿فلما تغشاها﴾ التغشي كناية عن الجماع، وعبر به تعليما لعباده الآدب. قوله: [هو النطفة] إن قلت: إن الجنة لا حمل فيها ولا ولادة. أجيب بأن ذلك هبوطهما إلى الأرض، وأما جماعه لها في الجنة فبغير نطفة ولا حمل ولا ولادة. قوله: ﴿فمرت به﴾ أي ترددت بذلك الحمل لعدم المشقة الحاصلة منه. قوله: ﴿فلما أثقلت﴾ أي صارت ذات ثقل أو دخلت في الثقل، كأصبح إذا دخل في الصباح. قوله: [وأشفقا] أي خافا، ورد أنه لما جاءها إبليس وقال لها: ما هذا الذي في بطنك؟ فقالت: لا أدري، فقال لها يحتمل أن يكون كلبا أو حمارا أو غير ذلك، ويحتمل أن يخرج من عينك أو فمك أو تشق بطنك لإخراجه فخوفها بهذا كله، فعرضت الأمر على آدم، فدعوا ربهما إلى آخر الدعاء المذكور.[2] قوله: ﴿لئن﴾ اللام موطئة لقسم محذوف تقديره والله. قوله: [ولذا قدره] إشارة إلى أن صالحا

---

(١) الشاذلي أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار المغربي، الزاهد، شيخ الطائفة الشاذلية، سكن الإسكندرية وله عبارات في التصوف ،ولد ٥٧١هـ بقبيلة الأخماس الغمارية ، تفقه وتصوف في تونس ، وسكن مدينة (شاذلة) ونسب إليها ، وتوفي الشاذلي بصحراء عيذاب متوجهًا إلى بيت الله الحرام في أوائل ذي القعدة ٦٥٦. انظر الزركلى، الأعلام، مصدر سابق، ج٣ ص١٥١.

(٢) انظر: الخازن في تفسيره، مصدر سابق، ج٣ ص١٤٣.

صفة لموصوف محذوف ثان: لآتيتنا، لأنه بمعنى أعطيتنا. قوله: ﴿لنكونن من الشاكرين﴾ أي نزيد في الشكر، لأن الشكر يزيد ويعظم بزيادة النعم.

قوله: ﴿شركاء﴾ جمع شريك، والمراد بالجمع المفرد، بدليل القراءة الثانية، قوله: [أي شريكا] تفسير لكل من القراءتين. قوله: [بتسميته عبد الحارث] أي والحارث كان اسما لإبليس، فقصد اللعين بذلك انتسابه له وأنه عبده. قوله: [وليس بإشراك فى العبودية] المناسب أو يقول فى العبادة أو في المعبودية، وإنما هو إشراك فى التسمية، وهو ليس بكفر بل تعمده حرام، لعدم تعظيمه شرعا، وأما النسبة للمعظم شرعا، كعبد النبي، وعبد الرسول، فقيل بالكراهة والحاصل أن النسبة للمعظم شرعا لا حرمة فيها. ولغيره حرام إن لم يعتقد المعبودية، وإلا كان كفرا فى الجميع. قوله: [وروي سمرة] الحكمة فى ذكر هذه الرواية، أن هذا المقام زلت فيه إقدام العلماء، فمنهم من أصاب، ومنهم من أخطأ، فذكر هذه الرواية ليتضح المقام ويظهر الغث من السمين. قوله: [كان لا يعيش لها ولد] وذلك أنها ولدت قبل ذلك، عبد الله وعبيد الرحمن فأصابهم الموت، وكان يلح عليها كل مرة، فألح عليها كل مرة، فألح عليها فى الأخير، فسمته عبد الحارث كما أفادته رواية المفسر.[1] قوله: [والجملة] أي قوله: ﴿فتعلى الله عما يشركون﴾. قوله: [مسببة] عطف على قوله: ﴿خلقكم﴾ أي وليس لها تعلق بقصة آدم وحواء أصلا، ويؤيد ذلك الجمع بعد التثنية، ولو كان راجعا لها لثنى الضمير وقال: يشركان. وفي قوله ﴿يشركون﴾ التفات من الخطاب ألى الغيبة.

قوله: ﴿أيشركون﴾ شروع فى توبيخ أهل مكة على الإشراك. قوله: ﴿وإن تدعوهم﴾ هذا بيان لعجز الأصنام عما هو أدنى من النصر المنفي عنها، والخطاب للمشركين الالتفات اعتناء بمزيد التوبيخ.

---

(١) رواه الحاكم في مستدركه، من حديث عبد الصمد مرفوعًا ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، [ينظر: المستدرك للحاكم، باب ذكر آدم، ج٢ ص٥٩٤ برقم٤٠٠٣]، وأخرجه الترمذي في سننه، حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثنا عمر بن إبراهيم عن قتادة عن الحسن عن سمرة : عن النبي – ﷺ – قال: "لما حملت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث فسمته عبد الحارث فعاش ذلك وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره" قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه مرفوعا إلا من حديث عمر بن إبراهيم عن قتادة، ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه عمر بن إبراهيم شيخ بصري. وقال الشيخ الألباني: ضعيف. انظر سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة الأعراف، ج٥ ص٢٦٨ برقم٣٠٧٧.

قوله: ﴿إلى الهدى﴾ أي لكم، أي إن تدعوهم إلى أن يهدوكم لا يتبعوكم إلى مرادكم، ولا يجيبوكم الله. قوله: [بالتخفيف والتشديد] أي فهما قراءتان سبعيتان.[١]

قوله: ﴿سواء عليكم﴾ استئناف مقرر لمضمون ما قبله، أي سواء عليكم فى عدم الإفادة دعاؤكم لهم وسكوتكم عنه، فإنه لا يتغير حالكم في الحالين كما لا يتغير حالهم عن حكم الجمادية. قوله: [مملوكة] دفع بذلك ما يقال إن الأصنام جمادات لا تعقل، فكيف توصف بأنها مثلكم؟ وأجيب: بأن المراد بكونهم أمثالكم، أنهم مملوكون مقهورون، لا يملكون ضرا ولا نفعا، فالتشبيه من هذه الحقيقة لا من كل وجه. قوله: [وفضل عابديهم] إما بتشديد الضاد عطف على [بين] وبسكون الضاد عطف على [غاية] ومعنى فضلهم زيادتهم عليهم بهذه المنافع المذكورة.

قوله: ﴿أم لهم﴾ أشار المفسر إلى أن ﴿أم﴾ منقطعة تفسر ببل والهمزة، والإضراب انتقالي من توبيخ لتوبيخ آخر. قوله: ﴿يبطشون﴾ من باب ضرب، وبها قرأ السبعة، وقرئ شذوذا من باب قتل، والبطش هو الاخض بعنف. قوله: [استفهام إنكاري] أي في المواضع الأربعة، أي ليس لهم شئ من المنافع المذكورة. قوله: ﴿قل ادعوا شركاءكم﴾ أي واستعينوا بهم فى عداوتي. قوله: ﴿كيدون﴾ قرئ بإثبات الياء وصلا، وحذفها وقفا، وبإثباتها فى الحالين، وبحذفها في الحالين، وكلها سبعية، وفي القرآن ﴿كيدون﴾ فى ثلاثة مواضع، هنا وفي هود[٢] بإثبات عند السبع في الحالين، وفى المرسلات[٣] بحذفها عند السبع في الحالين.

قوله: ﴿إن وَلِيِّيَ﴾ العامة على تشديد الولي مضافا لياء المتكلم المفتوحة، وفي بعض الطرق بياء واحدة مشددة مفتوحة.

قوله: ﴿والذين تدعون من دونه﴾ من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم.

---

(١) قرأ نافع وحده ﴿لا يتْبَعوكم﴾ بسكون التاء وفتح الباء، وقرأ الباقون ﴿لا يتَّبِعوكم﴾ بتشديد التاء المفتوحة وكسر الباء والمعنى واحد. انظر: أبا عمرو الداني، التيسير في القراءات السبع، مصدر سابق، ص٨٣.

(٢) وهي قوله تعالى: ﴿مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ﴾ [سورة هود، الآية:٥٥].

(٣) وهي قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾ [سورة المرسلات، الآية:٣٩].

قوله: ﴿إن تدعوهم﴾ أي أيها المشركون، أي تدعوا أصنامكم إلى أن يهدوكم لا يسمعوا دعاءكم، فضلا عن المساعدة والإمداد، وهذا أبلغ من نفي الإتباع، وقوله: ﴿وتراهم ينظرون﴾ الخ، بيان لعجزهم عن الإبصار بعد بيان عجزهم عن السمع، وبه يتم التعليل ورأي بصرية.

قوله: ﴿خذ العفو﴾ هذا أمر من الله لنبيه -ﷺ- بمكارم الأخلاق، وحسن معاملة الكفار إثر بيان زجرهم وإفحامهم بالخطاب، ورد[1] لما نزلت هذه الاية، سأل النبي -ﷺ- جبريل على معناها، فقال حتى أسأل ربي، فذهب ثم رجع فقال: يامحمد، ربك يأمرك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك. قال جعفر الصادق: ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية. قوله: [أي اليسر من أخلاق الناس] أي ما سهل منها. قوله: [ولا تبحث عنها] أي لا تفتش عن الأخلاق بل أقبل ما ظهر، ودع ما بطن لله. قوله: ﴿وامر بالعرف﴾ أي ما عرف جنسه في الشرع. قوله: ﴿وأعرض عن الجاهلين﴾ إن كان المراد بالجاهلين الكفار، وبالإعراض عدم مقاتلتهم، فالآية منسوخة بآية القتال، وإن كان المراد بالجاهلين، ضعفاء الإسلام وأجلاف العرب، وبالإعراض عدم تعنيفهم والإغلاظ عليهم، فالآية محكمة، وكلام المفسر يشهد للثاني، ومن معنى ذلك قوله: تعالى: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾،[2] وهو الذي لا عتاب بعده، وفي هذه الآية تعليم مكارم الأخلاق للعباد، فليس هذا الأمر من خصوصياته صلى الله عليه وسلم.

قوله: ﴿وإما ينزغنك﴾ سبب نزولها أنه -ﷺ- لما أمر بأخذ العفو، والأمر بالعرف، والإعراض عن الجاهلين، قال: وكيف بالغضب؟ فنزلت هذه الآية.[3] والنزع هو النخس، وهو فى الأصل حث السائق للدابة على السير، والمراد منه الوسوسة، فشبهت الوسوسة بالنزغ بمعنى الحث على السير، واستعير اسم المشبه به للشمبه، واشتق من النزغ ينزغنك بمعنى يوسوس لك، والخطاب للنبي والمراد غيره، لأن الشيطان لا تسلط له عليه. قوله: ﴿فاستعذ بالله﴾ أي اطلب الإستعاذة بالله بأن تقول: أعوذ بالله من

---

(١) انظر: الطبري في تفسيره، مصدر سابق، ج١٣ ص٣٣٠.

(٢) سورة الحجر، الآية:٨٥.

(٣) انظر: اتلطبري في تفسيره، مصدر سابق، ج١٣ ص٣٣٣.

الشيطان الرجيم. قوله: [جواب الشرط] أي وقرن بالفاء لأنه جملة طلبية. قوله: ﴿إنه سميع عليم﴾ أي فيجيبك لما طلبت.

قوله: ﴿إن الذين اتقوا﴾ أي الذين اتصفوا بامتثال الأوامر واجتناب النواهي. قوله [أي شئ ألم بهم] تفسير للقرائين، أي خاطر قليل من الشيطان، فإذا وسوس الشيطان للهم بفعل المعاصي، أو ترك الطاعات، تذكروا عقاب الله وثوابه، فراجعوا لما أمر الله به ونهى به. قوله: [عقاب الله] أي فى متابعة الشيطان، وقوله: [وثوابه] أي في مخالفته.

قوله: ﴿وإخوانهم﴾ مبتدأ، وجملة ﴿يمدونهم﴾ خبر. قوله: [أي إخوان الشياطين من الكفار] أي والفساق، أشار بذلك إلى أن المراد بالإخوان الكفار والفساق، والضمير عائد على الشياطين . قوله: ﴿يمدونهم﴾ الواو عائدة على الشياطين، والهاء عائدة على الكفار والفساق، فقد عاد ضمير الخبر على غير المبتدأ في المعنى. قوله: ﴿ثم هم﴾ أي الإخوان. قوله [لا يقصرون] أي لا يبعدون عن الغي. قوله: [بالتبصر] أي التأمل والتفكر، والمعنى أن الشياطين يمدون الكفار والفساق فى الغي، حتى لا يكفون عنه ولا يتركونه، فجعل الله في هذه الآية للمتقين علامة، ولغيرهم علامة.

قوله: [وإذا لم تأتهم] رجوع لخطاب كفار مكة. قوله: [مما اقترحوا] أي طلبوا. قوله: ﴿لولا اجتبينها﴾ أشار المفسر إلى أن لو أن لولا تخصيصية حيث قال هلا. قوله: [أشأتها] أي اخترعتها واختلفتها. قوله: [وليس لي أن آتي من عند نفسي بشئ] أي لا يمكنني ذلك. قوله: ﴿بصائر﴾ أي سبب فيها، فسمي السبب وهو القرآن باسم المسبب وهو الحجج. قوله: ﴿لقوم يؤمنون﴾ حضوا بذلك لأنهم المنتفعون به.

قوله: ﴿فاستمعوا له﴾ أي للقرآن. قوله: [نزلت فى ترك الكلام فى الخطبة] أي وهو واجب عند مالك الشافعي فى القديم، ومذهب الشافعي فى الجديد، الإنصات سنة، والكلام مكروه. قوله: [وقيل في قراءة القرآن مطلقا] أي فيحرم الكلام فى مجلس القرآن للتخليط على القارئ بل يجب الانصات والاستماع، فإن أمن التخليط فلا حرمة، وما ذكره المفسر قولان من أربع، وثالثها نزلت فى تحريم الكلام فى الصلاة، لأنهم كانوا يتكلمون في الصلاة، ورابعها أنها أنزلت في ترك الجهر بالقراءة خلف الإمام.(١)

---

(١) انظر: الطبري في تفسيره، مصدر سابق، ج١٣ ص٣٤٤-٣٥٣، وابن كثير في تفسيره، مصدر سابق، ج٣ ص٥٣٦-٥٣٨.

قوله: ﴿واذكر ربك في نفسك﴾ أي بأي نوع من أنواع الذكر، كالتسبيح والتهليل والدعاء والقرآن وغير ذلك. قوله: ﴿سرا﴾ أي إن لم يلزم عليه الكسل وإلا جهرا. قوله: ﴿تضرعا وخيفة﴾ مفعولان لأجله أو حالان، أي متضرعين خائفين. قوله: ﴿ودون الجهر﴾ معطوف على قوله: ﴿فى نفسك﴾ قولهك ﴿بالغدو﴾ جمع غدوة، وهي من طلوع الفجر الى طلوع الشمس، قوله: ﴿والأصال﴾ جمع يصيل، وهو من العصر إلى الغروب، وإنما خص هذين الوقتين بالذكر، لأن الإنسان يقوم من النوم عند الغداة، فطلب أن يكون أول صحيفته ذكر الله، وأما وقت الآصال فلأن الإنسان يستقبل النوم وهو أخو الموت، فينبغي له أن يشغله بالذكر، خيفة أن يموت فى نومه فيبعث على ما مات عليه، وقيل إن الأعمال تصعد فى هذين الوقتين، وقيل الكراهة النفل في هذين الوقتين، فطلب بالذكر فيهما لئلا يضيع على الإنسان وقته. قوله: ﴿ولا تكن من الغافلين﴾ خطاب للنبي والمراد غيره.

قوله: ﴿عند ربك﴾ العندية مكانة لا مكان، أو المراد عند العرش ربك، هذا كالدليل لام قبله، أي فإذا كان دوام الذكر دأب من لم يجعل لهم على أعمالهم جنة ولا نار، فلتكونوا كذلك بالأولى. قوله: [ينزهونه] أي يعتقدون تنزيهه. قوله: [أي يخصونه] أخذ هذا الحصر من تقديم المعمول. قوله: [بالخضوع] تفسير للسجود، أي فالمراد بالسجود مطلق العبادة، لا خصوص السجود المعروف، وإنما خص السجود، لأن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد،[1] وهذه أول سجدات القرآن المأمور بها عند التلاوة، والله أعلم.

۞۞۞۞

(١) هذا جزء من الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "إن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء" [انظر: صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب مَا يُقَالُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، ج٢ ص٢٤٩ برقم١١١١].

الفصل الثالث: سورة الأنفال:

بسم الله الرحمن الرحيم(١)

سورة الأنفال(٢)

قوله: [سورة الأنفال] مبتدأ مضاف إليه، و[مدنية] خبر أول و[خمس الخ] خبر ثان، قوله: [أو إلا] أو لحكاية الخلاف، فإنه اختلف هل هي مدنية كلها(٣) وهو الصحيح، أو إلا سبع آيات(٤) أولها ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا﴾ وآخرها ﴿بما كنتم تكفرون﴾ فمكيات وهو ضعيف، ولا يلزم من كونها في شأن أهل مكة أنها نزلت بها بل نزلت بالمدينة حكاية عما وقع في مكة. قوله: [في غنائم بدر] أي لأنها

---

(١) لم يذكر المصنف البسملة ولعله اكتفى بذكرها في الجلالين.

(٢) سورة الأنفال معروفة بهذا الإسم منذ حياة النبي -ﷺ- أورد الواحدي في كتابه: أسباب النزول أثرا من سعد بن أبي وقاص قال: "لما كان يوم بدر قتل أخي عمير وقتلت سعيد بن العاصي فاخذت سيفه فأتيت به النبي -ﷺ-، فقال: اذهب القبض – بفتحتين، الموضع الذي تجمع فيه الغنائم – فرجعت في ما لا يعلمه إلا الله، قتل أخي وأخذ سلبي فما جاوزت قريبا حتى نزلت سورة الأنفال" انظر: الواحدي، ص١٨٢.

وأخرج البخاري، عن سعيد بن جبير، قال: (قلت لابن عباس سورة الأنفال) قال: (نزلت في بدر). انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب سور الأنفال، ج٣ ص٢٣٢.

فبهذا الاسم اشتهرت بين المسلمين وبه كتبت تسميتها في المصحف حين كتبت أسماء السور في زمن الحجاج، ولم يثبت في تسميتها حديث، وتسميتها سورة الأنفال من أنها افتتحت بآية فيها اسم الأنفال، ومن أجل أنها ذكر فيها حكم الأنفال كما سيتبين ذلك إن شاء الله، وتسمى أيضا (سورة بدر) ففي (الإتقان) أخرج أبو الشيخ عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس –رضي الله عنهما-: (سورة الأنفال)، قال: (تلك سورة بدر). انظر: السيوطي، في الإتقان، ج١ ص١٢٥.

وقد عدت السورة التاسعة والثمانين في عداد نزول سور القرآن في رواية جابر بن زيد عن ابن عباس – رضي الله عنهما-، وأنها نزلت بعد سورة آل عمران وقبل سورة الأحزاب. انظر: المرجع السابق، ج١ ص١٢٥.

وعدد آياتها، في عد أهل المدينة، وأهل مكة وأهل البصرة: ست وسبعون، وفي عد أهل الشام سبع وسبعون، وفي عد أهل الكوفة خمس وسبعون. انظر: أبا عمرو الداني، مصدر سابق، ص١٥٨.

(٣) وهو قول الحسن وعكرمة وجابر وعطاء. انظر: القرطبي، مصدر سابق، ج٧ ص٣٦٠.

(٤) وهذا قول ابن عباس رضي الله عنه. انظر: المرجع السابق، ج٧ ص٣٦٠.

أول غنيمة في الإسلام. قوله: [وقال الشيوخ] أي وكانوا محدقين برسول الله خوفا عليه من العدو. قوله: [كنا ردءًا][١] أي عوناً لكم. قوله: [ولو انكشفتم] أي انهزمتم. قوله: [فلئتم] أي رجعتم.

قوله: ﴿يسئلونك﴾[٢] السؤال إن كان تعيين الشيء وتبيينه، تعدى للمفعول الثاني بعن كما هنا، وإن كان بمعنى طلب الإعطاء، تعدى للمفعولين بنفسه، كسألت زيداً مالاً، خلافاً لمن فهم أن ما هنا من الثاني وادعى زيادة عن. قوله: [عن الأنفال] جمع نفل مثل سبب وأسباب، ويقال نفل بسكون الفاء أيضاً وهي الزيادة،[٣] لزيادة هذه الأمة بها عن الأمم السابقة، فإنها لم تكن حلالاً لهم، بل كانوا إذا غنموا غنيمة وضعوها في مكان، فإن قبلها الله منهم، أنزل عليها نارًا أحرقتها، وإلا بقيت[٤]. قوله: [لله والرسول] قيل: إن معنى ذلك أنها مملوكة لله، وأعطاها ملكا لرسوله يتصرف فيها كيف يشاء،[٥] وعلى هذا فقوله: ﴿واعلموا أنما غنمتم﴾ الآية ناسخة لها، وقيل: إن ما يأتي توضيح لما هنا وتفصيل له، والآية محكمة، فيكون المعنى لله والرسول من حيث قسمتها على المجاهدين. قوله: [يجعلانها حيث شاءا] أي فامتثلوا ما يأمركم به. قوله: ﴿فاتقوا الله﴾ أي امتثلوا أمره وأمر نبيه. قوله: ﴿وأصلحوا ذات بينكم﴾ أي

---

(١) ويقال رِدْءُ الإسلام وجُباةُ المال، وهو منعه، والرِّدءُ: العَوْنُ والناصِرُ. انظر: ابن الأثير في النهاية. ج٢ ص٥١١.

(٢) ذكر المفسرون عددا من أنواع الأسباب لنزول هذه السورة أحسنها ما أخرجه الطبري في تفسيره قال: حدثنا أحمد بن إسحاق قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا عباد بن العوام، عن الحجاج، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: أنهم سألوا النبي –ﷺ– عن الخمس بعد الأربعة الأخماس، فنزلت: "يسألونك عن الأنفال". انظر: الطبري، مصدر سابق، ج١٣ ص٣٦٥.

(٣) وأصل ذلك من النفل أي الزيادة على الواجب، ويقال له النافلة، قال تعالى ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ﴾ الإسراء٧٩ الآية، وكل هذه في معناها اللغوي، واختلف المفسرون في معناها الإصطلاحي، والذي أراه ما قاله أبو جعفر الطبري ورجحه، ونصه: وأولى هذه الأقوال بالصواب في معنى: "الأنفال"، قولُ من قال: هي زيادات يزيدها الإمام بعض الجيش أو جميعهم، إما من سَهْمه على حقوقهم من القسمة، وإما مما وصل إليه بالنفل، أو ببعض أسبابه، ترغيبًا له، وتحريضًا لمن معه من جيشه على ما فيه صلاحهم وصلاح المسلمين، أو صلاح أحد الفريقين. انظر: الطبري، مصدر سابق، ج ١٣ ص٣٦٦.

(٤) كما في حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –ﷺ–: لم تحل الغنائم لقوم سود الرؤوس قبلكم، كانت تنزل نار من السماء فتأكلها، فلما كان يوم بدر أسرع الناس في الغنائم، فأنزل الله تعالى: ﴿لَوْلاَ كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُم فِيمَا أَخَذْتُم عَذَابٌ عَظِيمٌ، فَكلُوا مِمّا غَنِمتُمْ حَلاَلاً طَيِّباً﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٦٩].

(٥) ذكره أبو حيان عن أبي زيد قال: أخبر أن الغنائم لله من حيث هي ملكه ورزقه وللرسول من حيث هو مبين لحكم الله والمضارع فيها ليقع التسليم فيها من الناس وحكم القسمة قاتل خلال ذلك. انظر: أبا حيان الأندلسي، مصدر سابق، ج٦ ص٣٨.

الحالة وهي الوصلة الإسلامية، فالمعنى اتركوا النزاع والشحناء، والزموا المودة والمحبة بينكم، ليحصل النصر والخير لكم. قوله: ﴿وأطيعوا الله ورسوله﴾ أي فيما يأمركم به. قوله: ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه.[1] قوله: [حقاً] أي كاملين في الإيمان، فعلامة كمال الإيمان، طاعة الله والرسول، وعدم وجود الحرج في النفس،[2] قال تعالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾[3] قوله: ﴿إنما المؤمنون﴾ استئناف مسوق لبيان صفات المؤمنين، فهو كالدليل لما قبله. قوله: [الكاملون الإيمان] بالنصب على نزع الخافض، أي فيه، وفي بعض النسخ بحذف النون، فيكون مضافاً للإيمان.

قوله: ﴿الذين إذا ذكر الله﴾ وصل ﴿الذين﴾ بثلاث صلات كلها متعلقة بالقلب. قوله: ﴿وجلت قلوبهم﴾ أي فزعت لاستيلاء هيبته على قلوبهم. قوله: [تصديقاً] أشار بذلك إلى أن التصديق يقبل الزيادة، إذ لا يصح أن يكون إيمان الأنبياء كإيمان الفساق، وما قبل الزيادة قبل النقص[4]، وبذلك أخذ أخذ مالك والشافعي وجمهور أهل السنة[5]. قوله: [به يثقون] أشار بذلك إلى أن ﴿وعلى﴾ بمعنى الباء،

---

(١) وقال ابن عباس: هذا تحريج من الله على المؤمنين أن يتقوا [الله] ويصلحوا ذات بينهم. انظر: ابن كثير، مصدر سابق، ج٣ ص١٠.

(٢) وأفاد العلامة السعدي قائلا: فإن الإيمان يدعو إلى طاعة اللّه ورسوله،كما أن من لم يطع اللّه ورسوله فليس بمؤمن، ومن نقصت طاعته للّه ورسوله، فذلك لنقص إيمانه، ولما كان الإيمان قسمين: إيمانا كاملا يترتب عليه المدح والثناء، والفوز التام، وإيمانا دون ذلك ذكر الإيمان الكامل فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ الألف واللام للاستغراق لشرائع الإيمان. انظر: السعدي، مصدر سابق، ص٣١٥.

(٣) سورة النساء، الآية:٦٥.

(٤) قلت: بل دل الكتاب والسنة على أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية فالدليل من الكتاب قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [سورة محمد، الآية: ١٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٢]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [سورة الفتح، الآية: ٤].

ومن السنة قوله –ﷺ–: "يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان" متفق عليه، عند البخاري برقم (٧٥١٠) ، وعند مسلم برقم (١٩٣) ، وكذلك قوله –ﷺ–: "الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان" أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان برقم (٥٧) .

(٥) حكاه أبو جعفر الطحاوي وقال: وهو قول جمهور أهل العلم من أهل السنة ومن المرجئة ومن غيرهم، قول الجمهور من جميع الطوائف أنَّ الإيمان يزيد وينقُصْ. انظر: الطحاوي، أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي، شرح العقيدة الطحاوية، ص٢٠٨.

و﴿يتوكلون﴾ بمعنى يتقون،[1] وقوله: [لا بغيره] حصر أخذ من تقديم المعمول، والمعنى أن ثقتهم بالله لا بغيره، فلا يعتمدون على عمل ولا على مال، ولا يخافون من غيره.

قوله: ﴿الذين يقيمون الصلاة﴾ أي يلازمونها في أوقاتها، مستوفية الشروط والأركان والآداب[2]. قوله: ﴿ينفقون﴾ أي النفقة الواجبة كالزكاة، أو المندوبة كالصدقة.

قوله: ﴿حقاً﴾ صفة لمصدر محذوف، أي إيماناً حقا. قوله: [بلا شك] أي لظهور علامة الإيمان الكامل فيهم. قوله: ﴿عند ربهم﴾ العندية عندية مكانة لا مكان[3]. قوله: ﴿ومغفرة﴾ أي غفران لذنوبهم. قوله: ﴿ورزق كريم﴾ أي دائم مستمر لا نكد فيه ولا تعب، مقرون بالتعظيم والتكريم.

قوله: ﴿كما أخرجك﴾ الكاف بمعنى مثل، وما مصدرية خبر لمحذوف، والتقدير قسم الغنائم عموماً، والحال أن بعض الصحابة كارهون لذلك، مثل إخراجك من بيتك، والحال أنهم كارهون لذلك، فهو تشبيه حكم بحكم، أو قصة بقصة، وهذا أحسن الأعاريب، ولذا درج عليه المفسر، فالمشبه قسم الغنائم عموماً، والمشبه به: الخروج لقتال ذي الشوكة بجامع إن كلاً كان فيه كراهة لبعض المؤمنين، بحسب الصورة الظاهرية، وفي الواقع: ونفس الأمر خير ومصلحة للعموم في كل، لأن الأول ترتب عليه إصلاح ذات البين، والثاني ترتب عليه عز الإسلام ونصره. قوله: ﴿من بينك﴾ أي الكائن بالمدينة، أو المراد بالبيت نفس المدينة. قوله: [متعلق بأخرج] أي والباء سببية، والمعنى: أخرجك من بيتك بسبب الحق، أي إظهار الدين ورفع شأنه، ويصح أن تكون الباء للملابسة، والجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من الكاف في أخرجك، أي أخرجك متلبساً بالحق أي الوحي، لا عن هوى نفسك[4]. قوله:

---

(١) وفي تفسيره التوكل بالتقوى فيه نظر، أولا لم يسبقه أحد من المفسرين، وثانيا أن التقوى أعم من التوكل، وكيف يفسر الأخص من الأعم، التقوى التقوى: "هي العمل بطاعة الله على نور من الله رجاء ثواب الله، وترك معاصي الله على نور من الله مخافة عذاب الله" وهذا من قول طلق بن حبيب رحمه الله. ذكره الذهبي في السير ج٤ ص٦٠١. والتوكل: (صدق التجاء القلب إلى الله جل وعلا بتفويض الأمر إليه بعد فعل السبب) وذلك يجمع شيئين : التفويض، وفعل الأسباب، فتأمل.

(٢) قلت: وهو كما قال قتادة:: إقامة الصلاة: المحافظة على مواقيتها ووضوئها، وركوعها، وسجودها. انظر: ابن كثير، مصدر سابق، ج٧ ص١٥.

(٣) قلت: ولا منافاة ولو كانت العندية مكانية، وإنما صرف المصنف العندية المكانية لأنه من نفات فوقية الله عز وجل.

(٤) قلت: والذي يظهر أن النبي صلى الله عليه وسلم ، يستحيل له الخروج من بيته أو بلده إلا بأمر من الله عز وجل، و إنما خرج من المدينة طالبا لعير أبي سفيان، التي بلغه خبرها أنها صادرة من الشام، فيها أموال جزيلة لقريش فاستنهض رسول الله -ﷺ-

[والجملة حال] أي مقدرة، لأنهم وقت الخروج لم يكونوا كارهين، وإنما طرأت الكراهة عند الأمر بقتال ذي الشوكة. قوله: [أي هذه الحال] أي وهي قسم الغنائم على العموم. قوله: [في كراهتهم لها] هذا هو وجه المماثلة والمشابهة بينهما. قوله: [فكذلك أيضاً] أي قسم الغنائم كان خيراً انتهاء لما فيه من إصلاح ذات البين. قوله: [قدم بعير][1] أي إبل حاملة

المسلمين من خَف منهم، فخرج في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا وطلب نحو الساحل من على طريق بدر، وعلم أبو سفيان بخروج رسول الله -ﷺ- في طلبه، فبعث ضَمْضَم بن عمرو نذيرا إلى مكة، فنهضوا في قريب من ألف مُقَنَّع، ما بين التسعمائة إلى الألف، وتيامن أبو سفيان بالعير إلى سيف البحر فنجا، وجاء النفير فوردوا ماء بدر، وجمع الله المسلمين والكافرين على غير ميعاد، لما يريد الله تعالى من إعلاء كلمة المسلمين ونصرهم على عدوهم، والتفرقة بين الحق والباطل، والحق المقصود أنَّ رسول الله -ﷺ- لما بلغه خروج النفير، أوحى الله إليه يَعدهُ إحدى الطائفتين: إما العير وإما النَّفير، ورغب كثير من المسلمين إلى العير؛ لأنه كسب بلا قتال، كما قال تعالى: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ . انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤ ص٣٩٢.

(١) قلت: قبل أن ندقق فهم هذه القصة يجب ذكر الرواية التي جمعت الحادثة لتقرب أذهاننا إلى استيعاب ما جرى وأقول: وقد أخرج ابن جرير ، عن أبي أيوب الأنصاري قال : قال لنا رسول الله -ﷺ- ونحن بالمدينة ، وبلغه أن عير أبي سفيان قد أقبلت فقال: "ما ترون فيها لعلّ الله يغنمناها ويسلمنا"، فخرجنا فلما سرنا يوماً أو يومين أمرنا رسول الله -ﷺ- أن نتعادّ، ففعلنا، فإذا نحن ثلاثمائة وثلاثة عشر، فأخبرنا النبي -ﷺ- بعدّتنا، فسرّ بذلك وحمد الله وقال : "عدّة أصحاب طالوت"، فقال : "ما ترون في قتال القوم ، فإنهم قد أخبروا بمخرجكم" ، فقلنا : يا رسول الله ، لا والله ما لنا طاقة بقتال القوم ، إنما خرجنا للعير ، ثم قال : "ما ترون في قتال القوم؟" فقلنا مثل ذلك ، فقال المقداد : لا تقولوا كما قال قوم موسى لموسى ﴿اذهب أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هاهنا قاعدون﴾ [سورة المائدة، الآية: ٢٤] فأنزل الله : ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ الله إِحْدَى الطائفتين أَنَّهَا لَكُمْ﴾ . فلما وعدنا الله إحدى الطائفتين، إما القوم وإما العير، طابت أنفسنا، ثم إنا اجتمعنا مع القوم فصففنا، فقال رسول الله -ﷺ-: "اللهم إني أنشدك وعدك"، فقال ابن رواحة: يا رسول الله إني أريد أن أشير عليك ، ورسول الله -ﷺ- أفضل من أن يشير عليه، إن الله أجلّ وأعظم من أن تنشده وعده، فقال: "يا ابن رواحة لأنشدنّ الله وعده ، فإن الله لا يخلف الميعاد"، فأخذ قبضة من التراب فرمى بها رسول الله -ﷺ- في وجوه القوم فانهزموا ، فأنزل الله "وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ولكن الله رمى" [سورة الأنفال، الآية : ١٧] فقتلنا وأسرنا، فقال عمر : يا رسول الله ما أرى أن يكون لك أسرى ، فإنما نحن داعون مؤلفون ، فقلنا : يا معشر الأنصار إنما يحمل عمر على ما قال حسد لنا . فنام رسول الله -ﷺ- ثم استيقظ فقال: "ادعوا لي عمر" ، فدعي له فقال: "إن الله قد أنزل عليّ" ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أسرى﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٦٧] . وفي إسناده ابن لهيعة ، وفيه مقال معروف . انظر: الطبري، في التاريخ، ج١٠ ص١٢٣.

تجارة، وكان فيها أموال كثيرة ورجال قليلة نحو الأربعين. قوله: [فعلمت قريش] أي بإخبار ضمضمة بن عمرو الغفاري الذي اكتراه أبو سفيان، ليعلم قريشاً بذلك. قوله: [ومقاتلو مكة] أي وكانوا ألفاً إلا خمسين.

قوله: [وأخذ أبو سفيان] أي عدل عن الطريق المعتاد للمدينة، وسار بساحل البحر. قوله: [فشاور ﷺ أصحابه] أي في المضي إلى بدر لقتال النفير. قوله: [فوافقوه] أي آخراً، بعدتوقف بعضهم محتجاص بعدم التهيؤ، وكان إذ ذاك ﷺ بوادي دقران، بدال وقاف وراء، بوزن سلمان، واد قريب من الصفراء، وعند المشاورة قام أبو بكر وعمر فأحسنا في القول، ثم قام سعد بن عبادة فقال: انظر أمرك فامض فيه، فوالله لو سرت إلى عدن ما تخلف عنك رجل من الأنصار، ثم قال مقداد بن عمرو: امض كما أمرك الله، فإنا معك حيثما أحببت، لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾[1]. ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا معكما مقاتلون. فتبسّم رسول الله ﷺ ثم قال: أيها الناس أشيروا علي، وهو يريد الأنصار، فقام سعد بن معاذ، فقال: كأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: أجل، قال: إنا قد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، فامش يا رسول الله لما أردت فإنا لا نكره أن يلقى عدونا، وإنا لصبر عند الحرب، صدق عند اللقا، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله، ثم قال رسول الله: سيروا على بركة الله وأبشرواح فإن الله وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم[2].

قوله: ﴿يجادلونك في الحق﴾ أي يقيمون حجة قبالة حجة، فليس المراد بالجدال، الجدال في الباطل.[3] قوله: [ظهر لهم] أي تحتم القتل. قوله: ﴿كلما يساقون إلى الموت﴾ أي كأنهم مثل من يساق إلى القتل، وهو ينظر بعينه أسبابه. قوله: [في كراهتهم له] هذا هو وجه المشابهة، وسبب تلك الكراهة

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٤.

(٢) انظر: البيهقي، دلائل النبوة، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت.ط) ج٢ ص٦٩.

(٣) قلت : إذا يكون معنى مجادلتهم للنبى صلى الله عليه وسلم فى شأن القتال وقولهم له: ما كان خروجنا إلا للعير، ولو أخبرتنا بالقتال لأعددنا العدة له، وليس غير.

قلة عددهم وعددهم، فقد ورد أنهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر، والكل رجال، وليس فيهم إلا فرسان.[1] قوله: [بخلاف النفير] أي فإنه كثير العدد والعدد.

قوله: [يظهره] جواب عما يقال إن فيه تحصيل الحاصل، وكذا يقال في قوله: ﴿ويبطل الباطل﴾ قوله: ﴿ليحق الحق﴾ ليس مكرراً مع ما قبله، لأن المراد بالأول، تثبيت ما وعد به في هذه الواقعة من النصرة والظفر بالأعداء، والمراد بالثاني، تقوية الدين وإظهار الشريعة مدى الأيام.[2]

قوله: ﴿إذ تستغيثون﴾ إما خطاب للنبي ε فقط، فيكون الجمع للتعظيم، أو خطاب للنبي وأصحابه، روي عن ابن عباس، قال: حدثني عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم ببدر، نظر ε إلى المشركين وهم ألف، وأصحاب ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله القبلة، ثم مد يديه، فجعل يهتف بربه يقول: "اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آتني ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض" فما زال يهتف بربه ماداً يديه حتى سقط رداؤه من منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه، فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فنزلت هذه الآية.[3] قوله: [تطلبون منه الغوث] أشار بذلك إلى أن السين والتاء. قوله: ﴿ممدكم بألف﴾ ورد أن جبريل نزل بخمسمائة وقاتل بها في يمين العسكر وفيه أبو بكر، ونزل ميكائيل بخمسمائة وقاتل بها في يسار الجيش وفيه علي، ولم يثبت أن الملائكة قاتلت في وقعة إلا في بدر، وأما في غيرها فكانت تنزل الملائكة لتكثير عدد المسلمين ولا تقاتل.[4] قوله: [يردف بعضهم بعضاً] أي يعقبه في المجيء. قوله: [وعدهم بها أولاً] أشار بذلك إلى الجمع بين ما هنا وبين ما في آل

---

(١) ذكر العلماء هذا العدد بناء على ما أخرجه الحاكم في مستدركه من حديث عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: " كَانَ فِيمَنْ شَهِدَ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- مِنْ قُرَيْشٍ وَالأَنْصَارِ ثَلاثُمِائَةٍ وَثَلاثَةُ عَشَرَ رَجُلا "، قَالَ: " وَمِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ: عُبَيْدَةُ، وَالطُّفَيْلُ، وَحُصَيْنُ بَنُو الْحَارِثِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَقَدِ اخْتَلَفُوا فِي رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ فَقِيلَ إِنَّهُ عَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ وَأَدْرَكَ أَيَّامَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَرَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- " انظر:الحاكم النيسابوري في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة -رضي الله عنهم-، باب من مناقب أهل بيت رسول الله -ﷺ-، برقم٥٠٣٢، ج٣ ص٢٤٧.

(٢) هذا من توجيه ابن عادل الحنبلي. انظر: ابن عادل الحنبلي في اللباب، ج٨ ص ١١٦.

(٣) أخرجه ملسم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، برقم ٣٣١٥، ج١٢ ص٨٥.

(٤) انظر: ابن هشام في السيرة النبوية ج٣ ص١٥٤.

عمران. وقوله: [وقريء] أي شذوذاً. قوله: [كأفلس] أي فأبدلت الهمزة الثانية ألفاً. قوله: [إلا من عند الله] أي فلا يتوقف على تهيؤ بعدد ولا عدد.

قوله: ﴿إذ يغيشّيكم النعاس﴾ أي دفعة واحدة فناموا كلهم، وهذا على خلاف العادة، فهي معجزة لرسول الله، حيث غشي الجميع النوم في وقت الخوف، وفيه ثلاث قراءات سبعية،[1] يغشاكم كيلقاكم، والنعاس مرفوع على الفاعلية، ويغيشيكم بتشديد الشين وضم ياء المضارعة، والنعاس منصوب على المفعولية في هاتين القراءتين. قوله: ﴿أمنةً﴾ منصوب على الحال على القراءة الأولى، أو المفعول لأجله على القراءة الأولى، أو المفعول لأجله على القراءتين الأخيرتين، قال عبد الله بن مسعود: النعاس في القتال أمنة من الله، وفي الصلاة من الشيطان،[2] قيل إنهم لما خافوا على أنفسهم لكثرة عدد العدو وعددهم، وقلة المسلمين، وعطشوا عطشاً شديداً ألقى الله عليهم النوم، حتى حصلت لهم الراحة، وزال عنهم العطش، وتمكنوا من قتال عدوهم، فكان ذلك النوم نعمة في حقهم، لأنه كان خفيفاً، بحيث لو قصدهم العدو لتنبّهوا له، وقدروا على دفعه.[3] قوله: [من الخوف] بيان لما. قوله: ﴿ليطهرهم﴾ الخ أي وذلك أنهم وقفوا في كثيب رمل، فشق الشي عليهم فيه من لينه ونعومته، واشتد عليهم الخوف من أن يأتيهم العدو في تلك الحالة، فألقى الله عليهم النعاس، فاحتلم معظمهم، فاشتد احتياجهم إلى الماء، فوسوس لهم الشطيان بما ذكره المفسر، فرد الله كيده بإنزال المطر الكثير عليهم، فشربوا وتطهروا وملؤوا القرب وتلبد الرمل حتى سهل المشي عليه.[4]

قوله: ﴿إذ يوحي ربك﴾ معمول لمحذوف أي اذكر، ولم يقدره المفسر اتكالاً على تقديره فيما سبق. قوله: ﴿إلى الملائكة﴾، أل للعهد الذكرى، أي المذكورين فيما سبق في قوله: ﴿إني ممدكم بألف

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿إذ يَغشاكم﴾ بفتح الياء والشين وألف بعدها ﴿النعاسُ﴾ برفع السين، وقرأ نافع وأبو جعفر ﴿يُغشِيكم﴾ بضم الياء وكسر الشين مخففا ﴿النعاسَ﴾ بنصب السين، والباقون كذلك إلا أنهم فتحوا الغين وشددوا الشين ﴿يُغَشِّيكم النعاسَ﴾. انظر: ابن مجاهد، مصدر سابق، ص٣٠٤.

(٢) أخرجه ابن كثير في تفسيره من رواية سفيان الثوري، عن عاصم عن أبي رَزِين، عن عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه. انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٧ ص٣٠.

(٣) انظر: ابن المطهر، البدء والتاريخ، ص٢٣٨.

(٤) انظر القصة بأكملها في البداية والنهاية لابن كثير، ج٣ ص٣٤٤، وج٤ ص٣١-٣٥.

من الملائكة﴾ كما أشار إليه المفسر. قوله: ﴿أني معكم﴾ الجملة في محل نصب مفعول ليوحي. قوله: ﴿فثبتوا الذين آمنوا﴾ أي قووا قلوبهم، واختلف في كيفية هذه التقوية، فقيل إن الشيطان كما أن له قوة في إلقاء الوسوسة في قلب ابن آدم بالسوء، كذلك الملك له قوة في إلقاء الإلهام في قلب ابن آدم بالخير، ويسمى ما يلقيه الملك إلهاماً، وقيل: إن ذلك التثبيت حضورهم القتال معهم، ومعونتهم لهم بالقتال بالفعل، وقيل معناه بشروهم بالنصر والظفر، فكان الملك يمشي في صفة رجل أمام الصف، ويقول: أبشروا فإن الله ناصركم عليهم.(1) قوله: ﴿سألقي في قلوب الذين كفروا﴾ كالتفسير لقوله: ﴿إني معكم﴾ وقوله: ﴿فاضربوا﴾ الخ كالتفسير لقوله: ﴿فثبّتوا﴾ فهو لف ونشر مرتب. قوله: [الرؤوس] تفسير للفظ ﴿فوق﴾ وقد توسع فيه حيث استعملوه مفعولا به وإن كان أصله ظرف مكان ملازم للظرفية، وقيل إن لفظة ﴿فوق﴾ زائدة وقد أشار له المفسر بقوله: [يقصد ضرب رقبة الكافر] الخ، فقد أشار المفسر إلى قولين، قيل: إن فوق باقية على ظرفيتها والمعفول محذوف، أي فاضربوهم فوق الأعناق، وقيل إن فوق بمعنى على، والمفعول محذوف أيضاً، أي فاضربوهم على الأعناق.(2) قوله: [أي أطراف

---

(1) كل هذه الاختلافات مذكورة في كتب التفسير وكل يدور حول الحمى لما يقع في حقيقة الأمر، والذي أراه والله تعالى أعلى وأعلم أن وحي من الله يخبر به نبيه أنه سبحانه أوحى إلى الملائكة الذين أمدَّ الله بهم المسلمين في غزوة "بدر" أنه معهم يُعينهم ويَنصرهم، فقوُّوا عزائم الذين آمنوا، سيُلقي اللهُ في قلوب الذين كفروا الخوف الشديد والذلة والصَّغَار حين تضربون أعناقهم ومفاصلهم وأطرافهم.

وقال ابن عاشور: وجعل الخطاب هنا للنبي صلى الله عليه وسلم تلطفا به، إذ كانت هذه الآية في تفصيل عمل الملائكة يوم بدر وما خاطبهم الله به فكان توجيه الخطاب بذلك إلى النبي صلى اله عليه وسلم أولى لأنه أحق من يعلم مثل هذا العلم ويحصل العلم للمسلمين تبعا له، وأن الذي يهم المسلمين من ذلك هو نصر الملائكة إياهم وقد حصل الإعلام بذلك من آية ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ [سورة الأنفال، الآية:٩]. انظر: ج٨ ص٢٨٠.

(2) قلت: ومحل اختلافهم في تفسير هذه الآية اختلافهم في تحديد معنى فوق، منهم من فسره بعلى ومنهم من يرى ظرفيته ومنهم من جعله مفعولا به، ولو أنهم أبقوه على أصله لكان واضحا أكثر مما ذهبوا إليه، أي أعالي الأعناق التي هي المذابح تطييراً للرؤوس ، أو أراد الرؤوس لأنها فوق الأعناق يعني ضرب الهام. ،إلى هذا ذهب النسفي في تفسيره وغيره. انظر:النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.ط)، ص٥٢٠، والقاسمي، جمال الدين محمد، محاسن التأويل، ط١، (دار إحياء الكتب العربي، ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م)، ج٧ ص٤٢١.

اليدين والرجلين] في المصباح[1]: البنان الأصابع، وقيل: أطرافها، والواحدة بنانة. قوله: [إلا دخل في عينيه] أي وفي فمه وأنفه.

قوله: ﴿ذلك﴾ [العذاب] أي من إلقاء الرعب والقتل والأسر، وقوله: ﴿بأنهم﴾ الباء سببية، قوله: ﴿خالفوا﴾ قوله: ﴿الله ورسوله﴾ أصل معناها المجانبة، لأنهم صاروا في شق وجانب عن النبي والمؤمنين.[2] قوله: ﴿فإن الله شديد العقاب﴾ أي وما نزل بهم في هذا اليوم قليل بالنسبة لما ادخر لهم عند الله.[3]

قوله: ﴿ذلكم﴾ [العذاب] اسم الإشارة مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر، وقوله: ﴿فذوقوه﴾ لا تعلق له بما قبله من جهة الإعراب. قوله: ﴿وأن للكفرين﴾ عطف على ذلكم، أو نصب على المفعول به.

---

(١) انظر: أبا العباس، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، ج١ ص٣٨٠.

(٢) قلت: وقد يكون معناه المعاداة والمخالفة، كما أشار إلى ذلك الشوكاني رحمه الله، وكل من علم أو تعلم عن رسول الله شيئا ولو بواسطة ثم أعرض عنه فإنه إن أعرض عنه تساهلا وتثاقلا أصبح من العصاة المبتدعة، وإن أعرض جاحدا وقد خرج عن الملة، والعياذ بالله. انظر: الشوكاني، مصدر سابق، ج٣ ص١١٢.

(٣) إعلم أن اتباع الرسول هو اتباع سنته وأوامره بعد وفاته -ﷺ- ولا يسع أحدا كائنا من كان أن يتخلف عن أمره لا في حياته ولا بعد مماته، ولهذا توالت الآيات البينات والسنن الكاشفات عن اتباعه واتباع أوامره فإنه من يشاقق الرسول بعد ما تبين له الهدى واتبع غير سبيل المؤمنين فإن له نار جهنم، ومن تلك الآيات الكريمة ما قاله رب العرش الكريم: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً﴾ [سورة الأحزاب، الآية:٣٦]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ بسورة الحجرات، الآية:١]. ومن الأحاديث الداعية إلى اتباع النبي -ﷺ- في كل شيء كثيرة معلومة، وعلى سبيل التقريب حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- المشهورة قال: قال رسول الله -ﷺ-: " كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى ، قالوا : ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى". أخرجه البخاري في "صحيحه – كتاب الاعتصام وحديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- قال : "جاءت ملائكة إلى النبي وهو نائم، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة، والقلب يقظان، فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلا، فاضربوا له مثلا، فقالوا: مثله كمثل رجل بنى داراً، وجعل فيه مأدبة، وبعث داعياً، فمن أجاب الداعي دخل الدار، وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة ، فقالوا: أولوها يفقهها، فقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا فالدار الجنة، والداعي محمد، فمن أطاع محمداً فقد أطاع الله، ومن عصى محمداً فقد عصى الله، ومحمد فرق بين الناس" أخرجه البخاري أيضاً ومثل هذه الآيات والأحاديث لا حصر لها أجارنا الله عن مخالفته.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم﴾ خطاب لكل من يحضر القتال.[1] قوله: ﴿زحفاً﴾ حال من المفعول به وهو ﴿الذين﴾ فهو مؤول بالمشتق، أي حال كونهم زاحفين. قوله: [أي مجتمعين] الخ، أي فالمعنى على التشبيه بالزاحفين على أدبارهم في بطء السير، وذلك لأن الجيش إذا كثر والتحم بعضه ببعض، يتراءى أن سيره بطيء، وإن كان في نفس الأمر سريعاً،[2] وفي المصباح زحف القوم زحفاً من باب نفع.[3] قوله: ﴿فلا تولّوهم الأدبار﴾ ويطلق الدبر على مقابل القبل، ويطلق على الظهر وهو المراد هنا، والمقصود ملزوم تولية الظهر وهو الانهزام، فهذا اللفظ استعمل في ملزوم معناه كما أشار المفسر بقوله: [منهزمين]، و﴿الأدبار﴾ مفعول ثان لتولوهم، وكذا ﴿دبره﴾ مفعول ثان ليولوهم، وفي الآية تعريض، حيث ذكر لهم حالة تستهجن[4] من فاعلها في تعبيره بلفظ الدبر دون الظهر. قوله: [أي يوم لقائهم] حل معنى، وإلا فمقتضى التنوين في إذ، أن يقول: يوم لقيتموهم، لأنه عوض عن جملة.

قوله: ﴿إلا متحرّفاً﴾ في نصبه مع ما عطف عليه وجهان: أحدهما أنه حال، والثاني أنه مستثنى من ضمير المؤمنين، قوله [الفرة] بفتح الفاء وهي المرة من الفر بمعنى الفرار أي الهرب، وقوله [مكيدة] أي خديعة ومكراً وقوله [وهو يريد الكرة] أي الرجعة لأن الكرة المرة من الرجوع وهذا أحد أبواب الحرب ومكايدها، قوله [أو متحيزا] التحيز والتحوز الإنضمام وأصل تحيز تحيوز اجتمعت الواو والياء وسيقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت الياء في الياء. قوله [يستنجد] أي يستنصر ويستعين، قوله ﴿فقد باء بغضب﴾ جواب الشرط وهو مَنْ والباء للملابسة أي ملتبسا ومصحوبا بغضب، وقوله

---

(١) قال ابن عطية والجمهور على أنه إشارة إلى يوم اللقاء الذي تضمنه قوله: ﴿ إذا لقيتم ﴾ وحكم الآية باق إلى يوم القيامة بسبب الضعف الذي بينه الله في آية أخرى وليس في الآية نسخ وأما يوم أحد فإنما فر الناس من مراكزهم من ضعفهم ومع ذلك عنفوا لكون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم وفرارهم عنه ، وأما يوم حنين فكذلك من فر إنما انكشف أمام الكرة ويحتمل أن عفو الله عن من فر يوم أحد كان عفوا عن كثرة انتهى.

(٢) انظر: الكشاف، مصدر سابق، ج٢ ص٥٦٤.

(٣) انظر: المقري، مصدر سابق، ج٤ ص٥٦.

(٤) هجن الشيء أي جعله هجينا وهجن الأمر أي قبَّحه وعابَه. انظر: إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، **المعجم الوسيط**، د.ط، (دار الدعوة، د.ت.ط)، ج٢ ص٩٧٤.

﴿ومأواه﴾ أي مَسْكنه وفي الآية وعيد عظيم ولذلك قيل إن الفرار أكبر الكبائر بعد الكفر،[1] قوله [مخصوص] أي مقصور أي فإن زادت عن الضعف كما إذا كان المسلمون ربع الكفار فلا يحرم الفرار، قوله ﴿فلم تقتلوهم﴾ نزلت هذه الآية لما افتخر المسلمون بعد رجوعهم من بدر فكان الواحد منهم يقول: أنا قتلت كذا وأسرت كذا فعلمهم الله الأدب،[2] بقوله ﴿فلم تقتلوهم﴾ والفاء واقعة في جواب شرط مقدر أي افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم. قوله ﴿ولكن الله قتلهم﴾ قريء بتشديد لكنّ وتخفيفها فعلى التخفيف تكون مهملة ولفظ الجلالة مرفوع على الابتداء وعلى التشديد تكون عاملة عمل إنّ ولفظ الجلالة منصوب على أنه اسمها وهما قراءتان سبعيتان.[3] قوله ﴿وما رميت إذ رميت﴾[4] ظاهره التناقض حيث جمع بين النفي والإثبات والجواب أن المنفي الرمي بمعنى إيصال الحصى لأعينهم والمثبت فعل الرمي كما أشار لهذا الجواب المفسر بقوله بإيصال ذلك إليهم. قوله ﴿ولكن الله رمى﴾ فيه القراءتان المتقدمتان وقد علمت أن حكمة قوله تعالى: ﴿فلم تقتلوهم﴾ التأديب لبعض المؤمنين،[5] وأما

---

(١) وهو ثاب عند الشيخين من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– عن النبي –ﷺ– قال: "اجتنبوا السبع الموبقات" قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: "الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات"، [انظر: صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا﴾، ج٣ ص١٠١٧ برقم ٢٦١٥، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بَيَانِ الْكَبَائِرِ وَأَكْبَرِهَا، ج١ ص٦٤ برقم ٢٧٢].

(٢) انظر: الطبري، مصدر سابق، ةج١٣ ص٤٤٢.

(٣) انظر: ابن مجاهد، مصدر سابق، ص٣٠٥.

(٤) قلت: اختلف المفسرون في توجيه ما يحيمله ظاهر الآية ، إذ الآية ظاهرها المتناقضة ولكنها في الحقيقة لم تكن متناقضة ولا حتى في ظاهرها، ويكفيك جوابا أنه من كلام الله ولا يعتريه تناقض لأن التناقض نقص ويستحيل في حق الله عز وجل، قال قال القاضي أبو محمد: فيحتمل قوله تعالى: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ ما قلناه في قوله ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم﴾ وذلك منصوص في الطبري وغيره ، وهو خارج في كلام العرب على معنى وما رميت الرمي الكافي إذ رميت ، ونحوه قول العباس بن مرداس: فلم أعط شيئاً ولم أمنعِ ... أي لن أعط شيئاً مرضياً ويحتمل أن يريد، وما رميت الرعب في قلوبهم إذ رميت حصياتك، ولكن الله رماه وهذا أيضاً منصوص في المهدوي وغيره، ويحتمل أن يريد وما أغنيت إذ رميت حصياتك ولكن الله رمى أي أعانك وأظفرك، والعرب تقول في الدعاء: رمى الله لك، أي أعانك وصنع لك. انظر: ابن عطية، مصدر سابق، ج٢ ص٥١١.

(٥) كذا قاله الطبري في تفسيره. انظر: الطبري، مصدر سابق، ج١٣ ص٤٤٣.

حكمة قوله تعالى ﴿وما رميت﴾ فإثبات أنها معجزة مع الله لنبيه لتذكر من جملة معجزاته التي أمر بالتحدث بها قال تعالى: ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾(١) وقال البوصيري:

ورمى بالحصى فأقصد جيشا ❁❁ ما العصا عنده وما الإلقاء(٢)

قوله [فعل] أي اللهُ ذلك أي القتل والرمي ليقهر الخ، قدره ليعطف عليه وليبلى، وقوله [عطاء] أي فالمراد من الإبلاء الإعطاء فهو إبلاء بخير لا بشر فإن البلاء يقع على النعمة وعلى المحنة لأن أصله الإختبار وذلك كما يكون بالمحنة لاظهار الصبر يكون بالنعمة اظهار الشكر. قوله ﴿ذلكم﴾ مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله [حقّ] وقوله ﴿وأن الله﴾ يجوز أن يكون معطوفا على ذلكم فيكون في محل رفع بالابتداء وخبره محذوف أيضا، والمعنى ذلكم الابتلاء للمؤمنين حق وتوهين كيد الكافرين حق وموهن بفتح الواو وتشديد الهاء والتنوين فكيد منصوب على المفعولية به ويقرأ بسكون الواو وتخفيف الهاء من أوهن كأكرم منونا أو مضافا إلى كيد فالقراءات ثلاث وكلها سبعية.(٣) وقوله [أيها الكافر] أي فهو خطاب لأهل مكة على سبيل التهكم لأنهم الذين وقع بهم الهلاك والفتح وقع لغيرهم. وقله [أي القضاء] أي الحكم بينكم وبين محمد بنصر المحق وخذلان المبطل، وقوله [حيث قال أبو جهل] أي

---

(١) سورة الضحى، الآية:١١.

(٢) وهذا البيت من ضمن همزيته، وهو بيت جميل كما ترى ولكن انظر ما قبله وما بعده لتدقق في فهمه:

شُق عن صدره وشُق له البد ❁❁ ر ومن شرط كل شرط جزاء

ورمى بالحصى فأقصد جيشا ❁❁ ما العصا عنده وما الإلـقاء

ودعا للأنام إذ دهـمتهـم ❁❁ سـنة من محولـها شهبـاء

فاستهلت بالغيث سبعة أيّا ❁❁ م عليهم سحابـة وطـفاء

تتحرى مواضع الرّعي والسّق❁❁ ي وحيث العطاش توهى السقاء

وأتى الناس يشتكون أذاهـا ❁❁ ورخـاء يؤذي الأنـام غلاء

فدعا فانجلى الغمام فقـل في ❁❁ وصف غيث إقلاعه استسقاء

(٣) فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ﴿موَهّن﴾ بفتح الواو وتشديد الهاء منونة ﴿كيدًا﴾ ، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وأبو بكر عن عاصم ﴿مؤهن﴾ ساكنة الواو منونة ﴿كيداً﴾ ، وروى حفص عن عاصم ﴿موْهِنُ كيدِ الكفرين﴾ مضافا خفيفا بتسكين الواو وكسر الهاء وضم النون من غير تنوين وكسر الدال.

وغيره من قريش حين أرادوا الخروج إلى بدر تعلقوا بأستار الكعبة ودعوا بما ذكره المفسر،(١) قوله [أينا] أي الفريقين يعني نفسه ومن معه ومحمدا ومن معه وهو يزعم أن محمداً هو القاطع للرحم، حيث خرج من بلده وترك أقاربه. قوله: [فأحنه الغداة] الحين، بالفتح الهلاك، حان الرجل: هلك وأحانه الله: أهلكه،(٢) والغداة ظرف للحين أي أهلكه فيما يستقبل. قوله: [وفتحها على تقدير اللام] أي فهما قراءتان سبعيتان،٣ أي واللام المقدرة للتعليل.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله﴾ أي دوموا على طاعته وعلى عدم التولي يدم لكم العز الذي حصل ببدر.

قوله: ﴿إن شر الدواب﴾ الخ نزلت في جماعة من بني عبد الدار بن قصي، كانوا يقولون: نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد، وتوجهوا مع أبي جهل حاملين اللواء لقتال النبي وأصحابه ببدر، فقتلوا جميعاً، ولم يسلم منهم إلا اثنان، مصعب بن عمير، وسبيط بن حرملة.(٤) والدواب في اللغة ما على وجه الأرض، عاقلاً أو غيره، وفي العرف، مخصوص بالخيل والبغال والحمير، وفي الآية غاية الذم لهم، بأنهم أشر من الكلب والخنزير والحمير.(٥) قوله: ﴿ولو علم الله فيهم خيراً﴾ هذا تسلية للنبي -ﷺ- على عدم إيمانهم، ولو حرف امتناع لامتناع، والمعنى امتنع سماعهم الخير، سماع تفهم لامتناع علم الخير فيهم.

قوله: ﴿ولو أسمعهم﴾ هذا ترق في التسلية، والمعنى لو فرض أن الله أسمعهم سماع تفهم، لتولوا وهم معرضون عنه عناداً فلا تحزن على كفرهم، فإن كفرهم ثابت مطلقاً، فهموا الحق أولاً، هذا حاصل معنى الآية، واستشكل ظاهرها بأن الآية دلت عى القياس، حاصله لو علم فيهم خيراً لأسمعهم، ولو

---

(١) انظر: السيوطي، في تفسيره، مصدر سابق، ج٧ ص٧٨، والبغوي، مصدر سابق، ج٣ ص٣٤٠.

(٢) وهو من حان يَحين حَيْناً: وكل شيء لم يُوَفق للرشاد فقد حان حَيْناً. انظر: الأزهري، في تهذيب اللغة، ص٢٢١.

(٣) أي الهمزة في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

(٤) ذكره البغوي ونسبه إلى ابن عباس –رضي الله عنهما- . انظر البغوي، مصدر سابق، ج٣ ص٣٤٣.

(٥) وأصل الكلمة من دَبَّ الصَّغِيرُ يَدِبُّ مِنْ بَابِ ضَرَبَ دَبِيبًا وَدَبَّ الْجَيْشُ دَبِيبًا أَيْضًا سَارُوا سَيْرًا لَيِّنًا وَكُلُّ حَيَوَانٍ فِي الْأَرْضِ دَابَّةٌ وَتَصْغِيرُهَا دُوَيْبَّةٌ عَلَى الْقِيَاسِ وَسُمِعَ دُوَابَّةٌ بِقَلْبِ الْيَاءِ أَلِفًا عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ وَخَالَفَ فِيهِ بَعْضُهُمْ فَأَخْرَجَ الطَّيْرَ مِنْ الدَّوَابِّ وَرُدَّ بِالسَّمَاعِ وَهُوَ قَوْله تَعَالَى: ﴿وَاَللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾ . انظر:المقري، مصدر سابق، ج٣ ص٣١٣.

أسمعهم لتولوا، ينتج: لو علم الله فيهم خيراً لتولوا وهو فاسد، إذ لو علم الله الخير فيهم لآمنوا ولم يكفروا، وأجيب بجوابين، الأول: إن الحد المكرر لم يتحد معنى، وشرط الإنتاج اتحاده معنى، لأن المراد بالسماع الأول الموجب للفهم والإذعان، والإسماع الثاني للفهم من غير إذعان. الثاني: أن الكلام تم عند قوله ﴿لأسمعهم﴾ وقول: ﴿ولو أسمعهم﴾ ترق في التشنيع عليهم، فالمعنى هم لم يؤمنوا ولم ينقادوا عند التفهم على فرض حصوله، فعدم إيمانهم عند عدمه أولي، نظير لو لم يخف الله لم يعصه ولكن توليهم عند ظهور الحق عناد وجحود، وعند عدمه جهل.[1]

قوله: ﴿استجيبوا﴾ السين والتاء زائدتان للتوكيد. قوله: ﴿إذا دعاكم﴾ أفرد لأن دعوة الرسول في الحقيقة هي لله، وذكر الرسول أولاً، لأنه المبلغ عن الله، فعدم طاعته مخالفة لله. قوله: ﴿لما يحييكم﴾ ما إما نكرة وجملة يحييكم صفة، أو اسم موصول وما بعدها صلة، والمعنى لما فيه حياتكم الأبدية. قوله: [من أمر الدين] أي وهو الإيمان والإسلام، وقيل هوالقرآن، لأنه حياة القلوب، وبه النجاة من أهوال الدنيا والآخرة، وقيل هو الحق مطلقاً، وقيل الجهاد في سبيل الله وأتمها ما قاله المفسر.[2] قوله: ﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾ أي يفصل بينهما بتصاريفه وأحكامه، وذلك كناية عن كونه أقرب للشخص من قلبه، ومن قلبه لذاته، بل هو أقرب من السمع للأذن، ومن البصر للعين، ومن اللمس للجسد، ومن الشم للأنف، ومن الذوق للسان، فشبه القرب بالحيلولة، واستعير اسم المشبه به، وهو الحيلولة للمشبه، وهو القرب، واشتق من الحيلولة يحول بمعنى يقرب، على سبيل الاستعارة التصريحية

---

(١) قال ابن عاشور: فهكذا تقرير التلازم في قوله تعالى هنا: ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ ليس المعنى على أنه لم يسمعهم فلم يتولوا، لأن توليهم ثابت، بل المعنى على أنهم يتولون حتى في حالة ما لو سمعهم الله الإسماع المخصوص، وهو إسماع الإفهام، فكيف إذا لم يسمعوه. انظر: ابن عاشور، مصدر سابق، ج٩ ص٣١١.

(٢) هذه الأقوال كلها متقاربة، فالإيمان والإسلام تدخل فيهما الأمورالمذكورة من الجهاد والإتباع وغيرها ولذا قال الجمهور من المفسرين : المعنى استجيبوا للطاعة وما تضمنه القرآن من أوامر ونواه ففيه الحياة الأبدية ، والنعمة السرمدية. انظر: الطبري، مصدر سابق، ج١٣ ص٤٦٢، وابن كثير، مصدر سابق، ج٤ ص٣٣.

قلت: وفي الآية دليل على وجوب الاستجابة لأمر الله ورسوله وعلى هذا يجب على كل مسلم إذا بلغه قول الله أو قول رسوله في حكم من الأحكام الشرعية أن يبادر إلى العمل به كائناً ما كان ، ويدع ما خالفه من الرأي وأقوال الرجال. وفي هذه الآية الشريفة أعظم باعث على العمل بنصوص الأدلة، وترك التقيد بالمذاهب الذي يوجبه بعض العلماء، وعدم الاعتداد بما يخالف ما في الكتاب والسنة كائناً ما كان، ففي شريعة الله كفاية لكل شيء والله الموفق.

التبعية.[1] قوله: [فلا يستطيع أن يؤمن أو يكفر إلا بإرادته]، تقدم أنه لا مفهوم للكفر والإيمان[2] بل السمع والبصر والشم والذوق واللمس في قبضة الله سبحانه، إن شاء أبقاه، وإن شاء أذهبه، وإنما خص الإيمان والكفر لأن مناط السعادة والشقاوة بهما. قوله: ﴿فيجازيكم بأعمالكم﴾ أي إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

قوله: ﴿واتقوا فتنة﴾[3] أي سبب فتنة وهي المعاصي، فإنهاسبب لنزول المصائب الدنيوية. قوله: ﴿تصيبن﴾ الجملة صفة لفتنة، و﴿لا﴾ نافية، و﴿تصيبن﴾ فعل مضارع مبني على الفتح، لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وهو واقع في جواب شرط مقدر قدره المفسر بقوله: [إن أصابتكم] وليس جواباً للأمر، لأن المرتب على تقواها عدم إصابتها أحداً لا خصوصاً ولا عموماً، وإنما أكد الفعل المضارع المنفي بالنون، إجراء له مجرى النهي. قوله: ﴿بل تعمهم وغيرهم﴾ أي فالظالم لظلمه، وغير الظالم لإقراره وسكوته وعدم نهيه عن المنكر،[4]

وفي الحديث ما معناه: "مثل الظالم كمثل جماعة في أسفل مركب، ومثل غير الظالم كمثل جماعة في أعلى المركب، فأراد أهل الأسفار أن يخرقوا خرقاً يستقون منه، فإن سلم لهم أهل الأعلى هلكوا جميعاً،

---

(١) وهذه المعية معية العلم لا بالذات وعليه أهل السنة والجماعة. انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢ ص٢٧٣.

(٢) قلت: وقد يكون للكفر والإيمان مفهوم بحيث أن الله عز وجل يرجع إليه الأمر كله لا يؤمن أحد إلا إذا أراد إرادة كونية ولا يكفر إلا إذا أراد إرادة كونية، وعلى هذا كان السلف من أهل السنة والجماعة.

(٣) ذكر بعض المفسرين سبب النزول لهذه الآية وقالوا: نزلت هذه الآية في أصحاب رسول الله -ﷺ- ومعناه: اتقوا فتنة تصيب الظالم وغير الظالم، وقال الحسن: نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير رضي الله عنهم. قال الزبير: لقد قرأنا هذه الآية زمانا وما أرانا من أهلها فإذا نحن المعنيون بها، يعني ما كان يوم الجمل. انظر: الطبري، مصدر سابق، ج١٣ ص٤٧٢ – ٤٧٣، وفيه: نزلت في علي وعمار وطلحة الخ.

(٤) قلت: لذا منع الباري جل وعلا نبيه ومصطفاه أن يقعد مع الذين يخوضون في الأمور التي لا تليق بالدين وكذا يحرم قطعا بنهيه نبيه لجميع المسلمين القعود مع العصاة علنا إلا بضرورة التغيير وتقديم النصيحة لهم إن كان هو أهلا له وإلا فلا، وإذا نزلت المصيبة فلا تترك الصالح والطالح إلا عمتهم فالظالم لظلمه والصالح لعدم القيام بواجبه ثم يبعثون يوم القيامة على نياتهم كما جاء في الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري من عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- يَغْزُو جَيْشٌ الْكَعْبَةَ فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنْ الْأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ قَالَتْ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ قَالَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ. انظر: صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب ما ذكر في الأسواق، ج٢ ص٧٤٦ برقم ٢٠١٢.

وإن قاموا عليهم نجوا جميعاً"[1]. قال ابن عباس: (إن أمر المؤمنين أن لا يقروا المنكر بين أظهرهم، فيعمهم الله بالعذاب، فيصيب الظالم وغير الظالم).[2]

وفي الحديث: "إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاص حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم، وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه، فإذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة".[3]

وورد "إذا [عمت][4] الخطيئة في الأرض، كان من شهدها فأنكر، كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها، كان كمن شهدها"[5] إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في ذلك، فإذا علمت ذلك، فلا تشكل هذه بقوله تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾[6]، بما علمت أن الساكت على المنكر، مؤاخذ بوزر نفسه لا بوزر المباشر.

قوله: ﴿واذكروا﴾ خطاب للنبي وأصحابه، نزلت بعد غزوة بدر.[7] قوله: ﴿مستضعفون﴾ أي مظهرون الضعف لعدم أمرك بالقتال. قوله: [الغنائم] أي فلما هاجروا وأمروا بالقتال. تركوا التجارة وصار رزقهم من الغنائم، وفي الحديث: "جعل رزقي تحت ظل رمحي"[8]. قوله ﴿لعلكم تشكرون﴾ أي فتزدادوا

---

(١) الحديث في صحيح البخاري إنما أورده المصنف بمعناه كما صرح بذلك، وهذا جائز عند بعض المحدثين، وأما نصه الذي عند البخاري من حديث النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ قَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: "مَثَلُ الْمُدْهِنِ فِي حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا مَثَلُ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا سَفِينَةً فَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَسْفَلِهَا وَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَعْلَاهَا فَكَانَ الَّذِي فِي أَسْفَلِهَا يَمُرُّونَ بِالْمَاءِ عَلَى الَّذِينَ فِي أَعْلَاهَا فَتَأَذَّوْا بِهِ فَأَخَذَ فَأْسًا فَجَعَلَ يَنْقُرُ أَسْفَلَ السَّفِينَةِ فَأَتَوْهُ فَقَالُوا مَا لَكَ قَالَ تَأَذَّيْتُمْ بِي وَلَا بُدَّ لِي مِنْ الْمَاءِ فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَنْجَوْهُ وَنَجَّوْا أَنْفُسَهُمْ وَإِنْ تَرَكُوهُ أَهْلَكُوهُ وَأَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ". انظر: صحيح البخاري، كِتَاب الشَّهَادَاتِ، بَاب الْقُرْعَةِ فِي الْمُشْكِلَاتِ، ص٩٥٤ برقم ٢٥٤٠.

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [سورة الأنفال، الآية:٢٥]. انظر: الطبري، مصدر سابق، ج١٣ ص٤٧٣.

(٣) أخرجه الدولابي في الكنى والأسماء من حديث أبي عدي رضي الله عنه. انظر: الدولابي، أبو بشر الدولابي، **الكنى والأسماء**، ط١، (بيروت: دار ابن حزم، ٢٠٠٠م – ١٤٢١هـ) ج١ ص٢١١.

(٤) كذا في الأصل وفي النسخ المطبوعة، وهو خطأ لأن جميع طرق هذا الحديث لم يرد فيها اللفظ هكذا بل وردت [عملت].

(٥) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، برقم٣٧٨٤، ج٤ ص٢١٨ برقم ٤٣٤٧.

(٦) سورة الإسراء، الآية:١٥.

(٧) انظر: الطبري، مصدر سابق، ج١٣ ص٤٧٩.

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضل الجهاد، باب ما قيل في الرمح، ج١٠ ص٥٣.

من النعم، لأن بالشكر تزداد النعم، قال تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾[1] قوله: [ونزل في أبي لبابة] اسمه مرواه كما في بعض النسخ، وقيل رفاعة. قوله: [وقد بعثه] الخ حاصل قصته: أن رسول الله حاصر قريظة خمساً وعشرين ليلة. وقيل خمسة عشر، وقيل بضعة عشر يوماً، فلما اشتد عليهم الأمر، قام عليهم ر ئيسهم كعب بن أسد، وعرض عليهم الإيمان، فقال: يا معشر اليهود، قد نزل بكم من الأمر ماترون، وإني أعرض عليكم خصالاً ثلاثاً، فخذوا أيها شئتم، قالوا: وما هي؟ قال: نتابع هذا الرجل ونصدقه، فوالله لقد تبين أنه نبي مرسل، وأنه الذي تجدونه في كتابكم، فتأمنون على دمائكم ونصدقه، فوالله لقد تبين أنه نبي مرسل، وأنه الذي تجدونه في كتابكم، فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم، فأبوا، فقال: هلم نقتل أبناءنا ونساءنا؟ فقال: إن هذه الليلة ليلة السبت، وعسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها، فانزلوا لعلنا نصيب منهم غزوة، فقالوا: نفسد سبتنا، وقد علمت مسخ من خالف السبت، فأرسلوا إلى رسول الله -ﷺ- أن أبعث لنا أبا لبابة نستشيره في أمرنا، فأرسله إليهم، فلما رأوه قام إليه الرجال، وفزع النساء والصبيان يبكون في وجهه، فرق لهم، وقالوا: يا أبا لبابة، أترى أن ننزل على حكم محمد؟ قال نعم، وأشار بيده إلى حلقه إنه الذبح، فقال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أني خنت الله ورسوله، ثم انطلق وسلك طريقاً أخرى، فلم يأت رسول الله حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده، وقال: أبرح من مكاني هذا حتى يتوب الله علي مما صنعت، فلما بلغ خبره رسول الله وقد استبطأه، قال: أما لو جاءني لاستغفرت له، وأما إذا فعل ما فعل، فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه، فأقام أبو لبابة مرتبطاً بالجذع ست ليال، وقيل بضعة عشر ليلة، حتى ذهب سمعه وكاد يذهب بصره، وكانت امرأته تأتيه في وقت كل صلاة، فتحله للصلاة ثم تربطه، ثم نزلت توبته في بيت أم سلمة على رسول الله -ﷺ- سحراً، فقام يضحك، فقالت أم سلمة: مم تضحك أضحك الله سنك؟ قال: تيب على أبي لبابة، قالت: أفلا أبشره، فقالت: يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك، فتسارع إليه الناس ليطلقوه، فقال: لا والله حتى يكون رسول الله هو الذي يطلقني بيده، فلما أصبح الصبح أطلقه فلما اشتد الحصار على بني قريظة، أطاعوا وانقادوا أن ينزلوا على حكم رسول الله، فحكم فيهم سعد بن معاذ، وكان في خيمة في المسجد الشريف لامرأة من أسلم يقال لها

---

(١) سورة إبراهيم، الآية:٧.

رفيدة، وكانت تداوي الجرحى حسبة، فأتي به، فلما حضر قال رسول الله ε قوموا لسيدكم، فقاموا إليه، فقالوا: إن رسول الله ولاك أمر مواليك لتحكم فيه، فقال سعد: إني أحكم فيهم أن تقتل الرجال، وتقسم الأموال وتسبى الذراري والنساء، فقال عليه الصلاةوالسلام: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة، والرقيع السماء، ففعل بهم كما قال سعد.(١)

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ إنما عمم الخطاب إشارة إلى الستر عليه، وأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، قوله: ﴿وتخونوا﴾ معطوف على الفعل قبله، فهو في حيز النهي، ولذا قدر المفسر لا، فهو نهي عن الخيانتين. قوله: ﴿وأنتم تعلمون﴾ الجملة حالية من فاعل ﴿تخونوا﴾،(٢) قوله: [صادة] أي مانعة. قوله: [فلا تفوتوه بمراعاة الأموال] الخ أي لأنها أمور زائلة فانية، وسعادة الاخرة لا نهاية لها فهي أولى بتقديمها على ما يفنى.

قوله: ﴿فرقاناً﴾ أي نجاة مما تخافون، وقد أشار لهذا المفسر بقوله: [فتنجون] وقيل: المراد بالفرقان النور الكائن في القلب الذي يفرق بين الحق والباطل، وهو أولى.(٣) قوله: ﴿ويكفر عنكم سيئاتكم﴾ أي يمحها، فقوله: ﴿ويغفر لكم﴾ عطف مرادف عليه.

---

(١) انظر: الخازن، مصدر سابق، ج٥ ص١٨٣، والبغوي، مصدر سابق، ج٦ ص٣٣٨ وما بعده، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى، باب مساواة المرأة الرجل في حكم الحجاب، ج٧ ص٩٢.

قلت: لم يذكر أحد من المفسرين غيره هذه القصة في تفسير هذه الآية، ولكنهم ساقوها تحت تفسير قول الله عز وجل: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٢٤].

(٢) قال القاضي أبو محمد: يشبه أن تمثل بالآية في قتل عثمان رحمه الله، فقد كانت خيانة لله وللرسول والأمانات، والخيانة: التنقص للشيء باختفاء، وهي مستعملة في أن يفعل الإنسان خلاف ما ينبغي من المافظة على أمر ما، مالاً كان أم غيره، والخيانة لله تعالى هي في تنقص أوامره في سر وخيانة الرسول تنقص فقد اؤتمن على دينه وعبادته وحقوق الغير. انتهى. انظر: ابن عطية، مصدر سابق، ج٢ ص٥١٨-٥١٩.

(٣) قلت: فيها أربع تأويلات: الأولى: أن معناه فرقاناً أي هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل، قاله ابن زيد وابن إسحاق. والثانية: يعني مخرجاً في الدنيا والآخرة، قاله مجاهد. والثالثة: يعني نجاة، قاله السدي. والرابعة: فتحاً ونصراً، قاله الفراء، ويحتمل الخامسة: وهو أن يفرق بينكم وبين الكافر في الآخرة. انظر: الطبري، مصدر سابق، ج١٣ ص٤٨٨ وما بعده، وابن كثير، مصدر سابق، ج٤ ص٤٢-٤٣.

قوله: ﴿وإذ يمكر بك﴾ إذ ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله: [اذكر] وهذا تذكير لنعمة الله على نبيه، إثر تذكير نعمة الله على المؤمنين بقوله: ﴿واذكروا إذ أنتم قليل تستضعفون في الأرض﴾، والمكر الاحتيال على إيصال الضر للغير، وحاصل ذلك: أن قريشاً عرفوا لما أسلم الأنصار، أن أمر رسول الله يتفاخم ويظهر، فاجتمع نفر من كبار قريش في دار الندوة ليتشاوروا في أمر رسول الله -ﷺ-، وكان رؤساؤهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو جهل، وأبو سفيان،[1] وطعمة ابن عدي،[2] والنضر بن الحارث،[3] وأبو البحتري بن هشام، وزمعة بن الأسود،[4] فجاءهم إبليس في صورة شيخ نجدين فلما رأوه قالوا له: من أنت؟ قال: أنا شيخ من نجد، سمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم، ولن تعدموا مني رأياً نصحاً، فقالوا: ادخل فدخل، فقال أبو البحتري: أما أنا فأرى أن تأخذوا محمداً وتحبسوه في بيت مقيد، وتسدوا باب البيت غير كوة تلقون منها طعامه وشرابه حتى يهلك، فصرخ ذلك الشيخ النجدين وقال: بئس الرأي، إن أصحابه يقاتلونكم ويخرجونه قهراً عليكم، فقالوا: صدق الشيخ النجدي، فقال هشام بن عمرو: إني أرى أن تحملوه على بعيره فتخرجوه من بين أظهركم، فلا يضركم ما صنع، فقال الشيخ النجدي: ما هذا برأي، تعمدون إلى رجل قد اتبعه سفهاؤكم، فتخرجوه إلى غيركم فيفسدهم، ألم تروا إلى حلاوة منطقة وطلاقة لسانه، لئن فعلتم ذلك، يذهب ويستميل قلوب آخرين، فيسير بهم إليكم فيخرجكم من بلادكم، فقال أبو جهل: إني أرى أن تأخذوا من كل بطن قريش شاباً نسيباً، ويعطى كل شاب سيفاً صارماً، ثم يضربونه به ضربة واحدة، فإذا قتل تفرق دمه في القبائل، ولا أظن أن هذا الحي من بني هاشم، يقوم على حرب قريش كلها، غايته يطلبون ديته وهو أمر سهل، فقال إبليس: إنه أجودكم رأياً، فتفرقوا على ذلك، فأتى جبريل وأخبر رسول الله بذلك وبأن الله أذن له في الخروج إلى

---

(١) أبو سفيان هو: صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، صحابي، من سادات قريش في الجاهلية.وهو والد معاوية رأس الدولة الاموية.كان من رؤساء المشركين في حرب الإسلام عند ظهوره: قاد قريشا وكنانة يوم أحد ويوم الخندق لقتال رسول الله –ﷺ– وأسلم يوم فتح مكة (سنة ٨ هـ) وأبلى بعد إسلامه البلاء الحسن، وشهد حنينا والطائف، ففقئت عينه يوم الطائف ثم فقئت الأخرى يوم اليرموك، فعمي. انظر: الزركلي، مصدر سابق، ج٣ ص٢٠١.

(٢) طعيمة بن عدي بن نوفل بن عبد مناف: من رؤساء قريش في الجاهلية. انظر: الزركلي، مصدر سابق، ج٣ ص٢٢٧.

(٣) سبق ترجمته.

(٤) هو زمعة بن الأسود بن المطلب بن عبد مناف، قيل: إنه قتل يوم بدر كافرا. انظر: ابن الأثير، في أسد الغابة، ج١ ص٥٨١.

المدينة، فلما كان الليل، اجتمعوا على بابه يرصدون حتى ينام رسول الله علياً أن يبيت بمضجعه، وقال له: تسج ببردتي، فإنه لن يخلص إليك منهم أمر تكرهه، ثم خرج رسول الله -ﷺ- عليهم، وقد أخذ أبصارهم، فلم يره منهم أحد، ونثر على رؤوسهم التراب وهو يتلو قوله تعالى: ﴿يس﴾ إلى قوله: ﴿فأغشينهم فهم لا يبصرون﴾[1] ثم أتاهم آت فقال لهم: إن محمداً خرج عليكم ووضع التراب على رؤوسكم، فما من رجل منهم أصابه ذلك التراب إلا قتل يوم بدر كافراً.[2] قوله: [بدار الندوة] أي بالدار التي يقع فيها الحديث والاجتماع، وهي أول دار بنيت بمكة، فلما حج معاوية اشتراها من الزبير العبدري بمائة ألف درهم، ثم صارت كلها بالمسجد الحرام، وهي في جانبه الشمالي.[3]

قوله: ﴿ليثبتوك﴾ هذا إشارة لرأي أبي البحتري. قوله: ﴿أو يقتلوك﴾ أي شبان القبائل كلهم قتلة رجل واحد، وهو إشارة لرأي أبي جهل. قوله: ﴿أو يخرجوك﴾ هو إشارة لرأي هشام بن عمرو. قوله: ﴿ويمكرون﴾ [بك] أي يحتالون ويتدبرون في أمرك. قوله: [تبدير أمرك] جواب عما يقال: إن حقيقة المكر محالة على الله تعالى، لأنه الاحتيال على الشيء من أجل حصول العجز عنه، وأجيب أيضاً: بأن المراد بمكر الله، معاملتهم معاملة الماكر، حيث خيب سعيهم وضيع أملهم، أو المراد جازاهم على مكرهم، فسمي الجزاء مكراً لأنه في مقابلته.[4]

قوله: [أعلمهم به] دفع بذلك ما يقال: إن المكر لا خير فيه، وأجيب أيضاً: بأن اسم التفضيل ليس على بابه.

---

(١) سورة يس، الآية: ٩.

(٢) انظر: ابن هشام ، مصدر سابق، ج١ ص٤٨٠، وابن كثير في السيرة النبوية، ج٢ ص٢٢٨.

(٣) انظر: الدكتور جواد علي، **المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام**، ط٤، (مكة: دار الساقي، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)، ج٣ ص١٠٩، وأحمد إبراهيم الشريف، **مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول** -ﷺ- ، د.ط، (بيروت: دار الفكر العربي، د.ت.ط) ص٩٤.

(٤) ولذا يقول العلماء لا يجوز أن يقال لله الماكر اشتقاقا من فعله كما في الآية لأن أصل الكلمة لا تدل على صفة الكمال، والله عز وجل لا يوصف إلا بصفة الكمال، وعلى هذا يقول علماء العقيدة اشتقاق الاسم من الفعل مرجعيته إلى النص وليس إلى اجتهاد الشخص. انظر: اللالكائي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، ط١، (الرياض: دار طيبة، ١٤٠٢هـ)، ج٢ ص١٩٣.

قوله: ﴿وإذا تتلى عليهم﴾ هذا من جملة قبائح أهل مكة. قوله: ﴿مثل هذا﴾ تنازعه من سمعنا وقلنا. قوله: [الحيرة][1] بلدة بقرب الكوفة. قوله: [أخبار الأعاجم] أي كالفرس والروم. قوله: ﴿إلا أساطير﴾ جمع أسطورة، كأكاذيب جمع أكذوبة وزناً ومعنى،[2] وقد رد الله عليهم تلك المقالة بقوله تعالى: ﴿قل فأتوا بعشر سور مثله﴾[3] ، وقال أيضاً: ﴿قل فأتوا بسورة مثله﴾[4]، فعجزوا عن ذلك. وقال البوصيري:

سور منه أشبهت صوراً ✤✤ منا ومثل النظائر النظراء[5]

قوله: ﴿وإذ قالوا﴾ هذا من جملة قبائحهم الشنيعة. قوله: ﴿هو الحق﴾ القراء السبعة على نصب الحق خبراً لكان، وهو ضمير فصل لا محل له من الإعراب، وقرئ شذوذاً برفعه على أن خبر للضمير، والجملة خبر لكان. قوله: ﴿من عندك﴾ حال من الحق. قوله: ﴿بعذاب أليم﴾ أي كالصيحة والخسف. قوله: [قاله النضر] أي ابن الحارث. وقوله [وغيره] أي وهو أبو جهل ولا مانع من أن كلا قال ذلك. قوله: [استهزاء] أي سخرية به -ﷺ-. قوله: [وإيهاماً أنه على بصيرة] أي لأن أصعب الإيمان الدعاء

---

(١) والحيرة تقع على أطراف دولة الفرس القديمة، التي انقسمت إلى عدة دويلات يحكمها ملوك الطوائف الذين كانوا من نسل قواد الإسكندر المقدوني، الذي فتح إمبراطورية فارس في القرن الرابع قبل الميلاد. ضعف ملوك الطوائف المقدونيون، وأخذت فارس تتوحد بقيادة زعميها أردشير بن بابك، الذي أسس حكم الأسرة الساسانية عام٢٢٦ م. أما أول ملوك الحيرة فقد كان، كما ذكر مؤرخو العرب، جذيمة الأبرش التنوخي، فلما مات، تولى الملك بعده ابن أخته عمرو بن عدي بن نصر اللخمي اليمني. وقد عرفت هذه المملكة في كتب تاريخ العرب وآدابهم بمملكة الحيرة ومملكة اللخميين ومملكة المناذرة وأبناء نصر. انظر: إحسان عباس، العرب في صقلية، ط١، (بيروت: دار الثقافة، ١٩٧٥م) ص٢١٩.

(٢) انظر: الزَّبيدي، في التاج، مصدر سابق، ج١٢ ص٢٦.

(٣) سورة هود، الآية:١٣.

(٤) سورة يونس، الآية: ٣٨.

(٥) قاله في همزيته وقال قبله :

إنما تجتلي الوجوه إذا مـــا ✤✤ جليت عن مرآتها الأصداء

سور مـــنه أشبهت صورا منا ✤✤ ومثل النظـــائر النظراء

والأقـــاويل عندهم كالتماثيل ✤✤ فلا يـــوهمنـــك الخطباء

كم أبانت آياته عن علوم ✤✤ من حروف أبان عنها الهجاء

فهي كالحب والنوى أعجب الزرا ✤✤ ع منـــها سنابل وزكاء

على النفس. قوله: [بما سألوه] أي وهو الحجارة أو العذاب الأليم، ولا بالعذاب العام، لرفعه ببركته –ﷺ–. قوله: ﴿وأنت فيهم﴾ أي في بلدهم، فإن خرجت منها أنت والمؤمنون، عذبهم الله على أيديكم عذاباً خاصاً بهم. قوله: ﴿وما كان الله معذبهم﴾[١] أي عذابا عاما ولا خاصا، قوله ﴿وهم مستغفرون﴾ الجملة حالية من الضمير في معذبهم، والمعنى أن الله لا يعذبهم، والحال أنهم يستغفرون، فاستغفارهم نافع لهم، بعدم نزول العذاب عليهم. إن قلت: بشكل على هذا قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي [ضَلاَلٍ[٣]]﴾[٤] أجيب: بأن استغفارهم نافع لهم في الدنيا فقط، وأما هاتان الآيتان فالمراد منهما ما يحصل في الآخرة، فأعمال الكفار الصالحة التي لا تفتقر إلى نية، كالصدقات وفعل المرعوف والاستغفار، تنفعهم الدنيا وتمنع عنهم العذاب فيها، ولا تنفعهم في الآخرة.[٥] وقوله: [وقيل هم المؤمنون] أي فضمير معذبهم يعود إلى أهل مكة، وقوله: ﴿وهم﴾ الضمير عائد على أهل مكة باعتبار مجموعهم وهم المؤمنون. قوله: (تزيلوا) أي تميز المؤمنون على الكفار.[٦]

---

(١) أفاد ابن عطية هنا في زمن نزول الآية وقال: قالت فرقة : نزلت هذه الآية كلها بمكة ، وقالت فرقة : نزلت كلها بعد وقعة بدر حكاية عما مضى ، وقال ابن أبزى: نزل قوله ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾ بمكة إثر قولهم ﴿أو ائتنا بعذاب أليم﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٣٢] ونزل قوله ﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ عند خروج النبي –ﷺ– عن مكة في طريقه إلى المدينة، وقد بقي بمكة مؤمنون يستغفرون، ونزل قوله ﴿وما لهم﴾ إلى آخر الآية بعد بدر عند ظهور العذاب عليهم. انظر: ابن عطية، مصدر سابق، ج٢ ص٥٢١.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٢٣.

(٣) كتب ما بين القوسين في الأصل وفي النسخ المطبعة [تباب] وهو خطأ وما أثبتناه هو الثواب.

(٤) سورة الرعد، الآية:١٤.

(٥) ذلك لأن نفعهم بالأعمال لم تتوفر فيها كما قال ربنا جل وعلا: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ [سورة الكهف، الآية:١١٠]

(٦) نزلت في النضر بن الحارث من بني عبد الدَّارِ. ذكر ابن عباس –رضي الله عنهما– أنه لما قصَّ رسولُ الله –ﷺ–، شأن القرون الماضية قال النَّضْرُ: لو شئت لقلتُ مثل هذا إن هذا إلا ما سطر الأوَّلُونَ في كتبهم، فقال له عثمانُ بن مظعون: اتق الله فإن محمداً يقول الحقَّ، قال: وأنا أقول الحق. فأجابه عثمان بإنَّ محمداً يقول: لا إله إلاَّ الله، قال: وأنا أقول: لا إله إلا الله ولكن هذه بنات الله، يعني: الأصنام. ثم قال: ﴿اللهم إن كَانَ هذا﴾ أي الذي يقوله محمد ﴿هُو الحقَّ من عندكَ﴾ ثم دعا عليهم بالهلاك.

وذكر ابن عادل في الآية إشكالين من وجهين ثم أجاب عنهما:

قوله: ﴿وما لهم ألا يعذبهم الله﴾ أي: ثبت لهم في عدم تعذيب الله لهم، أي لا مانع لهم منه.(١) قوله: [والمستضعفين] أي وخروج المستضعفين أيضاً. قوله: [وعلى القول الأول] أي وهو كون الضمير عائداً على الكفار. قوله: [هي ناسخة لما قبلها] أي وهي قوله: ﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ لأنه أخبر أولاً أنه لا يعذبهم مع استغفارهم بالبيت. قوله: ﴿وهم يصدون﴾ الجملة حالية من ضمير ﴿يعذبهم﴾. قوله: [أن يطوفوا] أي النبي والمؤمنون. قوله: ﴿وما كان أولياؤه﴾ رد لقولهم نحن ولاة البيت فنصد من نشاء، وندخل من نشاء. قوله: ﴿إن أولياؤه إلا المتقون﴾ أي المجتنبون الشرك. قوله: [أن لا ولاية لهم عليه] أشار بذلك إلى أن مفعول ﴿يعلمون﴾ محذوف. قوله: ﴿إلا مكاءً﴾ استثناء من الصلاة على حسب زعمهم، حيث ادعوا أن المكاء والتصدية من جنس الصلاة، فالاستثناء زيادة في التشنيع عليهم. قوله: [صفيراً] أي فكان الواحد منهم يشبك أصابع إحدى كفيه بأصابع الأخرى ويضمهما وينفخ فيهما، فيظهر من ذلك الصوت.(٢) قوله: [تصفيقاً] أي ضرباً بإحدى اليدين على الأخرى. قوله:

أحدهما: أن قوله ﴿اللهم إن كَانَ هذا هُوَ الحقَ﴾ الآية. حكاهُ الله عن كلام الكُفَّار، وهو من جنس نظم القرآن، فقد حصلت المعارضة في هذا وحكي عنهم في سورة الإسراء قولهم: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حتى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأرض يَنْبُوعاً﴾ [سورةؤ الإسراء : ٩٠] الآيات، وهذا أيضاً كلامُ الكُفَّار فقد حصل من كلامهم ما يشبه نظم القرن، فدلَّ على حصول المعارضة.

الوجه الثاني: أنَّ كفار قريش كانُوا معترفين بوجود الإله ، وقدرته ، وكانوا قد سمعوا التَّهديد الكثير من محمد -ﷺ- في نزول العذاب، فلو كان القرآن معجزاً لعرفوا كونه معجزاً ، لأنهم أرباب الفصاحةِ والبلاغةِ، ولو عرفوا ذلك لكان أقلّ الأحوال أن يَشُكُّوا في نبوّة محمد -ﷺ- ، ولو كانُوا كذلك لما أقدموا على قولهم: ﴿اللهم إن كَانَ هذا هُوَ الحق مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السمآء﴾، لأن الشَّاك لا يتجاسر على مثل هذه المبالغة وحيث أتوا بهذه المبالغة علمنا أنَّه ما لاح لهم في القرآن وجه من الوجوه المعجزة.

فالجواب عن الأول: أنَّ الإتيان بهذا القدر من الكلامِ لا يكفي في حصول المعارضة؛ لأنَّ هذا القدر كلام قليل لا يظهر فيه وجوه الفصاحة والبلاغة .

والجوابُ عن الثَّانِي: هَبْ أنَّه لم يظهر لهم الوجه في كون القرآن معجزاً إلاَّ أنَّهُ لما كان معجزاً في نفسه، فسواء عرفوا ذلك الوجه أو لم يعرفوا فإنه لا يتفاوت الحال . انظر: ابن عادل، مصدر سابق، ج٨ ص١٤٥، والطبري، مصدر سابق، ج١٣ ص٤٨٦، والبغوي، مصدر سابق،ج٣ ص٣٥٢.

(١) قلت: إن الله يفعل في عباده كيف شان لأنه لا يسأل، وهو فعال لما يريد، يعذب من يشاء من عباده من عصاتهم ويرحم من يشاء منهم، كما قال جل علاه: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ [سورة العنكبوت، الآية:٢١].

(٢) قلت: هذا أحد التفسيرين للمكاء، وإليه ذهب الجمهور، والقول الثاني: أنه إدخال أصابعهم في أفواههم ، قاله مجاهد. انظر: الطبري، مصدر سابق، ج١٣ ص٥٢٣.

[أي جعلوا ذلك] الخ، جواب عما يقال: إن المكاء والتصدية ليسا من جنس الصلاة، فكيف يصح استثناؤهما منها؟ فأجاب بأنهم كانوا يعتقدون أنهما من جنسها، فجرى الاستثناء على معتقدهم، كانوا يفعلون ذلك حين يشتغل النبي والمؤمنون بالصلاة وقراءة القرآن، كما حكى الله عنهم بقوله: ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه﴾[1].

قوله: ﴿إن الذين كفروا﴾ نزلت في كفار مكة،[2] ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فإن المشاهد في الكفار ذلك إلى يوم القيامة. قوله: ﴿فسينفقونها﴾ أي يعملون عاقبة إنفاقها. قوله: [ثم تكون في عاقبة الأمر] أي وهي عدم وصولهم لمقصودهم. قوله: ﴿ثم يغلبون﴾ التعبير بثم إشارة إلى أنهم يمهلون استدراجاً لهم، وزيادة حسرة لهم في العاقبة. قوله: [وبالتخفيف والتشديد][3] أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿جميعاً﴾ إما حال من الهاء في ﴿فيركمه﴾ أو توكيد لها. قوله: [يجمعه متراكماً بعضه على بعض] ظاهر الآية أن هذا الجمع قبل دخولهم النار، وحينئذ فيكون بياناً لحالهم في الموقف كما تقدم أنه يكون سبعون ألف قدم على قدم. قوله: ﴿أولئك هم الخسرون﴾ أي الخائبون في الدنيا وفي الآخرة.

قوله: ﴿قل للذين كفروا﴾ أمر للنبي -ﷺ- أن يبلغ الكفار ما ذكر. قوله: [كأبي سفيان وأصحابه] إنما خصهم لأنهم هم الباقون من كفار مكة، لأن الآية نزلت بعد بدر، وفيها قتل من قتل من

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٢٦.

(٢) قلت: ذكر المفسرون في هذه الآية سببين هما، أحدهما: أنها نزلت في نفقة قريش في قتال رسول الله -ﷺ- يوم بدر، قاله الضحاك. والثاني : أنها نزلت في أبي سفيان استأجر معه يوم أُحد ألفين من الأحابيش ومنه كنانة ليقاتل بهم رسول الله -ﷺ- ، سوى من انحاز إليه من العرب ، قاله سعيد ومجاهد والحكم بن عيينة ، وفي ذلك يقول كعب بن مالك :

وجئنا إلى موج من البحر وسطه ❁❁ أحابيش منهم حاسرٌ ومقـنـع

ثلاثـــــة آلافٍ ونحن نَصيـــَّة ❁❁ ثلاثُ مئينٍ إن كثرنا فـــأربع.

انظر: الطبري، مصدر سابق، ج١٣ ص٥٣٠، والسيوطي، في الدر، ج٧ ص١٢٠.

(٣) قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وأبو عمرو ﴿ليَميز﴾ بفتح الياء خفيفا، وقرأ حمزة والكسائى ﴿ليُميِّز﴾ بضم الياء والتشديد. انظر: ابن مجاهد، مصدر سابق، ص٣٠٦.

صناديدهم، وبقي من بقي، فالخطاب لمن بقي. قوله: ﴿إن ينتهوا﴾ [عن الكفر] أي بأن ينطقوا بالشهادتين صادقين مصدقين، فكلمة التوحيد سبب للانتقال من ديون الأشقياء، لديوان السعداء إذا علمت أن هذا الفضل لمن سبق له الكفر، فما بالك بمن لم يسبق له الكفر، وعاش مؤمناً ومات كذلك، قال السنوسي[1]: فعلى العاقل أن يكثر من ذكرها مستحضراً لما احتوت عليه من المعاني، حتى تمتزج مع معناها بلحمه ودمه، فإنه يرى لها من الأسرار والعجائب ما لا يدخل تحت حصر.[2] قوله: [ومن أعمالهم] أي السيئة وأعظمها الكفر. قوله: ﴿وإن يعودوا﴾ وأصل العود الرجوع عن الشيء بعد التلبس به، وحينئذ فيكون المعنى وإن يرتدوا عن الإسلام بعد تلبسهم به، ويصح أن يفسر العود بالاستمرار على الكفر. قوله: ﴿فقد مضت سنت الأولين﴾ أي كعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ممن هلك، إن قلت: إن هؤلاء قد أصابهم الهلاك العام، وأما محمد -ﷺ- فمحفوظة منه. وأجيب: بأن التشبيه في مطلق هلاك، وإن كان ما سبق عاماً، وهذا خاص، والأقرب أن يراد بالأولين من سبق قبلهم من أولاد عمهم وأقاربهم ممن قتل ببدر وجملة فقد مضت سنة الأوليين تعليل لمحذوف ولا يصلح للجواب، وتقدير الجواب: إن يعودوا نهلكهم كما أهلكنا الأولين.

قوله: ﴿وقتلوهم﴾ أي الكفار مطلقاً، مشركين أو غيرهم، قوله: ﴿حتى لا تكون فتنة﴾ أي شوكة لأهل الشرك، أي بأن ينقرضوا رأساً، أو بدخولهم في الإسلام، أو بأن يؤدوا الجزية بدليل قوله تعالى: ﴿قتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾، إلى أن قال: ﴿حتى يعطوا الجزية﴾،[3] فالمكلف به مأخوذ من مجموع الآيتين. قوله: [توجد] أشار بذلك إلى أن كان تامة و﴿فتنةٌ﴾ بالرفع فاعلها. قوله: ﴿ويكون الدين كله لله﴾ ﴿ويكون﴾ ناقصة و﴿الدين﴾ اسمها و﴿لله﴾ متعلق بمحذوف خبرها.

---

(١) هو الإمام محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي، وبلقب السنوسي اشتهر، ويلقب أيضا بالحسني نسبة للحسن بن علي بن أبي طالب من جهة أم أبيه، وهو تلمساني أيضا نسبة إلى بلدة تلمسان. تخرج بدار العلوم ثم بالازهر، وزاول المحاماة الشرعية مدة، وعمل في التدريس إلى سنة ١٩٢٨م. انظر: الزركلي في الأعلام، ج١ ص٢٥١.

(٢) قاله في رسالته المسماة بمتن السنوسية، وهي رسالة صغيرة جدا ذكر ذلك في آخر رسالته متحدثا عن الشهادتين وختم به الرسالة.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٢٩.

قوله: ﴿بما يعملون﴾ القراء السبعة على الياء التحتية، وقرأ يعقوب من العشرة بالتاء الفوقية. قوله: [فيجازيهم به] أي بالذين تعملونه من خير وشر.

قوله: ﴿وإن تولوا﴾ أي أعرضوا ولم يمتثلوا. قوله: ﴿نعم المولى﴾ هذا ثناء من الله على نفسه، فهو حمد قديم لقديم، والمعنى أن الله ينصر العبد ويشكره ولا يضيعه، بخلاف الناصر من الخلق، ينصر ويمن بذلك النصر. قوله: [هو] أشار بذلك إلى أن المخصوصة بالمدجح محذوف.

قوله: ﴿واعلموا أنما غنمتم﴾[1] تقدم أن الحق أن هذه الآية مفصلة الآية: ﴿يسئلونك عن الأنفال﴾ قوله: ﴿من شيء﴾ بيان لما ونكرة ليشمل الجليل والحقير، والشريف والوضيع. قوله: ﴿فأن لله خمسه﴾ بفتح الهمزة خبر لمحذوف، والتقدير فحكمه أن خمسه لله. قوله: [يأمر فيه بما يشاء] أي فالخمس يقسم ستة أقسام. قسم لله يصرف في الكعبة، والخمسة أقسام: للنبي ولآله، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل، وبذلك قال بعض الأئمة غير الأربعة، وقال الأربعة: إنه يقسم خمسة أقسام فقط للخمسوة المذكورين، وذكر الله للتعظيم، وهذا ما كان في زمنه، وأما بعد وفاته، فالخمس الذي كان يأخذه النبي يوضع في بيت المال، يصرف في مصالح المسلمين، وأما بعد وفاته، فالخمس الذي كان يأخذه النبي يوضع في بيت المال، يصرف في مصالح المسلمين، وهو كواحد منهم، وبهذاقال الشافعي، وقال مالك: النظر فيه للإمام، وقال أبو حنيفة سقط سهمه وسهم القربى بوفاته، وصار الكل للثلاثة فقط.[2] قوله: [من بني هاشم وبني المطلب] هذا مذهب الشافعي، وعند مالك الآل بنو هاشم فقط، وعند أبي حنيفة فرق خمسة: آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس، وآل حارث. قوله:

---

(١) قلت: ذكرت فهذه الآية الغنيمة وفي الأخرى [الحشر] الفيء، واختلف المفسرون في تحديد الفيء والغنيمة على ثلاثة أقاويل:

١- قال عطاء بن السائب : إن الغنيمة ما ظهر عليه من أموال المشركين والفيء ما ظهر عليه من الأرض.

٢- وقال الشافعي وسفيان الثوري: إن الغنيمة ما أخذ عنوة ، والفيء ما أخذ عن صلح.

٣- وقال قتادة: إن الفيء والغنيمة سواء وهو كل مال أخذ من المشركين ، وآية الفيء التي هي في سور الحشر منسوخة بآية الغنيمة التي في سورة الأنفال. انظر: الطبري، مصدر سابق، ج١٣ ص٥٤٥، والقرطبي، مصدر سابق، ج٨ ص١.

(٢) انظر: بن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري، **الاستذكار**، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م)، ج٣ ص١٤٨، ولابن العربي في أحكام القرآن: ج٢ ص٨٥٥ وما بعدها، وأحكام القرآن للجصاص: ج٤ ص٢٢٩، وما بعدها.

﴿والمسكين﴾ المراد بهم ما يشمل الفقراء. قوله: [المنقطع في سفره] أي المحتاج ولو غنياً ببلده. قوله: [أي يستحقه النبي] إنما لم يقل الله، و﴿النبي﴾ إشارة إلى أن ذكر اسم الله للتعظيم والتبرك، كما هو التحقيق. قوله: [من أن لكل] أي من الأصناف الخمسة. قوله: [والأخماس الأربعة] بيان لمفهوم قوله خمسة. قوله: [فاعلموا ذلك] أشار بذلك إلى أن جوبا لاشرط محذوف، لدلالة ما قبله عليه، والمراد علم ذلك مع العمل بمقتضاه، لأن العلم المجرد لا ثمرة له. قوله: [عطف على بالله] أي على مدخول الباء، وهو لفظ الجلالة. قوله: [من الملائكة] الخ بيان لما. قوله: [الفارق بين الحق] أي بظهوره واتضاحه. وقوله: [والباطل] أي بخموده وذهابه. قوله: ﴿يوم التقى الجمعان﴾ بدل من يوم الأول. قوله: ﴿والله على كل شيء قدير﴾ كالتذييل والتدليل لما قبله. قوله: [بدل من يوم] أي الثاني بدل اشتمال. قوله: [بضم العين وكسرها] أي فهما قراءتان سبعيتان،[1] والعدوة الشاطئ والشفير والجانب، سميت بذلك لأن السيل يعدوها ويتجاوزها لعلوها عن الوادي، والمعنى أنتم بالجانب القريب من المدينة، وهم بالجانب الآخر، وبينهما مقدار الرامي.[2]

قوله: [كائنون بمكان] ﴿أسفل منكم﴾ أشار المفسر إلى أن ﴿والركب﴾ مبتدأ خبره محذوف، وقوله: ﴿أسفل﴾ ظرف صفة لمحذوف، والمعنى أن ﴿والركب﴾ في مكان ﴿أسفل منكم﴾ بحيث لو استغاثوا بقومهم لأغاثوهم. قوله: ﴿ولو تواعدتم﴾ أي أعلم كل منكم الآخر بالخروج للقتال. قوله: ﴿لاختلفتم في الميعد﴾ أي لأمكن اختلافكم في التواعد، بمعنى أنكم لم توفوا بذلك، بل قد تتخلفون عن الخروج. قوله: ﴿ليهلك﴾[3] علة لمحذوف قدره المفسر بقوله [فعل ذلك] وهو جمعهم بغير ميعاد، وإخراجهم بغير تأهل. قوله: [يكفر] أي يستمر على كفره. قوله [أي بعد حجة] أشار بذلك إلى أن

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿بالعِدْوة﴾ بكسر العين وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى ﴿بالعُدْوة﴾ بضم العين. انظر: ابن مجاهد، مصدر سابق، ص٣٠٦.

(٢) قال الكلبي : على شاطىء البحر بثلاثة أميال. انظر: السيوطي، مصدر سابق، ج٩ ص٢٢٤.

(٣) قلت: في قوله تعالى : ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة، توجيهان مشهوران للمفسرين: أحدهما : ليقتل ببدر من قتل من مشركي قريش عن حجة ، وليبقى من بقي عن قدرة .

والثاني: ليكفر من قريش من كفر بعد الحجة ببيان ما وعدوا ، ويؤمن من آمن بعد العلم بصحة إيمانهم .انظر: الخازن، مصدر سابق، ج٣ ص٢٠٠.

﴿عن﴾ بمعنى بعد، على حد قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَن طَبَقٍ ﴾[١]، والمعنى أنه لم يبق لهم عذر في عدم إيمانهم، بل صار كفرهم عناداً. قوله ﴿ويحيى﴾ أي يستمر على الحياة وهي الإيمان. قوله: ﴿من حي﴾ بالفك والإدغام،[٢] قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿وإن الله سميع﴾ أي بأقوالكم ﴿عليم﴾ بأحوالكم فيجازيكم عليها.

قوله: ﴿قليلاً﴾ مفعول ثالث، لأن رأي العلمية تنصب مفعولين بلا همز، فإذا دخلت عليها الهمزة نصبت ثلاثة، والمعنى اذكر يا محمد هذه النعمة العظيمة، وهي رؤيتك إياهم في المنام قليلاً، تشجيعاً لأصحابك وتثبيتاً لهم.[٣] وإشارة إلى ضعف الكفار، وأنهم يهزمون، وبهذا اندفع ما يقال: إن رؤيا الأنبياء حق، فكيف يراهم قليلاً مع كثرتهم. قوله: ﴿ولو أراكهم كثيراً﴾ أي وأخبرت أصحابك بذلك. قوله: ﴿ولتنازعتم﴾ عطف على فشلتم، عطف سبب على مسب. قوله: ﴿ولكن الله سلّم﴾ مفعول له محذوف قدره المفسر، وقوله: [من الفشل] الخ متعلق بسلم. قوله: [بما في القلوب] أي الخطرات والسرائر التي احتوت عليها القلوب، فالمراد بصاحبات الصدور والسرائر، و﴿الصدور﴾ القلوب، من باب تسمية الحال باسم محله.

قوله: ﴿وإذ يريكموهم﴾ هذه الرؤية بصرية، فتنصب مفعولاً واحداً إن لم تدخل عليها الهمزة، وإلا نصبت مفعولين، فالكاف مفعول أول، والهاء مفعول ثان، و(قليلاً) حال. قوله: [أيها المؤمنون] تفسير للكاف. قوله: [وهم ألف] أي في الواقع ونفس الأمر. قوله: [لتقدموا عليهم] علة لقوله: ﴿يريكموهم﴾ الخ. قوله: [ليقدموا] علة لقوله: ﴿ويقللكم﴾ . قوله: [وهذا] أي تقليلكم في أعينهم. قوله: [أراهم] أي الكفار، [إياهم] أي المسلمين [مثليهم] أي مثلي الكفار وكانوا ألفاً، فرأوا المسلمين قدر ألفين، لتضعف قلوبهم، ويتمكن المسلمون منهم، فلا تنافي بين ما هنا، وبين ما تقدم. قوله:

---

(١) سورة الانشقاق، الآية:١٩.

(٢) قرأ ابن كثير فى رواية قنبل وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائى ﴿حيَّ عن بينة﴾ بياء واحدة مشددة وقرأ عاصم فى رواية أبى بكر ونافع ﴿من حييَ﴾ بيائين الأولى مكسورة والثانية مفتوحة. انظر: ابن مجاهد، مصدر سابق، ص٣٠٦.

(٣) قلت: هذا ما ذهب إليه جمهور المفسرين أنه ألقى عليه النوم وأراه قلتهم في نومه، وهو الظاهر في الآية، وإنما أراه ذلك على خلاف ما هو به لطفاً أنعم به عليه وعلى أمته، ليكون أثبت لقلوبهم وأقدم لهم على لقاء عدوهم، ولولا ذلك لما جازت هذه الحالة من الله تعالى في نبيه -ﷺ-.

﴿ليقضي الله أمراً﴾ علة لمحذوف تقديره فعل ذلك ليقضي الخ. قوله: ﴿ترجع﴾ بالبناء للفاعل أو للمفعول،[1] قراءتان سبعيتان، و﴿الأمور﴾ فاعل على الأول، ونائب فاعل على الثاني: قوله: [تصير] هذا على قراءة البناء للفاعل، وأما على القراءة البناء للمفعول، فمعناه ترد.

قوله: ﴿إذا لقيتم فئة﴾ أي حاربتم جماعة، والفئة اسم جمع لا واحد له من لفظه. قوله: ﴿فاثبتوا﴾[2] أمر للمؤمنين في أي زمان. قوله: [ادعوه بالنصر] أي فالمراد بالذكر ما يشمل الدعاء ويصح أن يبقى الذكر على إطلاقه، فيشمل ملاحظته تعالى بالقلوب، وأنه معهم بالعون والنصر. قوله: ﴿لعلكم تفلحون﴾ الترجي بمنزلة التحقق لأنه وعد ووعد الله لا يخلف.

قوله: ﴿وأطيعوا الله ورسوله﴾ أي فيما يامركم به. قوله: ﴿فتفشلوا﴾ عطف مسبب على سبب قوله [تجبنوا] أي عن الحرب. قوله: ﴿وتذهب ريحكم﴾ عطف مسبب على سبب أيضا، وهذا على الترتيب، فالاختلاف ينشأ عن الجبن، ينشأ عنه ذهاب الريح. قوله: [قوتكم] أي ويطلق على الغلبة والرحمة والنصرة. قوله: [ودولتكم] الدولة في الحرب بفتح الدال وجمعها دول بكسر الدال، وأما دولة المال فبضم الدال ومعها دول بضم الدال. قوله: ﴿واصبروا﴾ أي على قتالهم.

قوله: ﴿كالذين خرجوا من ديرهم﴾ أي وهم أبو جهل ومن معه، ذلك أنهم لما بلغوا الجحفة، وافاهم رسول الله أبي سفيان وقال لهم، ارجعوا لقد سلمت عيركم، فقال أبو جهل: لا والله حتى نقدم بدراً، ونشرب الخمر، وننحر الجزور وتضرب علينا القيام، فيتسامع بذلك الناس ويهابوننا. قوله: [ليمنعوا عيرهم] أي ليمنعوا المسلمين عن قافلتهم التي كانت مع أبي سفيان. قوله: [ولم يرجعوا بعد نجاتهم] قدره

---

(١) قرأ الحسن وعيسى بن عمر والأعمش ﴿تَرجِع﴾ بفتح التاء وكسر الجيم ، قال أبو حاتم : وهي قراءة عامة الناس ، وقرأ الأعرج وابن كثير وأبو عمرو ونافع وغيرهم ﴿تُرجَع﴾ بضم التاء وفتح الجيم. انظر: ابن عطية، مصدر سابق، ج٢ ص٥٣٥.

(٢) قال الإمام الشوكاني رحمه الله: اثبتوا بقلوبكم واذكروا بألسنتكم فإن القلب قد يسكن عند اللقاء ويضطرب اللسان ، فأمرهم بالذكر حتى يجتمع ثبات القلب واللسان. قيل وينبغي أن يكون الذكر في هذه الحالة بما قاله أصحاب طالوت: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصرنا عَلَى القوم الكافرين﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٥٠]. وفي الآية دليل على مشروعية الذكر في جميع الأحوال، حتى في هذه الحالة التي ترجف فيها القلوب ، وتزيغ عندها البصائر، ثم أمرهم بطاعة الله فيما يأمرهم به وطاعة رسوله فيما يرشدهم إليه، ونهاهم عن التنازع وهو الاختلاف في الرأي، فإن ذلك يتسبب عنه الفشل، وهو الجبن في الحرب. انتهى. انظر، الشوكاني، ج٣ ص١٧٥.

المفسر إشارة إلا أن ﴿بطرًا﴾ وما عطف عليه علة لمحذوف لا، لقوله ﴿خرجوا﴾ لأن خروجهم ليس للبطر، بل لمنع الناس عن العير، والبطر علة لعدم رجوعهم بعد نجاحها. قوله: ﴿بطراً﴾ هو وما بعده مفعول لأجله، والبطر كفران النعمة وعدم شكرها. قوله: [القيام] جمع قيمة، وهي الجارية المغنية. قال ابن مالك: (١)

﴿فعل وفعلة فعال لهما ....﴾

قوله: [فيتسامح بذلك الناس] أي القبائل فيهابوننا، وقد بدلهم الله شرب الخمور بشرب كأس الموت، وضرب القيان بنوح النائحات، ونحن الجزور بنح رقابهم. قوله: ﴿ويصدون﴾ عطف على بطراً، فهو في قوة المصدر أي وصداً، قال ابن مالك: (٢)

﴿واعطف على اسم شبه فعل فعلا ﴾

قوله: [الياء والتاء] ظاهره أنهما سبعيتان وليس كذلك، بل التاء الفوقية لم يقرأ بها السبعة ولا العشرة، فذكرها سبق قلم.

قوله: ﴿وإذ زين﴾ عطف على ﴿ولا تكونوا﴾ عطف قصة على قصة وإذا ظرف معمول لمحذوف قدره بقوله: [اذكر] قوله: [لما خافوا الخروج] أي لما خافوا من أعدائهم حين الخروج الحروب الكثيرة. قوله: ﴿وإني جار لكم﴾ أي مجير ومعين. قوله: [وكان أتاهم] الخ، قال ابن عباس: جاء إبليس يوم بدر في جند من الشياطين، معه راية في صورة رجل من رجال بني مدلج بن سراقة بن مالك، فقال للمشركين: لا غالب لكم اليوم من الناس.(٣) قوله: [ورأى الملائكة] أي نازلين من السماء. قوله: [أتخذ لنا] أي تترك نصرتنا في هذه الحالة فعلى بمعنى في. قوله: [أن يهلكني] أي بتسليط الملائكة علي. إن قلت: إنه من المنظرين، فكيف يخاف الهلاك حينئذ أجيب: بأنه لشدة ما رأى من الهول، نسي الوعد بأنه من المنظرين، وما أشار له المفسر جواب عما يقال، إن الشيطان لا خوف عنده، وإلا لما كفر وأضل غيره.

---

(١) وصدره : وقل فيما عينه اليا منهما. انظر: ابن عقيل، مصدر سابق، ج٤ ص١١٤.

(٢) وصدره: وعكسا استعمل تجده سهلا. انظر: ابن عقيل، في المصدر نفسه، ج٣ ص٣٤٤.

(٣) انظر: الطبري، مصدر سابق، ج١٣ ص٨.

وأجيب أيضاً بأن قوله: ﴿إني أخاف الله﴾ كذب ولا مانع من ذلك. قوله: ﴿والله شديد العقاب﴾ يصح أن يكون من جملة قول الشيطان واعتذاره، أو مستأنف تهديد له من كلام الله تعالى.

قوله: ﴿وإذ يقول المنفقون﴾ أي الكائنون بالمدينة، وقوله: ﴿والذين في قلوبهم مرض﴾ أي الكائنون بمكة، إذ لم يحضر وقعة بدر منافق، إلا عبد الله بن أبي فقط، ولم يكن فيها ضعيف إيمان. قوله: [توهماً]مفعول لخرجوا والضمير في [بسببه] عائد على الدين. قوله: [يغلب] قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف، وقوله: ﴿فإن الله عزيز حكيم﴾ دليل عليه.

قوله: ﴿ولو ترى﴾ الرؤية بصرية، ومفعولها محذوف تقديره حال الكفار وقت الموت، ﴿ولو﴾ حرف شرط تقلب المضارع ماضياً عكس إن. قوله: [بالياء والتناء] أي فهما قراءتان سبعيتان، فعلى الياء الأمر ظاهر، وعلى التاء فلأن الجمع يجوز تذكيره وتأنيثه. قوله: ﴿الذين كفروا﴾ قيل المراد جميع الكفار من وجد وسيوجد، وقيل: المراد الكفار الذين قتلوا ببدر، واختلف أيضاً في وقت الضرب، فقيل عند الموت تعجيلاً للمساءة، وقيل ذلك يوم القيامة، ولا مانع من الجميع. قوله: [حال] أي من الملائكة. قوله: ﴿وجوههم وأدبارهم﴾ المراد أمامهم وخلفهم.(١) فيعقمون جميع أجسادهم بالضرب. قوله: [مقامع من حديد] جمع مقمعة بكسر الميم، وهي العصا من الحديد المحماة بالنار، ولو وضعت على جبال الدنيا لدكت. قوله: ﴿وذوقوا﴾ قدر المفسر [يقولون] إشارة إلى أنه معطوف على ﴿يضربون﴾ فهو حال أيضاً.

قوله: ﴿ذلك﴾ اسم الإشارة مبتدأ، وقوله: ﴿بما قدمت أيديكم﴾ متعلق بمحذوف خبر، والياء سببيةز قوله: [عبر بها] الخ. دفع بذلك ما يقال إن إذاقة العذاب حاصلة، بسبب ما فعلوا بجميع أعضائهم، فلم خصت الأيدي؟ فأجاب بما ذكر، وبعضهم فسر الأيدي بالقدر جمع قدرة، فيكون المعنى ذلك، بسبب ما قدمته قدرتكم وكسبكم، فإن اليد تطلق ويراد بها القدرة، قال تعالى: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾(٢) ، قوله: ﴿وإن الله﴾ معطوف على ﴿بما قدمت أ يديكم﴾ والمعنى ذلك بسبب ما قدمت

---

(١) قلت: هذا على خلاف ما ذهب إليه جمهور المفسرين، وإنما الجمهور ذهبوا على أن المراد بها: أستاههم، ولكن الله -ﷻ- كريم فكنَّى. انظر: ابن عطية، مصدر سابق، ج٢ ص ٥٤٠.

(٢) سورة الفتح، الآية: ١٠.

أيديكم وبسبب ﴿وأن الله ليس بظلام للعبدين﴾ ونفي الظلم عن الله كناية عن العدل، فكأنه قال ذلك بسب بالذي قدمته أيديكم، وبسبب عدل الله فيكم. قوله: [أي بذي ظلم] دفع بذلك ما يتوهم من ظاهر الآية، أن أصل الظلم ثابت لله، والمنفي كثرته، فأجاب المفسر بأن هذه الصيغة ليست للمبالغة بل للنسب، قال ابن مالك:[١]

ومع فاعل وفعال فعل ❁❁ في نسب أغنى عن اليا فقبل.

وحيئنذ فقد انتفى أصل الظلم، بل لا يريده أصلاً، قال تعالى: ﴿وما الله يريد ظلماً للعلمين﴾[٢] ، لأن الإرادة لا تتعلق إلا بالجائز، والظلم من الله مستحيل عقلاً، لأن حقيقة التصرف في ملك الغير من غير إذنه ولا يتصور العقل ملكا لغير الله.

قوله: ﴿كدأب ءال فرعون﴾ الكاف متعلقة بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، قدره المفسر بقوله: [دأب هؤلاء] وهذا تسلية له -ﷺ-. قوله: ﴿كفروا بئيات الله﴾ تفصيل للدأب وتفسير له، والكسف والمسخ من كل عذاب عام، وهلاك كفار هذه الأمة بالسيف، فالمماثلة في مطلق الهلاك. قوله: ﴿بذنوبهم﴾ الباء سببية. قوله: ﴿إن الله قوي شديد العقاب﴾ كالدليل لما قبله. قوله: [أي تعذيب الكفرة] أي بسبب ما قدمت أيديهم.

قوله: ﴿بأن الله﴾ الجار والمجرور متعلق خبر عن اسم الإشارة، والجملة تعليل لمجموع المعلول وعلته السابقين. قوله: ﴿لم يكن﴾[٣] مجزوم بسكون النون المحذوفة تخفيفاً، قال ابن مالك:[٤]

---

(١) انظر: ابن عقيل، مصدر سابق، ج٤ ص١٦٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٨.

(٣) ذكر العلماء لهذه الآية خمسة أوجه :

أحدها: لم يك مغيراً نعمة أنعمها عليهم بالنصر لهم على أعدائهم حتى يغيروا ما بأنفسهم من الثقة به والتوكل عليه.

والثاني: لم يك مغيراً نعمته عليهم في كف أعدائهم عنهم حتى يغيروا ما بأنفسهم من طاعته والكف عن معصيته .

والثالث: لم يك مغيراً نعمته عليهم في الغنى والسعة حتى يغيروا ما بأنفسهم . من تأدية حق الله تعالى منه .

والرابع: لم يك مغيراً نعمته في الثواب والجزاء حتى يغيروا ما بأنفسهم من الإيمان .

والخامس: لم يك مغيراً نعمته عليهم في الإرشاد حتى يغيروا ما بأنفسهم من الانقياد .

انظر: الفخر الرازي، فتفسيره، ج١٥ ص١٨٧، وابن كثير، مصدر سابق، ج٧ ص١٠٥ -١٠٦.

(٤) انظر: ابن عقيل، مصدر سابق، ج١ ص٢٩٨.

ومن مضارع لكان منجزم ❁❁ تحذف نون وهو حذف ما التزم.

وأصله يكون دخل الجازم فسكنت النون فالتقى ساكنان، حذفت الواو لالتقائهما، ثم حذفت النون تخفيفاً. قوله: [يبدلون نعمتهم كفراً] أي يتركوا ما يجب للنعم من شكرها والقيام بحقها، ويرتبكوا عدم الشكر، وعدم القيام بحقها، والمعنى يبدلون ما بهم من الحال إلى حال أسوأ منه، فتغيرت نعمة إماهلهم بمعالجة العذاب لهم. قوله: ﴿وأن الله سميع﴾ لأقوالكم ﴿عليم﴾ بأحوالكم .

قوله: ﴿كدأب ءال فرعون﴾ الخ، كرره تفصيلاً لما قبله، لأنه مقام ذم وهو كالمدح، البلاغة فيه الإطناب. قوله: ﴿والذين من قبلهم﴾ أي كقوم نوح وهود، وقوم صالح وغيرهم. قوله: ﴿فأهلكنهم بذنوبهم﴾ أي بسببها. قوله: [قومه معه] أشار بذلك إلى أن المراد بآل فرعون هو وآله. قوله: ﴿كانوا ظلمين﴾ فيه مراعاة معنى كل، ولو روعي لفظها لقيل وكل كان ظالماً وكل صحيح، وإنما روعي معناها مراعاة للفواصل. قوله: [ونزل في قريظة] أي حين قدم رسول الله المدينة، وعاهدهم أن لا يحاربوه ولا يعاونوا عليه، فنقضوا عهده وأعانوا عليه مشركي مكة بالسلاح ثم قالوا نسينا وأخطأنا، فعاهدهم الثانية، فنقضوا أيضاً، وتمالؤوا مع الكفار على قتال رسول الله -ﷺ- يوم الخندق.

قوله: ﴿إن شر الدواب﴾ في ذلك إشارة إلى أنهم بمعزل من جنسهم، وإنما هم من جنس الدواب ومع ذلك هم شر من جميع أفرادها،[1] قال تعالى: ﴿إن هم إلا كالأنعم بل هم أضل﴾ .

قول ﴿الذين عهدت منهم﴾ بدل من الموصول قبله، أو نعت أو عطف بيان. قوله [لا يعينون المشركين] أي كفار مكة، فنقضوا أولاً وثانياً. قوله: ﴿فإما تثقفنهم﴾ أي تظفرن بهم. قوله: ﴿فشرّد بهم﴾ الباء سببية، والكلام على حذف مضاف، أي بسبب عقوبتهم وتنكيلهم. قوله: ﴿من خلفهم﴾ مفعول لشرد، والمراد بمن خلفهم كفار مكة، والمعنى إذا ظفرت بقريظة فعاقبهم، ليتفرق كفار مكة وغيرهم بمن نقض عهدك ويتعظوا بهم، فصيرهم عبرة لغيرهم. حتى لا يكون لهم قوة على محاربتك.

---

(١) قال ابنة عطية في معنى هذه الآية: المعنى المقصود تفضيل الدواب الذميمة كالخنزير والكلب العقور على الكافرين الذين حتم عليهم بأنهم لا يؤمنون ، وهذا الذي يقتضيه اللفظ ، وإما الكافر الذي يؤمن فيما يستأنفه من عمره فليس بشر الدواب. انظر: ابن عطية، مصدر سابق، ج٢ ص٥٤٣.

قوله: ﴿وإما تخافن﴾ خطاب عام للمسلمين وولاة الأمور، وإن كان أصل نزولها في قريظة، قوله: ﴿فانبذ إليهم﴾ أي أعلمهم بأن لا عهد لهم بعد اليوم فشبه العهد بالشيء الذي يرمى، وطوى ذكر المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه وهو النبذ، فإثباته تخييل. قوله: [بان تعلمهم به] أي لم يكن عذرهم ظاهراً بيناً، وإلا فلا يحتاج للإعلان. والحاصل أنه إذا ظهرت أمارات نقيض العهد، وجب على الإمام أن ينبذ عهدهم، ويعلمهم بالحرب قبل الركوب عليهم، بحيث لا يعد الإمام غادراً لهم، وإن ظهرت الخيانة ظهوراً مقطوعاً به، فلا حاجة إلى نبذ العهد ولا الأعلام، بل يبادرهم بالقتال.(١) قوله: ﴿إن الله لا يحب الخائنين﴾ تعليل للأمر بنبذب العهد. قوله: [ونزل فيمن أفلت] أي في الكفار الذين خلصوا وهربوا، وهذا تسلية لرسول الله وأصحابه، حيث حزنوا وعلى نجاة من نجا من الكفار، وكان غرضهم استئصالهم بالقتل والأسر.

قوله: ﴿ولا تحسبن﴾ الخطاب لرسول الله، والمعنى لا تظن يا محمد الذين كفروا فائتين الله وافرين من عقابه، إنهم لا يعجزونه، وهذا وإن كان في أهل بدر، إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وحسب تتعدى للمفعولين: الأول ﴿الذين كفروا﴾ ، والثاني جملة لا سبقوا، وهذا على قراءة التاء الفوقية، وأما على قراءة الياء التحتية، فالذين كفروا فاعل، والمفعول الأول محذوف تقديره أنفسهم كما قال المفسر، والمعفول الثاني جملة ﴿سبقوا﴾ . قوله: [وفي قراءة بفتح أن] أي مع الياء التحتية لا غير، فالقراءات ثلاث،(٢) خلافاً لما يوهمه المفسر من أنها أربع، وحاصلها أن التاء فيها وجهان، فتح إن وكسرها، والياء فيها وجه واحد، وهو فتح أن لا غير. قوله: [تقدير اللام] أي التي للتعليل.

---

(١) قال الإمام القرطبي رحمه الله: قال علماؤنا رحمة الله عليهم: إنما كان الغدر في حق الإمام أعظم وأفحش منه في غيره لما في ذلك من المفسدة، فإنما إذا غدروا وعلم ذلك منهم ولم ينبذوا بالعهد لم يأمنهم العدو على عهد ولا صلح، فتشتد شوكته ويعظم ضرره، ويكون ذلك منفرا عن الدخول في الدين، وموجبا لذم أئمة المسلمين. فأما إذا لم يكن للعدو عهد فينبغي أن يتحيل عليه بكل حيلة، وتدار عليه كل خديعة. وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم: "الحرب خدعة" . وقد اختلف العلماء هل يجاهد مع الإمام الغادر، على قولين. فذهب أكثرهم إلى أنه لا يقاتل معه، بخلاف الخائن والفاسق. وذهب بعضهم إلى الجهاد معه. والقولان في مذهبنا. انظر: القرطبي، مصدر سابق، ج١٣ ص٣١٢.

(٢) انظر: ابن مجاهد، مصدر سابق، ص٣٠٧-٣٠٨.

قوله: ﴿وأعدّوا لهم﴾ أي للكفار مطلقاً، أو لناقضي العهد. قوله: ﴿من قوة﴾ بيان لما قوله: [هي الرمي] هذا الحديث رواه عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله -ﷺ- وهو على المنبر يقول: ﴿وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة﴾، "ألا إن القوة الرمي" ثلاثاً، أخرجه مسلم،[1] وقيل: المراد بالقوة جميع ما يتقوى به في الحرب على العدو، من سلاح ورمي وخيل ورجال ودروع وغير ذلك، ولا منافاة بين هذا وبين قوله عليه الصلاة والسلام: "ألا إن القوة الرمي"، لأن المراد معظم القوة الرمي على حد الحج عرفة، والندم توبة،[2] وهذا هو الأحسن. قوله: [مصدر] أي سماعي، وإلا فالقياسي لما يقتضي الاشتراك، كقاتل وخاصم وضارب. قوله: ﴿ترهبون به﴾ أي بالرباط الذي هو بمعنى الربط. قوله: [أي كفار مكة] هذا باعتبار سبب نزول الآية، وإلا فالعبرة بعموم اللفظ، فالمراد جميع الكفار في أي زمان قوله: [وهم المنافقون] أورد عليهم أن المنافقين لا يقاتلون. أجيب بأن المراد بإرهابهم، إدخال الرعب والحزن في قلوبهم، لأنهم إذا شاهدوا قوة المسلمين وشهامتهم، وكان ذلك مرهباً ومخوّفاً لهم. قوله: [أو اليهود] أو مانعة خلو، فتجوز الجمع. قوله: ﴿لا تعلمونهم﴾ أي لا تعلمون بواطنهم وما انطووا عليهم. قوله: ﴿وما تنفقوا من شيء في سبيل الله﴾ أي في جهاد الكفار. قوله: ﴿يوفّ إليكم﴾ [جزاؤه] أي فالحسنة بسبعمائة قال تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ﴾[3] ، الآية. قوله: [تنقصون منه شيئاً] أي وسماه ظلماً لأن وعده بالخير لا يتخلف فكأنه واجب، وضده مستحيل، وليس المراد الظلم الحقيقي، لأن التصرف في ملك الغير، ولا ملك لأحد معه.

---

(١) انظر: صحيح مسلم، كِتَاب الْإِمَارَةِ ، بَاب فَضْلِ الرَّمْيِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ وَذَمِّ مَنْ عَلِمَهُ ثُمَّ نَسِيَهُ، ج٤ ص١٣٢، برقم١٩١٧.

(٢) قلت: ذكر العلماء في المراد بقوله ﴿من قوة﴾ فيه خمسة أقاويل :

أحدها: أن القوة ذكور الخيل، ورباط الخيل إناثها، وهذا قول عكرمة، والثاني: القوة السلاح، قاله الكلبي، والثالث: القوة التصافي واتفاق الكلمة، والرابع: القوة الثقة بالله تعالى والرغبة إليه، والخامس: القوة الرمي. روى يزيد بن أبي حبيب عن أبي عليّ الهمزاني عن عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله -ﷺ- يقول على المنبر: "﴿وَأَعِدُّواْ لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِّن قوة﴾ أَلاَ إِنَّ القُوةَ الرميُ" قالها ثلاثاً، وعليه الجمهور. انظر: الطبري، مصدر سابق، ج١٤ ص٣١ وما بعده، وابن كثير، مصدر سابق، ج٧ ص١٠٩.

(٣) سورة البقرة، الآية:٢٦١.

قوله: ﴿وإن جنحوا﴾ أي الكفار مطلقاً وبنو قريظة، وعلى هذين القولين، يتخرج القول بالنسخ والقول بالتخصيص، الذي أشار له المفسر بقوله: [قال ابن عباس][1] الخ، وهذا مبني على أن المراد بالصلح عقد الجزية، وأما إن أريد بالصلح غيره من الهدنة والأمانة فلا نسخ، إذ يصح عقد ذلك لكل كافر، وهذا التقرير مرور على مذهب الشافعي،[2] من أن الجزية لا تضرب إلى علا أهل الكتاب فقط، وقال مالك: إن الجزية تضرب على كل كافر صح سباؤه، كان من أهل الكتاب أو لا، فعلى مذهبه ليس في الآية نسخ أصلاً. قوله: [بكسر السين وفتحها][3] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿وتوكّل على الله﴾ أي فوض أمرك له. قوله: ﴿إن الله هو السميع العليم﴾ تعليل لما قبله.

قوله: ﴿وإن يريدوا أن يخدعوك﴾ شرط حذف جوابه، تقديره لصالحهم ولا تخف من عذرهم. قوله: ﴿هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين﴾ أي قوّاك بأسباب باطنية، وهي نصره لك من غير واسطة، وبأسباب ظاهرية وهم المؤمنون. قوله: [بعد الإحن] جمع إحنة وهي العداوة والشحناء التي كانت بين الأوس والخزرج.[4] قوله: ﴿وألّف بين قلوبهم﴾ أي بعد أن كان ما كان بينهم من البغضاء والعداوة والحروب العظيمة، مائة وعشرين سنة، حتى لو أن رجلاً من قبيل لطم لطمة واحدة، لقاتل عنه أهل قبيلته، حتى يدركوا ثأرهم، فلما آمنوا برسول الله زالت تلك الحالة، وانقلبت العداوة محبة في الله ورسوله،

---

(١) قلت ليس هو وحده بل قال به مجاهد وزيد بن أسلم وعطاء الخراسانى وعكرمة والحسن وقتادة كلهم ذهبوا على أن الآية منسوخة بآية السيف فى براءة، وهى قوله تعالى: ﴿قَاتِلُواْ الذين لاَ يُؤْمِنُونَ بالله وَلاَ باليوم الآخر وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ الله وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الحق مِنَ الذين أُوتُواْ الكتاب حتى يُعْطُواْ الجزية عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [سورة التوبة، الآية:٢٩] ، ولكن قولهم هذا لا يقوى، لأن في آية براءة الأمر بقتالهم إذا أمكن ذلك، وإن لم يتمكن فإن تجوز مهادنتهم كما دلت عليه هذه الآية الكريمة ﴿وَإِن جَنَحُواْ﴾ وكما فعل النبى – ﷺ– يوم الحديبية، فلا منافاة ولا نسخ ولا تخصيص. انظر: ابن كثير، ج٧ ص١١٤.

(٢) انظر: ابن العربي، مصدر سابق، ج٢ ص٤٢٦.

(٣) قرأ عاصم وحده فى رواية أبى بكر ﴿وإن جنحوا للسِلْم﴾ بكسر السين وقرأ الباقون ﴿للسَلْم﴾ ، وروى حفص عن عاصم ﴿للسَلْم﴾ أيضا بالفتح. انظر: ابن مجاهد، مصدر سابق، ص٣٠٨.

(٤) الأوس والخزرج، هما من قبائل الأزد هاجرت إبان انهيار سد مأرب مع الخزرج ويرجع نسبهم إلى كهلان واستوطنت يثرب بجانب الخزرج وقد اشتهرتا هاتين القبيلتين بالأنصار لأنهم من نصروا نبي الله –ﷺ–، وقد آخى الرسول بينهم وبين المهاجرين وهم اليوم يلقبون بالأنصار. انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥ ص٢١٢.

فكان معجزه عظيمة لرسول الله ٤. قوله: ﴿لو أنفقت ما في الأرض﴾ الخ، هذا امتنان من الله على نبيه بتلك النعمة العظيمة.

قوله: ﴿يا أيها النبي حسبك الله﴾ قيل: نزلت ببدر،[1] فالمراد بالمؤمنين: الذين كانوا حاضرين وقعتها، فيكون في ذلك مدح عظيم لهم، ودليل على شرفهم، ويؤخذ من ذلك، أن المؤمنين إذا اجتمعت قلوبهم مع شخص لا يخذلون أبداً، وليس في ذلك اعتماد على غير الله، لأن المؤمنين ما التفت لهم إلا لإيمانهم وكونهم حزب الله، فرجع الأمر لله، وقيل: نزلت في إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بعد إسلام ثلاثة وثلاثين رجلاً وست نسوة، فيكون هو متمماً لأربعين، فعلى الأولى الآية مدينة كبقيتها، وعلى الثانية تكون الآية مكية اثناء سورة مدينة، ولا مانع أنها نزلت مرتين بمكة يوم إسلام عمر ومرة بالمدينة في أهل بدر. قوله: ﴿ومن اتبعك﴾ معطوف على لفظ الجلالة.

قوله: ﴿حرّض المؤمنين على القتال﴾[2] أي مرهم أمراً أكيداً، أو رغبهم فيه. قوله: ﴿إن يكن منكم﴾ إما تامة وفاعلها ﴿عشرون﴾ و﴿منكم﴾ حال، وإما ناقصة، فعشرون اسمها، ومنكم خبرها، وهكذا يقال فيما بعد. و﴿يكن﴾ وقع هنا خمس مرات: الأول والرابع بالياء لا غير، والثاني والثالث والخامس بالياء والتاء، كما سيأتي للمفسر، فما سكت عنه فبالياء لا غيره، وما نبه عليه ففيه الوجهان. قوله: ﴿صبرون﴾ أي محتسبون أجرهم عند الله وهذا خبر بمعنى الأمر، لقلة المسلمين وكثرة الكافرين، وحكمة ذلك: التكليف أن المسلمين وليهم الله، فهم معتمدون عليه، ومتوكلون عليه فبذلك الوصف

---

(١) قلت: والذي يظهر أن الآية نزلت لما أسلم عمر رضي الله عنه، لما ورد في الدر المنثور عن ابن عباس رضي الله منهما، قال : لما أسلم مع النبي -ﷺ- تسعة وثلاثون رجلاً وامرأة، ثم إن عمر أسلم صاروا أربعين فنزل: ﴿يأيها النبى حَسْبُكَ الله وَمَنِ اتبعك مِنَ المؤمنين﴾. وذكر أيضا ونسبه إلى ابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير، قال: لما أسلم مع النبيّ -ﷺ- ثلاثة وثلاثون وست نسوة ثم أسلم عمر نزلت ﴿يأأيها النبى حَسْبُكَ الله﴾. انظر: السيوطي، في الدر، مصدر سابق، ج٧ ص١٩٢.

(٢) أخرج الطبري في تفسيره عن عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما–، قال: لما نزلت هذه الآية، ثقلت على المسلمين، وأعظموا أن يقاتل عشرون مئتين، ومئة ألفا، فخفف الله عنهم، فنسخها بالآية الأخرى فقال: ﴿الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين﴾، قال: وكانوا إذا كانوا على الشطر من عدوهم لم ينبغ لهم أن يفروا منهم، وإن كانوا دون ذلك، لم يجب عليهم أن يقاتلوا، وجاز لهم أن يتحوّزوا عنهم. انظر: الطبري، مصدر سابق، ج١٤ ص٥٢، وابن هشام، مصدر سابق، ج٢ ص٣٣١.

كان الواحد مكلفاً بقتال عشرة،[1] وأما الكفار فلا ناصر لهم، وهم معتمدون على قوتهم، وذلك داع للضعف والهزيمة،[2] وفي الآية من المحسنات البديعية الاحتباك، وهو الحذف من كل نظير ما أثبت في الآخر، فقد أثبت صابرون في الأول، وحذف الذين كفروا منه، وأثبت الذين كفروا في الثاني، وحذف لفظ الصبر منه. قوله: [وهذا خبر بمعنى الأمر] أي وقد كان هذا في صدر الإسلام وكان فرار المائة من الألف حراماً، ثم نسخ. قوله: [بضم الضاد وفتحها][3] أي فهما قراءتان سبعيتان، والمراد الضعف في الأبدان، لكثرة العبادة والتعب، فرحمهم الله وأكرمهم، وأيضاً علم الله ضعف من يأتي بعد الصدر الأول وعن القتال، فخفف الله عن الجميع. قوله: [وهو خبر بمعنى الأمر] أي وقد استمر ذلك الأمر إلى يوم القيامة. قوله: [ونزل لما أخذوا الفداء من أسرى بدر] أي وكانوا سبعين من صناديدهم، روي أنه لما جيء بالأسارى، قال رسول الله -ﷺ-: ما تقولون في هؤلاء؟ فقال أبو بكر: يا رسول الله، أهلك وقومك استبقهم لعل الله أن يتوب عليهم، وخذ منهم فداء يكون لنا قوة على الكفار، وقال عمر: يا رسول الله، كذبوك وأخرجوك، قدمهم نضرب أعناقهم، مكن علياً من عقيل فيضرب عنقه، ومكن حمزة من العباس يضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر، وقال ابن رواحة: انظر وادياً كثير الحطب، فأدخلهم ثم

---

(١) قال مجاهد: وهذا يوم بدر جعل على كل رجل من المسلمين قتال عشرة من المشركين فشق ذلك عليهم فنسخ بقوله تعالى: ﴿الأَنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُم﴾. انظر: الطبري، مصدر سابق، ج١٤ ص٥٦.

(٢) قلت: كذا كل من اعتمد على نفسه البدنية فهو مهزوم وأما من اعتمد على نفسه الإيمانية فالقوة عنده بإذن الله، ومن جمع بين الاثنين فذاك محمود لأن المؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف، ومن هنا علم أن الكفار بعد اعتمادهم على قوتهم البدنية فإنهم يقاتلون لأجل مادة دنيوية وكانوا يقاتلون للحمية الجاهليةِ واتّباعِ خطواتِ الشيطانِ وإثارةِ ثائرةِ البغي والعُدوانِ فلا يستحقون إلا القهرَ والخِذلانَ فالسعادةُ عندهم ليست إلا هذه الحياة الدنيوية فيشِحّون بها ولا يعرِّضونها للزوال بمزاولة الحروبِ واقتحامِ مواردِ الخطوب فيميلون إلى ما فيه السلامةُ فيفِرون فيُغلبون، وبينما المؤمنون يقاتلون احتساباً وامتثالاً بأمر الله تعالى وإعلاءً لكلمته وابتغاءً لرضوانه كما فعل المؤمنون في غزواتهم، ويعتقدون أن لا سعادةَ في هذه الحياة الفانية وإنما السعادةُ هي الحياةُ الباقيةُ فلا يبالون بهذه الحياةِ الدنيا ولا يقيمون لها وزناً فيُقدِمون على الجهاد بقلوب قوية وعزائم صحيحة فيقوم الواحدُ منهم مثل مقام الكثير فذلك قوله تعالى: ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صابرون يَغْلِبُواْ مِأْئَتَيْنِ﴾ الخ.

(٣) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر والكسائى ﴿ضُعفا﴾ بضم الضاد فى كل القرآن، وقرأ عاصم وحمزة ﴿ضَعفا﴾ بفتح الضاد فى ذلك وكذلك فى الروم وخالف حفص عاصما فقرأ عن نفسه لا عن عاصم فى الروم ﴿من ضعف﴾ ، ضعفا بالضم جميعا. انظر: ابن مجاهد، مصدر سابق، ص٣٠٨-٣٠٩.

أضرمه عليهم ناراً فسكت رسول الله ε ولم يجبهم، ثم دخل فقال ناس يأخذ بقول عمر، وقال ناس يأخذ بقول ابن رواحة، ثم خرج رسول الله عليه الصلاة والسلام، فقال: إن الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن، ويشد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيم ﴾[1] ومثل عيسى قال: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[2]، ومثلك يا عمر مثل نوح قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾[3]، ومثل موسى: ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾[4] الآية، ثم قال رسول الله: "اليوم أنتم عالة، فلا يفلتن أحد منهم، إلا بفداء أو ضرب عنقه" قال عمر بن الخطاب: فهوى رسول الله ما قاله أبو بكر، ولم يهوه ما قلت، وأخذ منهم الفداء وهو عن كل واحد عشرون أوقية من الذهب، وقيل أربعون أوقية، إلا العباس فأخذ منه ثمانون أوقية عن نفسه، وعن ابني أخيه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث ثمانون، وأخذ منه وقت الحرب عشرون، فجملة ما أخذ منه مائة وثمانون أوقية، قال عمر: فلما كان من الغد جئت، فإذا رسول الله وأبو بكر يبكيان، قلت: يا رسول الله، أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد تباكيت لبكائكما، فقال رسول الله: أبكي للذي عرض لأصحابي من أخذهم الفداء، فقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه -ﷺ- فنزلت الآية.[5]

وهذا من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين، فرسول الله لن يعمل إلا ما أبيح له، وإنما عتابه تعليماً لمن يتولى الأمور من أمته حسن السياسة من أنه لا يقبل الفداء من الكفار حتى يكون قادراً عليها

---

(١) سورة إبراهيم، الآية:٣٦.

(٢) سورة المائدة، الآية:١١٨.

(٣) سورة نوح، الآية:٢٦.

(٤) سورة يونس، الآية:٨٨.

(٥) هذه القصة صحيحة ولكن لم يروها كلها راو واحد على نحو ما أوردها المصنف بل وردت مجزءة في كتب السنن، من بين ابن أبي شيبة [ابن أبي شيبه في مسنده، مصدر سابق، ج١ ص٣٧٦]، وأحمد [المسند، مصدر سابق، ج١ ص٣٨٣]، والترمذي [المباركفوري، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم، **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، ط٢، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.ط) ج٥ ص٣٠٥]، والطبراني [في تفسيره، مصدر سابق، ج١٤ ص٦٨] وغيرهم.

وظافراً بهم. قوله: [بالتاء والياء] أي فهما سبعيتان، لكن على الفوقية تتعين الإمالة في أسرى، وعلى التحتية تجوز الإمالة وعدمهما.

قوله: ﴿حتى يثخن في الأرض﴾ أي تظهر شوكة الإسلام وقوته، وذل الكافرين،[1] قوله: ﴿عرض الدنيا﴾ أي متاعها، سمي عرضاً لزواله وعدم ثباته.[2] قوله: ﴿والله يريد الآخرة﴾ أي يرضاها لكم. قوله: [وهذا منسوخ][3] أي قوله: ﴿وما كان لنبي أن يكون له أسرى﴾ هكذا مشى المفسر على هذا القول وهوضعيف، بل ما هنا مقيد بالإثخان، أي كثرة القتال المرتب عليها عز الإسلام وقوته، وما يأتي في سورة القتال من التخيير محله بعد ظهور شوكة الإسلام حيث قال: فإذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق،[4] فإذا علمت ذلك، فالآيتان متوافقتان في أن كلاً يدل على أنه لا بد من تقديم الإثخان ثم بعده الفداء.

قوله: ﴿لولا كتاب﴾[5] ﴿لولا﴾ حرف امتناع لوجود، و﴿كتب﴾ مبتدأ، وجملة ﴿من الله﴾ صفة له، وكذا قوله: ﴿سبق﴾ والخبر محذوف تقديره موجود، والمعنى لولا وجود حكم من الله مكتوب

---

(١) قلت جمع المصنف هنا بين قولي أهل العلم في توجيه الآية هو الغلبة والاستيلاء، قاله السدي، وكثرة القتل ليُعزَّ به المسلمون ويذل به المشركين. قاله مجاهد. انظر: الطبري، مصدر سابق، ج١٤ ص١٨.

(٢) يعني المال، سماه عرضاً لقلة بقائه.

(٣) ذكر السيوطي في الدر ونصبه إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر عن مجاهد رضي الله عنه في قوله ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض﴾ قال: نزلت الرخصة بعد، إنْ شئتَ فمنّ وإنْ شئتَ ففاد. انظر: السيوطي، مصدر سابق، ج٧ ص٢٠٥.

(٤) وهي قوله تعالى: ﴿فَإذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [سورة محمد، الآية:٤].

(٥) وفي قوله تعالى: ﴿لولا كتاب من الله﴾ الخ أربعة أقوال للمفسرين، وذلك في تحديد كلمة (كتاب) قال مجاهد وسعيد بن جبير: لولا كتاب من الله سبق لأهل بدر أن يعذبهم لمسهم فيما أخذوه من فداء أسرى بدر عذاب عظيم.

وقال ابن عباس وأبو هريرة والحسن وعبيدة: لولا كتاب من الله سبق في أنه سيحل لكم الغنائم لمسكم في تعجيلها من أهل بدر عذاب عظيم. وقال ابن اسحاق: لولا كتاب من الله سبق أن لا يؤاخذ أحداً بعمل أتاه على جهالة لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم.

وقال الطبري: لولا قضاء من الله سبق لكم أهل بدر في اللوح المحفوظ، بأن الله مُحِلٌّ لكم الغنيمة، وأن الله قضى فيما قضى أنه لا يُضِلّ قومًا بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون، وأنه لا يعذب أحدًا شهد المشهد الذي شهدتموه ببدر مع رسولا الله -ﷺ- ناصرًا

بإحلال الغنائم لمسكم الخ، فهو عتاب على ترك الأولى، لا على فعل منهي عنه، تنزيهاً لرسول الله عن مثل ذلك. قوله: ﴿فيما أخذتم﴾ أي بسبب ما أخذتم ففي للسببية.

قوله: ﴿حللاً﴾ أي أكلاً حلالاً. قوله: ﴿الطيبت﴾ أي خالصاً لا شبهة فيه.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا قل لمن في أيديكم من الأسرى﴾ نزلت في العباس[1] عم رسول الله -ﷺ- وكان أحد العشرة الذين ضمنوا أن يطعموا الناس الذين خرجوا من مكة لبدر، وكان معه عشرون أوقية من ذهب، فلما أخذ أسيراً أخذت منه، فكلم رسول الله -ﷺ- أن يحبسها من فدائه، فأبى وقال له: شيء خرجت به لتستعين به علينا فلا نتركه لك، فقال العباس: يا محمد أتتركني أتكفف قريشاً ما بقيت؟ فقال رسول الله: فأين الذهب الذي وضعته عند أم الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها إني لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا، فإن حدث بي الحارث فهذا المال لك ولعبد الله ولعبيد الله وللفضل، فقال العباس: وما يدرك يا ابن أخي؟ فإني أعطيتها إياه في سواد الليل، ولم يطلع عليه أحد إلا الله، فقال: أخبرني به ربي، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأنك صادق، وأمر ابني أخيه عقيلاً ونوفل بن الحارث فأسلما، فنزل قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي﴾ الآية، فكان العباس يقول: أبدلني الله خيراً مما أخذ مني، عشرين عبدا تجاراً يضربون بمال كثير، أدناهم يضرب بعشرين ألفاً مكان العشرين أوقية، وأعطاني زمزم، وما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة، وأنا أنتظر المغفرة من ربي، قوله: ﴿من الأسرى﴾ بالإمالة لا غير. قوله: [وفي قراءة الأسرى] أي بالإمالة وتركها فالقراءات ثلاثة،[2] وكلها سبعية.

دينَ الله لنالكم من الله، بأخذكم الغنيمة والفداء، عذاب عظيم. والذي يظهر لي أن قول الأخير هو الأقرب لأنه جمع بين جميع الأقول وضمنها. انظر: الطبري، مصدر سابق، ج١٤ ص٦٤، والسيوطي في الدر، ج٧ ص٢١٥.

(١) انظر: الطبري، مصدر سابق، ج١٤ ص٧٤، والبغوي، مصدر سابق، ج٣ ص٣٧٨.

(٢) وقرأ جمهور الناس: ﴿من الأسرى﴾ وقرأ أبو عمرو وحده من السبعة ﴿من الأسارى﴾ وهي قراءة أبي جعفر وقتادة ونصر بن عاصم وابن أبي إسحاق، واختلف عن الحسن بن أبي الحسن وعن الجحدري وقرأ ابن محيصن ﴿من لسرى﴾ بالإدغام. انظر: ابن عطية، مصدر سابق، ج٢ ص٥٥٤.

قوله: [من الفداء] بيان لما قوله: ﴿خيانتك﴾ أي ينقض العهد الذي عاهدوك عليه، وهو أن لا يحاربوك، ولا يعاونوا عليك المشركين. قوله: [بما أظهروا من القول] أي قولهم: (رضينا بالإسلام). قوله: [فليتوقعوا] هذا في الحقيقة جواب الشرط الذي هو قوله: ﴿وإن يريدوا خيانتك﴾ .

قوله: ﴿إن الذين آمنوا وهاجروا﴾ أي سبق لهم الإيمان والانتقال مع رسول الله من مكة إلى المدينة، وهم السابقون الأولون الذين حضروا الغزوات قبل الفتح، الذين قال الله فيهم: ﴿لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[1] قوله: ﴿بأموالهم وأنفسهم﴾ متعلق بجاهدوا أي بذلوا أموالهم وأنفسهم في سبيل الله. قوله: ﴿والذين ءاووا﴾ [النبي] أي والمهاجرين،[2] ولم يذكرهم المفسر لأنهم تبع لرسول الله.

قوله: [وهم الأنصار] أي الذين قال الله فيهم: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾،[3] قوله:

---

(١) سورة الحشر، الآية:٨.

(٢) المهاجرون اسم يطلق على جماعة من أصحاب رسول الله -ﷺ-، سبقوا غيرهم إلى الإيمان بالله تعالى، ورسوله، ثم هاجروا تاركين قومهم وعشيرتهم ومنازلهم وأوطانهم وأموالهم إعلاء لكلمة الله ونشر دينه، قال تعالى :﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار﴾ [سورة التوبة، الآية:١٠٠]. والمهاجرون جمع مهاجر مأخوذ من الهجر وهو الترك والفراق، والمهاجر لفظ إسلامي اقترن بمن صحب الرسول -ﷺ- أو رآه وسبق غيره إلى الإيمان وفارق قومه حفظًا لدينه. والمهاجر من الصحابة من شهد بيعة الرضوان، وقيل من صلّى القبلتين، وقيل من شهد بدرًا، وهم الذين جاء فيهم قوله تعالى :﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضوانًا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون﴾ [سورة الحشر، الآية:٨].

الأنصار اسم أُطلق على الأوس والخزرج، ومن والاهم من سكان المدينة الذين آمنوا بالله تعالى ونصروا رسوله -ﷺ- على أعدائه من أهل الكفر بالله ورسوله، قال تعالى :﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار﴾ [سورة التوبة، الآية:١٠٠]. فالأنصار مصطلح إسلامي خالص اقترن بجماعة من الصحابة، عن غيلان قال: "قلت لأنس :أرأيت اسم الأنصار كنتم تسمَّون به، أم سمّاكم الله؟ قال: بل سمانا الله إذ يقول في محكم تنزيله :﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار﴾ [سورة التوبة، الآية: ١٠٠]. متفق عليه، انظر: الحميدي، مصدر سابق، ج٢ ص٤٨١. فالأنصار من السابقين الأولين في الهجرة والنصرة الذين سبقوا إلى الإيمان من الصحابة. والسابقون الأولون من الأنصار هم أهل بيعة العقبة الأولى، وكانوا سبعة نفر، وأهل العقبة الثانية وكانوا سبعين، والذين آمنوا حين قدم عليهم مصعب بن عمير فعلمهم القرآن.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٩.

[في النصرة والإرث][1] أي فكان الأنصار ينصرون المهاجرين وبالعكس، وكان المهاجري يرث الأنصاري الذي آخاه معه رسول الله وبالعكس قوله: ﴿ولم يهاجروا﴾ أي بأن أقاموا بمكة. قوله: [بسكر الواو وفتحها] أي فهما قراءتان سبعيتان،[2] قوله: ﴿من شيء﴾ [من] زائدة. و﴿شيء﴾ مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله. قوله: [فلا إرث بينكم وبينهم] أي لا إرث بين المهاجرين والأنصار، وبين الذين لم يهاجروا. قوله: [ولا نصيب لهم في الغنيمة] اعترض بأن الغنيمة لايأخذها إلا من قاتل، وهؤلاء لم يقاتلوا، فالأولى حذف هذه العبارة. قوله: [وهذا منسوخ] اسم الإشارة على ما تقدم، من أن الإرث بين المهاجرين والأنصار ثابت بالإيمان والهجرة، ومنفي بين من لم يهاجر وبين الأنصار والمهاجرين.[3] قوله: [بآخر السورة] أي وهو قوله: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾، قوله: ﴿وإن استنصروكم في الدين﴾ أي طلبوا منكم النصرة لأجل إعزاز الدين، والضمير عائد على ﴿والذين ءامنوا ولم يهاجروا﴾[4] قوله: ﴿إلا على قوم بينكم وبينهم ميثق﴾ أي من الكفار، وهم أهل مكة. قوله: [وتنقضوا عهدهم] أي الصلح الكائن بالحديبية سنة ست على ترك القتال عشر سنين. قوله: [في النصرة والإرث] أي فهما ثابتان بين الكفار بعضهم لبعض. قوله: [فلا إرث بينكم وبينهم] أي ولا نصرة.

---

(١) قلت: هذا بناء على تفسير عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، والجمهور يخالفونه في هذا وقالوا: أولئك بعضهم أعوان بعض. انظر: ابن كثير، مصدر سابق، ج٤ ص٩٥.

(٢) قرأ جمهور السبعة ﴿وَلايتهم﴾ بفتح الواو، وقرأ الكسائي ، وقرأ الأعمش وابن وثاب ﴿وِلايتهم﴾ بكسر الواو. انظر: ابن مجاهد، مصدر سابق، ص٣٠٩.

(٣) أي كانوا يعملون بذلك حتى أنزل الله تعالى ﴿وَأُولُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُم أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كَتَابِ اللَّهِ﴾ يعني في الميراث فنسخت التي قبلها وصار التوارث لذوي الأرحام.

(٤) قال أهل العلم إنَّ هذا لترتيبٌ في غاية الحسن، لأنَّهُ تعالى ذكر للمؤمنين أقساماً ثلاثة : الأول: المؤمنون من المهاجرين . والثاني: الأنصار وهم أفضل النَّاس وبيَّن أنه يجب أن يوالي بعضهم بعضاً. والقسم الثالث: المؤمنون الذين لم يهاجروا. فهؤلاء لهم بسب بإيمانهم فضل، وبسبب تركِ الهجرة لهم حالة نازلة ، فيكون حكمهم متوسطاً بمعنى أنَّ الولاية للقسم الأوَّل منفية عن هذا القسم، إلاَّ أنَّهم يكونون بحيثُ لو استنصروا المؤمنين، واستعانوا بهم نصروهم وأعانوهم ، فهذا الحكم متوسط بين الإجلال، والإذلال، وأمَّا الكفار فليس لهم ما يوجب شيئاً من أسباب الفضيلة، فوجب كون المسلمين منقطعين عنهم من كل الوجوه، فلا يكون بينهم ولاية ولا مناصرة .انظر: ابن عادل الدمشقي، مصدر سابق، ج٧ ٢٠٠.

قوله: ﴿إلا تفعلوه﴾ إن شرطية مدغمة في لا النافية، و﴿تفعلوه﴾ فعل الشرط، و﴿تكن﴾ جواب الشرط. والمعنى: إن لم تفعلوا ما ذكر من تولي المؤمنين وقطع الكفار، بل توليتم الكفار، وقطعتم المؤمنين، تكن فتنة في الأرض وفساد كبير، لأنه يترتب على ذلك، قوة الكفار، وضعف المسلمين، وهذا ما حل به المفسر، ويحتمل أن لا زائدة والمعنى: إن لم تفعلوا ما نهيتم عنه من موالاة الكفار وقطع المؤمنين.

قوله: ﴿والذين آمنوا وهاجروا﴾ الخ ليس مكرراً مع ما تقدم، لأن ما هنا بيان لفضلهم، وما تقدم بيان لكونهم أولياء بعض، وأيضاً ما تقدم في الهجرة قبل عام الحديبية،[1] وما هنا في الهجرة قبل الفتح، كان قبل الحديبية أو بعدها. قوله: ﴿أولئك هم المؤمنون حقاً﴾ أي الكاملون في الإيمان بلا شك. قوله: ﴿لهم مغفرة﴾ أي لذنوبهم. قوله: ﴿ورزق كريم﴾ أي لا تعب فيه ولا مشقة، ويؤخذ من هذه الآية أن جميع المهاجرين والأنصار مبشّرون بالجنة من غير سابقة عذاب، وأما ما ورد من أن المبشّرين عشرة، فلأنهم جمعوا في حديث واحد.[2] قوله: ﴿من بعد﴾ أي بعد الحديبية قبل الفتح، ولأنه بعد الفتح لا هجرة. قوله: ﴿فأولئك منكم﴾ أي محسوبون منكم، وفي الآية دليل على أن المهاجرين الأولين أعلى وأجل من المتأخرين بالهجرة، لأن الله ألحقهم بهم، ومن المعلوم أن المفضول يلحق بالفاضل. قوله: ﴿وأولو الأرحام﴾ هذه الآية نزلت بعد الفتح، وهي ناخسة للآية المتقدمة، وهي ميراث المهاجرين

---

(١) قال الألوسي: والمراد بهم قيل : المؤمنون المهاجرون من بعد صلح الحديبية وهي الهجرة الثانية ، وقيل: من بعد نزول الآية ، وقيل : من بعد غزوة بدر ، والأصح أن المراد بهم الذين هاجروا بعد الهجرة الأولى. انظر: الألوسي، مصدر سابق، ج٩ ص٢٠٨.

(٢) هذا ما ذهب إليه أهْلَ السنة والجماعة لا يشهدون لمعينٍ من أهل القبلة لا بجنةٍ ولا بنار إلا من شهد له رسول الله -ﷺ-، وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار عامة والعشرة المبشرون بالجنة فأعظم الصحابة وأرفع الصحابة العشرة الذين بُشِّرُوا بالجنة في مكانٍ واحد، وهم الذين يشتهر عند الناس أنهم العشرة المبشرون بالجنة.

والذين بَشَّرَهُمْ النبي -ﷺ- بالجنة أكثرمن عشرة، عددهم كثير من الصحابة؛ ولكن خُصَّ هؤلاء بفضلٍ لأنَّهُم بَشَّرَهُم -ﷺ- بالجنة في مكان واحد، وفي حديثٍ واحد ساقَهُم -ﷺ- عن عبد الرحمن بن الأخنس أنه سمع سعيد بن زيد وهو يشهد على رسول الله : أنه كان معه عاشر عشرة فقال أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعد بن أبي وقاص في الجنة وإن أشأ أخبرتكم بالتاسع فقال القوم من هو يا سعيد فقال هو أنا ثم بكى" انظر: الطبراني، المعجم الأوسط، برقم٨٦٩، ج١ ص٢٦٧. فهؤلاء هم أفضل الصحابة وترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الذِّكْرْ؛ لأنَّ النبي ؟ رَتَّبَهُمْ كترتيبهم في الفضل، فأبو بكر أفضل ويليه عمر ثم يليه عثمان ثم يليه علي إلى آخره.

للأنصار. قوله: [ومن التوارث] متعلق بأولى. قوله: [أي اللوح المحفوظ] وقيل: المراد بها القرآن، لأن قسمة المواريث مذكورة في سورة النساء من كتاب الله وهو القرآن. قوله: [ومنه حكمة الميراث] أي التوارث بمقتضى الإيمان والهجرة بدون قرابة ونسخة والتوارث بالقرابة.

والحمد لله رب العالمين.

الخاتمة

يتضح من دراسة هذا الكتاب (حاشية الصاوي على تفسير الجلالين) أمور منها:

- ✓ تبين أن الصاوي يورد الأحاديث الصحيحة والضعيفة كما أنه يورد كثيرا من الإسرائيليات دون تمحيص ولا عزو، كما أ،ه يورد كثيرا الأحاديث بالمعنى مما جعل الكتاب في غاية الحاجة إلى من يحققه ويخرجه.
- ✓ إن الإمام الصاوي كواحد من العلماء يوافق مذهب السلف في بعض القضايا العقدية كالإيمان بالملائكة وكتبه ورسله والإمامة وغيرها.
- ✓ وكما أنه يوافقهم في قضايا وكان يخالفهم في بعض القضايا العقدية كاستواء الله عز وجل على العرش ومجيئه يوم القيامة ونزوله غلى سماء الدنيا في ثلث الليل الأخير.
- ✓ واتضح لي خلال دراسة الحاشية أن الصاوي له موقف متميز عامة في تحرير بعض مسائل العقدية عن سلفه فتجده مرة يحرر المسألة بمنطق أشعري وأخرى سلفي كما هو الحال في مسألة إثبات الحكمة لله.
- ✓ تبين لي أنه له موقف مشكور في إنكار ما كان عليه المتصوفون اليوم من قرع الطبول والتغني بالمزامير والرقص وأكد أن ذلك من البدع المحدثة.

التوصيات:

أوصي الإخوة الباحثين خاصة من طلاب النيجيريين أن يقوموا بإتمام ما تبقى من الأجزاء في هذا الكتاب لتعم الفائدة، أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يسهل للجميع.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- إبراهيم مصطفى و أحمد الزيات و حامد عبد القادر و محمد النجار. د.ت.ط. المعجم الوسيط. دار الدعوة، ط١.
- ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد. ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. النهاية في غريب الحديث والأثر. بيروت: المكتبة العلمية، ط٢.
- أحمد إبراهيم الشريف. د.ت.ط. مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول -ﷺ-. بيروت: دار الفكر العربي، د.ط.
- أحمد لوح . ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م. تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي. القاهرة: دار ابن القيم، ط١.
- أحمد بن محمد بن حنبل. ١٤١٦هـ-١٩٩٥م. المسند. القاهرة: دار الحديث،ط١.
- الأزدي، معمر بن راشد. الجامع. د.ت.ط. بيروت: المكتب الإسلامي، ط٢.
- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد بن طلحة بن نوح. ٢٠٠١م. تهذيب اللغة. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١.
- أبو إسحاق الشيرازي، إبراهيم بن علي بن يوسف. ١٤١٢هـ-١٩٩٢م. المهذب في فقه الإمام الشافعي، دمشق: دار القلم، ط١.
- الإسماعيلي، أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل. ١٤١٠هـ-١٩٩٠م. معجم الشيوخ. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط١.
- إسماعيل بن محمد العجلوني. ١٩٨٨م - ١٤٠٨هـ. كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس. بيروت: دار الكتب العلمية، ط٣.

- الألباني، محمد ناصر الدين. ١٤١٧هـ-١٩٩٦م. سلسلة الأحاديث الصحيحة. الرياض: مكتبة المعارف، ط١.
- الآلوسي، نعمان بن محمود بن عبد الله. ١٤٠١هـ-١٩٨١م جلاء العينين في محاكمة الأحمدين. المدينة النبوية: مطبعة المدني، ط٢.
- د.ت.ط. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١.
- أمين الخولي. ١٩٩٢م. التفسير معالم حياته منهجه اليوم. بيروت: دار الكتب اللبناني، ط١.
- أنور شاه، محمد الكشميري. ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م. التصريح بما تواتر في نزول المسيح. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.
- ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله. ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م. بيان التوحيد الذي بعث الله به الرسل جميعا وبعث به خاتمهم محمدا. الراض: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد إدارة الطبع والترجمة، ظ١.
- البخاري. محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي. ١٤٠٧هـ — ١٩٨٧م. الجامع الصحيح المختصر. بيروت: دار ابن كثير، ط٣.
- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله. ١٤٠٩هـ — ١٩٨٩م. الأدب المفرد. بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط٣.
- البرهان فوري، علي بن حسام الدين المتقي الهندي. ١٤٠١هـ-١٩٨١م. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٥.
- البري، محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التلمساني. ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م. الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة. الرياض: مكتبة دار الرفاعي، ط١.
- البغدادي إسماعيل باشا. د.ت.ط. هداية العارفين. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١.
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود. ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م. معالم التنزيل. دار طيبة، ط٤.

- أبو بكر محمود بن أحمد الحنبلي. ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م. البناية في شرح الهداية. بيروت: دار الفكر، ط١.
- البلاذري، أحمد بن يحيى. ١٩٥٩م. أنساب الأشراف. مصر: دار المعارف، د. ط.
- البناء، أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي. ٢٠٠٦م-١٤٢٧هـ. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر. بيروت: دار الكتب العلمية، ط٣.
- البوصيري، أحمد بن أبي بكر. ١٢٧٤هـ-١٨٥٧م. الفتوحات الأحمدية بالمنح المحمديه علي متن الهمسريه. مصر: مطبعة الخيرية، ط١.
- البيضاوى، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد. ١٩٨٠م. أنوار التنزيل وأسرار التأويل. بيروت: دار الفكر، ط١.
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي. ١٩٨٨م. دلائل النبوة. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.
- د.ت.ط. الأسماء والصفات. جدة: مكتبة السوادي، ط١.
- الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى. د.ت.ط. سنن الترمذي. الرياض: مكتبة المعارف، ط١.
- ابن تغري بردى، أبو المحاسن جمال الدين يوسف. د. ت.ط. الدليل الشافي على المنهل الصافي. مكة: مكتبة الخانجي. ط١.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م. مجموع الفتاوى. القاهرة: دار الوفاء، ط٣.
- الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف. ١٤١٨هـ-١٩٩٧م. الجواهر الحسان في تفسير القرآن. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١.
- الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم. ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م. الكشف والبيان. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١.
- الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن. ١٩٩٨م. عجائب الآثار في التراجم والأخبار. القاهرة: دار الكتب المصرية، ط١.
- د.ت.ط. مظهر التقديس. القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، د.ط.

- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن. ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م. المفتاح في الصرف. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١.
- ١٤٠٥هـ. التعريفات. بيروت: دار الكتاب العربي، ط١.
- ابن الجزري، محمد بن محمد بن محمد. ١٤٢٧هـ — ٢٠٠٦م. غاية النهاية في طبقات القرآء. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.
- أبو جعفر الطحاوي، أحمد بن محمد. ١٣٩٩هـ. شرح معاني الآثار. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.
- أبو جعفر النحاس، محمد بن إسماعيل الصقار. ١٣٢٨هـ. إمامية: مكتبة علوم الدين، ط١.
- جلال يحيى. د.ت.ط. مصر الحديثة. القاهرة: منشأة المعارف بالإسكندرية، د.ط.
- جمال الدين عبد الله الأنصاري. د.ت.ط. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. بيروت: دار الفكر، ط٢.
- ابن جماعة، محمد بن إبراهيم بن سعد الله. ١٩٩٠م. إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل. بيروت: دار السلام، ط١.
- الجمل، سليمان الجمل. ١٣٠٣هـ. حاشية الجمل على تفسير الجلالين. مصر: المطبعة العامرة. د.ط.
- ابن جني، المنصف لابن جني. ١٣٧٣هـ. شرح كتاب التصريف لأبي عثمان. بيروت: دار إحياء التراث، ط١.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن. ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر. بيروت: مؤسسة الرسالة. ط١.
- الجَوجَري، محمد بن عبد المنعم بن محمد القاهري الشافعي. ١٤٢٣هـ-٢٠٠٤م. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب. المملكة العربية السعودية: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط١.

- الجوهري، إسماعيل بن حماد. ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م . الصحاح في اللغة وصحاح العربية. بيروت: دار العلم للملايين، ط٤.
- ابن أبي حاتم الرازي. ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م. تفسير ابن أبي حاتم الرازي. الرياض: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١.
- أبو حاتم البستي، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان. ١٤٢٠ – ٢٠٠٠م. المجروحين من المحدثين. دار الصميعي، ط١.
- الحاكم النيسابوري أبو عبدالله، محمد بن عبدالله. ١٤١١هـ–١٩٩٠م. المستدرك على الصحيحين. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.
- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد. ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م. صحيح ابن حبان. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢.
- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي الشافعي. ١٤١٢هـ. الإصابة في تمييز الصحابة، بيروت: دار الجيل، ط١.
- ١٣٧٩هـ. فتح الباري شرح صحيح البخاري. بيروت: دار المعرفة، د.ط.
- ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م. لسان الميزان. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط٣.
- . د.ت.ط. تقريب التهذيب. مكة: دار العصمة، ط١.
- ١٤١٩هـ -١٩٨٩م. التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير. بيروت :دار الكتب العلمية، ط١.
- ابن حزم الظاهري، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد. د.ت.ط. المحلى. بيروت: دار الفكر العربي، د.ط.
- ابن حزم، علي بن أحمد. ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م. جمهرة أنساب العرب. بيروت: دار الكتب العلمية، ط٣.
- أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلى. ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م. معرفة الثقات. المدينة المنورة: مكتبة الدار، ط١.

- الحسن أيوب. ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م. الحديث في علوم القرآن. القاهرة: دار السلام، ط١.
- أبو الحسن الشيباني، علي بن محمد بن محمد. ١٤١٥هـ. الكامل في التاريخ. بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢.
- أبو الحسن العجلي. ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م. معرفة الثقات. المدينة المنورة : كتبة الدار، ط١.
- أبو الحسن، علي بن محمد بن عيسى. ١٤١٩هـ- ١٩٩٨مـ. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.
- الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني. ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م. شرح المعلقات السبع. بيروت: دار إحياء التراث العربي،ط١.
- حقي، إسماعيل بن مصطفى الخلوتي. د.ت.ط. تفسير روح البيان. بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط.
- الحميدي، محمد بن فتوح. ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م. الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم. بيروت: دار ابن حزم، ط٢.
- أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النحوي الأندلسي. ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م. البحر المحيط. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.
- الخازن، علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي. ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م. لباب التأويل في معاني التنزبل. بيروت: دار الفكر، ط١.
- الخطيب القزويني، أبو عبد الله محمد، ابن قاضي القضاة. د.ت.ط. الإيضاح في علوم البلاغة. بيروت: دار الجيل، ط٣.
- ابن خلكان، أحمد بن محمد. ١٩٧٦م. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. بيروت: دار صادر، ط٢.
- ١٤١٩هـ. اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث. مكة: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط١.

- الخميس، حسين بن محمد بن الحسن. تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، (دون مطبعة ولا تاريخها)
- ابن خياط، أبو عمر خليفة الليثي العصفري. ١٣٩٧هـ. تاريخ خليفة بن خياط. بيروت: دار القلم، ط٢.
- الدارمي، أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن. ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م. سنن الدارمي. الرياض: دار المغني، ط١.
- الدارمي، عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد أبو سعيد. ١٩٩٥م. الرد على الجهمية، الكويت: دار إبن الأثير، ط٢.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث. ١٤٢٠ — ١٩٩٩. مسائل الإمام أحمد رواية أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني. مكتبة ابن تيمية. ط١.
- ابن دقيق العيد، محمد بن علي بن وهب، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م. إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١.
- الدكتور جواد علي. ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م. المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام. مكة: دار الساقي، ط٤.
- الدكتور عدنان زرزور. ١٤٠١هـ-١٩٨١م. علوم القرآن. بيروت: المكتب الاسلامي، ط١.
- الدكتور محمد حسين الذهبي. ١٣٩٦هـ. التفسير والمفسرون. بيروت: دار إحياء الكتب العربية، ط٢.
- الدولابي، أبو بشر الدولابي. ٢٠٠٠م-١٤٢١هـ. الكنى والأسماء. بيروت: ابن حزم، ط١.
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان. ١٤١٢هـ. مختصر العلو للعلي الغفار. المكتب الإسلامي. ط٢.
- ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م. سير أعلام النبلاء. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٩.
- ١٩٩٥م. ميزان الاعتدال في نقد الرجال. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.
- ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م. تذكرة الحفاظ. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.

- الدهلوي، عبد الستار. ١٤٢٧م - ٢٠٠٦هـ. فيض الملك الوهاب المتعال بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي. بيروت: دار المعارف، ط١.
- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر. ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م. مختار الصحاح. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ط٥.
- الراغب الاصفهاني، أبو القاسم، الحسين بن محمد. د.ت.ط. مفردات غريب القرآن. بيروت: دار المعرفة، د.ط.
- ابن رشد الحفيد، محمد بن أحمد بن محمد. ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م. بداية المجتهد و نهاية المقتصد. مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط٤.
- الرومي حاجي خليفة ، مصطفى بن عبدالله القسطنطيني. ١٤١٣هـ-١٩٩٢م. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.
- الزبيدي، محمد مرتضى، د. ت.ط. تاج العروس من جواهر القاموس. دار مكتبة الحياة، د.ط.
- الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري. ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م. معاني القرآن وإعرابه. عالم الكتب، ط١.
- الزحيلي، أ.د. وَهْبَةّ. د.ت.ط. الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ. دمشق: دار الفكر، ط٤.
- الزرقاني، محمد عبد العظيم. ١٤١٥هـ-١٩٩٥م. مناهل العرفان في علوم القرآن. بيروت: دار الكتاب العربي،ط١.
- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر. ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م. البرهان في علوم القرآن. بيروت: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط١.
- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الدمشقي. ٢٠٠٢م. الأعلام. بيروت: دار العلم للملايين، ط٥.
- الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد. ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م. أساس البلاغة. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.

- ١٤١٨هـ-١٩٩٨م. الكشاف عن حقاق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. الرياض: مكتبة العبيكان، ط١.
- الزيلعي، عثمان بن علي الحنفي. ١٣١٣هـ. تبين الحقائق شرح كنز الدقائق. القاهرة: دار الكتب الإسلامي، ط١.
- السخاوي، محمد بن عبد الرحمن. ١٩٦٠م. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. ببيروت: دار مكتبة الحياة، ط١.
- د.ت.ط. المقاصد الحسنة في بيان كَثِير مِنَ الأحادِيث المشتهرة عَلى الألِسنة. بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط.
- أبو السعادات المبارك بن محمد. - ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م. النهاية في غريب الحديث والأثر. بيروت: المكتبة العلمية، د.ط.
- ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي. ١٤٠٨هـ . الطبقات الكبرى. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط١.
- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي. د.ت.ط. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله. ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. مؤسسة الرسالة ط١.
- ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م. القواعد الحسان في تفسير القرآن. القاهرة: مكتبة السنة، ط١.
- سعيد فودة. ١٩٨٥م. مختصر شرح الخريدة البهية. القاهرة: دار الكتب المصرية، ط١.
- ابن السكيت، أبو يوسف إسحاق بن يعقوب. ٢٠٠١م. إصلاح المنطق. القاهرة: دار المعارف، ط٤.
- السمين الحلبي. ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م. الدر المصون في علم الكتاب المكنون. بيروت: دار العلم للملايين، ط١.

- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن. ٢٠٠٣ م. نواهد الأبكار وشوارد الأفكار. تحقيق صبحي قصاب، رسالة ماجستير، جامعة البعث، حمص، ، ط١.
- ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م. الإتقان في علوم القرآن، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١ .
- ١٤٠٤هـ. التحبير في علوم القرآن. المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، د.ط.
- ١٤١٢هـ. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. مصر: المكتبة التوفيقية، ط,٣
- ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م. الدر المنثور في التفسير بالمأثور. القاهرة: مركز هجر، ط١.
- الشافعي، أبو عبد الله، محمد بن إدريس. ١٤٠٥هـ. جماع العلم. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.
- ١٣٩٣هـ. الأم. بيروت: دار المعرفة، ط٢.
- أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم. د.ت.ط. إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.
- الشربيني، محمد بن أحمد. د.ت.ط. تفسير السراج المنير. بيروت : دار الكتب العلمية. د.ط.
- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني. ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥م. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. بيروت: دار الفكر، ط٢.
- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم. ١٤١٤هـ-١٩٩٣م. الملل والنحل. بيروت: دار المعرفة، ط٣.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد. ١٤١٢هـ. فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.
- الشيباني، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد الجزري. ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م. اللباب في تهذيب الأنساب. بيروت: دار صادر، ط١.
- ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد العبسي. ١٤١٣هـ. مُصنف ابن أبي شيبة. الهند: الدار السلفية، ط١.

- أبو الشيخ الأصبهاني، أبو محمد عبد الله بن محمد. ١٤٠٨هـ. العظمة. الرياض: دار العاصمة، ط١.
- الصاحب بن عباد. ١٩٧٤م. المحيط في اللغة. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.
- الصاوي، أحمد بن محمد الخلوتي. ١٣٤٥هـ-١٩٢٦م. حاشية الصاوي على تفسير الجلالين. مصر: مطبعة الأزهرية، ط١.
- الصبان، محمد بن علي الشافعي. ١٤١٧ هـ -١٩٩٧م. حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.
- الصنعاني، عبد الرزاق، تفسير القرآن الصنعاني. د.ت.ط. الرياض، مكتبة الرشد ط١.
- الطبراني. سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم. ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م. المعجم الكبير. مكتبة العلوم والحكم، ط١.
- الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل. ١٤١٥- ١٩٩٥م. مجمع البيان. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١.
- الطبري. أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي. ١٤٠٧هـ. تاريخ الأمم والملوك. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.
- ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م. جامع البيان في تأويل القرآن. مؤسسة الرسالة، ط١.
- ابن عادل الدمشقي، أبو حفص عمر بن علي الحنبلي. ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م. اللباب في علوم الكتاب. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.
- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري. ١٤٢١هـ–٢٠٠٠م. الاستذكار. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.
- عبد الحليم محمود. ١٤١٤هـ . سيدي أحمد الدردير. القاهرة: دار المعارف، ط٢.
- عبد الحي بن أحمد العكري. ١٤١١هـ. شذرات الذهب في أخبار من ذهب. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.

- عبد الستار، فيض الملك الوهاب. ١٤٢٧م-٢٠٠٦هـ. المتعال بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي. بيروت: دار المعارف، ط١.
- أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي. د.ت.ط. مجاز القرآن. القاهرة: مكتبة الخانجي، د.ط.
- العجلوني، إسماعيل بن محمد الجراحي. د.ت.ط. كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس. دار إحياء التراث العربي، د.ط.
- ابن العربي، محمد بن عبد الله. د.ت.ط. أحكام القرآن. بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط.
- عز الدين، عبد الحميد بن هبة الله. د.ت.ط. شرح نهج البلاغة. مصر: دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١.
- ابن أبي العز، علي بن علي. ١٤١٧هـ-١٩٩٦م. شرح العقيدة الطحاوية. دمشق: مؤسسة الرسالة، ط٩.
- ابن عشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي. ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م. تفسير التحرير والتنوير. بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، ط١.
- عصام الدين، اسماعيل بن محممد الحنفي. ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م. حاشية القونوي على تفسير البيضاوي. بيروت: دار النكتب العلمية، ط١.
- ابن عطية: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي.١٤٢٢هـ-٢٠٠١م. المحرر الوجيز في تفسير كتاب العزيز. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.
- ابن عقيل ، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري. ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. القاهرة: دار التراث، ط١.
- ابن عقيل. ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م. المساعد على تسهيل الفوائد. مكتبة التراث الإسلامي، ط١.
- علي بن حسام الدين فوري. ١٤٠١هـ-١٩٨١م. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. مكة: مؤسسة الرسالة، ط٥.
- على بن محمد بن عراق الكناني أبو الحسن. ١٤٠١هـ — ١٩٨١م. تنزية الشريعة المرفوعة عن الشنيعة الموضوعة. مكتبة القاهرة، ط٢.

- ابن العماد، عبد الحي بن أحمد. ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م. شذرات الذهب في أخبار من ذهب. بيروت: دار ابن كثير، ط١.
- عمر رضا كحالة. ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م. معجم المؤلفين. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١.
- أبوعمرو الداني، عثمان بن سعد. ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م. كتاب التيسير في القراءات السبع. بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢.
- ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م. البيان في عد آي القرآن. الكويت: مركز المخطوطات والتراث، ط١.
- العيني، بدر الدين محمود بن أحمد. ١٤٢١هـ. عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. ١٣٣١هـ. إحياء علوم الدين. بيروت: دار االمعرفة، ط٣.
- الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسين الرازي. ١٤٠١هـ-١٩٨١م. مفاتيح الغيب من القرآن الكريم. بيروت: دار الفكر. ط١.
- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد القرن. ١٤١٢هـ. معانى القرآن. مصر: دار المصرية، ط١.
- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد. ١٩٠٦م-١٣٢٣هـ. العين. الهند: دائرة المعارف النظامية، ط١.
- الفيروز ابادى، أبو طاهر مجيد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي. ٢٠٠٧م. بصائر ذوى التمييز. بيروت: دار الفكر، ط١.
- الفيومي، أحمد بن محمد. ١٤١٢هـ. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي. بيروت: المكتبة العلمية، ط١.
- فهد الرومي، بن عبد الرحمن بن سليمان. ١٤٠٧هـ. منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير. بيروت: مؤسسة الرسلة، ط١.
- أبو الفيض، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق. ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م. تاج العروس من جواهر القاموس. الكويت: التراث العربي، ط١.
- ابن القاسم. ١٣٢٣هـ. المدونة الكبرى. مصر: مطبعة السعادة، د.ط.

- أبو القاسم الحسين بن محمد. د.ت.ط. المفردات في غريب القرآن. لبنان: دار المعرفة، د.ط.
- القاضي الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية. ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.
- ابن قانع، أبو الحسين عبد الله. ١٤١٢هـ. معجم الصحابة. مكتبة الغرباء الأثرية، ط١.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري. ١٤١٣هـ. أدب الكتّاب. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.
- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم. د.ت.ط. المعارف. القاهرة: دار المعارف، ط٣.
- ابن قدامة، عبد الرحمن بن محمد. ١٤١٥هـ ١٩٩٥م. الشرح الكبير. جيزة: دار هجر. ط١.
- ابن قدامة، عبد الله بن أحمد المقدسي. ١٤٠٥هـ. المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني. بيروت: دار الفكر، ط١.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري. ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م. الجامع لأحكام القرآن. الرياض: دار عالم الكتب، ط١.
- القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم. ١٩٩٦م — ١٤١٧هـ. المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم. دار ابن كثير، ط١.
- القونوي، عصام الدين إسماعيل بن محمد. ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م. حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي. د.ت.ط. الضوء المنير على التفسير. عنيزة: مؤسسة النور للطباعة والتجليد، ط١.
- ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل. ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م. قصص الأنبياء. دار الكتب الحديثة، ط١.
- ١٣٩٦ هـ - ١٩٧١ م. السيرة النبوية. بيروت: دار المعرفة، ط١.
- ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م. البداية والنهاية. بيروت: دار إحياء التراث، ط١.
- ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م. تفسير القرآن العظيم. دار طيبة، ط٢.

- اللالكائي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور. ١٤٠٢هـ. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة. الرياض: دار طيبة، ط١.
- مالك بن أنس، الإمام. ١٤١٣هـ - ١٩٩١م. موطأ مالك. دمشق: دار القلم، ط١.
- ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني. د.ت.ط. سنن ابن ماجه. بيروت: دار الفكر، ط١.
- المباركفوري، صفي الرحمن أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم. ١٩٩٦م. الرحيق المختوم. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.
- د.ت.ط. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي. بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢.
- أبو المحاسن الحسيني. ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م. ذيل تذكرة الحفاظ. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.
- أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي. ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك. بيروت: دار الفكر العربي، ط١.
- محمد الخطيب الشربيني. ١٤١٨هـ-١٩٩٧م. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، بيروت: دار المعرفة، ط١.
- محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. ١٤٠٦هـ ،١٩٨٦م. ذكر أسماء من تكلم فيه. الزرقاء: مكتبة المنار، ط١.
- محمد البهي. ١٤١٢هـ. الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي. بيروت: دار الكتب العلمية، ط٣.
- محمد بن علي بن محمد بن عبد الرحمن الحنفي. د.ت. الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار. ١٣٨٦هـ. بيروت: دار الفكر، ط١.
- محمد بن محمد مخلوف. د.ت.ط. شجرة النور الذكية في طبقا ت المالكية. بيروت: دار الكتب العربي، ط١.

- محمد صديق حسن خان القنوجي والإمام محمد بن عبد الوهاب. ١٤٢١هـ. قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر مع كتاب مسائل الجاهلية. المملكة العربية السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط١.
- محمد فاضل جيلاني الحسيني. ٢٠٠٩م. كتاب النهر القادرية. مركز الجيلاني للبحوث العلمية، ط١.
- محمد فاضل جيلاني الحسني التيلاني. ٢٠٠٩م. كتاب نهر القادرية. اسطنبول: مركز الجيلاني للبحوث العلمية، ط١.
- محمد قطب. ١٩٩٠م. واقعنا المعاصر. مؤسسة المدينة للصحافة، ط٣.
- محمد مخلوف. د.ت.ط. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية. بيروت: دار الفكر،ط١.
- المرادي، أبو محمد حسن بن قاسم بن عبد الله. ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك. بيروت: دار الفكر العربي، ط١.
- المزي، أبو الحجاج يوسف بن الزكي. ١٤٠٠هـ — ١٩٨٠م. تهذيب الكمال. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١.
- مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري. ١٩٨٨م. الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم. بيروت: دار الأفاق الجديدة، ط٢.
- ابن الملقن، أبو حفص عمر بن علي بن أحمد. ١٤١٠هـ. خلاصة البدر المنير في تخريج كتاب الشرح الكبير. الرياض: مكتبة الرشد، ط١.
- مناع القطان. ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م. مباحث في علوم القرآن. المدينة: مكتبة المعارف، ط٣.
- المناوي، محمد عبد الرؤوف. ١٤١٠هـ. التوقيف على مهمات التعاريف. بيروت: دار الفكر المعاصر، ط١.
- ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م. فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.
- ابن منده، محمد بن إسحاق. د.ت.ط. الإيمان. بيروت: دار أطلس، ط١.

- المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي أبو محمد، ١٤٠٦هـ. رسالة في الجرح والتعديل. الكويت: مكتبة دار الأقصى، ط,١
- ١٤١٧هـ. الترغيب والترهيب من الحديث الشريف. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور. ١١١٩م. لسان العرب. القاهرة: دار المعارف، ط١.
- نجلاء عز الدين. ١٩٧٦م. العالم العربي. مصر: دار إحياء الكتب العربية، ط٢.
- النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد. ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م. إعراب القرآن، بيروت: مكتبة عالم الكتب ، ط١.
- ابن النديم، محمد بن إسحاق أبو الفرج. ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م. الفهرست. بيروت: دار المعرفة، ط١.
- أبو نعيم. د.ت.ط. حلية الأولياء. مكة: مكتبة ابن تيمية، ط١.
- النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود. ٢٠٠٥م. تفسير النسفى. بيروت: دار النقاش ط١.
- نظام الدين القمي، الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري. ١٤١٦هـ-١٩٩٦م. غرائب القرآن ورغائب الفرقان. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.
- النويري، أحمد بن عبد الوهاب. ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤م. نهاية الأرب في فنون الأدب . بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.
- ابن هشام الأنصاري، أبو محمد عبدالله بن يوسف. ١٩٨٥م. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. بيروت: دار الفكر، ط٦.
- ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري. ١٤١١هـ. السيرة النبوية. بيروت: دار الجيل، ط١.
- أبو هلال العسكري. ٢٠٠٠م. الفروق اللغوية. بيروت: دار العلم والثقافة، ط١.
- الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر. ١٤١٢هـ. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. بيروت: دار الفكر، ط٢.

- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري. ١٩٧٣م.أسباب النزول. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.
- ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م. الوسيط في تفسير القرآن المجيد. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.
- الواسطي، أحمد بن إبراهيم. ١٣٩٤هـ. النصيحة في صفات الرب جل وعلا. بيروت: المكتب الإسلامي، ط٢.
- اليافعي، عبد الله بن أسعد. ١٢١٧هـ-١٩٩٧م. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.
- ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي. ١٣٩٧هـ – ١٩٩٣م. معجم البلدان. دار صادر، ط١.
- أبو يعلى الموصلي، أحمد بن علي. ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م. مسند أبي يعلى. دمشق: دار المأمون للتراث، ط١.